جامع البيان

عن

تأويل آي القرآن

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزءان

٢٨ - ٢٩

دار الفكر

Marfat.com

جامع البيان
عن
تأويل آي القرآن

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري
المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء الثامن والعشرون

دار الفكر

Marfat.com

حُقوق الطبع محفوظة

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

دار الفكر
بيروت
لبنان

المكاتب: البناية المركزية - هاتف: ٢٤٤٧٣٩ - ص.ب: ١١/٧٠٦١
المطابع والمعمل: حارة حريك - شارع عبد النور - هاتف: ٢٧٣٦٥٠ - ٢٧٣٤٨٧
برقياً: فكسي - تلكس ٤١٣٩٢ فكر FIKR 41392 LE

Marfat.com

فهارس الجزء الثامن والعشرون

من

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

الفهرس الأول : للآيات المفسرة

الفهرس الثاني : مواضيع الآيات المفسرة

الفهرس الثالث : للقوافي

الفهرس الرابع : للأحاديث النبوية .

Marfat.com

[illegible]

[illegible]

[illegible] : [illegible]
[illegible] : [illegible]
[illegible] : [illegible]
[illegible] : [illegible]

[illegible]

Marfat.com

فهارس

الجزء الثامن والعشرين من جامع البيان لمحمد بن جرير الطبرى

١ – فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
	سورة المجادلة	
١	قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها . . .	١
٢	الذين يظاهرون منكم من نسائهم	٦
٣	والذين يظاهرون من نسائهم . . .	٧
٤	فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين . . .	٩
٥	إن الذين يحادون الله كبتوا . . .	١١
٦	يوم يبعثهم الله جميعا . . .	١٢
٧	ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات . . .	١٢
٨	ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى	١٣
٩	ياأيها الذين آمنوا إذا تناجيتم . . .	١٥
١٠	إنما النجوى من الشيطان . . .	١٥
١١	ياأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا ...	١٦
١٢	ياأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول . . .	١٩
١٣	أأشفقتم أن تقدموا بين يدىْ نجواكم ...	٢٢
١٤	ألم تر إلى الذين تولّوا قوما غضب الله . .	٢٢
١٥	أعدّ الله لهم عذابا شديدا . . .	٢٣
١٦	اتخذوا أيمانهم جنة فصدّوا . . .	٢٣
١٧	لن تغنىَ عنهم أموالهم . . .	٢٤
١٨	يوم يبعثهم الله جميعا . . .	٢٤
١٩	استحوذ عليهم الشيطان . . .	٢٥
٢٠	إن الذين يحادّون الله ورسوله . . .	٢٥
٢١	كتب الله لأغلبن . . .	٢٥
٢٢	لا تجد قوما يؤمنون بالله . . .	٢٦
	سورة الحشر	
١	سبّح لله مافى السموات ومافى الأرض...	٢٧
٢	هو الذى أخرج الذين كفروا . . .	٢٧
٣	ولولا أن كتب الله عليهم الجَلاء . . .	٣١
٤	ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله . . .	٣١
٥	ما قطعتم من لينة أو تركتموها . . .	٣٢
٦	وما أفاء الله على رسوله . . .	٣٥
٧	ما أفاء الله على رسوله من أهل القُرى...	٣٦
٨	للفقراء المهاجرين الذين أُخرجوا . . .	٤٠
٩	والذين تبوءوا الدار والإيمان . . .	٤٠
١٠	والذين جاءوا من بعدهم يقولون . . .	٤٤
١١	ألم تر إلى الذين نافقوا . . .	٤٥
١٢	لئن أخرجوا لايخرجون معهم . . .	٤٦
١٣	لأنتم أشد رهبة فى صدورهم . . .	٤٧
١٤	لا يقاتلونكم جميعا إلا فى قرى محصنة...	٤٧
١٥	كمثل الذين من قبلهم قريبا . . .	٤٨
١٦	كمثل الشيطان إذ قال للإنسان . . .	٤٨
١٧	فكان عاقبتهما أنهما فى النار . . .	٥١
١٨	يا أيها الذين ءامنوا اتقو الله . . .	٥١
١٩	ولا تكونوا كالذين نسُوا الله . . .	٥٢
٢٠	لايستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة ...	٥٣
٢١	لو أنزلنا هذا القرآن على جبل . . .	٥٣
٢٢	هو الله لا إله إلا هو . . .	٥٤

Marfat.com

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٣	هو الله الذى لا إله إلا هو . . .	٥٤
٢٤	هو الله الخالق البارئ المصوِّر . . .	٥٦
	سورة الممتحنة	
١	يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوّى ...	٥٧
٢	إن يثقفوكم يكون لكم أعداء . . .	٦١
٣	لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم . . .	٦١
٤	قد كانت لكم أُسوة حسنة فى إبراهيم...	٦٢
٥	ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا . . .	٦٣
٦	لقد كان لكم فيهم أُسوة حسنة . . .	٦٣
٧	عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين . . .	٦٤
٨	لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم . . .	٦٥
٩	إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم . . .	٦٧
١٠	يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات ...	٦٧
١١	وإن فاتكم شىء من أزواجكم . . .	٧٤
١٢	يا أيها النبى إذا جاءك المؤمنات . . .	٧٧
١٣	يا أيها الذين آمنوا لاتتولّوا قوما . . .	٨١
	سورة الصفّ	
١	سبح لله مافى السموات وما فى الأرض...	٨٣
٢	يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالاتفعلون .	٨٣
٣	كَبُر مقتا عند الله أن تقولوا مالاتفعلون .	٨٣
٤	إن الله يحبُّ الذين يقاتلون فى سبيله صفا ..	٨٥
٥	وإذا قال موسى لقومه يا قوم . . .	٨٦
٦	وإذ قال عيسى ابن مريم يابنى إسرائيل...	٨٧
٧	ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب ...	٨٧
٨	يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم . . .	٨٧
٩	هو الذى أرسل رسوله بالهدى . . .	٨٨

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٠	يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم . . .	٨٩
١١	تؤمنون بالله ورسوله . .	٨٩
١٢	يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات . . .	٩٠
١٣	وأخرى تحبونها نصر من الله . . .	٩٠
١٤	يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله . . .	٩٠
	سورة الجمعة	
١	يسبِّح لله مافى السموات وما فى الأرض..	٩٣
٢	هو الذى بعث فى الأمِّيين رسولا منهم ...	٩٣
٣	وآخرين منهم لما يلحقوا بهم . . .	٩٥
٤	ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . . .	٩٥
٥	مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها . . .	٩٧
٦	قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم . . .	٩٨
٧	ولا يتمنونه أبدا بما قدمتْ أيديهم . . .	٩٨
٨	قل إن الموت الذى تفرُّون منه . . .	٩٩
٩	يا أيها الذين آمنوا إذا نُودى للصلاة ...	٩٩
١٠	فإذا قُضِيت الصلاة فانتشروا . . .	١٠٢
١١	وإذا رأوا تجارة أو لهْوا انفضوا إليها ...	١٠٣
	سورة المنافقين	
١	إذا جاءك المنافقون قالوا . . .	١٠٦
٢	اتخذوا أيمانهم جُنّة فصدوا . . .	١٠٦
٣	ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا . . .	١٠٧
٤	وإذا رأيتهم تُعجِبُك أجسامهم . . .	١٠٧
٥	وإذا قيل لهم تعالَوا يستغفر لكم . . .	١٠٨
٦	سواء عليهم أستغفرت لهم . . .	١١٠
٧	هم الذين يقولون لاتنفِقُوا على من . . .	١١١
٨	يقولون لئن رجعنا إلى المدينة . .	١١٢

Marfat.com

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٩	يا أيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ...	١١٧
١٠	وأنفقوا من ما رزقناكم . . .	١١٧
١١	ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها . . .	١١٧
	سورة التغابن	
١	يسبح لله مافى السموات وما فى الأرض	١١٩
٢	هو الذى خلقكم فمنكم كافر . . .	١١٩
٣	خلق السموات والأرض بالحق . .	١٢٠
٤	يعلم ما فى السموات والأرض . . .	١٢٠
٥	ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل	١٢٠
٦	ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات..	١٢٠
٧	زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا . . .	١٢١
٨	فآمنوا بالله ورسوله والنور . . .	١٢١
٩	يوم يجمعكم ليوم الجمع . . .	١٢٢
١٠	والذين كفروا وكذبوا بآياتنا . . .	١٢٢
١١	ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله . . .	١٢٣
١٢	وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول . .	١٢٣
١٣	الله لاإله إلا هو . . .	١٢٣
١٤	يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم ...	١٢٤
١٥	إنما أموالكم وأولادكم فتنة . . .	١٢٦
١٦	فاتقوا الله ما استطعتم . . .	١٢٦
١٧	إن تقرضوا الله قرضا حسنا . .	١٢٨
	سورة الطلاق	
١	يا أيها النبى إذا طلقتمُ النساء . . .	١٢٨
٢	فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن . . .	١٢٨
٣	ويرزقه من حيث لا يحتسب . . .	١٢٨
٤	واللائى يئسن من المحيض من نسائكم...	١٤٠
٥	ذلك أمر الله أنزله إليكم . . .	٤٤
٦	أسكنوهن من حيث سكنتم من وُجْدكم...	١٤٤
٧	سيجعل الله بعد عسر يُسرا . . .	١٥٠
٨	وكأيِّن من قرية عتت عن أمر ربها ...	١٥٠
٩	فذاقت وبال أمرها . . .	١٥٠
١٠	أعد الله لهم عذابا شديدا . . .	١٥١
١١	رسولا يتلو عليكم آيات الله . . .	١٥١
١٢	الله الذى خلق سبع سموات . . .	١٥٣
	سورة التحريم	
١	يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك	١٥٥
٢	قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم . . .	١٥٩
٣	وإذ أسرَّ النبى إلى بعض أزواجه حديثا...	١٥٩
٤	إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ...	١٦٠
٥	عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا ...	١٦٣
٦	يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم . .	١٦٥
٧	يا أيها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم ..	١٦٦
٨	يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله	١٦٦
٩	يا أيها النبى جاهد الكفار . . .	١٦٩
١٠	ضرب الله مثلا للذين كفروا . .	١٦٩
١١	وضرب الله مثلا للذين آمنوا . . .	١٧١
١٢	ومريم ابنت عمران . . .	١٧٢

Marfat.com

٣ ـ فهرس الموضوعات

الصفحة

تفسير سورة المجادلة

تأويل قوله تعالى « قد سمع الله » . وبيان المرأة التي نزلت فيها هذه الآيات .

٧ الظهار ومعنى العود فيه ، والكفارة التي تلزم بذلك .

١٢ النجوى ، ومعنى كون الله مع من يتناجى .

١٦ المجالس التي أمر الله بالتفسح فيها .

١٩ ما كان أوجبه الله تعالى من الصدقة أمام مناجاة الرسول .

٢٢ تأويل قوله « ألم تر إلى الذين تولَّوا قوما » . . الاية . وأنها نزلت في المنافقين الذين تولوا اليهود .

تفسير سورة الحشر

٢٧ خروج بني النضير من المدينة وما فعله المؤمنون من التخريب في أرضهم

٣٥ حكم الفيء وما يجب في تقسيمه .

٤٠ ما فعله الأنصار من إيثار الغير على أنفسهم .

٤٤ تأويل قوله « والذين جاءوا من بعدهم » . ومن المراد بهم .

٤٩ العابد الذي تحيل عليه الشيطان حتى كفر بعد عبادة ستين سنة .

تفسير سورة الممتحنة

٥٨ ما كتبه حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة عند ما أراد رسول الله فتحها .

الصفحة

٦٥ تأويل قوله « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم » ... الآية ، وبيان الذين عُنُوا بهذه الآية .

٦٧ ما كان يفعله رسول الله بالنساء المهاجرات من الامتحان .

٦٩ تحريم المؤمنات على المشركين والمشركات على المؤمنين وما يجب بذله لزوج كل .

٧٨ ما كان يأخذه رسول الله من البيعة على النساء عند إسلامهن .

تفسير سورة الصف

٨٣ ما وبخ الله به الإنسان على قوله فعلت ولم يفعل .

٨٨ تأويل قوله « هو الذي أرسل رسوله بالهدى » وبيان أنه لا ينافي إظهار الدين أن يكون بعده جحد .

٩٢ الحوار بين الذين اتبعوا عيسى وما فعلوا بعد رفعه .

تفسير سورة الجمعة

٩٥ تأويل قوله تعالى « وآخرين منهم » ... الآية والخلاف في المراد بهؤلاء الآخرين .

١٠١ عدد الأذان في يوم الجمعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٠٣ تأويل قوله . « وإذا رأوا » . . . الآية ، وبيان أسباب النزول .

Marfat.com

الصفحة

١٠٦ تفسير سورة المنافقين

١٠٨ طرف من تاريخ عبد الله بن أبيّ وما فعله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١١٩ تفسير سورة التغابن

١٢٤ تأويل « يأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم » وبيان أسباب النزول .

تفسير سورة الطلاق

١٢٨ بيان الطلاق السنىّ والبدعىّ ، وذكر طرف من العدد .

١٣٦ ما يجب للمطلقة من السكنى .

١٣٦ حكم الإشهاد عند المراجعة .

الصفحة

١٤٠ عدة الآيسة والتى لم تحض ، وعدة الحامل المتوفى عنها زوجها .

١٤٦ الخلاف فى النفقة لا تكون لكل مطلقة أو للمبتوتة الحامل .

١٥٣ ما ورد فى أبعاد السموات والأرض .

تفسير سورة التحريم

١٥٥ ما كان حرّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسه :

١٦١ تأويل قوله « إن تتوبا إلى الله » . . . الآيه . ومرجع الضمير فى الآية .

١٦٧ التوبة النصوح .

Marfat.com

٣ ـ فهرس القوافى

القافية	الصفحة
ج	
هَجَا	٤٢
َلمْجا	٤٢
مَنْجا	٤٢
ر	
والنَّحرْ	٥١
مُسْتَطِيرُ	٣٤
ق	
يترقرقُ	٣٣
ل	
مُحُولِ	١١٧
م	
تَهِيمُ	٥٧
ن	
مهينا	٤٣

Marfat.com

مطلع الحديث	الصفحة
أتدرون ما هذا؟ هذه العنان...	١٥٤
أتيت رسول الله ﷺ في نساء نبايعه قالت...	٨٠
أدركت عجوزاً لنا كانت فيمن بايع...	٧٩
أن أميمة أخبرته أنها دخلت على رسول الله...	٧٩
أن خويلة ابنة ثعلبة، وكان زوجها أوس...	٢
أن عائشة فطنت إلى قولهم، فقالت...	١٤
أن عبد الله بن عبد الله بن أبي أتى رسول الله...	١١٦
أن غلاماً جاء إلى النبي ﷺ، فقال:...	١١٤
أن غلاماً لحاطب بن أبي بلتعة جاء...	٤٥
أن النبي ﷺ دخل بيت حفصة فإذا هي...	١٥٧
أن نبي الله ﷺ بينما هو جالس مع أصحابه...	١٥
أنه طلق امرأته حائضاً، فأتى عمر...	١٣١
أنه طلق امرأته وهي حائض، فسأل عمر...	١٣١
إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد...	٤٢
إن الأنصار كانوا أكثر من المهاجرين...	١١٢
إن خويلة ابنة الدليج أتت النبي ﷺ...	١
إنه وجدت امرأة من نساء رسول الله ﷺ...	١٥٦
إني عند الله مكتوب لخاتم النبيين...	٨٧
أيما قرية أعطت...	٣٥
بايعت رسول الله ﷺ في نسوة من المسلمين...	٨٠
بريء من الشح من أدى الزكاة، وقرى...	٤٤
بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير بن العوام...	٥٨
بلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون له...	١١٥
بلغني أن رسول الله ﷺ لما أجلى بني النضير...	٢٩
بينما رسول الله ﷺ يخطب الناس يوم الجمعة...	١٠٤

مطلع الحديث	الصفحة
بينما النبي ﷺ جالس مرة مع أصحابه...	١٥٤
جاءت أميمة بنت رقيقة إلى النبي...	٧٩
جاءت نسوة إلى النبي ﷺ يبايعنه فقال...	٧٩
جاء ناس من اليهود إلى النبي ﷺ...	١٤
حدثتني فاطمة بنت قيس أخت...	١٤٧
خرجت مع عمي في غزاة، فسمعت عبد الله...	١٠٩
ذكر لنا أن نبي الله ﷺ أخذ عليهن يومئذ...	٧٨
سألت رسول الله ﷺ عن ﴿أولات الأحمال أجلهن أن يضعن﴾...	١٤٣
طلقت امرأتي وهي حائض؛ قال: فأتى...	١٣١
﴿فإذا قضيت الصلاة، فانتشروا﴾...	١٠٣
قال النبي ﷺ: ما ترى؟ دينار؟ قال...	٢١
قوله ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾...	١٥٧
كانت خولة بنة ثعلبة تحت أوس بن الصامت...	٤
كانت محنة النساء أن رسول الله ﷺ أمر...	٧٨
كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية...	٣
كان المنافقون يسمون المهاجرين الجلابيب...	١١٤
كان النبي ﷺ في ظل حجرة قد كاد يقلص...	٢٥
كان اليهود يأتون النبي ﷺ فيقولون...	١٤
كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة، فقال...	١٠٩
لا نورث ما تركناه صدقة.	٣٨
لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات...	٨٨
لما أراد النبي ﷺ أن يأتي مكة، أسر...	٥٩
لما هادن رسول الله ﷺ المشركين كان...	٧١

Marfat.com

مطلع الحديث	الصفحة
لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال...	٩٦
من أتانا منكم فنرده إليكم...	٧١
هؤلاء يهود، جاء ثلاثة نفر منهم...	١٥
والذي نفسي بيده لو اتبع آخركم أولكم...	١٠٤
وما يدريك يا عمر لعله قد شهد مشهداً...	٤٥
يا رسول الله إن والدي يؤذي الله...	١١٣
يدخل عليكم رجل ينظر بعين شيطان...	٢٣

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

(٥٨) سورة المجادلة مدنية
وآياتها ثنتان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝١﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ) يامحمد (قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا) والتي كانت تجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في زوجها امرأة من الأنصار :

واختلف أهل العلم في نسبها واسمها ، فقال بعضهم : خولة بنت ثعلبة ، وقال بعضهم : اسمها خُوَيْلة بنت ثعلبة :

وقال آخرون : هي خويلة بنت خويلد . وقال آخرون : هي خويلة بنت الصامت : وقال آخرون : هي خويلة ابنة الدليج ، وكانت مجادلتها رسول الله صلى الله عليه وسلم في زوجها ، وزوجها أوس بن الصامت مراجعتها إياه في أمره ، وما كان من قوله لها : أنت عليّ كظهر أمي ، ومحاورتها إياه في ذلك ، وبذلك قال أهل التأويل ، وتظاهرت به الرواية :

ذكر من قال ذلك ، والآثار الواردة به

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، قال : سمعت أبا العالية يقول : « إن خويلة ابنة الدليج أتت النبيّ صلى الله عليه وسلم وعائشة تغسل شقّ رأسه ، فقالت : يا رسول الله ، طالت صحبتي مع زوجي ، ونفضت له بطني ، وظاهر مني ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حَرُمْتِ عَلَيْهِ ،

Marfat.com

فقالت : أشكو إلى الله فاقتى ، ثم قالت : يا رسول الله طالت صحبتى ، ونفضت له بطنى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حَرُمْتِ عَلَيْهِ ، فجعل إذا قال لها : حرمت عليه ، هتفت وقالت : أشكو إلى الله فاقتى ، قال : فنزل الوحى ، وقد قامت عائشة تغسل شقّ رأسه الآخر ، فأومأت إليها عائشة أن اسكتى ، قالت : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحى أخذه مثل السبات ، فلما قضى الوحى ، قال : ادْعى زَوْجَكِ ، فتَلاها عَلَيْهِ رسول الله صلى الله عليه وسلم (قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِى تجادِلُكَ فِى زَوْجِها ، وَتَشْتَكِى إلى اللهِ ، وَاللهُ يَسْمَعُ تحاوُرَكُما) . . . إلى قوله (وَالَّذِينَ يُظاهِرُونَ مِنْ نِسائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِما قالُوا) : أى يرجع فيه (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَماسَّا) أتستطيعُ رَقَبَةً ؟ قال : لا ، قال : (فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ) قال يا رسول الله ، إنى إذا لم آكل فى اليوم ثلاث مرّات خشيت أن يعشو بصرى ؛ قال : (فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإطْعامُ سِتِّينَ مِسْكِينا) قال : أتَسْتَطِيعُ أنْ تُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِينا قال : لا يا رسول الله إلا أن تعيننى ، فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطعم » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذُكر لنا « أن خويلة ابنة ثعلبة ، وكان زوجها أوس بن الصامت قد ظاهر منها ، فجاءت تشتكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت ظاهر منى زوجى حين كبر سنى ، ورقّ عظمى ، فأنزل الله فيها ما تسمعون (قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِى تُجادِلُكَ فِى زَوْجِها وَتَشْتَكِى إلى اللهِ) فقرأ حتى بلغ (لَعَفُوٌّ غَفُورٌ . وَالَّذِين يُظاهِرُونَ مِنْ نِسائِهِمْ ، ثُمَّ يَعُودُونَ لِما قالُوا) يريد أن يغشى بعد قوله ذلك ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : أتَسْتَطِيعُ أنْ تحرِّرَ مُحرَّرًا ؟ قال : مالى بذلك يدان ، أو قال : لا أجد قال : أتَسْتَطِيعُ أنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ ؟ قال : لا والله ، إنه إذا أخطأه المأكل كل يوم مرارا يكلّ بصره ، قال : أتَسْتَطِيعُ أنْ تُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِينا ؟ قال : لاوالله ، إلا أن تعينى منك بعون وصلاة ، قال بشر ، قال يزيد : يعنى دعاء ؛ فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا ، فجمع الله له ، والله غفور رحيم » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة فى قول الله : (قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِى تُجادِلُكَ فِى زَوْجِها وَتَشْتَكِى إلى اللهِ ، وَاللهُ يَسْمَعُ تحاوُرَكُما) قال : ذاك أوس بن الصامت ظاهر من امرأته خويلة ابنة ثعلبة قالت : « يا رسول الله كبر سنى ، ورقّ عظمى ، وظاهر منى زوجى ، قال : فأنزل الله (الَّذِينَ يُظاهِرُونَ مِنْ نِسائِهِمْ) . . . إلى قوله (ثُمَّ يَعُودُونَ لِما قالُوا) يريد أن يغشى بعد قوله (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَماسَّا) فدعاه إليه نبىّ الله صلى الله عليه وسلم فقال : هَلْ تَسْتَطِيعُ أنْ تُعْتِقَ رَقَبَةً ؟ قال : لا ؛ قال : أفتَسْتَطِيعُ أنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ قال : إنه إذا أخطأه أن يأكل كلّ يوم ثلاث مرّات يكلّ بصره ؛ قال : أتَسْتَطِيعُ أنْ تُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِينا ؟ قال : لا ، إلا أن يعيننى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعون وصلاة ، فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا ، وجمع الله له أمره ، والله غفور رحيم » .

Marfat.com

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، عن أبى حمزة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان الرجل إذا قال لامرأته فى الجاهلية : أنت علىّ كظهر أمى حَرُمت فى الإسلام ، فكان أوّل من ظاهر فى الإسلام أوس بن الصامت ، وكانت تحته ابنة عم له يقال لها خُوَيلة بنت خُوَيلد وظاهر منها ، فأُسْقِطَ فى يديه وقال : ما أراكِ إلا قد حَرُمْتِ علىّ ، وقالت له مثلَ ذلك ، قال : فانطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجدتْ عنده ماشطة تمشُط رأسه ، فأخبرته ، فقال : يا خُوَيْلَةُ ما أُمِرْنا فى أمْرِكِ بِشَيْءٍ ، فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ، فقال يا خُوَيْلَةُ أبْشِرِى ، قالت : خيرا ، قال : فقرأ عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم (قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِى تُجادِلُكَ فِى زَوْجِها وَتَشْتَكِى إلى اللهِ) . . . إلى قوله (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أنْ يَتَماسَّا) قالت : وأىُّ رقبة لنا ، والله ما يجد رقبة غيرى ، قال (فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ) قالت : والله لولا أنه يشرب فى اليوم ثلاث مرّات لذهب بصره ، قال (فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإطْعامُ سِتِّينَ مِسْكِينا) قال : من أين ؟ ما هى إلا أكلة إلى مثلها ، قال : فدعاه بشطر وَسْق ثلاثين صاعا ، والوَسْق ستون صاعاً ، فقال : لِيُطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينا وَلْيُراجِعْكَ » .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، « قوله (قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِى تُجادِلُكَ فِى زَوْجِها وَتَشْتَكِى إلى اللهِ) . . . إلى قوله (فَإطْعامُ سِتِّينَ مِسْكِينا) ، وذلك أن خولة بنت الصامت امرأة من الأنصار ظاهر منها زوجها ، فقال : أنت علىّ مثلُ ظهر أمى ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : إن زوجى كان تزوّجنى ، وأنا أحبّ[1] ، حتى إذا كبرتُ ودخلت فى السن قال : أنت علىّ مثل ظهر أمى ، فتركنى إلى غير أحد ، فإن كنت تجد لى رُخصة يا رسول الله تَنْعَشُنى وإياه بها فحدِّثنى بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أُمِرْتُ فى شأنِكِ بِشَيْءٍ حَتَّى الآنَ ، وَلَكِنِ ارْجِعِى إلى بَيْتِكِ ، فإنْ أُومَرْ بِشَيْءٍ لا أغْمِمْهُ عَلَيْكِ إنْ شاءَ اللهُ ، فرجعت إلى بيتها ، وأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم فى الكتاب رخصتها ورخصة زوجها (قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِى تُجادِلُكَ فِى زَوْجِها) . . . إلى قوله (وَلِلْكافِرِينَ عَذابٌ ألِيمٌ) فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زوجها ؛ فلما أتاه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أرَدْتَ إلى يَمِينِكَ الَّتِى أقْسَمْتَ عَلَيْها ؟ فقال : وهل لها كفّارة ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هَلْ تَسْتَطِيعُ أنْ تُعْتِقَ رَقَبَةً ؟ قال : إذًا يذهب مالى كله ، الرقبة غالية وأنا قليل المال ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ ؟ قال : لا والله لولا أنى آكل فى اليوم ثلاث مرّات لكلّ بصرى ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هَلْ تَسْتَطِيعُ أنْ تُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِينا ؟ قال : لا والله إلا أن تعيننى على ذلك بعون وصلاة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنِّى مُعِينُكَ بِخَمْسَةَ عَشَرَ صاعا ، وأنا داعٍ لَكَ بِالبَرَكَةِ ، فأصلح ذلك بينهما » .

قال : وجعل فيه تحرير رقبة لمن كان مُوسرا لا يكفر عنه إلا تحرير رقبة إذا كان موسرا من قبل أن يتماسا

(١) الذى فى الدر : وأنا أحب الناس إليه .

Marfat.com

فإن لم يكن موسرا فصيام شهرين متتابعين ، لايصلح له إلا الصوم إذا كان معسرا ، إلا أن لايستطيع ، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ، وذلك كله قبل الجماع :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبي معشر المدنى ، عن محمد بن كعب القرظى ، قال «كانت خولة ابنة ثعلبة تحت أوس بن الصامت ، وكان رجلا به لمم ، فقال فى بعض هجراته[1] : أنت علىّ كظهر أمى ثم ندم على ما قال ، فقال لها : ما أظنك إلا قد حرمت علىّ ، قالت : لاتقل ذلك ، فوالله ما أحبّ الله طلاقا ، قالت : ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسله ، فقال : إنى أجدنى أستحيي منه أن أسأله عن هذا ، فقالت فدعنى أن أسأله ، فقال لها : سليه ؛ فجاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يانبىّ الله إن أوس بن الصامت أبوولدى ، وأحبّ الناس إلىّ ، قد قال كلمة والذى أنزل عليك الكتاب ماذكر طلاقا ، قال : أنت علىّ كظهر أمى ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : ما أراكِ إلاَّ قَدْ حَرُمْتِ عَلَيْهِ ، قالت : لاتقل ذلك يانبىّ الله ، والله ما ذكر طلاقا ، فرادّت النبىّ صلى الله عليه وسلم مرارا ، ثم قالت : اللهمّ إنى أشكو اليوم شدّة حالى ووحدتى ، ومايشقّ علىّ من فراقه ، اللهمّ فأنزل على لسان نبيك ، فلم ترم[2] مكانها حتى أنزل الله (قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تجادِلُكَ فِي زَوْجِها وَتَشْتَكِي إلى اللهِ) إلى أن ذكر الكفارات فدعاه النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : أعْتِقْ رَقَبَةً ، فقال : لا أجد ، فقال : صُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ قال : لاأستطيع ، إنى لأصوم اليوم الواحد فيشقّ علىّ ؛ قال : أطعمْ سِتِّينَ مِسْكِينا ، قال : أما هذا فَنَعَمْ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر عن أبى إسحاق (قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تجادِلُكَ فِي زَوْجِها) قال نزلت فى امرأة اسمها خولة وقال عكرمة اسمها خويلة ابنة ثعلبة وزوجها أوس ابن الصامت جاءت النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقالت : إن زوجها جعلها عليه كظهر أمه ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : ما أراكِ إلاَّ قَدْ حَرُمْتِ عَلَيْهِ ، وهو حينئذ يغسل رأسه ، فقالت : انظر جُعلت فداك يا نبىّ الله ، فقال : ما أراكِ إلاَّ قَدْ حَرُمْتِ عَلَيْهِ ، فقالت : انظر فى شأنى يا رسول الله ، فجعلت تجادله . ثم حوّل رأسه ليغسله ، فتحوّلت من الجانب الآخر ، فقالت : انظر جعلنى الله فداك يانبىّ الله ، فقالت الغاسلة : أقصرى حديثك ومخاطبتك ياخويلة ، أما ترين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم متربدا ليوحى إليه ، فأنزل الله (قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تجادِلُكَ فِي زَوْجِها) . . حتى بلغ (ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قالُوا) قال قتادة : فحرمها ، ثم يريد أن يعود لها فيطأها (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) . . . حتى بلغ (بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) قال أيوب : أحسبه ذكره عن عكرمة ، أن الرجل قال : يا نبىّ الله ما أجد رقبة ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : ما أنا بِزائِدِكَ ، فأنزل الله عليه : (صِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أنْ يَتَماسَّا) فقال : والله يا نبىّ الله ما أطيق الصوم ، إنى إذا لم آكل فى اليوم كذا وكذا أكلة لقيت ولقيت ، فجعل يشكو إليه ، فقال : ما أنا بِزائِدِكَ ، فنزلت : (فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإطْعامُ سِتِّينَ مِسْكِينا) :

(١) الهجرة ، بكسر الهاء : اسم من الهجر بفتحها ، وهو صرمه لزوجه .

(٢) لم ترم مكانها : لم تبرحه . رام المكان يريمه : من باب ضرب .

Marfat.com

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله عزّ وجلّ (الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا) قال : تجادل محمدا صلى الله عليه وسلم ، فهى تشتكى إلى الله عند كبره وكبرها حتى انتفض وانتفض رحمها .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا) قال محمدا فى زوجها قد ظاهر منها ، وهى تشتكى إلى الله ، ثم ذكر سائر الحديث نحوه .

حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا أبان العطار ، قال : ثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان : كتبت إلىّ تسألنى عن خويلة ابنة أوس بن الصامت . وإنها ليست بابنة أوس بن الصامت ، ولكنها امرأة أوس ، وكان أوس امرأ به لمم ، وكان إذا اشتدّ به لممه تظاهر منها ، وإذا ذهب عنه لممه لم يقل من ذلك شيئا ، فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستفتيه وتشتكى إلى الله ، فأنزل الله ما سمعت ، وذلك شأنهما .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا أبى ، قال : سمعت محمد بن إسحاق ، يحدّث عن معمر بن عبد الله ، عن يوسف بن عبد الله بن سلام ، قال : حدثتنى خويلة امرأة أوس بن الصامت قالت : كان بينى وبينه شىء ، تعنى زوجها ، فقال : أنت علىّ كظهر أمى ، ثم خرج إلى نادى قومه ، ثم رجع فراودنى عن نفسى ، فقالت : كلا والذى نفسى بيده حتى ينتهى أمرى وأمرك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقضى فىّ وفيك أمره ، وكان شيخا كبيرا رقيقا ، فغلبته بما تغلب به المرأة القوية الرجل الضعيف ثم خرجت إلى جارة لها ، فاستعارت ثيابها ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلست بين يديه ، فذكرت له أمره ، فما برحت حتى أنزل الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قالت : لا يقدر على ذلك ، قال : إنا سنعينه على ذلك بفرق من تمر ، قلت : وأنا أعينه بفرق آخر ، فأطعم ستين مسكينا .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن تميم ، عن عروة ، عن عائشة قالت : الحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات ، لقد جاءت المجادلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا فى ناحية البيت تشكو زوجها ما أسمع ما تقول ، فأنزل الله عزّ وجلّ (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنى عيسى بن عثمان الرملى ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن تميم بن سلمة ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : تبارك الذى وسع سمعه الأصوات كلها ، إن المرأة لتناجى النبىّ صلى الله عليه وسلم أسمع بعض كلامها ، ويخفى علىّ بعض كلامها إذ أنزل الله (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا) .

حدثنى يحيى بن إبراهيم المسعودى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن تميم بن سلمة ، عن عروة بن الزبير ، قال : قالت عائشة : تبارك الذى وسع سمعه كلّ شىء ، إنى لأسمع كلام

Marfat.com

خولة ابنة ثعلبة ، ويخفى علىّ بعضه ، وهى تشتكى زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى تقول : يارسول الله أكل شبابى ، ونثرت له بطنى ، حتى إذا كبر سنى ، وانقطع ولدى ، ظاهر منى ، اللهمّ إنى أشكو إليك ، قال : فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهؤلاء الآيات (قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِى تُجادِلُكَ فِى زَوْجِها) قال : زوجها أوس بن الصامت :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن تميم بن سلمة ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : الحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات ، إن خولة تشتكى زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيخفى علىّ أحيانا بعض ما تقول ، قالت : فأنزل الله عزّ وجلّ (قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِى تُجادِلُكَ فِى زَوْجِها وَتَشْتَكِى إلى اللهِ) .

حدثنا الربيع بن سليمان ، قال : ثنا أسد بن موسى ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، أن جميلة كانت امرأة أوس بن الصامت ، وكان امرأ به لمم ، وكان إذا اشتدّ به لممه ظاهر من امرأته ، فأنزل الله عزّ وجلّ آية الظهار :

حدثنى يحيى بن بشر القرقسانى ، قال : ثنا عبد العزيز بن عبد الرحمن الأموى ، قال : ثنا خصيف ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : كان ظهار الجاهلية طلاقا ، فأول من ظاهر فى الإسلام أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت من امرأته الخزرجية ، وهى خولة بنت ثعلبة بن مالك ؛ فلما ظاهر منها حسبت أن يكون ذلك طلاقا ، فأتت به نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يارسول الله إن أوسا ظاهر منى ، وإنا إن افترقنا هلكنا ، وقد نثرت بطنى منه ، وقدمت صحبته ، فهى تشكو ذلك وتبكى ، ولم يكن جاء فى ذلك شىء ، فأنزل الله عزّ وجلّ (قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِى تُجادِلُكَ فِى زَوْجِها) . . . إلى قوله : (وَلِلْكافِرِينَ عَذابٌ أَلِيمٌ) فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أَتَقْدِرُ عَلى رَقَبَةٍ تُعْتِقُها ؟ فقال : لا والله يارسول الله ، ماأقدر عليها ، فجمع له رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعتق عنه ، ثم راجع أهله .

وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله بن مسعود (قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِى تُحاوِلُكَ فِى زَوْجِها) .

وقوله (وَتَشْتَكِى إلى اللهِ) يقول : وتشتكى المجادلة ما لديها من الهمّ بظهار زوجها منها إلى الله ، وتسأله الفرج (وَاللهُ يَسْمَعُ تَحاوُرَكُما) يعنى تحاور رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمجادلة خولة ابنة ثعلبة (إنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) يقول تعالى ذكره : إن الله سميع لما يتجاوبانه ويتحاورانه ، وغير ذلك من كلام خلقه ، بصير بما يعملون ، ويعمل جميع عباده :

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ ﴾

Marfat.com

يقول تعالى ذكره : الذين يحرّمون نساءهم على أنفسهم تحريم الله عليهم ظهور أمهاتهم ، فيقولون لهنّ : أنتن علينا كظهور أمهاتنا ، وذلك كان طلاق الرجل امرأته فى الجاهلية .

كذلك حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا أيوب ، عن أبى قلابة ، قال : كان الظهار طلاقا فى الجاهلية ، الذى إذا تكلم به أحدهم لم يرجع فى امرأته أبدا ، فأنزل الله عزّ وجلّ فيه ما أنزل .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة سوى نافع ، وعامة قرّاء الكوفة خلا عاصم : (يَظَّاهَرُونَ) بفتح الياء وتشديد الظاء وإثبات الألف ، وكذلك قرءوا الأخرى بمعنى يتظاهرون ، ثم أدغمت التاء فى الظاء فصارتا ظاء مشدّدة . وذكر أنها فى قراءة أُبىّ (يَتَظاهَرونَ) وذلك تصحيح لهذه القراءة وتقوية لها : وقرأ ذلك نافع وأبو عمرو كذلك بفتح الياء وتشديد الظاء ، غير أنهما قرآه بغير ألف : (يَظَّهَّرونَ) . وقرأ ذلك عاصم (يُظاهِرونَ) بتخفيف الظاء وضم الياء وإثبات الألف .

والصواب من القول فى ذلك عندى أن كلّ هذه القراءات متقاربات المعانى . وأما (يَظَّاهَرُون) فهو من تظاهر ، فهو يتظاهر . وأما (يَظَّهَّرُونَ) فهو من تظهّر فهو يتظهّر ، ثم أدغمت التاء فى الظاء فقيل : يظهر . وأما (يُظاهِرُونَ) فهو من ظاهر يظاهر ، فبأية هذه القراءات الثلاث قرأ ذلك القارئ فمصيب .

وقوله (ما هُنَّ أُمَّهاتِهِمْ) يقول تعالى ذكره ما نساؤهم اللائى يُظاهرن منهنّ بأمهاتهم ، فيقولوا لهنّ : أنتن علينا كظهر أمهاتنا ، بل هنّ لهم حلال :

وقوله (إنْ أُمَّهاتُهُمْ إلاَّ اللاَّئى وَلَدْنَهُمْ) لا اللائى قالوا لهنّ ذلك :

وقوله (وإنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ القَوْلِ وَزُورًا) يقول جلّ ثناؤه : وإن الرجال ليقولون منكرا من القول الذى لا تُعرف صحته ؛ وزورا : يعنى كذبا :

كما حدثنا ابن عبدالأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مُنْكَرًا مِنْ القَوْلِ وَزُورًا) قال : الزور : الكذب (وَإنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ) يقول جلّ ثناؤه : إن الله لذو عفو وصفح عن ذنوب عباده إذا تابوا منها وأنابوا ، غفور لهم أن يعاقبهم عليها بعد التوبة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

يقول جلّ ثناؤه : والذين يقولون لنسائهم : أنتنّ علينا كظهور أمهاتنا .

وقوله (ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قالُوا) اختلف أهل العلم فى معنى العود لما قال المظاهر ، فقال بعضهم : هو الرجوع فى تحريم ما حرّم على نفسه من زوجته التى كانت له حلالا قبل تظاهره ، فيحلها بعد تحريمه إياها على نفسه بعزمه على غشيانها ووطئها

Marfat.com

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قالُوا) قال : يريد أن يغشى بعد قوله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قالُوا) قال : حرّمها ، ثم يريد أن يعود لها فيطأها .

وقال آخرون نحو هذا القول ، إلا أنهم قالوا : إمساكه إياها بعد تظهيره منها ، وتركه فراقها عود منه لما قال عزم على الوطء أو لم يعزم : وكان أبو العالية يقول : معنى قوله (لِمَا قالُوا) : فيما قالوا .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنى عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، قال : سمعت أبا العالية يقول في قوله (ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قالُوا) : أى يرجع فيه .

واختلف أهل العربية فى معنى ذلك ، فقال بعض نحويى البصرة فى ذلك المعنى : فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ، فمن لم يجد فصيام ، فإطعام ستين مسكينا ، ثم يعودون لما قالوا إنا لا نفعله فيفعلونه هذا الظهار ، يقول : هى علىّ كظهر أمى ، وما أشبه هذا من الكلام ، فاذا أعتق رقبة أو أطعم ستين مسكينا عاد لما قد قال : هو علىّ حرام يفعله : وكأن قائل هذا القول كان يرى أن هذا من المقدّم الذى معناه التأخير .

وقال بعض نحويى الكوفة (ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قالُوا) يصلح فيها فى العربية : ثم يعودون إلى ما قالوا ، وفيما قالوا ، يريدون النكاح ، يريد : يرجعون عما قالوا ، وفى نقض ما قالوا : قال : ويجوز فى العربية أن تقول : إن عاد لما فعل ، تريد : إن فعل مرّة أخرى ، ويجوز إن عاد لما فعل : إن نقض ما فعل ، وهو كما تقول : حلف أن يضربك ، فيكون معناه : حلف لا يضربك ، وحلف ليضربنك :

والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : معنى اللام فى قوله (لِمَا قالُوا) بمعنى إلى أو فى ، لأن معنى الكلام : ثم يعودون لنقض ما قالوا من التحريم فيحللونه ، وإن قيل معناه : ثم يعودون إلى تحليل ما حرّموا ، أو فى تحليل ما حرّموا فصواب ، لأن كلّ ذلك عود له ، فتأويل الكلام : ثم يعودون لتحليل ما حرّموا على أنفسهم مما أحله الله لهم .

وقوله (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا) يقول : فعليه تحرير رقبة ، يعنى عتق رقبة عبد أو أمة ، من قبل أن يماسّ الرجل المظاهر امرأته التى ظاهر منها أو تماسه .

واختلف فى المعنىّ بالمسيس فى هذا الموضع نظير اختلافهم فى قوله (وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ) وقد ذكرنا ذلك هنالك .

وسنذكر بعض ما لم يذكره هنالك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قالُوا) فهو الرجل يقول لامرأته : أنت علىّ كظهر أمى ،

Marfat.com

فإذا قال ذلك ، فليس يحلّ له أن يقربها بنكاح ولا غيره حتى يكفر عن يمينه بعتق رقبة « فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا » والمسّ : النكاح « فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا » وإن هو قال لها : أنت علىّ كظهر أمى إن فعلت كذا وكذا ، فليس يقع فى ذلك ظهار حتى يحنث ، فإن حنث فلا يقربها حتى يكفّر ، ولا يقع فى الظهار طلاق .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، قال : ثنا أشعث ، عن الحسن أنه كان لايرى بأسا أن يغشى المظاهر دون الفرج .

حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا زيد ، قال : قال سفيان : إنما المظاهرة عن الجماع ولم ير بأسا أن يقضى حاجته دون الفرج أو فوق الفرج ، أو حيث يشاء ، أو يباشر .

وقال آخرون : عنى بذلك كلّ معانى المسيس ، وقالوا : الآية على العموم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا وهيب ، عن يونس ، قال : بلغنى عن الحسن أنه كره للمظاهر المسيس .

وقوله (ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ) يقول تعالى ذكره : أوجب ربكم ذلك عليكم عظة لكم تتعظون به ، فتنتهون عن الظهار وقول الزور (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) يقول تعالى ذكره : والله بأعمالكم التى تعملونها أيها الناس ذو خبرة لايخفى عليه شىء منها ، وهو مجازيكم عليها ، فانتهوا عن قول المنكر والزور .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾

يقول تعالى ذكره : فمن لم يجد منكم ممن ظاهر من امرأته رقبة يحرّرها ، فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ، والشهران المتتابعان هما اللذان لافصل بينهما بإفطار فى نهار شىء منهما إلا من عذر ، فإنه إذا كان الإفطار بالعذر ففيه اختلاف بين أهل العلم ، فقال بعضهم : إذا كان إفطاره لعذر فزال العذر بنى على ما مضى من الصوم .

وقال آخرون : بل يستأنف ، لأن من أفطر بعذر أو غير عذر لم يتابع صوم شهرين .

ذكر من قال : إذا أفطر بعذر وزال العذر بنى وكان متابعا

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ وعبد الأعلى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب أنه قال فى رجل صام من كفارة الظهار ، أو كفارة القتل ، ومرض فأفطر ، أو أفطر من عذر ، قال : عليه أن يقضى يوما مكان يوم ، ولا يستقبل صومه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، بمثله .

Marfat.com

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن ابن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب فى المظاهر الذى عليه صوم شهرين متتابعين ، فصام شهرا ، ثم أفطر ، قال : يتمّ ما بقى :

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن عبد الأعلى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن وسعيد بن المسيب فى رجل صام من كفارة الظهار شهرا أو أكثر ثم مرض ، قال : يعتدّ بما مضى إذا كان له عذر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سالم بن نوح ، قال : ثنا عمر بن عامر ، عن قتادة ، عن الحسن فى الرجل يكون عليه الصوم فى قتل أونذر أو ظهار ، فصام بعضه ثم أفطر ، قال : إن كان معذورا فإنه يقضى .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن هشام ، عن الحسن ، قال : إن أفطر من عذر أتمّ ؛ وإن كان من غير عذر استأنف .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن حجاج ، عن عطاء ، قال : من كان عليه صوم شهرين متتابعين فرض فأفطر ، قال : يقضى ما بقى عليه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى ابن جُرَيج ، عن عطاء بن أبى رباح وعمرو ابن دينار فى الرجل يفطر فى اليوم الغيم ، يظنّ أن الليل قد دخل عليه فى الشهرين المتتابعين أنه لا يزيد على أن يبدّله ، ولا يستأنف شهرين آخرين :

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن أبى زائدة ، عن عبد الملك ، عن عطاء قال : إن جامع المعتكف وقد بقى عليه أيام من اعتكافه قال : يتمّ ما بقى ، والمظاهر كذلك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء ، قال : إذا كان شيئا ابتلى به بنى على صومه ، وإذا كان شيئا هو فعله استأنف ، قال سفيان : هذا معناه .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل ، عن عامر فى رجل ظاهر ، فصام شهرين متتابعين إلا يومين ثم مرض ، قال : يتمّ ما بقى .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت إسماعيل عن الشعبىّ بنحوه .

حدثنا أبو كُرَيب ويعقوب قالا : ثنا هشيم ، عن إسماعيل ، عن الشعبىّ فى رجل عليه صيام شهرين متتابعين ، فصام فرض فأفطر ، قال : يقضى ولا يستأنف .

ذكر من قال : يستقبل من أفطر بعذر أو غير عذر

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم فى رجل عليه صيام شهرين متتابعين فأفطر ، قال : يستأنف ، والمرأة إذا حاضت فأفطرت تقضى .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : إذا مرض فأفطر استأنف ، يعنى من كان عليه صوم شهرين متتابعين فرض فأفطر .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا هشيم ، عن جابر ، عن أبى جعفر ، قال : يستأنف .

❁ وأولى القولين عندنا بالصواب قول من قال : يبنى المفطر بعذر ، ويستقبل المفطر بغير عذر ، لإجماع

Marfat.com

الجميع على أن المرأة إذا حاضت فى صومها الشهرين المتتابعين بعذر ، فمثله ، لأن إفطار الحائض بسبب حيضها بعذر كان من قبل الله ، فكلّ عذر كان من قبل الله فمثله .

وقوله (فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا) يقول تعالى ذكره : فمن لم يستطع منهم الصيام فعليه إطعام ستين مسكينا ، وقد بيّنا وجه الإطعام فى الكفارات فيما مضى قبل ، فأغنى ذلك عن إعادته .

وقوله (ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ) يقول جلّ ثناؤه : هذا الذى فرضتُ على من ظاهر منكم مافرضت فى حال القدرة على الرقبة ، ثم خففت عنه مع العجز بالصوم ، ومع فقد الاستطاعة على الصوم بالإطعام ، وإنما فعلته كى تقرّ الناس بتوحيد الله ورسالة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، ويصدّقوا بذلك ، ويعملوا به ، وينتهوا عن قول الزور والكذب (وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ) يقول تعالى ذكره : وهذه الحدود التى حدّها الله لكم ، والفروض التى بينها لكم حدود الله فلا تتعدّوها أيها الناس (وَلِلْكَافِرِينَ) بها ، وهم جاحدو هذه الحدود وغيرها من فرائض الله أن تكون من عند الله (عَذَابٌ أَلِيمٌ) يقول : عذاب مؤلم :

القول فى تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥﴾

يقول تعالى ذكره : إن الذين يخالفون الله فى حدوده وفرائضه ، فيجعلون حدودا غير حدوده ، وذلك هو المحادّة لله ولرسوله .

وأما قتادة فإنه كان يقول فى معنى ذلك ، ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ) يقول : يعادون الله ورسوله .

وأما قوله (كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) فإنه يعنى : غيظوا وأخزوا كما غيظ الذين من قبلهم من الأمم الذين حادّوا الله ورسوله ، وخزوا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) خزوا كما خزى الذين من قبلهم .

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول : معنى (كُبِتُوا) أهلكوا .

وقال آخر منهم : يقول : معناه غيظوا وأخزوا يوم الخندق (كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يريد من قاتل الأنبياء من قبلهم .

Marfat.com

وقوله (وَقَدْ أنزَلْنا آياتٍ بَيِّنَاتٍ) يقول : وقد أنزلنا دلالات مفصلات ، وعلامات محكمات تدلّ على حقائق حدود الله .

وقوله (ولِلْكافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ) يقول تعالى ذكره : ولجاحدى تلك الآيات البيِّنات التى أنزلناها على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ومنكريها عذاب يوم القيامة مهين : يعنى مذلّ فى جهنم .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : وللكافرين عذاب مهين فى يوم يبعثهم الله جميعا ، وذلك (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَميعا) من قبورهم لموقف القيامة (فَيُنَبِّئُهُمْ) الله (بِمَا عَمِلُوا ، أحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ) يقول تعالى ذكره : أحصى الله ما عملوا ، فعدّه عليهم ، وأثبته وحفظه ، ونسيه عاملوه والله على كلّ شهيد : يقول : (وَاللهُ) جلّ ثناؤه (على كُلِّ شَيْءٍ) عملوه وغير ذلك من أمر خلقه (شَهِيدٌ) ، يعنى شاهد يعلمه ، ويحيط به ، فلا يعزب عنه شىء منه .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾

﴿ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تنظر يامحمد بعين قلبك فترى (أنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما فى السَّمَوَاتِ وَمَا فى الأرْضِ) من شىء ، لايخفى عليه صغير ذلك وكبيره ؛ يقول جلّ ثناؤه : فكيف يخفى على من كانت هذه صفته أعمال هؤلاء الكافرين وعصيانهم ربهم ، ثم وصف جلّ ثناؤه قربه من عباده وسماعه نجواهم ، وما يكتمونه الناسَ من أحاديثهم ، فيتحدثونه سرًّا بينهم ، فقال (مايَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ) من خلقه (إلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ) يسمع سرّهم ونجواهم ، لايخفى عليه شىء من أسرارهم (وَلا خَمْسَةٍ إلاَّ هُوَ سادِسُهُمْ) يقول : ولا يكون من نجوى خمسة إلا هو سادسهم كذلك (وَلا أدْنَى مِنْ ذلِكَ) يقول : ولا أقلّ من ثلاثة (وَلا أكْثَرَ) من خمسة (إلاَّ هُوَ مَعَهُمْ) إذا تناجوا (أيْنَما كانُوا) يقول : فى أىّ موضع ومكان كانوا .

وعنى بقوله (هُوَ رَابِعُهُمْ) بمعنى أنه مشاهدهم بعلمه ، وهو على عرشه :

كما حدثنى عبد الله بن أبى زياد ، قال : ثنى نصر بن ميمون المضروب ، قال : ثنا بكير بن معروف ، عن مقاتل بن حيان ، عن الضحاك ، فى قوله (ما يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ) : : إلى قوله (هُوَ

Marfat.com

مَعَهُمْ) قال : هو فوق العرش وعلمه معهم (أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) .

وقوله (ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ) يقول تعالى ذكره : ثم يخبر هؤلاء المتناجين وغيرهم بما عملوا من عمل مما يحبه أو يسخطه يوم القيامة (إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) يقول : إن الله بنجواهم وأسرارهم ، وسرائر أعمالهم ، وغير ذلك من أمورهم وأمور عباده عليم .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ) فقرأت قرّاء الأمصار ذلك (ما يَكُونُ مِنْ نَجْوَى) بالياء ، خلا أبى جعفر القارئ ، فإنه قرأه (ما تَكُونُ) بالتاء . والياء هى الصواب فى ذلك ، لإجماع الحجة عليها ، ولصحتها فى العربية .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝

﴿ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى) من اليهود (ثُمَّ يَعُودُونَ) فقد نهى الله عزّ وجلّ إياهم عنها ، ويتناجون بينهم بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى) قال : اليهود .

قوله (ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ) يقول جلّ ثناؤه : ثم يرجعون إلى ما نهوا عنه من النجوى (وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ) يقول جلّ ثناؤه : ويتناجون بما حرّم الله عليهم من الفواحش والعدوان ، وذلك خلاف أمر الله ومعصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَيَتَنَاجَوْنَ) فقرأت ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين والبصريين (وَيَتَنَاجَوْنَ) على مثال يتفاعلون ، وكان يحيى وحمزة والأعمش يقرءون (وَيَنْتَجُونَ) على مثال يفتعلون : واعتلّ الذين قرءوه (يَتَنَاجَوْنَ) بقوله : (إِذَا تَنَاجَيْتُمْ) ولم يقل : إذا انتجيتم .

وقوله (وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإذا جاءك يامحمد هؤلاء الذين نهوا عن النجوى ، الذين وصف الله جلّ ثناؤه صفتهم ، حيوك بغير التحية التى جعلها الله لك تحية ، وكانت تحيتهم التى كانوا يحيونه بها التى أخبر الله أنه لم يحيه بها فيما جاءت به الأخبار ، أنهم كانوا يقولون : السام عليك .

Marfat.com

ذكر الرواية الواردة بذلك

حدثنا ابن حُميد وابن وكيع قالا : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : « جاء ناس من اليهود إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : السام عليك يا أبا القاسم ، فقلت : السام عليكم ، وفعل الله بكم وفعل ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : يا عائِشَةُ إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الفُحْشَ ، فقلت : يا رسول الله ، ألست ترى مايقولون ؟ فقال : أَلَسْتِ تَرَيْنَنِي أَرُدُّ عَلَيْهِمْ ما يَقُولُونَ ؟ أقُول : عَلَيْكُمْ ـ ، وهذه الآية فى ذلك نزلت (وَإِذَا جاءوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنا اللهُ بِمَا نَقُولُ،حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَها فَبِئْسَ المَصِيرُ) » .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ؛ عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : « كان اليهود يأتون النبيّ صلى الله عليه وسلم فيقولون :السام عليكم ، فيقول : عَلَيْكُمْ قالت عائشة : السام عليكم وغضب الله ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : إنَّ اللهَ لا يحِبُّ الفاحِشَ المُتَفَحِّشَ ، قالت : إنهم يقولون : السام عليكم ، قال : إنّى أقُول : عَلَيْكُمْ ، فنزلت : (وَإِذَا جاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ ـ قال : فإن اليهود يأتون النبيّ صلى الله عليه وسلم، فيقولون : السام عليكم » :

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق (وَإِذَا جاءوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ) قال : كانت اليهود يأتون النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : السام عليكم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله(وَإِذَا جاءوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ) . . . إلى (فَبِئْسَ المَصِيرُ) قال : كان المنافقون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حيوه : سام عليكم ، فقال الله : (حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَها فَبِئْسَ المَصِيرُ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَإِذَا جاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ) قال : يقولون : سام عليكم ، قال : هم أيضا يهود .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ) قال : اليهود كانت تقول : سام عليكم :

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى « أن عائشة فطنت إلى قولهم ، فقالت : وعليكم السامة واللعنة ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : مَهْلاً يا عائِشَةُ إنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِى الأمْرِ كُلِّهِ ، فقالت : يا نبيّ الله ألم تسمع ما يقولون ؟ قال : أفَلَمْ تَسْمَعِى ما أرُدُّ عَلَيْهِمْ ؟ أقُول : عَلَيْكُمْ » :

Marfat.com

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك « أنّ نبيّ لله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس مع أصحابه ، إذ أتى عليهم يهوديّ ، فسلم عليهم ، فردّوا عليه ، فقال نبيّ الله صلى الله عليه وسلم « هَلْ تَدْرُونَ ما قالَ ؟ قالوا سلم يارسول الله ، قال : بَلْ قالَ : سأْمٌ عَلَيْكُمْ ، أى تسأمون دينكم ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : أقُلْتَ سأمٌ عَلَيْكُمْ ؟ قال : نعم ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : إذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أحَدٌ مِنْ أهْلِ الكِتابِ فَقُولُوا وَعَلَيْكَ » : أى عليك ما قلت .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإذَا جاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ) قال : « هؤلاء يهود ، جاء ثلاثة نفر منهم إلى باب النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فتناجوا ساعة ، ثم استأذن أحدهم ، فأذن له النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : السام عليكم ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : عَلَيْكَ ، ثُمَّ الثاني ، ثُمَّ الثَّالِثُ » قال ابن زيد : السام : الموت .

وقوله جلّ ثناؤه : (وَيَقُولُونَ فِي أنْفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنا اللهُ بِمَا نَقُولُ) يقول جل ثناؤه : ويقول محيوك بهذه التحية من اليهود : هلا يعاقبنا الله بما نقول لمحمد صلى الله عليه وسلم ، فيعجل عقوبته لنا على ذلك ، يقول الله : حَسْبُ قائلي ذلك يامحمد جهنم ، وكفاهم بها يصلونها يوم القيامة ، فبئس المصير جهنم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَـٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَـٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَـٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ ﴾

❊ يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله (إذَا تَنَاجَيْتُمْ) بينكم (فَلا تَتَنَاجَوْا بالإثْم وَالعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ) لكن (تَنَاجَوْا بالبِرّ) يعني طاعة الله وما يقرّبكم منه (والتَّقْوَى) يقول : وباتقائه بأداء ما كلّفكم من فرائضه واجتناب معاصيه (وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إلَيْهِ تُحْشَرُونَ) يقول : وخافوا الله الذى إليه مصيركم ، وعنده مجتمعكم فى تضييع فرائضه ، والتقدّم على معاصيه أن يعاقبكم عليه عند مصيركم إليه .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ﴾

❊ يقول تعالى ذكره : إنما المناجاة من الشيطان : ثم اختلف أهل العلم فى النجوى التى أخبر الله أنها من الشيطان ، أىّ ذلك هو ، فقال بعضهم : عُنِي بذلك مناجاة المنافقين بعضهم بعضا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ

Marfat.com

ليَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا) كان المنافقون يتناجون بينهم ،وكان ذلك يغيظ المؤمنين ، ويكبر عليهم ، فأنزل الله فى ذلك القرآن(إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا) . . . الآية .

وقال آخرون بما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله عزّ وجلّ (إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ) قال كان الرجل يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله الحاجة ليرى الناس أنه قد ناجى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وكان النبىّ صلى الله عليه وسلم لا يمنع ذلك من أحد : قال : والأرض يومئذ حرب على أهل هذا البلد ، وكان إبليس يأتى القوم فيقول لهم : إنما يتناجون فى أمور قد حضرت ، وجموع قد جمعت لكم وأشياء ، فقال الله (إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : كان المسلمون إذا رأوا المنافقين خلوا يتناجون ، يشقّ عليهم ، فنزلت (إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا) .

وقال آخرون : عُنِى بذلك أحلام النوم التى يراها الإنسان فى نومه فتحزنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن داود البلخى ، قال : سئل عطية ، وأنا أسمع الرؤيا ، فقال : الرؤيا على ثلاث منازل ، فمنها وسوسة الشيطان ، فذلك قوله (إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ) ومنها ما يحدّث نفسه بالنهار فيراه بالليل ، ومنها كالأخذ باليد .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : عُنِى به مناجاة المنافقين بعضهم بعضا بالإثم والعدوان ، وذلك أن الله جلّ ثناؤه تقدم بالنهى عنها بقوله (إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ) ثم عما فى ذلك من المكروه على أهل الإيمان ، وعن سبب نهيه إياهم عنه ، فقال : (إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا) فبين بذلك[1] إذ كان النهى عن رؤية المرء فى منامه كان كذلك ، وكان عقيب نهيه عن النجوى بصفة أنه من صفة ما نهى عنه .

وقوله (وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ) يقول تعالى ذكره : وليس التناجى بضارّ المؤمنين شيئا إلا بإذن الله ، يعنى بقضاء الله وقدَره .

وقوله (وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) يقول تعالى ذكره : وعلى الله فليتوكل فى أمورهم أهل الإيمان به ، ولا يحزنوا من تناجى المنافقين ومن يكيدهم بذلك ، وأن تناجيهم غير ضارّهم إذا حفظهم ربهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا

(١) المراد من هذه العبارة أن عدم تأتى النهى عن الرؤيا المنامية ، وتقدم النهى عن المناجاة بمعنى المسارة ، يوضحان ما اختاره ، من أن النجوى معناه المسارة ، تأمل .

Marfat.com

﴿فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾

يقول تعالى ذكره : ياأيها الذين صدّقوا الله ورسوله (إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِى المَجالِسِ) يعنى بقوله تفسّحوا توسعوا من قولهم مكان فسيح إذا كان واسعا .

واختلف أهل التأويل فى المجلس الذى أمر الله المؤمنين بالتفسح فيه ، فقال بعضهم : ذلك كان مجلس النبىّ صلى الله عليه وسلم خاصة :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (تَفَسَّحُوا فِى المَجْلِسِ) قال : مجلس النبىّ صلى الله عليه وسلم كان يقال ذاك خاصة .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِى المَجْلِسِ) . . . الآية ، كانوا إذا رأوا من جاءهم مقبلا ضنّوا بمجلسهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمرهم أن يفسح بعضهم لبعض .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِى المَجْلِسِ) قال : كان هذا للنبىّ صلى الله عليه وسلم ومن حوله خاصة يقول : استوسعوا حتى يصيب كلّ رجل منكم مجلسا من النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وهى أيضا مقاعد للقتال .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (تَفَسَّحُوا فِى المَجْلِسِ) قال : كان الناس يتنافسون فى مجلس النبىّ صلى الله عليه وسلم فقيل لهم : (إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِى المَجْلِسِ فافْسَحُوا) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِى المَجالِسِ فافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ) قال : هذا مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان الرجل يأتى فيقول : افسحوا لى رحمكم الله ، فيضنّ كلّ أحد منهم بقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمرهم الله بذلك ، ورأى أنه خير لهم .

وقال آخرون : بل عُنى بذلك فى مجالس القتال إذا اصطفوا للحرب .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِى المَجْلِسِ فافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ) قال : ذلك فى مجلس القتال .

Marfat.com

ﷺ وألصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره أمر المؤمنين أن يتفسحوا فى المجلس ، ولم يخصص بذلك مجلس النبىّ صلى الله عليه وسلم دون مجلس القتال ، وكلا الموضعين يقال له مجلس ، فذلك على جميع المجالس من مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومجالس القتال .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار (تَفَسَّحُوا فِي المَجْلِسِ) على التوحيد غير الحسن البصرى وعاصم ، فإنهما قرآ ذلك (فِي المَجالِسِ) على الجماع . وبالتوحيد قراءة ذلك عندنا لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

وقوله (فافْسَحُوا) يقول : فوسعوا (يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ) يقول : يوسع الله منازلكم فى الجنة (وَإذَا قِيلَ انْشُزُوا فانْشُزُوا) يقول تعالى ذكره : وإذا قيل ارتفعوا ، وإنما يُراد بذلك : وإذا قيل لكم قوموا إلى قتال عدوّ ، أو صلاة ، أو عمل خير ، أو تفرّقوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقوموا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَإذَا قِيلَ انْشُزُوا فانْشُزُوا) إلى (وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) قال : إذا قيل : انشزوا فانشزوا إلى الخير والصلاة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (فانْشُزُوا) قال : إلى كلّ خير ، قتال عدوّ ، أو أمر بالمعروف ، أو حقّ ما كان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإذَا قِيلَ انْشُزُوا فانْشُزُوا) يقول : إذا دعيتم إلى خير فأجيبوا : وقال الحسن : هذا كله فى الغزو .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (وَإذَا قِيلَ انْشُزُوا فانْشُزُوا) كان إذا نودى للصلاة تثاقل رجال ، فأمرهم الله إذا نودى للصلاة أن يرتفعوا إليها ، يقوموا إليها .

وحدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإذَا قِيلَ انْشُزُوا فانْشُزُوا) قال : انشزوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : هذا فى بيته إذا قيل انشزوا ، فارتفعوا عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فإن له حوائج ، فأحبّ كلّ رجل منهم أن يكون آخر عهده برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : (إذَا قِيلَ انْشُزُوا فانْشُزُوا) .

وإنما اخترت التأويل الذى قلت فى ذلك ، لأن الله عزّ وجلّ أمر المؤمنين إذا قيل لهم انشزوا ، أن ينشزوا ، فعمّ بذلك الأمر جميع معانى النشوز من الخيرات ، فذلك على عمومه حتى يخصه ما يجب التسليم له .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة (فانْشُزُوا) بضم الشين ، وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة والبصرة بكسرها

Marfat.com

❁ والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان ، ولغتان مشهورتان بمنزلة يعكُفون ويعكِفون، ويعرُشون ويعرِشون ، فبأىّ القراءتين قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجاتٍ) يقول تعالى ذكره : يرفع الله المؤمنين منكم أيها القوم بطاعتهم ربهم فيما أمرهم به من التفسح فى المجلس إذا قيل لهم تفسحوا ، أو بنشوزهم إلى الخيرات إذا قيل لهم انشزوا إليها ، ويرفع الله الذين أوتوا العلم من أهل الإيمان على المؤمنين الذين لم يؤتوا العلم بفضل علمهم درجات ، إذا عملوا بما أمروا به :

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجاتٍ) إن بالعلم لأهله فضلا ، وإن له على أهله حقا ، ولعمرى للحقّ عليك أيها العالم فضل ، والله معطى كل ذى فضل فضله :

وكان مطرف بن عبد الله بن الشِّخِّير يقول : فضل العلم أحبّ إلىّ من فضل العبادة ، وخير دينكم الورع

وكان عبد الله بن مطرف يقول : إنك لتلقى الرجلين أحدهما أكثر صوما وصلاة وصدقة ، والآخر أفضل منه بونا بعيدا ، قيل له : وكيف ذاك ؟ فقال : هو أشدّهما ورعا لله عن محارمه :

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجاتٍ) فى دينهم إذا فعلوا ما أمروا به :

وقوله (وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) يقول تعالى ذكره : والله بأعمالكم أيها الناس ذو خبرة ، لايخفى عليه المطيع منكم ربه من العاصى ، وهو مجاز جميعكم بعمله المحسن بإحسانه ، والمسىء بالذى هو أهله ، أو يعفو :

القول فى تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾

❁ يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ، إذا ناجيتم رسول الله ، فقدّموا أمام نجواكم صدقة تتصدّقون بها على أهل المسكنة والحاجة (ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ) يقول : وتقديمكم الصدقة أمام نجواكم رسول الله صلىّ الله عليه وسلم ، خير لكم عند الله (وأَطْهَرُ) لقلوبكم من المآثم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً)

Marfat.com

قال : نُهُوا عن مناجاة النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى يتصدّقوا ، فلم يناجه إلا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، قدّم دينارا فتصدّق به ، ثم أنزلت الرُّخصة في ذلك :

حدثنا محمد بن عبيد بن محمد المحاربي ، قال : ثنا المطلب بن زياد ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : قال عليّ رضي الله عنه : إن في كتاب الله عزّ وجلّ لآية ما عمل بها أحد قبلي ، ولا يعمل بها أحد بعدي (يا أيُّها الّذِينَ آمَنُوا إذَا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً) قال : فُرضت ، ثم نُسخت :

حدثني موسى بن عبدالرحمن المسروقي ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن شبل بن عباد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (يا أيُّها الّذِينَ آمَنُوا إذَا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً) قال : نهوا عن مناجاة النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى يتصدّقوا ، فلم يناجه إلا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، قدّم دينارا صدقةً تصدّق به ، ثم أنزلت الرخصة :

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا ، عن مجاهد ، قال : قال عليّ رضي الله عنه : آية من كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي ، ولا يعمل بها أحد بعدي ، كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم ، فكنت إذا جئت إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم تصدقت بدرهم ، فنسخت فلم يعمل بها أحد قبلي (يا أيُّها الّذِينَ آمَنُوا إذَا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً) :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يا أيُّها الّذِينَ آمَنُوا إذَا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً) قال : سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحفوه بالمسئلة ، فوعظهم الله بهذه الآية ، وكان الرجل تكون له الحاجة إلى نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يستطيع أن يقضيها حتى يقدّم بين يديه صدقة ، فاشتدّ ذلك عليهم ، فأنزل الله عزّ وجلّ الرخصة بعد ذلك (فإنْ لَمْ تَجِدُوا فإنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إذَا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً) قال : إنها منسوخة ما كانت إلا ساعة من نهار :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيُّها الّذِينَ آمَنُوا إذَا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً) . . : إلى (فإنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) قال : كان المسلمون يقدّمون بين يدي النجوى صدقة ، فلما نزلت الزكاة نُسخ هذا :

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً) وذاك أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه ، فأراد الله أن يخفف عن نبيه ؛ فلما قال ذلك صبر كثير من الناس ، وكفوا عن المسئلة ، فأنزل

Marfat.com

الله بعد هذا (فإذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) فوسَّع الله عليهم ، ولم يضيق .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عثمان بن أبي المغيرة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن عليّ بن علقمة الأنمارىّ ، عن علىّ ، قال : قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : ماتَرَى ؟ دِينارٌ ؟ قال : لايطيقون ، قال : نِصْفُ دِينارٍ ؟ قال : لايطيقون ، قال : ما تَرَى ؟ قال . شعيرة ، فقال له النبىّ صلى الله عليه وسلم : إنَّكَ لَزَهِيدٌ ، قال علىّ رضى الله عنه : فبى خفف الله عن هذه الأمة : وقوله (إذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً) فنزلت (أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ) :

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً) لئلا يناجى أهل الباطل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيشُقّ ذلك على أهل الحقّ ، قالوا : يا رسول الله ما نستطيع ذلك ولا نطيقه ، فقال الله عزّ وجلّ (أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ، فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُم فأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) وقال : (لاخَيْرَ فى كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ ، إلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ) ، من جاء يناجيك فى هذا فاقبل مناجاته ، ومن جاء يناجيك فى غير هذا فاقطع أنت ذاك عنه لاتناجه : قال : وكان المنافقون ربما ناجوا فيما لاحاجة لهم فيه ، فقال الله عزّ وجلّ (أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بالإثْمِ والعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ) قال : لأن الخبيث يدخل فى ذلك :

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن البصرى قالا : قال فى المجادلة : (إذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ، ذلكَ خَيْرٌ لَكُمْ وأَطْهَرُ ، فإنْ لَمْ تَجِدُوا فإنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) فنسختها الآية التى بعدها ، فقال (أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقاتٍ ، فإذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ ، وأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ ، وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) .

وقوله (فإنْ لَمْ تَجِدُوا) يقول تعالى ذكره : فإن لم تجدوا ما تتصدّقون به أمام مناجاتكم رسول الله صلى الله عليه وسلم (فإنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول : فإن الله ذو عفو عن ذنوبكم إذا تبتم منها ، رحيم بكم أن يعاقبكم عليها بعد التوبة ، وغير مؤاخذكم بمناجاتكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تقدّموا بين يدى نجواكم إياه صدقة .

Marfat.com

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ١٣

يقول تعالى ذكره: أشق عليكم وخشيتم أيها المؤمنون بأن تقدموا بين يدى نجواكم رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقات الفاقة، وأصل الإشفاق فى كلام العرب: الخوف والحذر، ومعناه فى هذا الموضع: أخشيتم بتقديم الصدقة الفاقة والفقر.

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل:

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (أَأَشْفَقْتُمْ) قال: شق عليكم تقديم الصدقة، فقد وُضِعَتْ عنكم. وأمروا بمناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير صدقة حين شق عليهم ذلك.

حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى، قال: ثنا أبو أسامة، عن شبل بن عباد المكى، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ. فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَآتُوا الزَّكَاةَ) فريضتان واجبتان لا رجعة لأحد فيهما، فنسخت هذه الآية ما كان قبلها من أمر الصدقة فى النجوى.

وقوله (فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ) يقول تعالى ذكره: فإذ لم تقدموا بين يدى نجواكم صدقات، ورزقكم الله التوبة من ترككم ذلك، فأدوا فرائض الله التى أوجبها عليكم، ولم يضعها عنكم من الصلاة والزكاة، وأطيعوا الله ورسوله، فيما أمركم به، وفيما نهاكم عنه.

(وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) يقول جل ثناؤه: والله ذو خبرة وعلم بأعمالكم، وهو محصيها عليكم ليجازيكم بها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ١٤

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ألم تنظر بعين قلبك يا محمد، فترى إلى القوم الذين تولوا قوما غضب الله عليهم، وهم المنافقون تولوا اليهود وناصحوهم.

Marfat.com

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) إلى آخر الآية ، قال : هم المنافقون تولّوا اليهود وناصحوهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) قال : هم اليهود تولاهم المنافقون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله عزّ وجلّ (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ) قال : هؤلاء كفرة أهل الكتاب اليهود والذين تولوهم المنافقون تولوا اليهود ، وقرأ قول الله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ)حتى بلغ (وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) لئن كَانَ ذَلِكَ لايفعلون وقال : هؤلاء المنافقون قالوا : لاندع حلفاءنا وموالينا يكونون معا لنصرتنا وعزّنا ، ومن يدفع عنا نخشى أن تصيبنا دائرة ، فقال الله عزّ وجلّ (فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ) حتى بلغ (فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ) وقرأ حتى بلغ (أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ) قال : لايبرزون .

وقوله (مَا هُمْ مِنْكُمْ) يقول تعالى ذكره : ماهؤلاء الذين تولّوا هؤلاء القوم الذين غضب الله عليهم منكم يعنى : من أهل دينكم وملتكم ، ولا منهم ، ولا هم من اليهود الذين غضب الله عليهم ، وإنما وصفهم بذلك منكم جلّ ثناؤه لأنهم منافقون إذا لقوا اليهود ، قالوا (إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ : وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا) .

وقوله (وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره : ويحلفون على الكذب ، وذلك قولهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم : نشهد إنك لرسول الله وهم كاذبون غير مصدّقين به ، ولا مؤمنين به ، كما قال جلّ ثناؤه (وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) وقد ذُكر أن هذه الآية نزلت فى رجل منهم عاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر بلغه عنه ، فحلف كذبا .

ذكر الخبر الذى رُوى بذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ يَنْظُرُ بِعَيْنِ شَيْطَانٍ ، أو بعَيْنَيْ شَيْطَانٍ ، قال : فدخل رجل أزرق ، فقال له : علام تسبنى أو تشتمنى ؟ قال : فجعل يحلف ، قال : فنزلت هذه الآية التى فى المجادلة (وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) ، والآية الأخرى :

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾

Marfat.com

﴿ يقول تعالى ذكره: أعدّ الله لهؤلاء المنافقين الذين تولّوا اليهود عذابا فى الآخرة شديدا (إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) فى الدنيا بغشهم المسلمين . ونصحهم لأعدائهم من اليهود .

وقوله (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً) يقول جلّ ثناؤه : جعلوا حلفهم وأيمانهم جنة يستجنون بها من القتل ويدفعون بها عن أنفسهم وأموالهم وذراريهم ، وذلك أنهم إذا اطلع منهم على النفاق ، حلفوا للمؤمنين بالله إنهم لمنهم (فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ) يقول جلّ ثناؤه : فصدّوا بأيمانهم التى اتخذوها جنة المؤمنين عن سبيل الله فيهم ، وذلك أنهم كفرة ، وحكم الله وسبيله فى أهل الكفر به من أهل الكتاب القتل ، أو أخذ الجزية ، وفى عبدة الأوثان القتل ، فالمنافقون يصدّون المؤمنين عن سبيل الله فيهم بأيمانهم إنهم مؤمنون ، وإنهم منهم ، فيحولون بذلك بينهم وبين قتلهم ، ويمتنعون به مما يمتنع منه أهل الإيمان بالله .

وقوله (فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) يقول : فلهم عذاب مُذِلّ لهم فى النار :

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : لن تغنى عن هؤلاء المنافقين يوم القيامة أموالهم ، فيفتدوا بها من عذاب الله المهين لهم ولا أولادهم ، فينصرونهم ويستنقذونهم من الله إذا عاقبهم (أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ) يقول : هؤلاء الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ، وهم المنافقون أصحاب النار ، يعنى أهلها الذين هم فيها خالدون ، يقول : هم فى النار ماكثون إلى غير نهاية :

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين ذكرهم هم أصحاب النار ، يوم يبعثهم الله جميعا ، فيوم من صلة أصحاب النار . وعُنى بقوله (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعا) من قبورهم أحياء كهيئاتهم قبل مماتهم ، فيحلفون له كما يحلفون لكم كاذبين مبطلين فيها .

كما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فَيَحْلِفُونَ لَهُ) قال : إن المنافق حلف له يوم القيامة كما حلف لأوليائه فى الدنيا :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعا) ... الآية ، والله حالفَ المنافقون ربهم يوم القيامة ، كما حالفوا أولياءه فى الدنيا :

Marfat.com

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سِماك بن حرب البكرى ، عن سعيد بن جُبَير ، قال «كان النبيّ صلى الله عليه وسلم فى ظلّ حجرة قد كاد يَقْلِصُ عنه الظلّ ، فقال : « إنَّهُ سَيَأْتِيكُمْ رَجُلٌ ، أو يَطْلُعُ رَجُلٌ بعَيْنِ شَيْطان فَلا تُكَلِّمُوهُ » فلم يلبث أن جاء ، فاطلع فإذا رجل أزرق ، فقال له : «عَلامَ تَشْتُمُنِى أنْتَ وَفُلانٌ وَفُلانٌ » ؟ قال : فذهب فدعا أصحابه ، فحلفوا ما فعلوا ، فنزلت (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً ، فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ، وَيَحْسَبُونَ أنَّهُمْ على شَىْءٍ ، ألا إنَّهُمْ هُمُ الكاذِبُونَ) .

وقوله (وَيَحْسَبُونَ أنَّهُمْ على شَىْءٍ) يقول : ويظنون أنهم فى أيمانهم وحلفهم بالله كاذبين على شىء من الحقّ ، (ألا إنَّهُمْ هُمُ الكاذِبُونَ) فيما يحلفون عليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾

☙ يعنى تعالى ذكره بقوله (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطانُ) غلب عليهم الشيطان (فَأنْساهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطانِ) يعنى جنده وأتباعه (ألا إنَّ حِزْبَ الشَّيْطانِ هُمُ الخاسِرُونَ) يقول : ألا إن جند الشيطان وأتباعه هم الهالكون المغبونون فى صَفْقَتِهِمْ .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾

☙ يقول تعالى ذكره : إن الذين يخالفون الله ورسوله فى حدوده ، وفيما فرض عليهم من فرائضه فيعادونه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إنَّ الَّذِينَ يُحادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ) يقول : يعادون الله ورسوله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، بنحوه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يُحادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ) قال : يعادون ، يشاقُّون .

Marfat.com

وقوله (أُولَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين يحادّون الله ورسوله في أهل الذلة ، لأن الغلبة لله ورسوله .

وقوله (كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أنا وَرُسُلِي) يقول : قضى الله وخطّ في أمّ الكتاب ، لأغلبنّ أنا ورسلي مَن حادّني وشاقّني .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أنا وَرُسُلِي) ... الآية ، قال : كتب الله كتابا وأمضاه .

وقوله (إنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) يقول : إن الله جلّ ثناؤه ذو قوّة وقدرة على كلّ مَن حادّه ورسوله أن يهلكه ، ذو عزّة فلا يقدر أحد أن ينتصر منه إذا هو أهلك وليه ، أو عاقبه ، أو أصابه في نفسه بسوء .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

❁ يعني جلّ ثناؤه بقوله (لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ) لا تجد يا محمد قوما يصدّقون الله ، ويقرّون باليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله وشاقّهما وخالف أمر الله ونهيه (وَلَوْ كانُوا آباءَهُمْ) يقول : ولو كان الذين حادّوا الله ورسوله آباءهم (أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) وإنما أخبر الله جلّ ثناؤه نبيه عليه الصلاة والسلام بهذه الآية « ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم » ليسوا من أهل الإيمان بالله ولا باليوم الآخر ، فلذلك تولّوا الذين تولّوْهم من اليهود .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ) لا تجد يا محمد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يوادّون من حادّ الله ورسوله : أي من عادى الله ورسوله .

وقوله (أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإيمَانَ) يقول جلّ ثناؤه : هؤلاء الذين لا يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم ، أو أبناءهم ، أو إخوانهم ، أو عشيرتهم ، كتب الله في قلوبهم الإيمان .

Marfat.com

وإنما عني بذلك : قضى لقلوبهم الإيمان ، فني بمعنى اللام ، وأخبر تعالى ذكره أنه كتب فى قلوبهم الإيمان لهم ، وذلك لمّا كان الإيمان بالقلوب ، وكان معلوما بالخبر عن القلوب أن المراد به أهلها ، اجتزى بذكرها من ذكر أهلها .

وقوله (وأيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ) يقول : وقوّاهم ببرهان منه ونور وهدى (وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهارُ) يقول : ويدخلهم بساتين تجرى من تحت أشجارها الأنهار (خَالِدِينَ فِيهَا) يقول : ماكثين فيها أبدا (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ) بطاعتهم إياه فى الدنيا (وَرَضُوا عَنْهُ) فى الآخرة بإدخاله إياهم الجنةَ (أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ) يقول : أولئك الذين هذه صفتهم جند الله وأولياؤه (ألا إنَّ حِزْبَ اللهِ) يقول : ألا إن جند الله وأولياءه (هُمُ المُفْلِحُونَ) يقول : هم الباقون المُنْجِحون بإدراكهم ما طلبوا ، والتمسوا ببيعتهم فى الدنيا ، وطاعتهم ربهم .

آخر تفسير سورة المجادلة

(٥٩) سورة الحشر مدنية وآياتها أربع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١﴾

يعنى بقوله جلّ ثناؤه (سَبَّحَ لِلَّهِ) صلى لله ، وسجد له (مافى السَّمَوَاتِ وَما فِي الأَرْضِ) من خلقه (وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) يقول : وهو العزيز فى انتقامه ممن انتقم من خلقه على معصيتهم إياه ، الحكيم فى تدبيره إياهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ۝٢﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الحَشْرِ) الله الذى أخرج الذين جحدوا نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ، وهم يهود بنى النضير من ديارهم ، وذلك خروجهم عن منازلهم ودورهم ، حين صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

Marfat.com

على أن يؤمنهم على دمائهم ونسائهم وذراريهم ، وعلى أن لهم ما أقلّت الإبل من أموالهم ، ويخلوا له دورهم ، وسائر أموالهم ، فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك ، فخرجوا من ديارهم ، فمنهم من خرج إلى الشام ، ومنهم من خرج إلى خيبر ، فذلك قول الله عزّ وجلّ (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله عزّ وجلّ (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) قال : النضير حتى قوله (وَلِيُخْزِيَ الفَاسِقِينَ) ؛

ذكر ما بين ذلك كله فيهم

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) قيل : الشام ، وهم بنو النضير حىّ من اليهود ، فأجلاهم نبىّ الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى خيبر ، مرجعه من أحد :

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى (مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) قال : هم بنو النضير قاتلهم النبىّ صلى الله عليه وسلم حتى صالحهم على الجلاء ، فأجلاهم إلى الشام ، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من شىء إلا الحلقة ، والحلقة : السلاح ، كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى ، وكان الله عزّ وجلّ قد كتب عليهم الجلاء ، ولولا ذلك عذبهم فى الدنيا بالقتل والسباء :

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال قال ابن زيد ، فى قوله (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) قال : هؤلاء النضير حين أجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة بن الفضل ، قال : ثنا ابن إسحاق ، عن يزيد بن رومان ، قال : نزلت فى بنى النضير سورة الحشر بأسرها ، يذكر فيها ما أصابهم الله عزّ وجل به من نقمته ، وما سلط عليهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم وما عمل به فيهم ، فقال (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) . . . الآيات .

وقوله (لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) يقول تعالى ذكره : لأوّل الجمع فى الدنيا ، وذلك حشرهم إلى أرض الشام .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى ، قوله (لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) قال : كان جلاؤهم أوّل الحشر فى الدنيا إلى الشام .

Marfat.com

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : تجىء نار من مشرق الأرض ، تحشُر الناس إلى مغاربها ، فتبيت معهم حيث باتُوا ، وتقيل معهم حيث قالوا ، وتأكل من تخلّف .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن عوف ، عن الحسن ، قال : « بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أجلى بنى النضير ، قال : امضوا فهذا أوّل الحشر ، وإنّا على الأثر » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) قال : الشام حين ردّهم إلى الشام ، وقرأ قول الله عزّ وجلّ (يا أيُّها الّذينَ أوتُوا الكِتابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أنْ نَطْمِسَ وُجُوها فَنَرُدَّها على أدْبارِها) قال : من حيث جاءت ، أدبارها أن رجعت إلى الشام ، من حيث جاءت ردّوا إليه .

وقوله (ما ظَنَنْتُمْ أنْ يَخْرُجُوا) يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ظننتم أن يخرج هؤلاء الذين أخرجهم الله من ديارهم من أهل الكتاب من مساكنهم ومنازلهم ، (وَظَنُّوا أنَّهُمْ مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ) وإنما ظنّ القوم فيما ذكر ذلك أن عبد الله بن أُبَىّ وجماعة من المنافقين بعثوا إليهم لما حصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرونهم بالثبات فى حصونهم ، ويعدونهم النصر .

كما حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن رومان ، أن رهطا من بنى عوف ابن الخزرج منهم عبد الله بن أُبَىّ ابن سلول ووديعة ومالك ابنا نوفل وسويد وداعس ، بعثوا إلى بنى النضير أن اثبتوا وتمنّعوا ، فإنا لن نسلمكم ، وإن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن خرجتم خرجنا معكم ، فتربصوا لذلك من نصرهم ، فلم يفعلوا ، وكانوا قد تحصنوا فى الحصون من رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل بهم .

وقوله (فأتاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا) يقول تعالى ذكره : فأتاهم أمر الله من حيث لم يحتسبوا أنه يأتيهم ، وذلك الأمر الذى أتاهم من الله من حيث لم يحتسبوا ، قذف فى قلوبهم الرعب بنزول رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم فى أصحابه ، يقول جلّ ثناؤه : وقذف فى قلوبهم الرعب .

وقوله (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بأيْدِيهِمْ وأيْدِى المُؤْمِنِينَ) يعنى جلّ ثناؤه بقوله (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ) بنى النضير من اليهود ، وأنهم يخربون مساكنهم ، وذلك أنهم كانوا ينظرون إلى الخشبة فيما ذُكر فى منازلهم مما يستحسنونه ، أو العمود أو الباب ، فينزعون ذلك منها بأيديهم وأيدى المؤمنين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بأيْدِيهِمْ وأيْدِى المُؤْمِنِينَ) جعلوا يخربونها من أجوافها ، وجعل المؤمنون يخربون من ظاهرها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزُّهرىّ ، قال : لما صالحوا النبىّ صلى الله

Marfat.com

عليه وسلم كانوا لايعجبهم خشبة إلا أخذوها ، فكان ذلك خرابها . وقال قتادة : كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها ، وتخربها اليهود من داخلها .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن رومان ، قال : احتملوا من أموالهم ، يعنى بنى النضير ، ما استقلت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه ، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به ، قال : فذلك قوله (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ) وذلك هدمهم بيوتهم عن نُجف أبوابهم إذا احتملوها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله عزّ وجلّ (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ) قال : هؤلاء النضير ، صالحهم النبيّ صلى الله عليه وسلم على ما حملت الإبل ، فجعلوا يقلعون الأوتاد يخربون بيوتهم .

وقال آخرون : إنما قيل ذلك كذلك ، لأنهم كانوا يخربون بيوتهم ليبنوا بنقضها ما هدم المسلمون من حصونهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِين ، فاعْتَبِرُوا يا أُولِى الأَبْصَارِ) قال : يعنى بنى النضير ، جعل المسلمون كلما هدموا شيئا من حصونهم جعلوا ينقضون بيوتهم ويخربونها ، ثم يبنون ما يخرب المسلمون ، فذلك هلاكهم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ) يعنى أهل النضير جعل المسلمون كلما هدموا من حصنهم جعلوا ينقضون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين ، ثم يبنون ما خرّب المسلمون .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والمدينة والعراق سوى أبى عمرو (يُخْرِبُونَ) بتخفيف الراء ، بمعنى يخرجون منها ، ويتركونها معطلة خرابا ، وكان أبو عمرو يقرأ ذلك يخرّبون بالتشديد فى الراء ، بمعنى يهدّمون بيوتهم . وقد ذكر عن أبى عبد الرحمن السلمى والحسن البصرى أنهما كانا يقرءان ذلك نحو قراءة أبى عمرو . وكان أبو عمرو فيما ذكر عنه يزعم أنه إنما اختار التشديد فى الراء لما ذكرت من أن الإخراب : إنما هو ترك ذلك خرابا بغير ساكن ، وإن بنى النضير لم يتركوا منازلهم ، فيرتحلوا عنها ، ولكنهم خرّبوها بالنقض والهدم ، وذلك لايكون فيما قال إلا بالتشديد .

وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب عندى قراءة من قرأه بالتخفيف لإجماع الحجة من القرّاء عليه . وقد كان بعض أهل المعرفة بكلام العرب يقول : التخريب والإخراب بمعنى واحد ، وإنما ذلك فى اختلاف اللفظ لا لاختلاف فى المعنى .

وقوله (فاعْتَبِرُوا يا أُولِى الأَبْصَارِ) يقول تعالى ذكره : فاتعظوا يا معشر ذوى الأفهام بما أحلّ الله

Marfat.com

بهؤلاء اليهود الذين قذف الله فى قلوبهم الرعب ، وهم فى حصونهم من نقمته ، واعلموا أن الله ولىّ من والاه ، وناصر رسوله على كلّ من ناوأه ، ومحلّ من نقمته به نظيرَ الذى أحلّ ببنى النضير . وإنما عنى بالأبصار فى هذا الموضع أبصار القلوب ، وذلك أن الاعتبار بها يكون دون الإبصار بالعيون .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : ولولا أن الله قضى وكتب على هؤلاء اليهود من بنى النضير فى أمّ الكتاب الجلاء ، وهو الانتقال من موضع إلى موضع ، وبلدة إلى أخرى :

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَوْلا أنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الجَلاءَ) : خروج الناس من البلد إلى البلد :

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَلَوْلا أنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الجَلاءَ) والجلاء : إخراجهم من أرضهم إلى أرض أخرى . قال : ويقال الجلاء : الفرار ، يقال منه : جلا القوم من منازلهم ، وأجليتهم أنا .

وقوله (لَعَذَّبَهُمْ فِى الدُّنْيا) يقول تعالى ذكره (وَلَوْلا أن كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الجَلاءَ) من أرضهم وديارهم ، لعذّبهم فى الدنيا بالقتل والسَّبى ، ولكنه رفع العذاب عنهم فى الدنيا بالقتل ، وجعل عذابهم فى الدنيا الجلاء (وَلَهُمْ فِى الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ) مع ما حلّ بهم من الخزى فى الدنيا بالجلاء عن أرضهم ودورهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى ، قال : كان النضير من سِبْط لم يصبهم جلاء فيما مضى ، وكان الله قد كتب عليهم الجلاء ، ولولا ذلك لعذّبهم فى الدنيا بالقتل والسبى .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا سَلَمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رُومان (وَلَوْلا أنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الجَلاءَ) وكان لهم من الله نقمة (لعذّبهم فى الدنيا) أى بالسيف (وَلَهُمْ فِى الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ) مع ذلك :

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

Marfat.com

قوله (وَلَوْلا أنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذابُ النَّارِ) قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ ، فأعطوه ما أراد منهم ، فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم ، وأن يخرجهم من أرضهم وأوطانهم ، ويسيرهم إلى أذرعات الشام ، وجعل لكل ثلاثة منهم بعيرا وسقاء .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبامعاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَلَوْلا أنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الجَلاءَ) أهل النضير ، حاصرهم نبيّ الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ منهم كلّ مبلغ ، فأعطوا نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ما أراد ، ثم ذكر نحوه وزاد فيه : فهذا الجلاء .

وقوله (ذلكَ بأنَّهُمْ شاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ) يقول تعالى ذكره : هذا الذى فعل الله بهؤلاء اليهود ما فعل بهم من إخراجهم من ديارهم ، وقذف الرعب فى قلوبهم من المؤمنين ، وجعل لهم فى الآخرة عذاب النار بما فعلوا هم فى الدنيا من مخالفتهم الله ورسوله فى أمره ونهيه ، وعصيانهم ربهم فيما أمرهم به من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم (وَمَنْ يُشاقِّ اللهَ فإنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقابِ) يقول تعالى ذكره : ومن يخالف الله فى أمره ونهيه ، فإن الله شديد العقاب .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝

يقول تعالى ذكره : ما قطعتم من ألوان النخل ، أو تركتموها قائمة على أصولها .

اختلف أهل التأويل فى معنى اللينة ، فقال بعضهم : هى جميع أنواع النخل سوى العجوة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن داود بن أبى هند ، عن عكرمة : (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) قال : النخلة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة أنه قال فى هذه الآية (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أو تركتموها) قال : اللينة : ما دون العجوة من النخل .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن رومان ، فى قوله (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) قال : اللينة : ما خالف العجوة من التمر .

وحدثنا به مرّة أخرى فقال : من النخل .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) قال : النخل كله ما خلا العجوة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) واللينة : ما خلا العجوة من النخل .

Marfat.com

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) ألوان النخل كلها إلا العجوة :

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، قال : ثنا سفيان ، عن داود بن أبى هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) قال : النخلة دون العجوة :

وقال آخرون : النخل كله لينة ، العجوة منه وغير العجوة :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) قال : النخلة :

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) قال : نخلة . قال : نهى بعض المهاجرين بعضا عن قطع النخل ، وقالوا : إنما هى مغانم المسلمين ، ونزل القرآن بتصديق من نهى عن قطعه ، وتحليل من قطعه من الإثم ، وإنما قطعه وتركه بإذنه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن أبى بكير ، قال : ثنا شريك ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) قال : النخلة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) قال : اللينة : النخلة ، عجوة كانت أو غيرها ، قال الله (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) قال : الذى قطعوا من نخل النضير حين غدرت النضير .

وقال آخرون : هى لون من النخل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) قال : اللينة : لون من النخل .

وقال آخرون : هى كرام النخل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، قال : ثنا سفيان فى (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) قال : من كرام نخلهم .

والصواب من القول فى ذلك قول من قال : اللينة : النخلة ، وهى من ألوان النخل ما لم تكن عجوة ، وإياها عنى ذو الرُّمَّة بقوله :

طِرَاقُ الخَوَافِي وَاقِعٌ فَوْقَ لِينَةٍ ... نَدَى لَيْلِهِ فِي رِيشِهِ يَتَرَقْرَقُ[1]

(١) البيت لذى الرمة (اللسان : ريع) والرواية فيه « ريعة » فى موضع « لينة » واللينة : النخلة ، وكل شىء من النخل سوى العجوة فهو من اللين . وقد سبق استشهاد المؤلف بالبيت عند قوله تعالى : « أتبنون بكل ريع آية » ، وشرحناه هناك شرحا مفصلا ، فارجع إليه فى (١٩ : ٩٣) .

Marfat.com

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : اللينة من اللون ، والليان فى الجماعة واحدها اللينة . قال : وإنما سميت لينة لأنه فعلة من فعْل ، وهو اللون ، وهو ضرب من النخل ، ولكن لما انكسر ماقبلها انقلبت إلى الياء . وكان بعضهم ينكر هذا القول ويقول : لو كان كما قال لجمعوه : اللوان لا الليان . وكان بعض نحويى الكوفة يقول : جمع اللينة لين ، وإنما أُنزلت هذه الآية فيما ذُكر من أجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قطع نخل بنى النضير وحرّقها ، قالت بنو النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنك كنت تنهى عن الفساد وتعيبه ، فما بالك تقطع نخلنا وتُحرقها ؟ فأنزل الله هذه الآية ، فأخبرهم أن ما قطع من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ترك ، فعن أمر الله فعل :

وقال آخرون : بل نزل ذلك لاختلاف كان من المسلمين فى قطعها وتركها :

ذكر من قال : نزل ذلك لقول اليهود للمسلمين ماقالوا

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا سلمة بن الفضل ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا يزيد بن رومان ، قال : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم يعنى ببنى النضير تحصنوا منه فى الحصون ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخل ، والتحريق فيها ، فنادوْه يامحمد ، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه ، فما بال قطع النخل وتحريقها ؟ فأنزل الله عزّ وجلّ (ماقَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوها قائِمَةً على أُصُولِهَا فبإذْنِ اللهِ وَلِيُخْزِيَ الفاسِقِينَ) :

ذكر من قال : نزل ذلك لاختلاف كان بين المسلمين فى أمرها

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ما قَطَعْتُمْ مِن لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوها) . . . الآية ، أى ليغظهم ، فقطع المسلمون يومئذ النخل ، وأمسك آخرون كراهية أن يكون إفسادا ، فقالت اليهود : آلله أذن لكم فى الفساد ، ، فأنزل الله (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوها قائِمَةً على أُصُولِهَا) قال : نهى بعض المهاجرين بعضا عن قطع النخل ، وقالوا : إنما هى مغانم المسلمين ، ونزل القرآن بتصديق من نهى عن قطعه ، وتحليل من قطعه من الإثم ، وإنما قطعه وتركه بإذنه .

حدثنا سليمان بن عمر بن خالد البرقى ، قال ابن المبارك ، عن موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بنى النضير ، وفى ذلك نزلت (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) . . . الآية ، وفى ذلك يقول حسان بن ثابت :

وَهانَ عَلى سَرَاةَ بَنِي لُؤَيّ حَرِيقٌ بالبُوَيْرَةِ مُسْتَطِيرُ[1]

(١) البيت لحسان بن ثابت (معجم ما استعجم للبكرى : رسم البويرة ٢٨٥) قال البويرة ، بضم أوله ، وبالراء المهملة ، على لفظ التصغير ، وهى من تيماء . قال أبو عبيدة فى كتاب الأموال : أحرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بنى النضير ، وقطع زهو البويرة ، فنزل فيهم : « ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ، وليخزى الفاسقين » . قال حسان : « هان على سراة . . . البيت » . قال ذلك حسان ، لأن قريشا هم الذين حملوا كعب بن أسد القرظى ، صاحب عقد بنى قريظة ، على نقض العقد بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى خرج معهم إلى الخندق ، وعند ذلك اشتد البلاء والخوف على المسلمين . اه .

Marfat.com

وقوله (فَبِإِذْنِ اللهِ) يقول : فبأمر الله قطعتم ماقطعتم ، وتركتم ماتركتم ، وليغيظ بذلك أعداءه ، ولم يكن فسادا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن رومان (فَبِإِذْنِ اللهِ) : أى فبأمر الله قطعت ، ولم يكن فسادا ، ولكن نقمة من الله ، وليخزى الفاسقين .

وقوله (وَلِيُخْزِيَ الفاسِقِينَ) وليذلّ الخارجين عن طاعة الله عزّ وجلّ ، المخالفين أمره ونهيه ، وهم يهود بنى النضير .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾

يقول تعالى ذكره : والذى ردّه الله على رسوله منهم ، يعنى من أموال بنى النضير ، يقال منه : فاء الشىء على فلان : إذا رجع إليه ، وأفأته أنا عليه : إذا رددته عليه . وقد قيل : إنه عنى بذلك أموال قُريظة (فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ) يقول : فما أوضعتم فيه من خيل ولا فى إبل وهى الركاب . وإنما وصف جلّ ثناؤه الذى أفاءه على رسوله منهم بأنه لم يوجف عليه بخيل من أجل أن المسلمين لم يلقوا فى ذلك حربا ، ولا كلفوا فيه مئونة ، وإنما كان القوم معهم ، وفى بلدهم ، فلم يكن فيه إيجاف خيل ولا ركاب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَما أَفاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَما أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ) . . . الآية ، يقول : ماقطعتم إليها واديا ، ولا سرتم إليها سيرا ، وإنما كان حوائط لبنى النضير طعمة أطعمها الله رسوله ذُكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « أَيُّمَا قَرْيَةٍ أَعْطَتِ اللهَ وَرَسُولَهُ ، فَهِيَ لِلهِ وَلِرَسُولِهِ ، وأَيُّمَا قَرْيَةٍ فَتَحَها المُسْلِمُونَ عَنْوَةً فإنَّ لِلهِ خُمُسَهُ وَلِرَسُولِهِ وَما بَقِيَ غَنِيمَةٌ لِمَنْ قاتَلَ عَلَيْها » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى ، فى قوله (فَما أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ) قال : صالح النبىّ صلى الله عليه وسلم أهل فدك وقرى قد سماها لا أحفظها ، وهو محاصر قوما آخرين ، فأرسلوا إليه بالصلح ، قال : (فَما أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ) يقول : بغير قتال . قال الزهرىّ : فكانت بنو النضير للنبىّ صلى الله عليه وسلم خالصة لم يفتحوها عنوة ،

Marfat.com

بل على صلح ، فقسمها النبيّ صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين لم يعط الأنصار منها شيئا ، إلا رجلين كانت بهما حاجة :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثني محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رومان (وَمَا أفاءَ اللهُ على رَسُولِهِ مِنْهُمْ) يعني بني النضير (فَمَا أوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشاءُ ، وَاللهُ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (فَمَا أوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ) قال : يذكر ربهم أنه نصرهم ، وكفاهم بغير كراع ، ولا عدّة في قريظة وخيبر ، ما أفاء الله على رسوله من قريظة ، جعلها لمهاجرة قريش .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَما أفاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ ، وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشاءُ ، وَاللهُ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) قال : أمر الله عزّ وجلّ نبيه بالسير إلى قريظة والنضير وليس للمسلمين يومئذ كثير خيل ولا ركاب فجعل ما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم فيه ما أراد ، ولم يكن يومئذ خيل ولا ركاب يوجف بها . قال : والإيجاف : أن يوضعوا السير وهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان من ذلك خيبر وفدك وقُرًى عربية ، وأمر الله رسوله أن يعد لينبع ، فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاحتواها كلها ، فقال ناس : هلا قسّمها فأنزل الله عزّ وجلّ عذره ، فقال (ما أفاءَ اللهُ على رَسُولِهِ مِنْ أهْلِ [القُرَى فَلِلَّهِ وللرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى وَاليَتامَى وَالمَساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) ثم قال : (وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهاكُمْ عَنْهُ فانْتَهُوا) . . . الآية :

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (فَمَا أوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ) يعني يوم قُرَيظة .

وقوله (وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ على مَنْ يَشاءُ) أعلمك أنه كما سلّط محمدا صلى الله عليه وسلم على بني النضير ، يخبر بذلك جل ثناؤه أن ما أفاء الله عليه من أموال لم يُوجِف المسلمون بالخيل والركاب ، من الأعداء مما صالحوه عليه له خاصة يعمل فيه بما يرى : يقول : فمحمد صلى الله عليه وسلم إنما صار إليه أموال بني النضير بالصلح لا عنوة ، فتقع فيها القسمة (وَاللهُ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول : والله على كلّ شيء أراده ذو قدرة لا يُعجزه شيء ، وبقُدرته على ما يشاء سلّط نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على ما سلط عليه من أموال بني النضير ، فحازه عليهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ

Marfat.com

السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾

يعنى بقوله جلّ ثناؤه (ما أفاءَ اللهُ على رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَى) الذى ردّ الله عزّ وجلّ على رسوله من أموال مشركى القرى .

واختلف أهل العلم فى الذى عنى بهذه الآية من الأموال ، فقال بعضهم : عنى بذلك الجزية والخراج .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن عكرمة بن خالد ، عن مالك بن أوس بن الحدثان ، قال : قرأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ) حتى بلغ (عَلِيمٌ حَكِيمٌ) ثم قال : هذه لهؤلاء ، ثم قال : (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ ، فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وللرَّسُولِ وَلِذِى القُرْبَى) . . . الآية ، ثم قال : هذه الآية لهؤلاء ، ثم قرأ (ما أفاءَ اللهُ على رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَى) حتى بلغ (لِلْفُقَرَاءِ - وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ - وَالَّذِينَ جاءوا مِنْ بَعْدِهِمْ) ثم قال استوعبت هذه الآية المسلمين عامة ، فليس أحد إلا له حق ، ثم قال لئن عشت ليأتين الراعى وهو بسير حُمُرَه نصيبُه ، لم يعرق فيها جبينه :

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، قال : ثنا معمر فى قوله (ما أَفاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَى) حتى [1] بلغنى أنها الجزية ، والخراج : خراج أهل القرى :

وقال آخرون : عنى بذلك الغنيمة التى يصيبها المسلمون من عدوّهم من أهل الحرب بالقتال عنوة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن رومان (ما أفاءَ اللهُ على رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ) ما يوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب ، وفتح بالحرب عنوة ، (فَلِلَّهِ وللرَّسُولِ وَلِذِى القُرْبَى واليَتَامَى والمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْلا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ، وَمَا آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهاكُمْ عَنْهُ فانْتَهُوا) قال : هذا قسم آخر فيما أصيب بالحرب بين المسلمين على ما وضعه الله عليه .

وقال آخرون : عنى بذلك الغنيمة التى أوجف عليها المسلمون بالخيل والركاب ، وأخذت بالغلبة ، وقالوا كانت الغنائم فى بدوّ الإسلام لهؤلاء الذين سماهم الله فى هذه الآيات دون المرجفين عليها ، ثم نسخ ذلك بالآية التى فى سورة الأنفال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (ما أفاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَى فَلِلَّهِ وللرَّسُولِ وَلِذى القُرْبَى واليَتَامى والمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) قال

(١) لعل لفظ « حتى » زائد من النساخ .

Marfat.com

كان الفيء في هؤلاء ، ثم نسخ ذلك في سورة الأنفال ، فقال : (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) فنسخت هذه ما كان قبلها في سورة الأنفال ، وجعل الخمس لمن كان له الفيء في سورة الحشر ، وكانت الغنيمة تقسم خمسة أخماس ، فأربعة أخماس لمن قاتل عليها ، ويقسم الخمس الباقي على خمسة أخماس ، فخمس لله وللرسول ، وخمس لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته ، وخمس لليتامى ، وخمس للمساكين ، وخمس لابن السبيل ؛ فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما هذين السهمين : سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسهم قرابته ، فحملا عليه في سبيل الله صدقة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : عنى بذلك : ما صالح عليه أهل الحرب المسلمين من أموالهم ، وقالوا قوله (ما أفاءَ اللهُ على رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَى فَلِلَّهِ وللرَّسُولِ) . . . الآيات ، بيان قسم المال الذي ذكره الله في الآية التي قبل هذه الآية ، وذلك قوله (ما أفاءَ اللهُ على رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكاب) وهذا قول كان يقوله بعض المتفقهة من المتأخرين .

☆ والصواب من القول في ذلك عندي أن هذه الآية حكمها غير حكم الآية التي قبلها ، وذلك أن الآية التي قبلها مال جعله الله عزّ وجلّ لرسوله صلى الله عليه وسلم خاصة دون غيره ، لم يجعل فيه لأحد نصيبا ، وبذلك جاء الأثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، عن مالك بن أوس بن الحدثان ، قال : أرسل إليّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فدخلت عليه ، فقال إنه قد حضر أهل أبيات من قومك وإنا قد أمرنا لهم برضخ ، فاقسمه بينهم ، فقلت : يا أمير المؤمنين مر بذلك غيري ، قال : اقبضه أيها المرء ، فبينا أنا كذلك ، إذ جاء يرفأ مولاه ، فقال : عبد الرحمن بن عوف ، والزبير ، وعثمان ، وسعد يستأذنون ، فقال : ائذن لهم ؛ ثم مكث ساعة ، ثم جاء فقال : هذا عليّ والعباس يستأذنان ، فقال : ائذن لهما ؛ فلما دخل العباس قال : يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا الغادر الخائن الفاجر ، وهما جاءا يختصمان فيما أفاء الله على رسوله من أعمال بني النضير ، فقال القوم : اقض بينهما يا أمير المؤمنين ، وأرح كلّ واحد منهما من صاحبه ، فقد طالت خصومتهما ، فقال : أنشدكم الله الذي بإذنه تقوم السموات والأرض ، أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا نُورَثُ ما تَرَكْناهُ صَدَقَةٌ » - قالوا : قد قال ذلك ؛ ثم قال لهما : أتعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك ؟ قالا : نعم ؛ قال : فسأخبركم بهذا الفيء ، إن الله خصّ نبيه صلى الله عليه وسلم بشيء لم يعطه غيره ، فقال (وَمَا أَفاءَ اللهُ على رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ) فكانت هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، فوالله ما احتازها دونكم ، ولا استأثر بها دونكم ، ولقد قسمها عليكم حتى بقي منها هذا المال ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق على أهله منه سنتهم ، ثم يجعل ما بقي في مال الله ، فإذًا كانت هذه الآية التي قبلها مضت ، وذكر المال الذي خصّ الله به رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولم يجعل لأحد معه شيئا ، وكانت هذه الآية خبرا عن

Marfat.com

المال الذى جعله الله لأصناف شتى ، كان معلوما بذلك أن المال الذى جعله لأصناف من خلقه غير المال الذى جعله للنبىّ صلى الله عليه وسلم خاصة ، ولم يجعل له شريكا :

وقوله (وَلِذِى القُرْبَى) يقول : ولذى قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم وبنى المطلب واليتامى ، وهم أهل الحاجة من أطفال المسلمين الذين لا مال لهم ؛ والمساكين : وهم الجامعون فاقة وذلّ المسئلة ؛ وابن السبيل : وهم المنقطع بهم من المسافرين فى غير معصية الله عزّ وجلّ .

وقد ذكرنا الرواية التى جاءت عن أهل التأويل بتأويل ذلك فيما مضى من كتابنا .

وقوله (كَيْلا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِياءِ مِنْكُمْ) يقول جلّ ثناؤه : وجعلنا ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى لهذه الأصناف ، كيلا يكون ذلك الفىء دُولة يتداوله الأغنياء منكم بينهم ، يصرفه هذا مرّة فى حاجات نفسه ، وهذا مرّة فى أبواب البرّ وسُبُل الخير ، فيجعلون ذلك حيث شاءوا ؛ ولكننا سننا فيه سنة لا تُغير ولا تُبدّل .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار سوى أبى جعفر القارئ (كَيْلا يَكُونَ) (دُولَةً) نصبا على ما وصفت من المعنى ، وأن فى يكون ذكر الفىء . وقوله (دُولَةً) نصب خبر يكون ، وقرأ ذلك أبوجعفر القارئ (كَيْلا يَكُونَ دُولَةٌ) على رفع الدولة مرفوعة بيكون ، والخبر قوله : بين الأغنياء منكم : وبضمّ الدال من (دُولة) قرأ جميع قرّاء الأمصار ، غير أنه حُكى عن أبى عبد الرحمن الفتح فيها .

وقد اختلف أهل المعرفة بكلام العرب فى معنى ذلك ، إذا ضمت الدال أو فُتحت ، فقال بعض الكوفيين : معنى ذلك : إذا فتحت الدولة وتكون للجيش يهزم هذا هذا ، ثم يهزم الهازم ، فيقال : قد رجعت الدولة على هؤلاء ؛ قال : والدولة برفع الدال فى الملك والسنين التى تغير وتبدّل على الدهر ، فتلك الدولة والدول . وقال بعضهم : فرق ما بين الضمّ والفتح أن الدولة : هى اسم الشىء الذى يتداول بعينه ، والدولة الفعل .

والقراءة التى لا أستجيز غيرها فى ذلك (كَيْلا يَكُونَ) بالياء (دُولَةً) بضم الدال ونصب الدولة على المعنى الذى ذكرت فى ذلك لإجماع الحجة عليه ، والفرق بين الدُّولة والدَّولة بضم الدال وفتحها ما ذكرت عن الكوفىّ فى ذلك .

وقوله (وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ) يقول تعالى ذكره : وما أعطاكم رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أفاء الله عليه من أهل القرى فخذوه (وَما نَهاكُمْ عَنْهُ) من الغلول وغيره من الأمور (فانْتَهُوا) وكان بعض أهل العلم يقول نحو قولنا فى ذلك غير أنه كان يوجه معنى قوله (وَما آتاكُمُ الرَّسُولَ فخُذُوهُ) إلى ما آتاكم من الغنائم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن عوف ، عن الحسن ، فى قوله (وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فانْتَهُوا) قال : يؤتيهم الغنائم ويمنعهم الغلول .

Marfat.com

وقوله (وَاتَّقُوا اللهَ) يقول : وخافوا الله ، واحذروا عقابه فى خلافكم على رسوله بالتقدّم على ما نهاكم عنه ، ومعصيتكم إياه (إنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقابِ) يقول : إن الله شديد عقابه لمن عاقبه من أهل معصيته لرسوله صلى الله عليه وسلم :

القول في تأويل قوله تعالى :

لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾

❁ يقول تعالى ذكره : كيلا يكون ما أفاء الله على رسوله دُولة بين الأغنياء منكم ، ولكن يكون للفقراء المهاجرين : وقيل : عُنى بالمهاجرين : مهاجرة قريش .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (ما أفاءَ اللهُ على رَسُولِه)من قريظة جعلها لمهاجرة قريش :

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جُبَيْر ، وسعيد بن عبد الرحمن بن أبزى ، قالا : كان ناس من المهاجرين لأحدهم الدار والزوجة والعبد والناقة يحجّ عليها ويغزو ، فنسبهم الله إلى أنهم فقراء ، وجعل لهم سهما فى الزكاة :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لِلْفُقَراءِ المُهاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ) . . . إلى قوله (أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) قال : هؤلاء المهاجرون تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر ، خرجوا حبا لله ولرسوله ، واختاروا الإسلام على ما فيه من الشدّة ، حتى لقد ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع ، وكان الرجل يتخذ الحفيرة فى الشتاء ماله دثار غيرها .

وقوله (الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وأمْوَالِهِمْ) ، وقوله (يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَانا) موضع يبتغون نصب ، لأنه فى موضع الحال ، وقوله (وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ) يقول : وينصرون دين الله الذى بعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم : وقوله (أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) يقول : هؤلاء الذين وصف صفتهم من الفقراء المهاجرين هم الصادقون فيما يقولون :

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

Marfat.com

﴿ يقول تعالى ذكره: (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ) يقول: اتخذوا المدينة مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، فابتنوها منازل، (وَالإِيمَانَ) بالله ورسوله (مِنْ قَبْلِهِمْ) يعنى: من قبل المهاجرين، (يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ): يحبون من ترك منزله، وانتقل إليهم من غيرهم، وعُنى بذلك الأنصار يحبون المهاجرين.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، فى قوله (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ) قال: الأنصار نعت. قال محمد بن عمرو: سفاطة أنفسهم. وقال الحارث: سخاوة أنفسهم عند ماروى عنهم من ذلك، وإيثارهم إياهم ولم يصب الأنصار من ذلك الفىء شىء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ، وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا) يقول: مما أعطوا إخوانهم هذا الحىّ من الأنصار، أسلموا فى ديارهم، فابتنوا المساجد والمسجد، قبل قدوم النبىّ صلى الله عليه وسلم، فأحسن الله عليهم الثناء فى ذلك، وهاتان الطائفتان الأولتان من هذه الآية، أخذتا بفضلهما، ومضتا على مَهَلِهِمَا، وأثبت الله حظهما فى الفىء.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قول الله عزّ وجلّ (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ) قال: هؤلاء الأنصار يحبون من هاجر إليهم من المهاجرين.

وقوله (وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا) يقول جلّ ثناؤه: ولا يجد الذين تبوّءوا الدار من قبلهم، وهم الأنصار فى صدورهم حاجة، يعنى حسدا مما أوتوا، يعنى مما أوتى المهاجرون من الفىء، وذلك لما ذُكر لنا من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بنى النضير بين المهاجرين الأوّلين دون الأنصار، إلا رجلين من الأنصار، أعطاهما لفقرهما، وإنما فعل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنى محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبى بكر، أنه حدّث أنّ بنى النضير خلّوا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة يضعها حيث يشاء، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الأوّلين دون الأنصار، إلا أن سهل بن حُنَيف وأبا دُجانة سِماك بن خَرَشة ذكرا فقرا، فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ

Marfat.com

حاجَةً مِمَّا أُوتُوا) المهاجرون . قال ، وتكلم فى ذلك: (يعنى أموالَ بنى النضير) بعضُ من تكلَّم من الأنصار ، فعاتبهم الله عزّ وجلّ فى ذلك فقال: (وَما أفاءَ اللهُ على رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَما أوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ ، وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشاءُ ، وَاللهُ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم « إنَّ إخْوَانَكُمْ قَدْ تَرَكُوا الأمْوَالَ وَالأولاد وَخَرَجُوا إلَيْكُمْ فقالوا : أموالنا بينهم قطائع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أوَ غَيْرَ ذَلكَ ؟ قالوا : وما ذلك يارسول الله ، قال: هُمْ قَوْمٌ لايَعْرِفُونَ العَمَلَ فَتَكْفُونَهُمْ وَتُقَاسِمُونَهُمُ الثَّمَرَ ، فقالوا : نعم يا رسول الله » .

وبنحو الذى قلنا فى قوله (وَلا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمَّا أُوتُوا) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا سليمان أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وَلا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمَّا أُوتُوا) قال : الحسد .

قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن (حاجَةً فِى صُدُورِهِمْ) قال : حسدا فى صدورهم .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا أبو رجاء ، عن الحسن ، مثله .

وقوله (وَيُؤْثِرُونَ على أنْفُسِهِمْ) يقول تعالى ذكره : وهو يصف الأنصار الذين تبوّءُوا الدار والإيمان من قبل المهاجرين (وَيُؤْثِرُونَ على أنْفُسِهِمْ) يقول : ويعطون المهاجرين أموالهم إيثارا لهم بها على أنفسهم (وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) يقول : ولو كان بهم حاجة وفاقة إلى ما آثروا به من أموالهم على أنفسهم ، والخَصاصة مصدر ، وهى أيضا اسم ، وهو كلّ ما تخلّلته ببصرك كالكوّة والفرجة فى الحائط ، تجمع خَصاصات وخِصاص ، كما قال الراجز :

• قَدْ عَلِمَ المَقاتِلاتُ هَجًّا •
• والنَّاظِراتُ مِنْ خَصَاصٍ لَمْجا •
• لأُورِيَنْها دُلَجا أوْ مُنْجَا [1] •

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن أبيه ، عن أبى حازم ، عن أبى هريرة ، قال : « جاء

(١) هذه ثلاثة أبيات من مشطور الرجز لم أجدها فى معانى القرآن للفراء ولا فى مجاز القرآن لأبى عبيدة ، ولا فى اللسان ، ولست على بينة من صحة بعض ألفاظها . والمؤلف استشهد بها فى هذا الموضع على أن الخصاص جمع خصاصة . وفى (اللسان : الخصاص): الفرج بين الأثافى والأصابع ، وقالوا لخروق المصفاة والمنخل خصاص . وخصاص المنخل والباب والبرقع وغيره : خلله ، واحدته : خصاصة (وكله بفتح الخاء) .

Marfat.com

رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ليضيفه ، فلم يكن عنده ما يضيفه ، فقال : ألا رجل يضيف هذا رحمه الله ؟ فقام رجل من الأنصار يقال له أبوطلحة ، فانطلق به إلى رحله ، فقال لامرأته : أكرمى ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نوّمى الصبية ؛ وأطفئى المصباح ، وأريه بأنك تأكلين معه ، واتركيه لضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعلت ، فنزلت (وَيُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن فضيل ، عن غزوان ، عن أبى حازم ، عن أبى هريرة ، أن رجلا من الأنصار بات به ضيف ، فلم يكن عنده إلا قوته وقوت صبيانه ، فقال لامرأته : نوّمى الصِّبْيَة وأطفئى المصباح ، وقرّبى للضيف ما عندك ، قال : فنزلت هذه الآية (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ) يقول تعالى ذكره : من وقاه الله شحّ نفسه (فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) المخلّدون فى الجنة . والشحّ فى كلام العرب : البخل ، ومنع الفضل من المال ؛ ومنه قول عمرو بن كلثوم :

تَرَى اللَّحِزَ الشَّحِيحَ إذَا أُمِرَّتْ عَلَيْهِ لِمَالِهِ فِيهَا مُهِينَا[1]

يعنى بالشحيح : البخيل ، يقال : إنه لشحيح بين الشحّ والشحّ ، وفيه شحة شديدة وشحاحة . وأما العلماء فإنهم يرون أن الشحّ فى هذا الموضع إنما هو أكل أموال الناس بغير حقّ .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا المسعودى ، عن أشعث ، عن أبى الشعثاء ، عن أبيه ، قال : أتى رجل ابن مسعود فقال : إنى أخاف أن أكون قد هلكت ، قال : وما ذاك ؟ قال : أسمع الله يقول (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ) وأنا رجل شحيح لايكاد يخرج من يدى شىء ، قال : ليس ذاك بالشحّ الذى ذكر الله فى القرآن ، إنما الشحّ أن تأكل مال أخيك ظلما ذلك البخل ، وبئس الشىء البخل .

حدثنى يحيى بن إبراهيم ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن جامع ، عن الأسود ابن هلال قال : جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، إنى أخشى أن تكون أصابتنى هذه الآية (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) والله ما أعطى شيئا أستطيع منعه ، قال : ليس ذلك بالشحّ ، إنما الشحّ أن تأكل مال أخيك بغير حقه ، ولكن ذلك البخل .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن ، قالا : ثنا سفيان ، عن طارق بن عبدالرحمن ، عن سعيد بن جُبَير ، عن أبى الهياج الأسدى ، قال : كنت أطوف بالبيت ؛ فرأيت رجلا يقول : اللهمّ قنى شحّ نفسى ، لايزيد على ذلك ، فقلت له ، فقال : إنى إذا وقيت شحّ نفسى لم أسرق ، ولم أزن ، ولم أفعل شيئا ، وإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف .

حدثنى محمد بن إسحاق ، قال : ثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقىّ ، قال : ثنا إسماعيل بن عياش ، قال :

(١) البيت من معلقة عمرو بن كلثوم التغلبى (انظره فى شرحى الزوزنى والتبريزى على المعلقات) واللحز : الضيق الصدر السيئ الخلق اللئيم . والشحيح : البخيل : الحريص . والجمع الأشحة والأشحاء ، والفعل : شح يشح . والمصدر : الشح ، وهو البخل معه حرص . يقول : ترى الإنسان الضيق الصدر البخيل الحريص مهينا لما له فيها ، أى فى شربها ، إذا أمرت عليه الخمر ، أى أديرت عليه . وقد استشهد المؤلف بالبيت عند قوله تعالى : « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

Marfat.com

ثنا مجمع بن جارية الأنصارى ، عن عمه يزيد بن جارية الأنصارى ، عن أنس بن مالك ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «بَرِئَ مِنَ الشُّحِّ مَنْ أَدَّى الزَّكَاةَ ، وَقَرَى الضَّيْفَ ، وأَعْطَى فى النَّائِبَةِ».

حدثنى محمد بن عبدالله بن عبد الحكم ، قال : ثنا زياد بن يونس أبو سلامة ، عن نافع بن عمر المكى ، عن ابن أبى مليكة ، عن عبد الله بن عمر ، قال : إن نجوت من ثلاث طمعت أن أنجو . قال عبد الله بن صفوان ما هنّ أنبيك فيهنّ ، قال : أخرج المال العظيم ، فأخرجه ضرارا ، ثم أقول : أقرض ربى هذه الليلة ، ثم تعود نفسى فيه حتى أعيده من حيث أخرجته ، وإن نجوت من شأن عثمان ، قال ابن صفوان : أما عثمان فقتل يوم قتل ، وأنت تحبّ قتله وترضاه ، فأنت ممن قتله ؛ وأما أنت فرجل لم يقك الله شحّ نفسك ، قال : صدقت .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله عزّ وجلّ (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ) قال : من وقى شحّ نفسه فلم يأخذ من الحرام شيئا ، ولم يقربه ، ولم يدعه الشحّ أن يحبس من الحلال شيئا ، فهو من المفلحين ، كما قال الله عزّ وجلّ .

وحدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ) قال : من لم يأخذ شيئا لشىء نهاه الله عزّ وجلّ عنه ، ولم يدعه الشحّ على أن يمنع شيئا من شىء أمره الله به ، فقد وقاه الله شحّ نفسه ، فهو من المفلحين .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره : والذين جاءوا من بعد الذين تبوّءوا الدار والإيمان من قبل المهاجرين الأوّلين (يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ) مِنَ الأَنْصَارِ . وعنى بالذين جاءوا من بعدهم المهاجرون أنهم يستغفرون لإخوانهم من الأنصار .

وقوله (وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا) يعنى غمرا وضغنا . وقيل : عنى بالذين جاءوا من بعدهم : الذين أسلموا من بعد الذين تبوّءوا الدار .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ) قال : الذين أسلموا نعتوا أيضا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ثم ذكر الله الطائفة الثالثة ، فقال :

Marfat.com

(وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا) حتى بلغ (إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) إنما أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم ولم يؤمروا بسبهم .

وذُكر لنا « أن غلاما لحاطب بن أبي بلتعة جاء نبيّ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبيّ الله ليدخلنّ حاطب في حيّ النار ، قال : كذبت إنه شهد بدرا والحُديبية » وذُكر لنا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أغلظ لرجل من أهل بدر ، فقال نبيّ الله صلى الله عليه وسلم : « وَمَا يُدْرِيكَ يَا عُمَرُ لَعَلَّهُ قَدْ شَهِدَ مَشْهَدًا اطَّلَعَ اللهُ فِيهِ إِلَى أَهْلِهِ ، فَأَشْهَدَ مَلَائِكَتَهُ إِنِّي قَدْ رَضِيتُ عَنْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ ، فَلْيَعْمَلُوا مَا شَاءُوا » فما زال بعضُنا منقبضا من أهل بدر ، هائبا لهم . وكان عمر رضى الله عنه يقول : وإلى أهل بدر تهالك المتهالكون ، وهذا الحيّ من الأنصار ، أحسن الله عليهم الثناء :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا) قال : لاتورث قلوبنا غلا لأحد من أهل دينك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن ابن أبي ليلى ، قال : كان الناس على ثلاث منازل : المهاجرون الأوّلون (وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) وأحسن ما يكون أن يكون بهذه المنزلة .

وقوله (لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) يقول جلّ ثناؤه مخبرا عن قيل الذين جاءوا من بعد الذين تبوّءوا الدار والإيمان أنهم قالوا : لاتجعل في قلوبنا غلا لأحد من أهل الإيمان بك ياربنا .

قوله (إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) يقول : إنك ذو رأفة بخلقك ، وذو رحمة بمن تاب واستغفر من ذنوبه .

القول في تأويل قوله تعالى :

* أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تنظر بعين قلبك يامحمد ، فترى إلى الذين نافقوا وهم فيما ذُكر عبدالله بن أُبيّ ابن سلول ، ووديعة ، ومالك ابنا نوفل وسُوَيد وداعس بعثوا إلى بني النضير حين نزل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للحرب أن اثبتُوا وتمنّعوا ، فإنا لن نسلمكم ، وإن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن خرجتم ، خرجنا معكم ، فتربصوا لذلك من نصرهم ، فلم يفعلوا ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم ، ويكفّ عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة .

Marfat.com

حدثنا بذلك ابن حُمَيد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رومان .

وقال مجاهد فى ذلك ما حدثنى به محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا) قال عبدالله بن أُبَىّ ابن سلول ، ورفاعة أو رافعة بن تابوت . وقال الحارث رفاعة بن تابوت ، ولم يشكّ فيه ، وعبد الله بن نَبْتَل ، وأوس بن قَيْظِيّ .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا) يعنى عبد الله بن أُبَىّ ابن سلول وأصحابه ، ومن كان منهم على مثل أمرهم .

وقوله (يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) يعنى بنى النضير :

كما حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس (يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) يعنى : بنى النضير .

وقوله (لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ) يقول : لئن أخرجتم من دياركم ومنازلكم ، وأُجليتم عنها لنخرُجَنّ معكم ، فنُجلى عن منازلنا ودیارنا معكم .

وقوله (وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا) يقول : ولا نطيع أحدا سألنا خذلانكم ، وترك نصرتكم ، ولكنا نكون معكم (وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ) يقول : وإن قاتلكم محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومن معه لننصرنّكم معشرَ النضير عليهم .

وقوله (وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) يقول : والله يشهد إن هؤلاء المنافقين الذين وعدوا بنى النضير النصرةَ على محمد صلى الله عليه وسلم (لَكَاذِبُونَ) فى وعدهم إياهم ما وَعَدُوهم من ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره : لئن أُخرج بنو النضير من ديارهم ، فأجلوا عنها لا يخرج معهم المنافقون الذين وعدوهم الخروج من ديارهم ، ولئن قاتلهم محمد صلى الله عليه وسلم لا ينصرهم المنافقون الذين وعدوهم النصر ، ولئن نصر المنافقون بنى النضير ليولُّنّ الأدبار منهزمين عن محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه هاربين منهم ، قد خذلوهم (ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ) يقول : ثم لا ينصر الله بنى النضير على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، بل يخذلهم .

Marfat.com

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝١٣ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ۝١٤ ﴾

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأنتم أيها المؤمنون أشدّ رهبة فى صدور اليهود من بنى النضير من الله : يقول : هم يرهبونهم أشدّ من رهبتهم من الله (ذَلِكَ بأنَّهُمْ قَوْمٌ لايَفْقَهُونَ) يقول تعالى ذكره : هذه الرهبة التى لكم فى صدور هؤلاء اليهود التى هى أشدّ من رهبتهم من الله من أجل أنهم قوم لايفقهون ، قدر عظمة الله ، فهم لذلك يستخفّون بمعاصيه ، ولايرهبون عقابه قدر رهبته منكم .

وقوله (لايُقاتِلُونَكُمْ جَمِيعا إلاَّ فى قُرًى مُحَصَّنَةٍ) يقول جلّ ثناؤه : لايقاتلكم هؤلاء اليهود بنى النضير مجتمعين إلا فى قرى محصنة بالحصون ، لايبرزون لكم بالبراز ، (أوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ) يقول : أو من خلف حيطان .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الكوفة والمدينة (أوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ) على الجماع بمعنى الحيطان . وقرأه بعض قرّاء مكة والبصرة (مِنْ وَرَاءِ جِدَارٍ) على التوحيد بمعنى الحائط .

والصواب من القول عندى فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (بأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ) يقول جلّ ثناؤه : عداوة بعض هؤلاء الكفار من اليهود بعضا شديدة (تَحْسَبُهُمْ جَمِيعا) يعنى المنافقين وأهل الكتاب ، يقول : تظنهم مؤتلفين مجتمعة كلمتهم ، (وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى) يقول : وقلوبهم مختلفة لمعاداة بعضهم بعضا .

وقوله (ذَلِكَ بأنَّهُمْ قَوْمٌ لايَعْقِلُونَ) يقول جلّ ثناؤه : هذا الذى وصفت لكم من أمر هؤلاء اليهود والمنافقين ، وذلك تشتيت أهوائهم ، ومعاداة بعضهم بعضا من أجل أنهم قوم لايعقلون مافيه الحظّ لهم مما فيه عليهم البخس والنقص :

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لايُقاتِلُونَكُمْ جَمِيعا إلاَّ فى قُرًى مُحَصَّنَةٍ أوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ ، بأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ، تَحْسَبُهُمْ جَميعا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ، ذَلِكَ بأنَّهُمْ قَوْمٌ لايَعْقِلُونَ) قال : تجد أهل الباطل مختلفة شهادتهم ، مختلفة أهواؤهم ، مختلفة أعمالهم ، وهم مجتمعون فى عداوة أهل الحقّ .

Marfat.com

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى) قال : المنافقون يخالف دينهم دين النضير :

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى) قال : هم المنافقون وأهل الكتاب .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، مثل ذلك :

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد (تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى) قال : المشركون وأهل الكتاب .

وذُكر أنها فى قراءة عبد الله (وَقُلُوبُهُمْ أَشَتُّ) بمعنى : أشدّ تشتتا : أى أشدّ اختلافا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

❁ يقول تعالى ذكره : مثل هؤلاء اليهود من بنى النضير والمنافقين فيما الله صانع بهم من إحلال عقوبته بهم (كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) يقول : كشبههم .

واختلف أهل التأويل فى الذين عنوا بالذين من قبلهم ، فقال بعضهم : عنى بذلك بنو قَيْنُقاع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة أو سعيد ابن جُبَير ، عن ابن عباس ، قوله (كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) يعنى بنى قَينُقاع .

وقال آخرون : عنى بذلك مشركو قريش ببدر :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم قال : ثنا عيسى وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ) قال : كفار قريش .

❁ وأولى الأقوال بالصواب أن يقال : إن الله عزّ وجلّ مثّل هؤلاء الكفار من أهل الكتاب مما هو مذيقهم من نكاله بالذين من قبلهم من مكذّبى رسوله صلى الله عليه وسلم ، الذين أهلكهم بسخطه ، وأمر بنى قينقاع ووقعة بدر ، كانا قبل جلاء بنى النضير ، وكلّ أولئك قد ذاقوا وبال أمرهم ، ولم يخصص الله عزّ وجلّ

Marfat.com

منهم بعضا فى تمثيل هؤلاء بهم دون بعض ، وكلّ ذائق وبال أمره ، فمن قربت مدته منهم قبلهم ، فهم ممثلون بهم فيما عُنُوا به من المثل .

وقوله (ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ) يقول : نالهم عقاب الله على كفرهم به :

وقوله (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) يقول : ولهم فى الآخرة مع مانالهم فى الدنيا من الخزى عذاب أليم ، يعنى : موجع .

وقوله (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ ، فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىءٌ مِنْكَ إِنِّى أَخَافُ اللهَ رَبَّ العَالَمِينَ) يقول تعالى ذكره : مثل هؤلاء المنافقين الذين وعدوا اليهود من النضير النصرة ، إن قوتلوا ، أو الخروج معهم إن أُخرجوا ، ومثل النضير فى غرورهم إياهم بإخلافهم الوعد ، وإسلامهم إياهم عند شدّة حاجتهم إليهم ، وإلى نُصرتهم إياهم : كمثل الشيطان الذى غرّ إنسانا ، ووعده على اتباعه وكفره بالله ، النصرة عند الحاجة إليه ، فكفر بالله واتبعه وأطاعه ، فلما احتاج إلى نُصرته أسلمه وتبرأ منه ، وقال له : « إنى أخاف الله ربّ العالمين » فى نُصرتك .

وقد اختلف أهل التأويل فى الإنسان الذى قال الله جلّ ثناؤه (إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ) هو إنسان بعينه ، أم أريد به المثل لمن فعل الشيطان ذلك به ، فقال بعضهم : عُنِى بذلك إنسان بعينه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : ثنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، قال : سمعت عبد الله بن نهيك ، قال : سمعت عليا رضى الله عنه يقول : « إن راهبا تعبّد ستين سنة ، وإن الشيطان أراده فأعياه ، فعمد إلى امرأة فأجنها ، ولها إخوة ، فقال لإخوتها : عليكم بهذا القسّ فيداويها ، فجاءوا بها ، قال : فداواها ، وكانت عنده ؛ فبينما هو يوما عندها إذ أعجبته ، فأتاها فحملت ، فعمد إليها فقتلها ، فجاء إخوتها ، فقال الشيطان للراهب : أنا صاحبك ، إنك أعييتنى ، أنا صنعت بك هذا فأطعنى أنجك مما صنعتُ بك ، اسجد لى سجدة ، فسجد له ؛ فلما سجد له قال : إنى برىء منك : « إنى أخاف الله ربّ العالمين » فذلك قوله (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىءٌ مِنْكَ إِنِّى أَخَافُ اللهَ رَبَّ العَالَمِينَ) .

حدثنى يحيى بن إبراهيم المسعودى ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن عمارة ، عن عبد الرحمن بن زيد ، عن عبد الله بن مسعود فى هذه الآية (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىءٌ مِنْكَ إِنِّى أَخَافُ اللهَ رَبَّ العَالَمِينَ) قال : كانت امرأة ترعى الغنم ، وكان لها أربعة إخوة ، وكانت تأوى بالليل إلى صومعة راهب ، قال : فنزل الراهب ففجر بها ؛ فحملت ؛ فأتاه الشيطان ، فقال له اقتلها ثم ادفنها ، فإنك رجل مصدّق يسمع كلامك ، فقتلها ثم دفنها ؛ قال : فأتى الشيطان إخوتها فى المنام ، فقال لهم : إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم ؛ فلما أحبلها قتلها ، ثم دفنها فى مكان كذا وكذا ؛ فلما أصبحوا قال رجل منهم : والله لقد رأيت البارحة رؤيا وما أدرى أقصها عليكم

Marfat.com

أم أترك ؟ قالوا : لا ، بل قُصَّها علينا ؛ قال : فقصها ، فقال الآخر : وأنا والله لقد رأيت ذلك ؛ قالوا : فما هذا إلا لشىء ، فانطلقوا فاستعدَوْا مَلِكَهُم على ذلك الراهب ، فأتَوه فأنزلوه ، ثم انطلقوا به ، فلقيه الشيطان فقال : إنى أنا الذى أوقعتك فى هذا ولن ينجيك منه غيرى فاسجد لى سجدة واحدة وأنا أنجيك مما أوقعتك فيه ؛ قال : فسجد له ؛ فلما أتَوا به ملكَهم تبرأ منه ، وأُخِذ فقتل » .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (كَمَثَلِ الشَّيْطانِ إذْ قالَ للإنْسانِ اكْفُرْ) . . . إلى (وَذَلكَ جَزاءُ الظَّالِمِينَ) قال عبد الله بن عباس : كان راهب من بنى إسرائيل يعبد الله فيحسن عبادته ، وكان يُؤتَى من كلّ أرض فيُسئل عن الفقه ، وكان عالما ، وإن ثلاثة إخوة كانت لهم أخت حسنة من أحسن الناس ، وإنهم أرادوا أن يسافروا ، فكبر عليهم أن يخلفوها ضائعة ، فجعلوا يأتمرون ما يفعلون بها ؛ فقال أحدهم : أدلكم على من تتركونها عنده ؟ قالوا : من هو ؟ قال : راهب بنى إسرائيل ، إن ماتت قام عليها ، وإن عاشت حفظها حتى ترجعوا إليه ؛ فعمدوا إليه فقالوا : إنا نريد السفر ، ولا نجد أحدا أوثق فى أنفسنا ، ولا أحفظ لما وُلِّىَ منك لما جعل عندك ، فإن رأيت أن نجعل أختنا عندك فإنها ضائعة شديدة الوجع ، فإن ماتت فقم عليها ، وإن عاشت فأصلح إليها حتى نرجع ، فقال : أكفيكم إن شاء الله ؛ فانطلقوا فقام عليها فداواها حتى بَرَأت ، وعاد إليها حسنها ، فاطلع إليها فوجدها متصنعة ، فلم يزل به الشيطان يزين له أن يقع عليها حتى وقع عليها ، فحملت ، ثم ندمه الشيطان فزين له قتلها ؛ قال : إن لم تقتلها افتضحت وعرف شبهك فى الولد ، فلم يكن لك معذرة ، فلم يزل به حتى قتلها ؛ فلما قدم إخوتها سألوه مافعلت ؟ قال : ماتت فدفنتها ، قالوا : قد أحسنتَ ، ثم جعلوا يرون فى المنام ، ويخبرون أن الراهب هو قتلها ، وأنها تحت شجرة كذا وكذا ، فعمدوا إلى الشجرة فوجدوها تحتها قد قتلت ، فعمدوا إليه فأخذوه ، فقال له الشيطان : أنا زيَّنت لك الزنا وقتلها بعد الزنا ، فهل لك أن أنجيك ؟ قال : نعم ، قال : أفتطيعنى ؟ قال : نعم ، قال : فاسجد لى سجدة واحدة ، فسجد له ثم قتل ، فذلك قوله (كَمَثَلِ الشَّيْطانِ إذْ قالَ للإنْسانِ اكْفُرْ ، فَلَمَّا كَفَرَ قالَ إنِّى بَرِىءٌ مِنْكَ) الآية»

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : «كان رجل من بنى إسرائيل عابدا ، وكان ربما داوى المجانين ، فكانت امرأة جميلة ، فأخذها الجنون ، فجىء بها إليه ، فتركت عنده ، فأعجبته ، فوقع عليها فحملت ، فجاءه الشيطان فقال : إن عُلِم بهذا افتضحت ، فاقتلها وادفنها فى بيتك ، فقتلها ودفنها ، فجاء أهلها بعد ذلك بزمان يسألونه ، فقال : ماتت ، فلم يتهموه لصلاحه فيهم ، فجاءهم الشيطان فقال : إنها لم تمت ، ولكنه وقع عليها فقتلها ودفنها فى بيته فى مكان كذا وكذا ، فجاء أهلها ، فقالوا : ما نتهمك ، فأخبرنا أين دفنتها ، ومن كان معك ، فوجدوها حيث دفنها ، فأُخذ وسُجن ، فجاءه الشيطان فقال : إن كنت تريد أن أخرجك مما أنت فيه فتخرج منه ، فاكفر بالله ، فأطاع الشيطان ، وكفر بالله ، فأُخذ وقُتل ، فتبرأ الشيطان منه حينئذ ، قال : فما أعلم هذه الآية إلا نزلت فيه

Marfat.com

(كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ ، إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) » .

وقال آخرون : بل عُنِيَ بذلك الناس كلهم ، وقالوا : إنما هذا مثل ضُرِب للنضير في غرور المنافقين إياهم :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ) عامّة الناس .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : فكان عُقبى أمر الشيطان والإنسان الذى أطاعه ، فكفر بالله أنهما خالدان فى النار ماكثان فيها أبدا (وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ) يقول : وذلك ثواب اليهود من النضير والمنافقين الذين وعدوهم النصرة ، وكلُّ كافر بالله ظالم لنفسه على كفره به أنهم فى النار مخلَّدون .

واختلف أهل العربية فى وجه نصب قوله (خَالِدَيْنِ فِيهَا) فقال بعض نحويِّى البصرة : نصب على الحال ، وفى النار الخبر ؛ قال : ولو كان فى الكلام لكان الرفع أجود فى « خالدين » قال : وليس قولهم : إذا جئت مرّتين [1] فهو نصب لشيء ، إنما فيها توكيد جئت بها أو لم تجئ بها فهو سواء ، إلا أن العرب كثيرا ما تجعله حالا إذا كان فيها للتوكيد وما أشبهه فى غير مكان ؛ قال (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا) . وقال بعض نحويى الكوفة : فى قراءة عبد الله بن مسعود : (فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَانِ فِي النَّارِ) ؛ قال : وفى أنهما فى النار خالدين فيها نصب ؛ قال : ولا أشتهى الرفع وإن كان يجوز ، فإذا رأيت الفعل بين صفتين قد عادت إحداهما على موضع الأخرى نصبت ، فهذا من ذلك ؛ قال : ومثله فى الكلام قولك : مررت برجل على نابه متحملا به ؛ ومثله قول الشاعر :

والزَّعْفَرَانُ عَلَى تَرَائِبِهَا ... شَرِقًا بِهِ اللَّبَّاتُ وَالنَّحْرُ [2]

(١) تحرر هذه العبارة فإن فيها من التحريف والتصحيف مالا يخفى .

(٢) البيت فى (اللسان : ترب) غير منسوب . والرواية فيه « شرق » بالرفع . والمؤلف أورده منصوبا ، وأعربه حالا والزعفران : مما يستعمله العرب فى الطيب وزينة النساء . والترائب : موضع القلادة من الصدر . واللبات : جمع لبة ، وهى موضع النحر . والثغرة ثغرة النحر ، وهى الهزمة بين الترقوتين . وقال : « والزعفران . . . البيت » . والبيت من شواهد الفراء فى معانى

Marfat.com

لأن التراتب هي اللبات هاهنا ، فعادت الصفة باسمها الذى وقعت عليه ، فإذا اختلفت الصفتان جاز الرفع والنصب على حُسْن ، من ذلك قولك : عبدالله فى الدار راغب فيك ، ألا ترى أن « فى » التى فى الدار مخالفة لفى التى تكون فى الرغبة ؛ قال : والحجة مايُعرف به النصب من الرفع أن لاترى الصفة الآخرة تتقدم قبل الأولى ألا ترى أنك تقول : هذا أخوك فى يده درهم قابضا عليه ، فلو قلت : هذا أخوك قابضا عليه فى يده درهم لم يجز ، ألا ترى أنك تقول : هذا رجل قائم إلى زيد فى يده درهم ، فهذا يدل على أن المنصوب إذا امتنع تقديم الآخر ، ويدل على الرفع إذا سهل تقديم الآخر .

وقوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ) يقول تعالى ذكره : ياأيها الذين صدّقوا الله ووحدوه ، اتقوا الله بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه .

وقوله (وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ماقَدَّمَتْ لِغَدٍ) يقول : ولينظر أحدكم ما قدّم ليوم القيامة من الأعمال ، أمن الصالحات التى تنجيه أم من السيئات التى توبقه ؟

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ) : مازال ربكم يقرّب الساعة حتّى جعلها كغد ، وغدٌ يوم القيامة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ماقَدَّمَتْ لِغَدٍ) يعنى يوم القيامة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ) يعنى يوم القيامة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، وقرأ قول الله عزّ وجلّ (وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ) يعنى يوم القيامة الخير والشرّ ؛ قال : والأمس فى الدنيا ، وغدٌ فى الآخرة ، وقرأ (كَأنْ لَمْ تَغْنَ بالأمْسِ) قال : كأن لم تكن فى الدنيا .

وقوله (وَاتَّقُوا اللهَ) يقول : وخافوا الله بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه (إنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) يقول : إن الله ذو خبرة وعلم بأعمالكم خيرها وشرّها ، لايخفى عليه منها شىء ، وهو مجازيكم على جميعها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾

يقول تعالى ذكره : ولاتكونوا كالذين تركوا أداء حقّ الله الذى أوجبه عليهم (فأنْساهُمْ أنْفُسَهُمْ) يقول : فأنساهم الله حظوظ أنفسهم من الخيرات .

= القرآن (الورقة ٣٣٠) قال عند قوله تعالى : فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها » : وهى فى قراءة عبد الله بن مسعود « خالدان فى النار » ، وفى قراءتنا « خالدين فيها » نصب ، ولا أشتهى الرفع وإن كان يجوز . وقد نقل المؤلف كلام الفراء كله فى توضيح المسألة ، على مذهب أهل الكوفة ، فنكتفى بهذه الإشارة هنا .

Marfat.com

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (نَسُوا اللهَ فأنساهُمْ أنفُسَهُمْ) قال : نسُوا حقّ الله ، فأنساهم أنفسَهم ؛ قال : حظّ أنفسهم :

وقوله : (أُولئكَ هُمُ الفاسقون) يقول جل ثناؤه : هؤلاء الذين نسوا الله ، هم الفاسقون ، يعنى الخارجون من طاعة الله إلى معصيته .

القول في تأويل قوله تعالى:

لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾

ﷺ يقول تعالى ذكره : لايعتدل أهل النار وأهل الجنة ، أهل الجنة هم الفائزون ، يعنى أنهم المُدركون ما طلبوا وأرادوا ، الناجون مما حذروا .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

ﷺ وقوله (لَوْ أنزَلْنا هذَا القرآنَ عَلى جَبَل لرأيتَهُ خاشِعا مُتَصَدّعا من خَشْيَةِ اللهِ) يقول جلّ ثناؤه : لو أنزلنا هذا القرآن على جبل ، وهو حجر ، لرأيته يامحمد خاشعا : يقول : متذللا ، متصدّعا من خشية الله على قساوته ، حذرا من أن لايؤدّى حقّ الله المفترض عليه فى تعظيم القرآن ، وقد أنزل على ابن آدم وهو بحقه مستخفٌّ ، وعنه ، عما فيه من العِبَر والذكر مُعْرِض ، كأن لم يسمعها ، كأن فى أذنيه وقرا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (لَوْ أنزَلْنا هذَا القرآنَ على جَبَلٍ لرأيتَهُ خاشِعا مُتَصَدّعا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ) . . . إلى قوله (لعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) قال : يقول : لو أنى أنزلت هذا القرآن على جبل حملته إياه تصدّع وخشع من ثِقله ، ومن خشية الله ، فأمر الله عزّ وجلّ الناس إذا أنزل عليهم القرآن ، أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع ، قال : (كَذلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأمْثالَ لِلنّاسِ لعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَوْ أنزَلْنا هذَا القرآنَ عَلى جَبَلٍ لرأيتَهُ خاشِعا مُتَصَدّعا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ) . . . الآية ، يعذر الله الجبل الأصمّ ، ولم يعذر شقيّ ابن آدم ، هل رأيتم أحدا قطّ تصدّعت جوانحه من خشية الله (وَتِلْكَ الأمْثالُ نَضْرِبُها للنّاسِ) يقول

Marfat.com

تعالى ذكره : وهذه الأشياء نشبهها للناس ، وذلك تعريفه جلّ ثناؤه إياهم أن الجبال أشدّ تعظيما لحقه منهم مع قساوتها وصلابتها .

وقوله (لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) يقول : يضرب الله لهم هذه الأمثال ليتفكروا فيها ، فينيبوا ، وينقادوا للحق .

القول في تأويل قوله تعالى :

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى ذكره : الذى يتصدّع من خشيته الجبل أيها الناس ، هو المعبود الذى لاتنبغى العبادة والألوهية إلا له ،عالم غيب السموات والأرض ، وشاهد مافيهما مما يرى ويحسّ (هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) يقول : هو رحمن الدنيا والآخرة ، رحيم بأهل الإيمان به .

القول في تأويل قوله تعالى :

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾

يقول تعالى ذكره : هو المعبود الذى لاتصلح العبادة إلا له ، الملك الذى لاملك فوقه ، ولا شىء إلا دونه ، القدّوس ، قيل : هو المبارك .

وقد بيَّنت فيما مضى قبل معنى التقديس بشواهده ، وذكرت اختلاف المختلفين فيه بما أغنى عن إعادته.

ذكر من قال : عُنِى به المبارك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (القُدُّوسُ) : أى المبارك .

وقوله (السَّلامُ) يقول : هو الذى يسلم خلقه من ظلمه ، وهو اسم من أسمائه .

كما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر، عن قتادة (السَّلامُ) : الله السلام .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيدالله ، يعنى العَتَكى ، عن جابر بن زيد قوله (السَّلامُ) قال : هو الله ، وقد ذكرت الرواية فيما مضى ، وبيَّنت معناه بشواهده ، فأغنى ذلك عن إعادته . وقوله (المُؤْمِنُ) يعنى بالمؤمن : الذى يؤمن خلقه من ظلمه .

وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (المُؤْمِنُ) أمن بقوله أنه حقّ :

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر، عن قتادة (المُؤْمِنُ) أمن بقوله أنه حقّ .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جُوَيبر عن الضحاك (المُؤْمِنُ) قال : المصدق

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (المُؤْمِنُ) قال : المؤمن :

Marfat.com

المصدّق الموقن ، آمن الناس بربهم فسماهم مؤمنين ، وآمن الربّ الكريم لهم بإيمانهم صدّقهم أن يسمى بذلك الاسم .

وقوله (الْمُهَيْمِنُ) اختلف أهل التأويل فى تأويله ؛ فقال بعضهم : المهيمن : الشهيد :

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله : (الْمُهَيْمِنُ) قال : الشهيد ، وقال مرّة أخرى : الأمين .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم قال : ثنا عيسى وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (الْمُهَيْمِنُ) قال : الشهيد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الْمُهَيْمِنُ) قال : أنزل الله عزّ وجلّ كتابا فشهد عليه :

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (الْمُهَيْمِنُ) قال : الشهيد عليه :

وقال آخرون : المهيمن : الأمين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جُويبر ، عن الضحاك (الْمُهَيْمِنُ) الأمين .

وقال آخرون : (الْمُهَيْمِنُ) : المصدّق :

ذكر من قال ذلك

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (الْمُهَيْمِنُ) قال : المصدّق لكلّ ماحدّث ، وقرأ (وَمُهَيْمِنا عَلَيْهِ) قال : فالقرآن مصدّق على ماقبله من الكتب ، والله مصدّق فى كلّ ما حدّث عما مضى من الدنيا ، وما بقى ، وما حدّث عن الآخرة .

وقد بيّنت أولى هذه الأقوال بالصواب فيما مضى قبل فى سورة المائدة بالعلل الدالة على صحته ، فأغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (الْعَزِيزُ) : الشديد فى انتقامه ممن انتقم من أعدائه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الْعَزِيزُ) أى فى نقمته إذا انتقم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (الْعَزِيزُ) فى نقمته إذا انتقم .

وقوله (الْجَبَّارُ) يعنى : المصلح أمور خلقه ، المصرفهم فيما فيه صلاحهم . وكان قتادة يقول : جبر خلقه على ما يشاء من أمره :

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (الْجَبَّارُ) قال : جَبَرَ خلقه على ما يشاء :

Marfat.com

وقوله (المُتَكَبِّرُ) قيل : عُنِى به أنه تكبر عن كلّ شرّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (المُتَكَبِّرُ) قال : تكبر عن كلّ شر .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر، عن قتادة ، مثله .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا أبو رجاء ، قال: ثنى رجل ، عن جابر ابن زيد ، قال : إن اسم الله الأعظم هو الله ، ألم تسمع يقول : (هوالله الَّذِى لاإلَهَ إلاَّ هُوَ عالِمُ الغَيْبِ والشَّهادَةِ ، هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . هُوَ اللهُ الَّذِى لاإلَهَ إلاَّ هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) يقول : تنزيها لله وتبرئة له عن شرك المشركين به .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : هوالمعبود الخالق ، الذىلامعبود تصلح له العبادة غيره ، ولا خالق سواه ، البارئ الذى برأ الخلق ، فأوجدهم بقدرته ، المصوّر خلقه كيف شاء ، وكيف يشاء .

وقوله (لَهُ الأسْماءُ الحُسْنَى) يقول تعالى ذكره : لله الأسماء الحسنى ، وهى هذه الأسماء التى سمى الله بها نفسه ، التى ذكرها فى هاتين الآيتين (يُسَبِّحُ لَهُ ما فى السَّمَوَاتِ والأرْضِ) يقول: يسبح له جميع ما فىالسموات والأرض ، ويسجد له طوعا وكرها (وَهُوَ العَزِيزُ) يقول : وهو الشديد الانتقام من أعدائه (الحَكِيمُ) فى تدبيره خلقه ، وصرفهم فيما فيه صلاحهم .

آخر تفسير سورة الحشر

Marfat.com

(٦٠) سورة الممتحنة مدنية
وآياتها ثلاث عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝١﴾

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوّي) من المشركين (وَعَدُوَّكُمْ أَوْلياءَ) يعني أنصارا.

وقوله (تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بالمَوَدَّةِ) يقول جلّ ثناؤه: تلقون إليهم مودّتكم إياهم، ودخول الباء في قوله (بالمَوَدَّةِ) وسقوطها سواء، نظير قول القائل: أريد بأن تذهب، وأريد أن تذهبَ سواء، وكقوله (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحادٍ بِظُلْمٍ) والمعنى: ومن يرد فيه إلحادا بظلم؛ ومن ذلك قول الشاعر:

فَلَمَّا رَجَتْ بالشُّرْبِ هَزَّ لَهَا العَصَا ... شَحِيحٌ لَهُ عِنْدَ الإزاءِ نَهِيمُ[1]

بمعنى: فلما رجت الشرب.

(وقد كَفَرُوا بِمَا جاءَكُمْ مِنَ الحَقِّ) يقول: وقد كفر هؤلاء المشركون الذين نهيتكم أن تتخذوهم أولياء بما جاءكم من عند الله من الحقّ، وذلك كفرهم بالله ورسوله وكتابه الذي أنزله على رسوله.

وقوله (يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا باللهِ رَبِّكُمْ) يقول جلّ ثناؤه: يخرجون رسول الله صلى الله عليه وسلم وإياكم، بمعنى: ويخرجونكم أيضا من دياركم وأرضكم، وذلك إخراج مشركي قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكة.

وقوله (أنْ تُؤْمِنُوا باللهِ رَبِّكُمْ) يقول جلّ ثناؤه: يخرجون الرسول وإياكم من دياركم، لأن آمنتم بالله.

---

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٣٣٠) عند قوله تعالى «تلقون إليهم بالمودة». قا : دخول الباء في المودة وسقوطها سواء، هذا بمنزلة أظن أنك قائم، وبأنك قائم، وأريد أن تذهب، وأريد بأن تقوم. وقد قال الله: «ومن يرد فيه بإلحاد بظلم» فأدخل الباء. والمعنى: ومن يرد فيه إلحادا، أنشدني أبو الجراح: «فلما رجت بالشرب . . . البيت» معناه: فلما رجت أن تشرب. اهـ. والإزاء: الحوض الذي تشرب منه الإبل. والنهيم صوت زجر وتوعد. وقد سبق استشهاد المؤلف بالبيت في سورة الحج عند قوله تعالى «ومن يرد فيه بإلحاد» الجزء (١٧ : ١٣٩). ووقع في متن البيت هناك «الأداء» في موضع «الإزاء» هنا، خطأ مطبعيا، فلتصلح الكلمة كما هنا «الإزاء» وهو الحوض.

Marfat.com

وقوله (إنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهاداً فِي سَبِيلي وَابْتِغاءَ مَرْضاتي) من المؤخر الذى معناه التقديم ، ووجه الكلام : يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوّى وعدوّكم أولياء تلقون إليهم بالمودّة وقد كفروا بما جاءكم من الحقّ إن كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى ، وابتغاء مرضاتى (يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم) . ويعنى بقوله تعالى ذكره : (إنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهاداً فِي سَبِيلي) : إن كنتم خرجتم من دياركم ، فهاجرتم منها إلى مهاجَركم للجهاد فى طريقى الذى شرعته لكم ، ودينى الذى أمرتكم به ، والتماس مرضاتى .

وقوله (تُسِرُّونَ إلَيْهِمْ بِالمَوَدَّةِ) يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : تسرّون أيها المؤمنون بالمودّة إلى المشركين بالله (وأنا أعْلَمُ بِمَا أخْفَيْتُمْ) يقول : وأنا أعلم منكم بما أخفى بعضكم من بعض ، فأسره منه (وَمَا أعْلَنْتُمْ) يقول : وأعلم أيضا منكم ما أعلنه بعضكم لبعض (وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) يقول جلّ ثناؤه : ومن يسرّ منكم إلى المشركين بالمودّة أيها المؤمنون فقد ضلّ : يقول : فقد جار عن قصد السبيل التى جعلها الله طريقا إلى الجنة ومحجة إليها .

وذُكر أن هذه الآيات من أوّل هذه السورة نزلت فى شأن حاطب بن أبى بَلتعة ، وكان كتب إلى قُريش بمكة يطلعهم على أمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخفاه عنهم ، وبذلك جاءت الآثار والرواية عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبيد بن إسماعيل الهبارىّ ، والفضل بن الصباح قالا : ثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار عن حسن بن محمد بن علىّ ، أخبرنى عبيد الله بن أبى رافع ، قال : سمعت عليا رضى الله عنه يقول : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزُّبير بن العوّام والمقداد ، قال الفضل ، قال سفيان : نفر من المهاجرين فقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فإن بها ظعينة معها كتاب ، فخذوه منها ؛ فانطلقنا تتعادى بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة ، فوجدنا امرأة ، فقلنا : أخرجى الكتاب ، قالت : ليس معى كتاب ، قلنا : لتخرجنّ الكتاب ، أو لنلقينّ الثياب ، فأخرجته من عقاصها ، وأخذنا الكتاب ؛ فانطلقنا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا فيه : من حاطب بن أبى بلتعة إلى ناس بمكة ، يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا حاطِبُ ما هَذَا ؟ قال : يارسول الله لاتعجل علىّ ، كنت امرأ ملصقا فى قريش ، ولم يكن لى فيهم قرابة ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات ، يحمون أهليهم بمكة ، فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب أن أتخذ فيها يدا يحمون بها قرابتى ، وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن دينى ، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عله وسلم : قَدْ صَدَقَكُمْ ، فقال عمر : يا رسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق ، فقال : إنَّه قَدْ شَهِدَ بَدْراً ، وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ قَدِ اطَّلَعَ على أهْلِ بَدْرٍ فَقال : اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ » زاد الفضل

Marfat.com

فى حديثه ، قال سفيان : ونزلت فيه (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أوْلِياءَ) . . . إلى قوله (حَتَّى تُؤْمِنُوا بالله وَحْدَهُ) .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى سنان سعيد بن سنان ، عن عمرو بن مرّة الجملى ، عن أبى البخترى الطائى ، عن الحارث ، عن علىّ رضى الله عنه قال : « لما أراد النبىّ صلى الله عليه وسلم أن يأتى مكة ، أسرّ إلى ناس من أصحابه أنه يريد مكة ، فيهم حاطب بن أبى بلتعة ، وأفشى فى الناس أنه يريد خيبر ، فكتب حاطب بن أبى بلتعة إلى أهل مكة أن النبىّ صلى الله عليه وسلم يريدكم ، قال : فبعثنى النبىّ صلى الله عليه وسلم وأبا مرثد وليس منا رجل إلا وعنده فرس ، فقال : ائتُوا رَوْضَةَ خاخ ، فإنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بِها امْرأةً وَمَعَها كِتاب ، فَخُذُوهُ مِنْها ؛ فانطلقنا حتى رأيناها بالمكان الذى ذكر النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقلنا : هاتى الكتاب ، فقالت : مامعى كتاب ، فوضعنا متاعها وفتشنا ، فلم نجده فى متاعها ، فقال أبو مرثد : لعله أن لايكون معها ، فقلت : ماكَذَبَ النبىّ صلى الله عليه وسلم ولاكَذَبَ ، فقلنا : أخرجى الكتاب ، وإلا عريناك ، قال عمرو بن مرّة ، فأخرجته من حجزتها ، وقال حبيب : أخرجته من قبلها ، فأتينا به النبىّ صلى الله عليه وسلم فإذا الكتاب : من حاطب بن أبى بلتعة إلى أهل مكة ، فقام عمر فقال : خان الله ورسوله ، ائذن لى أضرب عنقه ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : ألَيْسَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا ؟ قال : بلى ؛ ولكنه قد نكث وظاهر أعداءك عليك ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : فَلَعَلَّ اللهَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أهْلِ بَدْرٍ ، فَقالَ اعْمَلُوا ماشِئْتُمْ ، ففاضت عينا عمر وقال : الله ورسوله أعلم ، فأرسل إلى حاطب ، فقال : ما حملك على ماصنعت ؟ فقال : يا نبىّ الله إنى كنت امرأ ملصقا فى قريش ، وكان لى بها أهل ومال ، ولم يكن من أصحابك أحد إلا وله بمكة من يمنع أهله وماله ، فكتبت إليهم فذلك ، والله يانبىّ الله إنى لمؤمن بالله وبرسوله ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : صَدَقَ حاطِبُ بْنُ أبى بَلْتَعَةَ ، فَلا تَقُولُوا لِحاطِبَ إلاَّ خَيْرًا ، فقال حبيب بن أبى ثابت : فأنزل الله عزّ وجلّ (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ) . . . الآية » .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، «قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أوْلِياءَ تُلْقُونَ إلَيْهِمْ بالمَوَدَّةِ) . . . إلى آخر الآية . نزلت فى رجل كان مع النبىّ صلى الله عليه وسلم بالمدينة من قريش ، كتب إلى أهله وعشيرته بمكة ، يخبرهم وينذرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سائر إليهم ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصحيفته ، فبعث إليها علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فأتاه بها » .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزُّبير ، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا ، قالوا : لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى مكة كتب حاطب بن أبى بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر فى السير إليهم ، ثم أعطاه امرأة يزعم محمد بن جعفر أنها من مزينة ، وزعم غيره أنها سارة مولاة لبعض بنى عبد المطلب

Marfat.com

وجعل لها جُعْلا، على أن تبلغه قريشا ، فجعلته فى رأسها ، ثم فتلت عليه قرونها ، ثم خرجت ، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب ، فبعث عليّ بن أبى طالب والزُّبير بن العوّام رضى الله عنهما ، فقال : أدرِكا امْرأةً قَدْ كَتَبَ مَعَهَا حاطِبٌ بكِتاب إلى قُرَيْش يُحذِّرُهُمْ ما قَدِ اجْتَمَعْنا لَهُ فى أمْرِهِمْ ، فخرجا حتى أدركاها بالحليفة ، حليفة ابن أبى أحمد فاستنزلاها فالتمسا فى رحلها ، فلم يجدا شيئا ، فقال لها عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه : إنى أحلف بالله ما كَذَبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كُذِبنا ، ولتخرجِنّ إليّ هذا الكتاب ، أولنكشفنك ؛ فلما رأت الجدّ منه ، قالت : أعرض عنى ، فأعرض عنها ، فحلّت قرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب فدفعته إليه فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا ، فقال : ياحاطب ماحَمَلَكَ على هَذَا فقال : يا رسول الله ، أما والله إنى لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيرت ولا بدّلت ، ولكنى كنت امرأ فى القوم ليس لى أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم أهل وولد ، فصانعتهم عليه ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : دعنى يا رسول الله فلأضرب عنقه ، فإن الرجل قد نافق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وَما يُدْرِيكَ يا عُمَرُ لَعَلّ اللهَ قَدِ اطَّلَعَ على أصحاب بَدْرٍ يَوْمَ بَدْرٍ فَقالَ : اعْمَلُوا ما شِئْتُم فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ ، فأنزل الله عزّ وجلّ فى حاطب (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أوْلِياءَ) . . . إلى قوله (وَإلَيْكَ أنَبْنا) . . . إلى آخر القصة » .

حدثنا ابن عبد الأعلى قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن عروة قال : « لما أنزلت : (يا أيُّها الَّذِين آمنُوا لا تتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعدُوَّكُمْ أوْلِياءَ) فى حاطب بن أبى بلتعة ، كتب إلى كفار قريش كتابا ينصح لهم فيه ، فأطلع الله نبيه عليه الصلاة والسلام على ذلك ، فأرسل عليا والزُّبير ، فقال : اذْهَبا فإنَّكُما سَتَجِدَانِ امْرأةً بِمكانِ كَذَا وكَذَا ، فأْتِيا بكِتاب مَعَها ، فانطلقا حتى أدركاها ، فقالا : الكتاب الذى معك ، قالت : ليس معى كتاب ، فقالا : والله لا ندع معك شيئا إلا فتّشناه ، أو تخرجينه ، قالت : أولستم مسلمين ؟ قالا : بلى ، ولكن النبيّ صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن معك كتابا قد أيقنت أنفسنا أنه معك ؛ فلما رأت جدّهما أخرجت كتابا من بين قرونها ، فذهبا به إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فإذا فيه : من حاطب بن أبى بلتعة إلى كفار قريش ، فدعاه النبيّ صلى الله عليه وسلم فقل : أنْتَ كَتَبْتَ هَذَا الكِتاب ؟ قال : نعم ، قال : ما حَمَلَكَ على ذَلكَ ؟ قال : أما والله ما ارتبت فى الله منذ أسلمت ، ولكنى كنت امرأ غريبا فيكم أُيها الحيّ من قريش ، وكان لى بمكة مال وبنون ، فأردت أن أدفع بذلك عنهم ، فقال عمر رضى الله عنه : ائذن لى يارسول الله فأضرب عنقه ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : مَهْلاً يا ابْنَ الخَطَّاب ، وما يُدْرِيكَ لَعَلَّ الله قَدِ اطَّلَعَ إلى أهْل بَدْرٍ فَقالَ : اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ فأنى غافِرٌ لَكُمْ ، قال الزهرىّ : فيه نزلت حتى (غَفُورٌ رَحِيمٌ) » .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ

Marfat.com

أوْلِياءَ) . . . إلى قوله (بِما تعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فى مكاتبة حاطب بن أبى بلتعة ، ومن معه كفار قريش يحذرهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد عن قتادة ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَتَّخِذُوا عَدُوِّى وعَدُوَّكُمْ أوْلِياءَ) . . . حتى بلغ (سَوَاءَ السَّبِيلِ) . ذُكر لنا أن حاطبا كتب إلى أهل مكة يخبرهم سير النبىّ صلى الله عليه وسلم إليهم زمن الحديبية ، فأطلع الله عزّوجلّ نبيه عليه الصلاة والسلام على ذلك . وذُكر لنا أنهم وجدوا الكتاب مع امرأة فى قرن من رأسها ، فدعاه نبىّ الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما حَمَلَكَ على الذى صَنَعْتَ ؟ قال : والله ما شَكَكْتُ فى أمر الله ، ولا ارتددت فيه ، ولكن لى هناك أهلا ومالا ، فأردت مصانعة قريش على أهلى ومالى : وذُكر لنا أنه كان حليفا لقريش لم يكن من أنفسهم ، فأنزل الله عزّ وجلّ فى ذلك القرآن ، فقال (إنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أعْداءً ويَبْسُطُوا إلَيْكُمْ أيْدِيَهُمْ وألْسِنَتَهُمْ بالسُّوءِ ، وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ۝ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝

❁ يقول تعالى ذكره : إن يثقفكم هؤلاء الذين تسرّون أيها المؤمنون إليهم بالمودّة ، يكونوا لكم حربا وأعداء (وَيَبْسُطُوا إلَيْكُمْ أيْدِيَهُمْ) بالقتال (وألْسِنَتَهُمْ بالسُّوءِ) .

وقوله (وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ) يقول : وتمنوا لكم أن تكفروا بربكم ، فتكونوا على مثل الذى هم عليه .

وقوله (لَنْ تَنْفَعَكُمْ أرْحامُكُمْ وَلا أوْلادُكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ) يقول تعالى ذكره : لايدعونكم أرحامكم وقراباتكم وأولادكم إلى الكفر بالله ، واتخاذ أعدائه أولياء تلقون إليهم بالمودّة ، فإنه لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم عند الله يوم القيامة ، فتدفع عنكم عذاب الله يومئذ ، إن أنتم عصيتموه فى الدنيا ، وكفرتم به :

وقوله (يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ) يقول جلّ ثناؤه : يفصل ربكم أيها المؤمنون بينكم يوم القيامة بأن يدخل أهل طاعته الجنة ، وأهل معاصيه والكفر به النار .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة ومكة والبصرة (يُفْصَلُ بَيْنَكُمْ) بضم الياء وتخفيف الصاد وفتحها ، على ما لم يسمّ فاعله : وقرأه عامة قرّاء الكوفة خلاعاصم بضم الياء وتشديد الصاد

Marfat.com

وكسرها [١] بمعنى : يفصل الله بينكم أيها القوم . وقرأه عاصم بفتح الياء وتخفيف الصاد وكسرها ، بمعنى يفصل الله بينكم . وقرأ بعض قرّاء الشام (يُفَصَّلُ) بضم الياء وفتح الصاد وتشديدها على وجه ما لم يسم فاعله .

وهذه القراءات متقاربات المعاني صحيحات فى الإعراب ، فبأيتها قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) يقول جلّ ثناؤه : والله بأعمالكم أيها الناس ذو علم وبصر ، لا يخفى عليه منها شيء ، هو بجميعها محيط ، وهو مجازيكم بها إن خيرا فخير ، وإن شرّا فشرّ ، فاتقوا الله فى أنفسكم واحذروه .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَٰهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد كان لكم أيها المؤمنون أُسوة حسنة : يقول : قدوة حسنة فى إبراهيم خليل الرحمن ، تقتدون به ، والذين معه من أنبياء الله .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قول الله عزّ وجلّ (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِى إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ) قال : الذين معه الأنبياء .

وقوله (إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ) يقول : حين قالوا لقومهم الذين كفروا بالله ، وعبدوا الطاغوت : أيها القوم إنا برآء منكم ، ومن الذين تعبدون من دون الله من الآلهة والأنداد .

وقوله (كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ العَدَاوَةُ وَالبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ) يقول جلّ ثناؤه مخبرا عن قيل أنبيائه لقومهم الكفرة : كفرنا بكم ، أنكرنا ما كنتم عليه من الكفر بالله وجحدنا عبادتكم ما تعبدون من دون الله أن تكون حقا ، وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا على كفركم بالله ، وعبادتكم ماسواه ، ولا صلح بيننا ولا هوادة ، حتى تؤمنوا بالله وحده ، يقول : حتى تصدّقوا بالله وحده ، فتوحدوه ، وتفردوه بالعبادة :

وقوله (إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ، وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ) يقول تعالى ذكره : قد كانت لكم أُسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه فى هذه الأمور التى ذكرناها من مباينة الكفار ومعاداتهم ، وترك موالاتهم إلا فى قول إبراهيم لأبيه (لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ) فإنه لا أسوة لكم فيه

(١) فى الأصل : وضمها ، وهو خطأ من الناسخ .

Marfat.com

فى ذلك ، لأن ذلك كان من إبراهيم لأبيه عن موعدة وعدها إياه قبل أن يتبين له أنه عدوّ الله ؛ فلما تبين له أنه عدوّ لله تبرأ منه : يقول تعالى ذكره : فكذلك أنتم أيها المؤمنون بالله ، فتبرّءوا من أعداء الله من المشركين به ولا تتخذوا منهم أولياء حتى يؤمنوا بالله وحده ويتبرّءوا عن عبادة ماسواه وأظهروا لهم العداوة والبغضاء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إلاَّ قَوْلَ إبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ) قال : نهوا أن يتأسَّوْا باستغفار إبراهيم لأبيه ، فيستغفروا للمشركين .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى جعفر ، عن مطرِّف الحارثى ، عن مجاهد: (أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِى إبْرَاهِيمَ) . . . إلى قوله (لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ) يقول : فى كلّ أمره أسوة ، إلا الاستغفار لأبيه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِى إبْرَاهِيمَ) . . . الآية ، ائتسوا به فى كلّ شىء ، ما خلا قوله لأبيه (لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ) فلا تأتسوا بذلك منه ، فإنها كانت عن موعدة وعدها إياه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (إلاَّ قَوْلَ إبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ) يقول : لاتأسوا بذلك فإنه كان عليه موعدا ، وتأسوا بأمره كله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله عزّ وجلّ (قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) . . . إلى قوله (إلاَّ قَوْلَ إبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ) قال : يقول : ليس لكم فى هذا أُسوة .

ويعنى بقوله (وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ شَىْءٍ) يقول : وما أدفع عنك من الله من عقوبة ، إن الله عاقبك على كفرك به ، ولا أُغْنى عنك منه شيئا :

وقوله (رَبَّنا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنا) يقول جلّ ثناؤه مخبرا عن قيل إبراهيم وأنبيائه صلوات الله عليهم : (رَبَّنا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنا ، وَإلَيْكَ أَنَبْنا) يعنى : وإليك رجعنا بالتوبة مما تكره إلى ماتحبّ وترضى (وَإلَيْكَ المَصِيرُ) يقول : وإليك مصيرنا ومرجعنا يوم تبعثنا من قبورنا ، وتحشرنا فى القيامة إلى موقف العرْض .

القول في تأويل قوله تعالى :

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾

Marfat.com

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل إبراهيم خليله والذين معه : ياربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا بك فجحدوا وحدانيتك ، وعبدوا غيرك ، بأن تسلطهم علينا ، فيروا أنهم على حق ، وأنا على باطل ، فتجعلنا بذلك فتنة لهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا) قال لاتعذبنا بأيديهم ، ولا بعذاب من عندك ، فيقولوا : لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا) قال : يقول : لاتظهرهم علينا فيفتتنوا بذلك ، يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحق هم عليه .

حدثنى على ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا) يقول : لاتسلطهم علينا فيفتنونا .

وقوله (وَاغْفِرْ لَنا رَبَّنا) يقول : واستر علينا ذنوبنا بعفوك لنا عنها يا ربنا ، (إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) يعنى الشديد الانتقام ممن انتقم منه ، الحكيم : يقول الحكيم فى تدبيره خلقه ، وصرفه إياهم فيما فيه صلاحهم .

وقوله(لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) يقول تعالى ذكره لقد كان لكم أيها المؤمنون قدوة حسنة فى الذين ذكرهم إبراهيم والذين معه من الأنبياء صلوات الله عليهم والرسل (لِمَنْ كانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ) يقول : لمن كان منكم يرجو لقاء الله ، وثواب الله ، والنجاة فى اليوم الآخر .

وقوله(وَمَنْ يَتَوَلَّ فإنَّ اللهَ هُوَ الغَنِيُّ الْحَمِيدُ) يقول تعالى ذكره : ومن يتول عما أمره الله به وندبه إليه منكم ومن غيركم ، فأعرض عنه وأدبر مستكبرا ، ووالى أعداء الله ، وألقى إليهم بالمودة ، فإن الله هو الغنى عن إيمانه به ، وطاعته إياه ، وعن جميع خلقه ، الحميد عند أهل المعرفة بأياديه ، وآلائه عندهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

* عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾

Marfat.com

❊ يقول تعالى ذكره : عسى الله أيها المؤمنون أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم من أعدائي من مشركي قريش مودّة ، ففعل الله ذلك بهم ، بأن أسلم كثير منهم ، فصاروا لهم أولياء وأحزابا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (عَسَى اللهُ أنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً) قال : هؤلاء المشركون قد فعل ، قد أدخلهم في السلم وجعل بينهم مودّة حين كان الإسلام حين الفتح :

وقوله (وَاللهُ قَدِيرٌ) يقول : والله ذو قدرة على أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم من المشركين مودّة (وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول : والله غفور لخطيئة من ألقى إلى المشركين بالمودّة إذا تاب منها ، رحيم بهم أن يعذّبهم بعد توبتهم منها :

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (عَسَى اللهُ أنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً ، وَاللهُ قَدِيرٌ) على ذلك (وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يغفر الذنوب الكثيرة ، رحيم بعباده .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ ⑧

❊ يقول تعالى ذكره : (لايَنْهاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ) من أهل مكة (وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أنْ تَبَرُّوهُمْ ، وَتُقْسِطُوا إلَيْهِمْ) يقول وتعدلوا فيهم بإحسانكم إليهم ، وبرّكم بهم .

واختلف أهل التأويل في الذين عُنُوا بهذه الآية ، فقال بعضهم : عُنِي بها : الذين كانوا آمنوا بمكة ولم يهاجروا ، فأذن الله للمؤمنين ببرّهم والإحسان إليهم :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (لايَنْهاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ) أن تستغفروا لهم ، و(تبرّوهم ، وتقسطوا إليهم) ؛ قال : وهم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا .

Marfat.com

وقال آخرون : عُنِى بها من غير أهل مكة مَنْ لم يهاجر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن إبراهيم الأنماطىّ ، قال : ثنا هارون بن معروف ، قال : ثنا بشر بن السرىّ ، قال : ثنا مصعب بن ثابت ، عن عمه عامر بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، قال : نزلت فى أسماء بنت أبى بكر ، وكانت لها أمّ فى الجاهلية يقال لها قُتَيلة ابنة عبدالعزّى ، فأتتها بهدايا وصناب وأقط وسمن ، فقالت : لاأقبل لك هدية ، ولاتدخلى علىّ حتى يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرت ذلك عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله (لايَنْهاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِى الدِّين . . . إلى قوله (المُقْسِطِينَ) .

قال : ثنا إبراهيم بن الحجاج ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، قال : ثنا مصعب بن ثابت ، عن عامر ابن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، قال : قَدِمتْ قُتَيلة بنت عبدالعزّى بن سعد من بنى مالك بن حِسْل على ابنتها أسماء بنت أبى بكر ، فذكر نحوه :

وقال آخرون : بل عُنِى بها من مشركى مكة من لم يقاتل المؤمنين ، ولم يخرجوهم من ديارهم ؛ قال : ونسخ الله ذلك بعدُ بالأمر بقتالهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : وسألته عن قول الله عزّ وجلّ : (لايَنْهاكُمُ اللهُ) . . . الآية ، فقال : هذا قد نسخ ، نَسَخه القتال ، أمروا أن يرجعوا إليهم بالسيوف ، ويجاهدوهم بها ، يضربونهم ، وضرب الله لهم أجلَ أربعة أشهر ، إما المذابحة ، وإما الإسلام .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (لايَنْهاكُمُ اللهُ) . . . الآية ، قال : نسخها (اقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : عُنِى بذلك : لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، من جميع أصناف الملل والأديان أن تبرّوهم وتصلوهم ، وتقسطوا إليهم ، إن الله عزّ وجلّ عمّ بقوله (الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِى الدِّينِ ، وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ) جميع من كان ذلك صفته ، فلم يخصص به بعضا دون بعض ، ولا معنى لقول من قال : ذلك منسوخ ، لأن برّ المؤمن من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب ، أو ممن لاقرابة بينه وبينه ولا نسب غير محرّم ولا منهىّ عنه إذا لم يكن فى ذلك دلالة له ، أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام ، أو تقوية لهم بكُراع أو سلاح : قد بين صحة ما قلنا فى ذلك ، الخبر الذى ذكرناه عن ابن الزبير فى قصة أسماء وأمها .

وقوله (إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ) يقول : إن الله يحبّ المنصفين الذين ينصفون الناس ، ويعطونهم الحقّ والعدل من أنفسهم ، فيبرّون من برّهم ، ويُحسنون إلى من أحسن إليهم .

Marfat.com

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ⑨

يقول تعالى ذكره: (إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ) أيها المؤمنون (عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ) من كفار أهل مكة (وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ، وَظَاهَرُوا على إِخْرَاجِكُمْ، أَنْ تَوَلَّوْهُمْ) يقول: وعاونوا من أخرجكم من دياركم على إخراجكم أن تولوهم، فتكونوا لهم أولياء ونصراء (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ) يقول: ومن يجعلهم منكم أو من غيركم أولياء (فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) يقول: فأولئك هم الذين تولوا غير الذي يجوز لهم أن يتولوهم، ووضعوا ولايتهم في غير موضعها، وخالفوا أمر الله في ذلك.

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله (الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ) قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ) قال: كفار أهل مكة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ﴾

يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ) النساء (الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ) من دار الكفر إلى دار الإسلام (فَامْتَحِنُوهُنَّ) وكانت محنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهن إذا قدمن مهاجرات.

كما حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا يونس بن بكير، عن قيس بن الربيع، عن الأغرّ بن الصباح، عن خليفة بن حصين، عن أبي نصر الأسديّ، قال: سُئل ابن عباس: كيف كان امتحان رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء؟ قال: كان يمتحنهنّ: بالله ماخرجت من بغض زوج، وبالله ماخرجت رغبة عن أرض إلى أرض، وبالله ماخرجت التماس دنيا، وبالله ما خرجت إلا حبا لله ورسوله.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا الحسن بن عطية، عن قيس، قال: أخبرنا الأغر بن الصباح، عن خليفة بن حصين، عن أبي نصر، عن ابن عباس في (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ) قال كانت المرأة إذا أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم حلفها بالله ماخرجت ... ثم ذكر نحوه.

Marfat.com

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهريّ ، أن عائشة قالت : « ماكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحن المؤمنات إلا بالآية ، قال الله (إذَا جاءَكَ المُؤْمِناتُ يُبايِعْنَكَ على أنْ لايُشْرِكْنَ باللهِ شَيْئًا) ولا ، ولا » .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرنى عروة بن الزبير ، أن عائشة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم قالت : كانت المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحنّ بقول الله (ياأيُّها النَّبِيُّ إذَا جاءَكَ المُؤْمِناتُ يُبايِعْنَكَ) . . . إلى آخر الآية ، قالت عائشة : فمن أقرّ بهذا من المؤمنات ، فقد أقرّ بالمحنة ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقررن بذلك من قولهنّ قال لهنّ : انطلقن فقد بايعتكنّ ، ولا والله ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة قطّ ، غير أنه بايعهنّ بالكلام ؛ قالت عائشة : والله ما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على النساء قطّ ، إلا بما أمره الله عزّ وجلّ ، وكان يقول لهنّ إذا أخذ عليهنّ قد بايعتكنّ كلاما .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ) . . . إلى قوله (عَلِيمٌ حَكِيمٌ) كان امتحانهنّ أن يشهدن أن لاإله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فامْتَحِنُوهُنَّ) قال : سلوهنّ ما جاء بهنّ فإن كان جاء بهنّ ، غضب على أزواجهنّ ، أو سخطة ، أوغيره ، ولم يؤمنّ ، فارجعوهنّ إلى أزواجهنّ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة « (فامْتَحِنُوهُنَّ) كانت محنتهنّ أن يستحلفن بالله ما أخرجكنّ النشوز ، وما أخرجكنّ إلا حبّ الإسلام وأهله ، وحِرْصٌ عليه ، فإذا قلن ذلك قُبل ذلك منهنّ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فامْتَحِنُوهُنَّ) قال : يحلفن ما خرجن إلا رغبة فى الإسلام ، وحبا لله ورسوله .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبيه أو عكرمة (إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِرَاتٍ فامْتَحِنُوهُنَّ) قال : يقال : ما جاء بك إلا حبّ الله ، ولا جاء بك عشق رجل منا ، ولا فرارا من زوجك ، فذلك قوله (فامْتَحِنُوهُنَّ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : « كانت المرأة من المشركين إذا غضبت على زوجها ، وكان بينه وبينها كلام ، قالت : والله لأهاجرنّ إلى محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فقال الله عزّ وجلّ (إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ فامْتَحِنُوهُنَّ) إن كان الغضب أتى بها فردّوها ، وإن كان الإسلام أتى بها فلا تردّوها » .

Marfat.com

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى عمرو بن الحارث ، عن بكير بن الأشجّ ، قال : كان امتحانهنّ إنه لم يخرجك إلا الدين .

وقوله (اللهُ أعْلَمُ بإيمَانِهِنّ) يقول : الله أعلم بإيمان من جاء من النساء مهاجرات إليكم .

وقوله (فإنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إلى الكُفَّارِ) يقول : فإن أقررن عند المحنة بما يصحّ به عقد الإيمان لهنّ ، والدخول فى الإسلام ، فلاتردّوهنّ عند ذلك إلى الكفار . وإنما قيل ذلك للمؤمنين ، لأن العهد كان جرى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين مشركى قريش فى صلح الحديبية أن يردّ المسلمون إلى المشركين من جاءهم مسلما ، فأبطل ذلك الشرط فى النساء إذا جئن مؤمنات مهاجرات فامتحنّ ، فوجدهنّ المسلمون مؤمنات ، وصحّ ذلك عندهم مما قد ذكرنا قبل ، وأمروا أن لايردّوهنّ إلى المشركين إذا علم أنهنّ مؤمنات ، وقال جل ثناؤه لهم (فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إلى الكُفَّارِ ، لاهُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ) يقول : لاالمؤمنات حلّ للكفار ولا الكفار يحلون للمؤمنات .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاءت الآثار :

ذكر بعض ماروى فى ذلك من الأثر

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهرىّ ، قال : « دخلت على عُرْوة بن الزُّبير ، وهو يكتب كتابا إلى ابن أبى هُنيد صاحب الوليد بن عبدالملك ، وكتب إليه يسأله عن قول الله عزّ وجلّ (إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِرَاتٍ) . . . إلى قوله (وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) وكتب إليه عُرْوة ابن الزُّبير : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان صالح قريشا عام الحديبية على أن يردّ عليهم من جاء بغير إذن وليه ؛ فلما هاجر النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الإسلام ، أبى الله أن يُرْدَدْن إلى المشركين ، إذا هنّ امتُحِنّ محنة الإسلام ، فعرفوا أنهنّ إنما جئن رغبة فيه » .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

❊ وقوله (وآتُوهُمْ ما أنْفَقُوا) يقول جل ثناؤه : وأعطوا المشركين الذين جاءكم نساؤهم مؤمنات إذا علمتموهنّ مؤمنات ، فلم ترجعوهنّ إليهم ما أنفقوا فى نكاحهم إياهنّ من الصداق .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

Marfat.com

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِرَاتٍ) . . . إلى قوله (عَلِيمٌ حَكِيمٌ) قال : كان امتحانهن أن يشهدن أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، فإذا علموا أن ذلك حق منهن لم يرجعوهن إلى الكفار ، وأعطى بعلها من الكفار الذين عقد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم صداقه الذى أصدقها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (وآتُوهُمْ ما أنْفَقُوا) وآتوا أزواجهن صدقاتهن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِرَاتٍ فامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أعْلَمُ بإيمَانِهِنَّ) حتى بلغ (وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) هذا حكم حكمه الله عز وجل بين أهل الهدى وأهل الضلالة ، كن إذا فررن من المشركين الذين بينهم وبين نبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عهد إلى أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم فتزوجوهن بعثوا مهورهن إلى أزواجهن من المشركين الذين بينهم وبين نبي الله صلى الله عليه وسلم عهد ، وإذا فررن من أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين الذين بينهم وبين نبي الله صلى الله عليه وسلم عهد بعثوا بمهورهن إلى أزواجهن من أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، قال : نزلت عليه وهو بأسفل الحديبية ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم صالحهم أنه من أتاه منهم رده إليهم ؛ فلما جاءه النساء نزلت عليه هذه الآية ، وأمره أن يرد الصداق إلى أزواجهن حكم على المشركين مثل ذلك إذا جاءتهم امرأة من المسلمين أن يردوا الصداق إلى أزواجهن فقال (وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ) .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فامْتَحِنُوهُنَّ ، اللهُ أعْلَمُ بإيمَانِهِنَّ) كان نبي الله صلى الله عليه وسلم عاهد من المشركين ومن أهل الكتاب ، فعاهدهم وعاهدوه ، وكان فى الشرط أن يردوا الأموال والنساء ، فكان نبي الله إذا فاته أحد من أزواج المؤمنين ، فلحق بالمعاهدة تاركا لدينه مختارا للشرك ، رد على زوجها ما أنفق عليها ، وإذا لحق بنبي الله صلى الله عليه وسلم أحد من أزواج المشركين امتحنها نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فسألها ما أخرجك من قومك ، فإن وجدها خرجت تريد الإسلام قبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورد على زوجها ما أنفق عليها ، وإن وجدها فرت من زوجها إلى آخر بينها وبينه قرابة ، وهى متمسكة بالشرك ردها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زوجها من المشركين .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِرَاتٍ فامْتَحِنُوهُنَّ) . . . الآية كلها ، قال : لما هادن رسول الله

Marfat.com

صلى الله عليه وسلم المشركين « كان فى الشرط الذى شرط أن ترد إلينا من أتاك منا ، ونردّ إليك من أتانا منكم ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : مَنْ أتانا مِنْكُمْ فَنَرُدُّهُ إلَيْكُمْ ، وَمَنْ أتاكُمْ مِنّا فاخْتارَ الكُفْرَ على الإيمَانِ فَلا حاجَةَ لَنا فِيهِمْ ، قال : فأبى الله ذلك للنبىّ صلى الله عليه وسلم فى النساء ، ولم يأبه للرجال ، فقال الله عزّ وجلّ (إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ فامْتَحِنُوهُنَّ) . . . إلى قوله (وآتُوهُمْ ما أنْفَقُوا) أزواجهنّ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عمرو بن الحارث ، عن بكير بن الأشجّ ، قال كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين هدنة فيمن فرّ من النساء ، فإذا فرّت المشركة أعطى المسلمون زوجها نفقته عليها وكان المسلمون يفعلون وكان إذا لم يعط هؤلاء ولا هؤلاء أخرج المسلمون للمسلم الذى ذهبت امرأته نفقتها .

وقوله (وَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ أنْ تَنْكِحُوهُنَّ إذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) يقول تعالى ذكره : ولا حرج عليكم أيها المؤمنون أن تنكحوا هؤلاء المهاجرات اللاتى لحقن بكم من دار الحرب مفارقات لأزواجهنّ ، وإن كان لهنّ أزواج فى دار الحرب إذا علمتموهنّ مؤمنات إذا أنتم أعطيتموهنّ أجورهن ، ويعنى بالأجور : الصَّدُقات . وكان قتادة يقول : كنّ إذا فررن من المشركين الذين بينهم وبين نبىّ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عهد إلى أصحاب نبىّ الله صلى الله عليه وسلم فتزوّجوهنّ ، بعثوا بمهورهنّ إلى أزواجهنّ من المشركين الذين بينهم وبين أصحاب نبىّ الله صلى الله عليه وسلم عهد :

حدثنا بذلك بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، وكان الزهرىّ يقول : إنما أمر الله بردّ صداقهنّ إليهم إذا حُبِسن عنهم إن هم ردّوا المسلمين على صداق من حبسوا عنهم من نسائهم :

حدثنا بذلك ابن حُمَيد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهرىّ . حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ أنْ تَنْكِحُوهُنَّ) ولها زوج ثَمّ ، لأنه فرق بينهما الإسلام إذا استبرأتن أرحامهنّ .

وقوله (وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ) يقول جلّ ثناؤه للمؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تمسكوا أيها المؤمنون بحبال النساء الكوافر وأسبابهنّ ، والكوافر : جمع كافرة ، والعصم : جمع عصمة ، وهى ما اعتصم به من العقد والسبب وهذا نهى من الله للمؤمنين عن الإقدام على نكاح النساء المشركات من أهل الأوثان ، وأمر لهم بفراقهنّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا يحيى بن سعيد القطان . قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهرىّ ، عن عروة ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم « أن النبىّ صلى الله عليه وسلم جاءه نسوة مؤمنات بعد أن كتب كتاب القضية بينه وبين قريش ، فأنزل الله (يا أيُّها الَّذِينَ

Marfat.com

آمَنُوا إذا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِرَاتٍ) حتى بلغ (بِعِصَمِ الكَوَافِرِ) فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له بالشرك ، فتزوّج إحداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : « بلغنا أن آية المحنة التي مادّ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم كفار قريش من أجل العهد الذي كان بين كفار قريش وبين النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يردّ إلى كفار قريش ما أنفقوا على نسائهم اللاتي يسلمن ويهاجرن ، وبعولتهنّ كفار للعهد الذي كان بين النبيّ صلى الله عليه وسلم وبينهم ، ولو كانوا حربا ليست بينهم وبين النبيّ صلى الله عليه وسلم مدّة ، وعقد لم يردّ عليهم شيئا مما أنفقوا ، وحكم الله للمؤمنين على أهل المدّة من الكفار بمثل ذلك ، قال الله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِرَاتٍ) حتى بلغ (وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) فطلق المؤمنون حين أنزلت هذه الآية كلّ امرأة كافرة كانت تحت رجل منهم ، فطلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأته ابنة أبي أُمية بن المغيرة من بني مخزوم فتزوّجها معاوية بن أبي سفيان ، وابنة جرول من خزاعة ، فتزوّجها أبوجهم بن حذافة العَدَوِيّ ، وجعل الله ذلك حكما حكم به بين المؤمنين والمشركين في هذه المدة التي كانت :

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وقال الزهريّ : لما نزلت هذه الآية (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ) . . . إلى قوله (وَلا تُمْسِكُوا بِعَصِمِ الكَوَافِرِ) كان ممن طلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأته قريبة ابنة أبي أمية بن المغيرة ، فتزوّجها بعده معاوية بن أبي سفيان ، وهما على شركهما بمكة ، وأم كلثوم ابنة جرول الخزاعية أم عبد الله بن عمر ، فتزوّجها أبوجهم ابن حُذافة بن غانم رجل من قومه ، وهما على شركهما ؛ وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو التيمي كانت عنده أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب ، ففرّق بينهما الإسلام حين نهى القرآن عن التمسك بعصم الكوافر ، وكان طلحة قد هاجر وهي بمكة على دين قومها ، ثم تزوّجها في الإسلام بعد طلحة خالد ابن سعيد بن العاص بن أُمية بن عبد شمس . وكان ممن فرّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نساء الكفار ممن لم يكن بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فحبسها وزوّجها رجلا من المسلمين أميمة بنت بشر الأنصارية ، ثم إحدى نساء بني أمية بن زيد من أوس الله ، كانت عند ثابت بن الدحداحة ، ففرّت منه ، وهو يومئذ كافر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم سهل بن حنيف أحد بني عمرو بن عوف ، فولدت عبد الله بن سهل .

حدثني ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهريّ ، قال الله : (وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ) قال الزهريّ : فطلق عمر امرأتين كانتا له بمكة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ) قال : أصحاب محمد أُمروا بطلاق نسائهم كوافر بمكة ، قعدن مع الكفار .

Marfat.com

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوافِرِ) مشركات العرب اللاتى يأبين الإسلام أُمِرَ أن يُخَلَّى سبيلهن :

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوافِرِ) إذا كفرت المرأة فلا تمسكوها ، خلوها ، وقعت الفرقة بينها وبين زوجها حين كفرت .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَلا تُمْسِكُوا) فقرأ ذلك عامة قرّاء الحجاز والمدينة والكوفة والشأم، (وَلا تُمْسِكُوا) بتخفيف السين. وقرأ ذلك أبو عمرو (وَتُمَسِّكُوا) بتشديدها ، وذكر أنها قراءة الحسن، واعتبر من قرأ ذلك بالتخفيف ، وإمساك بمعروف .

والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان ، ولغتان مشهورتان ، محكى عن العرب أمسكت به ومسكت ، وتمسّكت به .

وقوله (وَاسْأَلُوا ما أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا ما أَنْفَقُوا) يقول تعالى ذكره لأزواج اللواتى لحقن من المؤمنين من دار الإسلام بالمشركين إلى مكة من كفار قريش : واسألوا أيها المؤمنون الذين ذهبت أزواجهم فلحقن بالمشركين ما أنفقتم على أزواجكم اللواتى لحقن بهم من الصداق من تزوّجهن منهم ، وليسألكم المشركون منهم الذين لحق بكم أزواجهم مؤمنات إذا تزوّجن فيكم من تزوّجها منكم ما أنفقوا عليهن من الصداق :

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أقر المؤمنون بحكم الله ، وأدّوا ما أمروا به من نفقات المشركين التى أنفقوا على نسائهم ، وأبى المشركون أن يقرّوا بحكم الله فيما فرض عليهم من أداء نفقات المسلمين .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد، فى قول الله (وَاسْأَلُوا ما أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا ما أَنْفَقُوا) قال : ماذهب من أزواج أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إلى الكفار ، فليعطهم الكفار صدقاتهن ، وليمسكوهن ، وما ذهب من أزواج الكفار إلى أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فمثل ذلك فى صلح كان بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين قريش .

وقوله (ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ) يقول تعالى ذكره : هذا الحكم الذى حكمت بينكم من أمركم أيها المؤمنون بمسألة المشركين ، ما أنفقتم على أزواجكم اللاتى لحقن بهم وأمرهم بمسألتكم مثل ذلك فى أزواجهنّ اللاتى لحقن بكم ، حكم الله بينكم فلا تعتدوه ، فإنه الحقّ الذى لا يسع غيره ، فانتهى المؤمنون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذُكر إلى أمر الله و حكمه ، وامتنع المشركون منه

Marfat.com

وطلبوا الوفاء بالشروط التى كانوا شارطوها بينهم فى ذلك الصلح ، وبذلك جاءت الآثار والأخبار عن أهل السير وغيرهم .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ ، قال : أما المؤمنون فأقرّوا بحكم الله ، وأما المشركون فأبوا أن يقرّوا ، فأنزل الله عزّ وجلّ (وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ) . . . الآية .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهرىّ ، قال : «قال الله : ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يحكم بينكم ، فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ، وردّ الرجال ، وسأل الذى أمره الله أن يسأل من صدقات النساء من حبسوا منهنّ ، وأن يردّوا عليهم مثل الذى يردّون عليهم إن هم فعلوا ، ولولا الذى حكم الله به من هذا الحكم ردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ، كما ردّ الرجال ، ولولا الهدنة والعهد الذى كان بينه وبين قريش يوم الحديبية أمسك النساء ولم يرد إليهم صداقا ، وكذلك يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد ، قوله (وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) يقول جلّ ثناؤه : والله ذو علم بما يصلح خلقه وغير ذلك من الأمور ، حكيم فى تدبيره إياهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

❁ يقول جلّ ثناؤه للمؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَإِنْ فَاتَكُمْ) أيها المؤمنون (شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ) فلحق بهم .

واختلف أهل التأويل فى الكفار الذين عُنُوا بقوله (إلى الكُفَّارِ) من هم ؟ فقال بعضهم : هم الكفار الذين لم يكن بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، قالوا : ومعنى الكلام : وإن فاتكم شيء من أزواجكم ، إلى من ليس بينكم وبينهم عهد من الكفار .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ) الذين ليس بينكم وبينهم عهد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ) إذا فررن من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم إلى كفار ليس بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد .

Marfat.com

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن مجاهد (وَإِنْ فاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الكُفَّارِ) قال : لم يكن بينهم عهد .

وقال آخرون : بل هم كفار قريش الذين كانوا أهل هدنة ، وذلك قول الزهرىّ .

حدثنى بذلك يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس عنه .

وقوله (فَعاقَبْتُمْ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار (فَعاقَبْتُمْ) بالألف على مثال فاعلتم ، بمعنى : أصبتم منهم عقبى . وقرأه حميد الأعرج فيما ذُكر عنه (فَعَقَّبْتُمْ) على مثال فعّلتم مشددة القاف ، وهما فى اختلاف الألفاظ بهما نظير قوله (وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ) وتُصاعِرْ مع تقارب معانيهما .

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين عندى بالصواب فى ذلك قراءة من قرأه (فَعاقَبْتُمْ) بالألف لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

وقوله (فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ ما أَنْفَقُوا) يقول : فأعطوا الذين ذهبت أزواجهم منكم إلى الكفار مثل ما أنفقوا عليهنّ من الصداق .

واختلف أهل التأويل فى المال الذى أمر أن يعطى منه الذى ذهبت زوجته إلى المشركين ، فقال بعضهم : أُمروا أن يعطوهم صداق من لحق بهم من نساء المشركين .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس ، عن الزهرىّ ، قال : أقرّ المؤمنون بحكم الله ، وأدّوا ما أمروا به من نفقات المشركين التى أنفقوا على نسائهم ، وأبى المشركون أن يقرّوا بحكم الله فيما فرض عليهم من أداء نفقات المسلمين ، فقال الله للمؤمنين : (وَإِنْ فاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الكُفَّارِ فَعاقَبْتُمْ ، فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ ما أَنْفَقُوا ، وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ) فلو أنها ذهبت بعد هذه الآية امرأة من أزواج المؤمنين إلى المشركين ، ردّ المؤمنون إلى زوجها النفقة التى أنفق عليها من العقب الذى بأيديهم ، الذى أمروا أن يردّوه على المشركين من نفقاتهم التى أنفقوا على أزواجهم اللاتى آمنّ وهاجرن ، ثم ردّوا إلى المشركين فضلا إن كان بقى لهم ، والعقب : ما كان بأيدى المؤمنين من صداق نساء الكفار حين آمنّ وهاجرن .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ ، قال : أنزل الله (وَإِنْ فاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الكُفَّارِ فَعاقَبْتُمْ ، فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ ما أَنْفَقُوا) فأمر الله المؤمنين أن يردّوا الصداق إذا ذهبت امرأة من المسلمين ولها زوج أن يردّ إليه المسلمون صداق امرأته من صداق إن كان فى أيديهم مما أمروا أن يردّوا إلى المشركين :

وقال آخرون : بل أُمروا أن يعطوه من الغنيمة أو الفىء .

Marfat.com

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : قوله (وَإِنْ فاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلى الكُفَّارِ فَعاقَبْتُمْ ، فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ ما أَنْفَقُوا ، واتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ) يعني : إن لحقت امرأة رجل من المهاجرين بالكفار ، أمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطى من الغنيمة مثل ما أنفق .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، إنهم كانوا أُمروا أن يردّوا عليهم من الغنيمة . وكان مجاهد يقرأ (فَعاقَبْتُمْ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَعاقَبْتُمْ) يقول : أصبتم مغنما من قريش أو غيرهم (فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ ما أَنْفَقُوا) صدقاتهنّ عوضا :

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن مجاهد (وَإِنْ فاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلى الكُفَّارِ) قال : من لم يكن بينهم وبينهم عهد ، فذهبت امرأة إلى المشركين فيدفع إلى زوجها مهر مثلها (فَعاقَبْتُمْ) فأصبتم غنيمة (فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ ما أَنْفَقُوا) وَاتَّقُوا اللهَ قال : مهر مثلها يُدفع إلى زوجها :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنْ فاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلى الكُفَّارِ فَعاقَبْتُمْ ، فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ ما أَنْفَقُوا ، وَاتَّقُوا اللهَ) كنّ إذا فررن من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى الكفار ليس بينهم وبين نبيّ الله عهد ، فأصاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غنيمة ، أعطى زوجها ما ساق إليها من جميع الغنيمة ، ثم يقتسمون غنيمتهم .

حدثني أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : سمعت الكسائيّ يخبر عن زائدة ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق أنه قرأها (فَعاقَبْتُمْ) وفسّرها فغنمتم .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، في قوله (فَعاقَبْتُمْ) قال : غنمتم .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : سألنا الزهريّ ، عن هذه الآية وقول الله فيها (وَإِنْ فاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلى الكُفَّارِ) . الآية ، قال : يقول : إن فات أحدا منكم أهله إلى الكفار ، ولم تأتكم امرأة تأخذون لها مثل الذي يأخذون منكم ، فعوّضوه من فيء إن أصبتموه .

وقال آخرون في ذلك : ما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَإِنْ فاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلى الكُفَّارِ فَعاقَبْتُمْ) قال : خرجت امرأة من أهل الإسلام إلى المشركين ، ولم يخرج غيرها قال : فأتت امرأة من المشركين ، فقال القوم : هذه عُقْبتكم قد أتتكم ، فقال الله (وَإِنْ فاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلى الكُفَّارِ فَعاقَبْتُمْ) : أمسكتم الذي جاءكم منهم من أجل

Marfat.com

الذي لكم عندهم (فآتُوا الَّذِين ذَهَبَتْ أزْوَاجُهُمْ مِثْلَ ما أنفَقُوا) ثم أخبرهم الله أنه لاجناح عليهم إذا فعلوا الذي فعلوا أن ينكحوهنّ إذا استبرئ رحمها ، قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ذهبت امرأته إلى الكفار ، فقال لهذه التي أتت من عند المشركين : هذا زوج التي ذهبت أزوجكه ؟ فقالت : يارسول الله، عذر الله زوجة هذا أن تفرّ منه ، لاوالله مالى به حاجة ، فدعا البختريّ رجلا جسيما ، قال : هذا ؟ قالت : نعم ، وهي ممن جاء من مكة .

❁ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : أمر الله عزّ وجلّ فى هذه الآية المؤمنين أن يعطوا من فرّت زوجته من المؤمنين إلى أهل الكفر إذا هم كانت لهم على أهل الكفر عُقْبَى ،إما بغنيمة يصيبونها منهم ، أو بلحاق نساء بعضهم بهم ، مثل الذي أنفقوا على الفارّة منهم إليهم ، ولم يخصص إيتاءهم ذلك من مال دون مال ، فعليهم أن يعطوهم ذلك من كلّ الأموال التي ذكرناها .

وقوله (وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ) يقول : وخافوا الله الذي أنتم به مصدّقون أيها المؤمنون فاتقوه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه :

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾

❁ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (يا أيُّها النَّبِيُّ إذَا جاءَكَ المُؤْمِناتُ) بالله (يُبايِعْنَكَ علىأنْ لايُشْرِكْنَ باللهِ شَيْئًا ، وَلا يَسْرِقْنَ ، وَلا يَزْنِينَ ، وَلا يَقْتُلْنَ أوْلادَهُنَّ وَلا يأْتِينَ بِبُهْتان يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أيْدِيهِن وأرْجُلُهِنَّ) يقول : ولا يأتين بكذب يكذبنه فى مولود يوجد بين أيديهنّ وأرجلهنّ . وإنما معنى الكلام : ولا يلحقن بأزواجهنّ غير أولادهم .

وبنحو الذي قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أيْدِيهِنَّ وأرْجُلِهِنَّ) يقول : لايلحقن بأزواجهنّ غير أولادهم .

وقوله (وَلا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ) يقول : ولايعصينك يامحمد فى معروف من أمر الله عزّ وجلّ تأمرهنّ به : وذُكر أن ذلك المعروف الذي شرط عليهنّ أن لايعصين رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه هو النياحة .

Marfat.com

ذكر من قال ذلك

حدثنا عليّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ) يقول : لاينُحْنَ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبدالرحمن ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن سفيان ، عن منصور ، عن سالم بن أبي الجعد ، (وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ) ، قال : النوح .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن سالم بن أبي الجعد ، مثله .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن سالم ، مثله .

حدثنا محمد بن عبيد المحاربيّ ، قال : ثنا موسى بن عمير ، عن أبي صالح ، في قوله (وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ) قال : في نياحة .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن سالم بن أبي الجعد (وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ) قال : النوح .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن زيد بن أسلم (وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ) قال : لايخدشن وجها ، ولا يشققن جيبا ، ولا يدعون ويلا ، ولا ينشدن شعرا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : « كانت محنة النساء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : قل لهنّ : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعكنّ على أن لاتشركن بالله شيئا ، وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة التي شقت بطن حمزة رحمة الله عليه متنكرة في النساء ، فقالت : إني إن أتكلم يعرفني ، وإن عرفني قتلني ، وإنما تنكرت فرَقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكت النسوة اللاتي مع هند ، وأبين أن يتكلمن ، فالت هند وهي متنكرة : كيف يقبل من النساء شيئا لم يقبله من الرجال ، فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعمر : قُلْ لَهُنَّ وَلَا يَسْرِقْنَ ، قالت هند : والله إني لأصيب من أبي سفيان الهنات[1] ما أدري أيحلهنّ لي أم لا ، قال أبوسفيان : ما أصبت من شيء مضى ، أو قد بقي ، فهو لك حلال ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها ، فدعاها فأتته ، فأخذت بيده ، فعاذت به ، فقال : أَنْتِ هِنْدٌ ، فقالت : عفا الله عما سلف ، فصرف عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال (وَلَا يَزْنِينَ) فقالت : يارسول الله وهل تزني الحرّة ؟ قال : لا والله ما تَزْنِي الحُرَّةُ ؛ قال : وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ ، قالت هند : أنت قتلتهم يوم بدر فأنت وهم أبصر ؛ قال : وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ، وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ؛ قال : منعهنّ أن ينحن ، وكان أهل الجاهلية يمزّقن الثياب ويخدشن الوجوه ، ويقطّعن الشعور ، ويدعون بالثُّبور والويل » .

حدثنا بشر قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ) حتى بلغ (فَبَايِعْهُنَّ) ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أخذ عليهنّ يومئذ النياحة ،

(١) في ابن كثير (٦ : ٢٠٧) : الهنة ، بالإفراد ، والهنة الشيء اليسير . وجمعها : هنات وهنوات .

Marfat.com

ولا تحدّثن الرجال ، إلا رجلا منكن محرَما ، فقال عبد الرحمن بن عوف : يانبيّ الله إن لنا أضيافا ، وإنا نغيب عن نسائنا ؛ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَيْسَ أُولَئِكَ عَنَيْتُ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ) قال : هو النوح أُخِذ عليهن لاينحن ، ولايخلونّ بحديث الرجال إلا مع ذى مَحْرم ؛ قال : فقال عبد الرحمن ابن عوف : إنا نغيب ويكون لنا أضياف ؛ قال : ليس أولئك عنيت » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : أخبرنا أبوهلال ، قال : ثنا قتادة ، فى قوله (وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ) قال : لايحدثن رجلا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى ابن عياش ، عن سليمان بن سليمان ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : « جاءت أُميمة بنت رقيقة إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم تبايعه على الإسلام ، فقال لها النبيّ صلى الله عليه وسلم : أُبايِعُكِ عَلى أنْ لاتُشْرِكِي بالله شَيْئًا ، وَلا تَسْرِقِي ، وَلا تَزْنِي ، وَلا تَقْتُلِي وَلَدَكِ ، وَلا تَأْتِي بِبُهْتانٍ تَفْتَرِينَهُ بَيْنَ يَدَيْكِ وَرِجْلَيْكِ ، وَلا تَنُوحِي وَلا تبرَّجِي تَبَرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولى » .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن محمد بن المنكدر ، عن أُميمة بنت رقيقة ، قالت : « جاءت نسوة إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم يبايعنه ، فقال : فِيما اسْتَطَعْتُنَّ وأطَقْتُنَّ ، فقلنا : الله ورسوله أرحم بنا منا بأنفسنا » .

حدثنا محمد بن عبد الله بن عبدالحكم ، قال : ثنا أبى وشعيب بن الليث ، عن الليث ، قال : ثنا خالد ابن يزيد ، عن ابن أبى هلال ، عن ابن المنكدر « أن أُمَيمة أخبرته أنها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة ، فقلن : يارسول الله ابسط يدك نصافحك ، فقال : إنّى لا أُصافِحُ النِّساءَ ، وَلَكِنْ سآخُذُ عَلَيْكُنَّ ، فأخذ علينا حتى بلغ (وَلايَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ) فقال فِيما أطَقْتُنَّ وَاسْتَطَعْتُنَّ فقلن : الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا » .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا هارون ، عن عمرو ، عن عاصم ، عن ابن سيرين ، عن أمّ عطية الأنصارية ، قالت : « كان فيما اشترط علينا من المعروف حين بايعنا أن لانوح ، فقالت امرأة من بنى فلان : إن بنى فلان أسعدونى ، فلا حتى أجزيهم ، فانطلقت فأسعدتهم ، ثم جاءت فبايعت ؛ قال : فما وفى منهن غيرها وغير أمّ سليم ابنة ملحان أمّ أنس بن مالك » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا أبونعيم ، قال : ثنا عمرو بن فروخ القتات ، قال : ثنا مصعب بن نوح الأنصاريّ ، قال : « أدركت عجوزا لنا كانت فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : فأتيته لأبايعه ، فأخذ علينا فيما أخذ ولا تَنُحنَ ، فقالت عجوز : يانبيّ الله إن ناسا قد كانوا أسعدونى على مصائب أصابتنى ، وإنهم قد أصابتهم مصيبة ، فأنا أريد أن أسعدهم ؛ قال : فانْطَلِقِي فَكافِئِيهِمْ ، ثم إنها أتت فبايعته ، قال : هو المعروف الذى قال الله (وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ) » .

Marfat.com

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن يزيد ، مولى الصهباء ، عن شهر بن حوشب ، عن أم سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى قوله (وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ) قال : النوح .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا يونس ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن محمد بن المنكدر ، عن أُميمة بنت رقيقة التيمية ، قالت : « بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة من المسلمين ، فقلنا له جئناك يارسول الله نبايعك على أن لانشرك بالله شيئا ، ولانسرقَ ، ولا نزنيَ ، ولانقتلَ أولادنا ، ولانأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيك فى معروف ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما استطعتنّ وأطقتنّ ، فقلنا الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا ، فقلنا : بايعنا يا رسول الله ، فقال : اذْهَبْنَ فَقَدْ بايَعْتُكُنَّ ، إنَّمَا قَوْلِى لِمِئَةِ امْرأةٍ كَقَوْلِى لامْرأةٍ وَاحِدَةٍ ،وما صافح رسول الله صلى الله عليه وسلم منا أحدا » .

حدثنا أبوكُرَيب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، عن عيسى بن عبد الله التميمى ، عن محمد بن المنكدر ، عن أُميمة بنت رقيقة خالة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : سمعتها تقول : « بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ علينا أن لانشرك بالله شيئا ، فذكر مثل حديث محمد بن إسحاق » .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبدالرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن محمد بن المنكدر ، عن أُميمة بنت رقيقة ، قالت : « أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نساء نبايعه ، قالت : فأخذ علينا النبى صلى الله عليه وسلم بما فى القرآن (أنْ لايُشْرِكْنَ باللهِ شَيْئا) . . . الآية ، ثم قال : فيما اسْتَطَعْتُنَّ وأطَقْتُنَّ فقلنا : يا رسول الله ألا تصافحنا ؟ فقال إنِّى لا أُصافِحُ النِّساءَ ما قَوْلِى لامْرأةٍ وَاحِدَةٍ إلاَّ كَقَوْلِى لِمِئَةِ امْرأةٍ » .

حدثنا ابن عبد الرحيم البرقى ، قال : ثنا عمرو بن أبى سلمة ، عن زُهير ، عن موسى بن عقبة ، عن محمد بن المنكدر ، عن أُميمة بنت رقيقة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه .

حُدثت ، عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ) والمعروف : ما اشترط عليهنّ فى البيعة أن يتبعن أمره .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ) فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيه وخيرته من خلقه ثم لم يستحلّ له أمور أمر[1] إلا بشرط لم يقل ولا يعصينك ويترك حتى قال فى معروف : فكيف ينبغى لأحد أن يُطاع فى غير معروف وقد اشترط الله هذا على نبيه ، قال : فالمعروف كلّ معروف أمرهنّ به فى الأمور كلها وينبغى لهنّ أن لايعصين .

حدثنا محمد بن سنان القزاز ، ثنا إسحاق بن إدريس ، ثنا إسحاق بن عثمان بن يعقوب ، قال : ثنى إسماعيل ابن عبدالرحمن بن عطية ، عن جدته أمّ عطية ، قالت : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، جمع بين نساء الأنصار فى بيت ، ثم أرسل إلينا عمر بن الخطاب ، فقام على الباب فسلم علينا ، فرددن ، أو فرددنا

(١) كذا فى الأصل ، ولعله أمر رعيته أمرا إلا بشرط الخ .

Marfat.com

عليه ، ثم قال : أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكن ، قالت : فقلنا مرحبا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبرسول رسول الله ، فقال : تبايعن على أن لاتشركن بالله شيئا ، ولاتسرقن ، ولا تزنين ، قالت : قلنا نعم ؛ قال : فمدّ يده من خارج الباب أو البيت ، ومددنا أيدينا من داخل البيت ، ثم قال : اللهمّ اشهد ؛ قالت : وأمرنا فى العيدين أن نخرج فيه الحيَّض والعواتق ، ولاجمعة علينا ، ونهانا عن اتباع الجنازة ، قال إسماعيل : فسألت جدتى عن قول الله (وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ) قالت : النياحة .

حدثنى محمد بن عبد الرحيم البرقى ، قال : ثنا عمرو بن أبى سلمة ، عن زهير ، فى قول الله (وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ) قال : لايخلو الرجل بامرأة :

وقوله (فَبَايِعْهُنَّ) يقول جلّ ثناؤه : إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على هذه الشروط ، فبايعهن ، (وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ) يقول : سل لهنّ الله أن يصفح عن ذنوبهنّ ، ويسترها عليهنّ بعفوه لهنّ عنها ، (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول : إن الله ذو ستر على ذنوب من تاب إليه من ذنوبه أن يعذّبه عليها بعد توبته منها :

القول فى تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

* يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا لاتَتَوَلَّوْا قَوْما غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ) من اليهود (قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ ، كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ أصحابِ القُبُورِ) .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (قَدْ يَئِسُوا مِنْ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ أصحابِ القُبُورِ) فقال بعضهم : معنى ذلك : قد يئس هؤلاء القوم الذين غضب الله عليهم من اليهود من ثواب الله فى الآخرة ، وأن يبعثوا ، كما يئس الكفار الأحياء من أمواتهم الذين هم فى القبور أن يرجعوا إليهم :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا لاتَتَوَلَّوْا قَوْما غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ) . . . الآية ، يعنى من مات من الذين كفروا ، فقد يئس الأحياء من الذين كفروا أن يرجعوا إليهم ، أو يبعثهم الله .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور بن زاذان ، عن الحسين ، أنه قال فى هذه الآية (قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ مِنَ أصحاب القُبُورِ) قال : الكفار الأحياء قد يئسوا من الأموات .

Marfat.com

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ) يقول : يئسوا أن يُبعثوا كما يئس الكفار أن ترجع إليهم أصحاب القبور الذين ماتوا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ) . . . الآية ، الكافر لا يرجو لقاء ميته ولا أجره .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ أَصْحابِ القُبُورِ) يقول من مات من الذين كفروا فقد يئس الأحياء منهم أن يرجعوا إليهم ، أو يبعثهم الله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : قد يئسوا من الآخرة أن يرحمهم الله فيها ، ويغفر لهم ، كما يئس الكفار الذين هم أصحاب قبور قد ماتوا وصاروا إلى القبور من رحمة الله وعفوه عنهم في الآخرة ، لأنهم قد أيقنوا بعذاب الله لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، في هذه الآية (قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ أَصْحابِ القُبُورِ) قال : أصحاب القبور الذين في القبور قد يئسوا من الآخرة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ أَصْحابِ القُبُورِ) قال : من ثواب الآخرة حين تبين لهم عملهم ، وعاينوا النار .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة أنه قال في هذه الآية (قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ) . . . الآية ، قال : أصحاب القبور قد يئسوا من الآخرة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : قال الكلبي : قد يئسوا من الآخرة ، يعني يعني اليهود والنصارى ، يقول : قد يئسوا من ثواب الآخرة وكرامتها ، كما يئس الكفار الذين قد ماتوا فهم في القبور من الجنة حين رأوا مقعدهم من النار .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً) . . . الآية ، قال : قد يئس هؤلاء الكفار من أن تكون لهم آخرة ، كما يئس الكفار الذين ماتوا الذين في القبور من أن تكون لهم آخرة ، لما عاينوا من أمر الآخرة ، فكما يئس أولئك الكفار ، كذلك يئس هؤلاء الكفار ؛ قال : والقوم الذين غضب الله عليهم ، يهود هم الذين يئسوا من أن تكون لهم آخرة ، كما يئس الكفار قبلهم من أصحاب القبور ، لأنهم قد علموا كتاب الله وأقاموا على الكفر به ، وما صنعوا وقد علموا .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، في قوله (يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ) . . . الآية ،

Marfat.com

قال : قد يئسوا أن يكون لهم ثواب الآخرة ، كما يئس من فى القبور من الكفار من الخير ، حين عاينوا العذاب والهوان .

* وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب قول من قال : قد يئس هؤلاء الذين غضب الله عليهم من اليهود من ثواب الله لهم فى الآخرة ، وكرامته لكفرهم وتكذيبهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم على علم منهم بأنه لله نبىّ ، كما يئس الكفار منهم الذين مضوا قبلهم فهلكوا ، فصاروا أصحاب القبور ، وهم على مثل الذى هؤلاء عليه من تكذيبهم عيسى صلوات الله عليه وغيره من الرسل ، من ثواب الله وكرامته إياهم .

وإنما قلنا : ذلك أولى القولين بتأويل الآية ، لأن الأموات قد يئسوا من رجوعهم إلى الدنيا ، أو أن يُبعثوا قبل قيام الساعة المؤمنون والكفار ، فلا وجه لأن يخصّ بذلك الخبر عن الكفار ، وقد شركهم فى الإياس من ذلك المؤمنون .

آخر تفسير سورة الممتحنة

(٦١) سورة الصف مدنية وآياتها أربع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ ﴾

* يقول جلّ ثناؤه : (سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِي السَّمَوَاتِ) السبع (وَمَا فِي الأرْضِ) من الخلق ، مُذعنين له بالألوهة والربوبية (وَهُوَ العَزِيزُ) فى نقمته ممن عصاه منهم ، فكفر به ، وخالف أمره (الْحَكِيمُ) فى تدبيره إياهم .

وقوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ) يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين آمنوا صدّقوا الله ورسوله ، لم تقولون القول الذى لا تصدّقونه بالعمل ، فأعمالكم مخالفة أقوالكم (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ) يقول : عظم مقتا عند ربكم قولكم ما لا تفعلون .

واختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله أُنزلت هذه الآية ، فقال بعضهم : أُنزلت توبيخا من الله لقوم من المؤمنين ، تمنوا معرفة أفضل الأعمال ، فعرّفهم الله إياه ، فلما عرفوا قصروا ، فعوتبوا بهذه الآية .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ) قال : كان ناس من المؤمنين قبل أن يُفرض الجهاد يقولون :

Marfat.com

لو ددنا أن الله دلنا على أحبّ الأعمال إليه ، فنعمل به ، فأخبر الله نبيه أن أحبّ الأعمال إليه إيمان بالله لاشكّ فيه ، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقرّوا به ؛ فلما نزل الجهاد ، كره ذلك أُناس من المؤمنين ، وشقّ عليهم أمره ، فقال الله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لاتفعَلُونَ) :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لاتَفْعَلُونَ ؟ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أنْ تَقُولُوا مالاتَفْعَلُونَ) قال : كان قوم يقولون : والله لو أنا نعلم ما أحبّ الأعمال إلى الله لعملناه ، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مالاتَفْعَلُونَ ؟ كَبُرَ مَقْتًا) . . . إلى قوله (بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ) فدلهم على أحبّ الأعمال إليه .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن محمد بن جحادة ، عن أبي صالح ، قال : قالوا لو كنا نعلم أيّ الأعمال أحبّ إلى الله وأفضل ،فنزلت (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أدُلُّكُمْ على تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذابٍ ألِيمٍ) فكرهوا،فنزلت (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لاتفعَلُونَ) :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (لِمَ تَقُولُونَ ما لاتَفْعَلُونَ) : : : إلى قوله (مَرْصُوصٌ) فيما بين ذلك في نفر من الأنصار فيهم عبد الله بن رواحة ، قالوا في مجلس : لونعلم أيّ الأعمال أحبّ إلى الله لعملنا بها حتى نموت ، فأنزل الله هذا فيهم ، فقال عبد الله بن رواحة : لاأزال حبيسا في سبيل الله حتى أموت ، فقُتل شهيدا .

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية في توبيخ قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان أحدهم يفتخر بالفعل من أفعال الخير التي لم يفعلها ، فيقول فعلت كذا وكذا ، فعذلهم الله على افتخارهم بما لم يفعلوا كذبا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (لِمَ تَقُولُونَ ما لاتَفْعَلُونَ) قال : بلغني أنها كانت في الجهاد ، كان الرجل يقول : قاتلت وفعلت ، ولم يكن فعل ، فوعظهم الله في ذلك أشدّ الموعظة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله(ياأيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لاتَفْعَلُونَ) يؤذنهم ويعلمهم كما تسمعون (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ) وكانت رجال تخبر في القتال بشيء لم يفعلوه ولم يبلغوه ، فوعظهم الله في ذلك موعظة بليغة ، فقال(يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لاتَفْعَلُونَ) . . . إلى قوله (كأنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ) .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله

Marfat.com

(لِمَ تَقُولُونَ مالاتَفْعَلُونَ) أنزل الله هذا فى الرجل يقول فى القتال ما لم يفعله من الضرب والطعن والقتل، قال الله (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أنْ تَقُولُوا ما لاتَفْعَلُونَ).

وقال آخرون: بل هذا توبيخ من الله لقوم من المنافقين، كانوا يَعِدُونَ المؤمنين النصر وهم كاذبون.

ذكر من قال ذلك

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قول الله (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أنْ تَقُولُوا ما لاتَفْعَلُونَ) يقولون للنبىّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه: لو خرجتم خرجنا معكم، وكنا فى نصركم، وفى، وفى؛ فأخبرهم أنه (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أنْ تَقُولُوا ما لاتفعلُونَ).

** وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال: عنى بها الذين قالوا: لو عرفنا أحبّ الأعمال إلى الله لعملنا به، ثم قصروا فى العمل بعد ما عرفوا.

وإنما قلنا: هذا القول أولى بها، لأن الله جلّ ثناؤه خاطب بها المؤمنين، فقال (يا أيُّها الّذِينَ آمَنُوا) ولو كانت نزلت فى المنافقين لم يسموْا، ولم يوصفوا بالإيمان، ولو كانوا وصفوا أنفسهم بفعل ما لم يكونوا فعلوه، كانوا قد تعمدوا قيل الكذب، ولم يكن ذلك صفة القوم، ولكنهم عندى أمَّلوا بقولهم: لو علمنا أحبّ الأعمال إلى الله عملناه أنهم لو علموا بذلك عملوه؛ فلما علموا ضعفت قوى قوم منهم، عن القيام بما أملوا القيام به قبل العلم، وقوى آخرون فقاموا به، وكان لهم الفضل والشرف.

واختلف أهل العربية فى معنى ذلك، وفى وجه نصب قوله (كَبُرَ مَقْتًا) فقال بعض نحويى البصرة: قال (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ): أى كبر مقتكم مقتا، ثم قال (أنْ تَقُولُوا ما لاتَفْعَلُونَ): أذى قولكم. وقال بعض نحويى الكوفة: قوله (يا أيُّها الّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لاتَفْعَلُونَ): كان المسلمون يقولون: لو نعلم أىّ الأعمال أحبّ إلى الله لأتيناه، ولو ذهبت فيه أنفسنا وأموالنا؛ فلما كان يوم أُحد، نزلوا عن النبىّ صلى الله عليه وسلم حتى شُجّ، وكُسرت رباعيته، فقال (لِمَ تَقُولُونَ ما لاتَفْعَلُونَ)، ثم قال: (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ) كبر ذلك مقتا: أى فأن فى موضع رفع، لأن كبر كقوله: بئس رجلا أخوك.

وقوله (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الّذِينَ آمَنُوا) أُضْمِرَ فى كبر اسم يكون مرفوعا.

** والصواب من القول فى ذلك عندى أن قوله (مَقْتًا) منصوب على التفسير، كقول القائل: كبر قولا هذا القول.

القول فى تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾

** يقول تعالى ذكره للقائلين: لو علمنا أحبّ الأعمال إلى الله لعملناه حتى نموت: (إنّ اللهَ) أيها القوم

Marfat.com

(يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ) كأنهم ، يعني في طريقه ودينه الذي دعا إليه (صَفًّا) يعني بذلك أنهم يقاتلون أعداء الله مصطفين :

وقوله (كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) يقول : يقاتلون في سبيل الله صفا مصطفا ، كأنهم في اصطفافهم هنالك حيطان مبنية قد رص ، فأحكم وأتقن ، فلا يغادر منه شيئا ، وكان بعضهم يقول : بني بالرصاص .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثناسعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) ألم تر إلى صاحب البنيان كيف لا يحب أن يختلف بنيانه ، كذلك تبارك وتعالى لا يختلف أمره ، وإن الله وصف المؤمنين في قتالهم وصفهم في صلاتهم ، فعليكم بأمر الله فإنه عصمة لمن أخذ به .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) قال : والذين صدّقوا قولهم بأعمالهم هؤلاء ؛ قال : وهؤلاء لم يصدّقوا قولهم بالأعمال لما خرج النبيّ صلى الله عليه وسلم نكصوا عنه وتخلّفوا . وكان بعض أهل العلم يقول : إنما قال الله (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا) ليدلّ على أن القتال راجلا أحبّ إليه من القتال فارسا ، لأن الفرسان لا يصطفون ، وإنما تصطفّ الرجالة .

ذكر من قال ذلك

حدثني سعيد بن عمرو السكوني ، قال : ثنا بقية بن الوليد ، عن أبي بكر بن أبي مريم ، عن يحيى بن جابر الطائي ، عن أبي بحرية ، قال : كانوا يكرهون القتال على الخيل ، ويستحبون القتال على الأرض ، لقول الله (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) قال : وكان أبو بحرية يقول : إذا رأيتموني التفتّ في الصفّ ، فجئوا في لحيي .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد (إِذْ قَالَ مُوسَىٰ) بن عمران (لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ) حقا (أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ) :

وقوله (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) يقول : فلما عدلوا وجاروا عن قصد السبيل أزاغ الله قلوبهم : يقول : أمال الله قلوبهم عنه :

وقد حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوّام ، قال : ثنا أبو غالب ، عن

Marfat.com

أبى أمامة فى قوله (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ) قال : هم الخوارج (وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) يقول : والله لايوفّق لإصابة الحقّ القوم الذين اختاروا الكفر على الإيمان .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾

* يقول تعالى ذكره : واذكر أيضا يا محمد (إِذْ قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ) لقومه من بنى إسرائيل (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ) التى أُنزلت على موسى (وَمُبَشِّرًا) أبشركم (بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى معاوية بن صالح ، عن سعيد بن سويد ، عن عبد الأعلى بن هلال السلمىّ ، عن عرباض بن سارية ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنِّى عِنْدَ اللهِ مَكْتُوبٌ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِى طِينَتِهِ ، وَسَأُخْبِرُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ : دَعْوَةُ أَبِى إِبْرَاهِيمَ ، وَبِشَارَةُ عِيسَى بِى ، وَالرُّؤْيَا الَّتِى رَأَتْ أُمِّى ، وَكَذَلِكَ أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ ، يَرَيْنَ أَنَّهَا رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْنِى أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ »

(فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) يقول : فلما جاءهم أحمد بالبينات ، وهى الدلالات التى آتاه الله حججا على نبوّته (قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) يقول : ما أتى به غير أننى ساحر .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾

* يقول تعالى ذكره : ومن أشدّ ظلما وعدوانا ممن اختلق على الله الكذب ، وهو قول قائلهم للنبىّ صلى الله عليه وسلم : هو ساحر ولما جاء به سحر ، فكذلك افتراؤه على الله الكذب وهو يُدعى إلى الإسلام يقول : إذا دُعى إلى الدخول فى الإسلام ، قال على الله الكذب ، وافترى عليه الباطل (وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) يقول : والله لايوفّق القوم الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم به لإصابة الحقّ .

القول فى تأويل قوله تعالى :

يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾

Marfat.com

** يقول تعالى ذكره : يريد هؤلاء القائلون لمحمد صلى الله عليه وسلم : هذا ساحر مبين (لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ) يقول : يريدون ليبطلوا الحقّ الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم بأفواههم يعني بقولهم إنه ساحر ، وما جاء به سحر ، (وَاللهُ مُتِمّ نُورِهِ) يقول : الله معلن الحقّ ، ومظهر دينه ، وناصر محمدا عليه الصلاة والسلام على من عاداه ، فذلك إتمام نوره ، وعنى بالنور فى هذا الموضع الإسلام .

وكان ابن زيد يقول : عُنِي به القرآن .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ) قال : نور القرآن .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله تعالى (وَاللهُ مُتِمٌّ نورِهِ) فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (مُتِمٌّ نُورَهُ) بالنصب . وقرأه بعض قرّاء مكة وعامة قرّاء الكوفة (مُتِمُّ) بغير تنوين نوره خفضا وهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئُ فمصيب عندنا .

وقوله (وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ) يقول : والله مظهر دينه ، وناصر رسوله ، ولو كره الكافرون بالله .

القول في تأويل قوله تعالى :

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾

** يقول تعالى ذكره : الله الذى أرسل رسوله محمدا بالهدى ودين الحقّ ، يعنى ببيان الحقّ ودين الحقّ يعنى : وبدين الله ، وهو الإسلام .

وقوله (لِيُظْهِرَهُ على الدّين كُلِّهِ) يقول : ليظهر دينه الحقّ الذى أرسل به رسوله على كلّ دين سواه ، وذلك عند نزول عيسى بن مريم ، وحين تصير الملة واحدة ، فلا يكون دين غير الإسلام .

كما حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى المقدام ثابت بن هرمز ، عن أبى هريرة (لِيُظْهِرَهُ على الدّينِ كُلِّهِ) قال : خروج عيسى بن مريم ، وقد ذكرنا اختلاف المختلفين فى معنى قوله (لِيُظْهِرَهُ على الدّين كُلِّهِ) والصواب عندنا من القول فى ذلك بعلله فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقد حدثنى عبد الحميد بن جعفر ، قال : ثنا الأسود بن العلاء ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، عن عائشة قالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « لا يَذْهَبُ اللَّيْلُ والنَّهارُ حتى تُعْبَدَ اللاتُ والعزَّى ، فقالت عائشة : والله يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله (هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالهُدَى وَدِينِ الحَقّ لِيُظْهِرَهُ على الدّينِ كُلِّهِ) . . . الآية ، أن ذلك سيكون تاما ، فقال : إنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذلكَ ما شاءَ اللهُ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، فَيَتَوَفَّى مَنْ كانَ فى قَلْبِهِ مِثْقالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ خَيْرٍ ، فَيَبْقَى مَنْ لا خَيْرَ فيهِ ، فَيَرْجِعُونَ إلى دِينِ آبائِهِمْ .

Marfat.com

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ ﴾

* يقول تعالى ذكره : (يا أيُّها الَّذين آمَنُوا هَلْ أدُلُّكُمْ على تِجارَةٍ تُنْجيكُمْ مِنْ عَذابٍ أليمٍ) موجع ، وذلك عذاب جهنم ؛ ثم بين لنا جلّ ثناؤه ما تلك التجارة التى تنجينا من العذاب الأليم ، فقال : (تُؤْمِنُونَ باللهِ وَرَسُولِهِ) محمد صلى الله عليه وسلم .

* فإن قال قائل : وكيف قيل : (تُؤْمِنُونَ باللهِ وَرَسُولِهِ) ، وقد قيل لهم : (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا) بوصفهم بالإيمان ؟ فإن الجواب فى ذلك نظير جوابنا فى قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا) آمنوا بالله ، وقد مضى البيان عن ذلك فى موضعه بما أغنى عن إعادته :

وقوله (وَتُجاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ بِأمْوَالِكُمْ وأنْفُسِكُمْ) يقول تعالى ذكره : وتجاهدون فى دين الله ، وطريقه الذى شرعه لكم بأموالكم وأنفسكم (ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ) يقول : إيمانكم بالله ورسوله ، وجهادكم فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم (خَيْرٌ لَكُمْ) من تضييع ذلك والتفريط (إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) مضارّ الأشياء ومنافعها . وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (آمِنُوا باللهِ) على وجه الأمر ، وبيَّنت التجارة من قوله (هَلْ أدُلُّكُمْ على تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ) وفسِّرت بقوله (تُؤْمِنُونَ باللهِ) ولم يقل : أن تؤمنوا ، لأن العرب إذا فسرت الاسم بفعل تثبت فى تفسيره أن أحيانا ، وتطرحها أحيانا ، فتقول للرجل : هل لك فى خير تقوم بنا إلى فلان فنعوده ؟ هل لك فى خير أن تقوم إلى فلان فنعوده ، بأن وبطرحها . ومما جاء فى الوجهين على الوجهين جميعا قوله (فَلْيَنْظُرِ الإنْسانُ إلى طَعامِهِ أنّا) وإنا فالفتح فى أنا لغة من أدخل فى يقوم أن من قولهم : هل لك فى خير أن تقوم ، والكسر فيها لغة من يُلقِى أن من تقوم ؛ ومنه قوله (فانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أنّا دَمَّرْناهُمْ) وإنا دمرناهم ، على ما بيَّنا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أدُلُّكُمْ على تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ) . . . الآية ، فلولا أن الله بينها ، ودلّ عليها المؤمنين ، لتلهف عليها رجال أن يكونوا يعلمونها ، حتى يضنوا بها [1] ، وقد دلكم الله عليها ، وأعلمكم إياها فقال : (تُؤْمِنُونَ باللهِ وَرَسُولِهِ ، وَتُجاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ بِأمْوَالِكُمْ وأنْفُسِكُمْ ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) :

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : تلا قتادة (هَلْ أدُلُّكُمْ على تِجارَةٍ

(١) اللى فى الدر « حتى يطلبوها » .

Marfat.com

تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ، تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ، وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ) قال : الحمد لله الذي بينها .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره : يستر عليكم ربكم ذنوبكم إذا أنتم فعلتم ذلك فيصفح عنكم ويعفو (وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهارُ) يقول : ويُدخلكم بساتين تجرى من تحت أشجارها الأنهار (وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً) يقول : ويُدخلكم أيضا مساكن طيبة (فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ) يعنى فى بساتين إقامة ، لاظعن عنها .

وقوله (ذلكَ الفَوْزُ العَظِيمُ) يقول : ذلك النجاء العظيم من نكال الآخرة وأهوالها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَٰءِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

اختلف أهل العربية فيما نعتت به قوله (وأُخْرَى) فقال بعض نحويىّ البصرة : معنى ذلك : وتجارة أخرى ، فعلى هذا القول يجب أن يكون أخرى فى موضع خفض عطفا به على قوله (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) وقد يحتمل أن يكون رفعا على الابتداء : وكان بعض نحويي الكوفة يقول : هى فى موضع رفع . أى ولكم أخرى فى العاجل مع ثواب الآخرة ، ثم قال : نصر من الله مفسرا للأخرى .

والصواب من القول فى ذلك عندى القول الثانى ، وهو أنه معنىّ به : ولكم أخرى تحبونها ، لأن قوله (نَصْرٌ مِنَ اللهِ وفَتْحٌ قَرِيبٌ) مبين عن أن قوله (وأُخْرَى) فى موضع رفع ، ولو كان جاء ذلك خفضا حسن أن يجعل قوله (وأُخْرَى) عطفا على قوله (تِجارَةٍ) ، فيكون تأويل الكلام حينئذ لو قرئ ذلك خفضا ، وعلى خلة أخرى تحبونها ، فمعنى الكلام إذا كان الأمر كما وصفت : هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله ، يغفر لكم ذنوبكم ، ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، ولكم خلة أخرى سوى ذلك فى الدنيا تحبونها : نصر من الله لكم على أعدائكم ، وفتح قريب يعجله لكم .

Marfat.com

(وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وبشر يا محمد المؤمنين بنصر الله إياهم على عدوّهم ، وفتح عاجل لهم

وقوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أنْصَارَ اللهِ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة (كُونُوا أنْصَاراً للهِ) بتنوين الأنصار . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة بإضافة الأنصار إلى الله .

** والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، ومعنى الكلام : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ، كونوا أنصار الله ، كما قال عيسى ابن مريم للحواريين : من أنصارى إلى الله ، يعنى من أنصارى منكم إلى نصرة الله لى .

وكان قتادة يقول فى ذلك ماحدثنى به بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أنْصَارَ اللهِ كما قالَ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ للْحَوَارِيِّينَ مَنْ أنْصَارِى إلى اللهِ ، قالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أنْصَارُ اللهِ) قال : « قد كانت لله أنصار من هذه الأمة تجاهد على كتابه وحقه . وذُكر لنا أنه بايعه ليلة العقبة اثنان وسبعون رجلا من الأنصار ، ذُكر لنا أن بعضهم قال : هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ إنكم تبايعون على محاربة العرب كلها أو يُسلموا . ذُكر لنا أن رجلا قال : يا نبىّ الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت ، قال : أشترط لربى أن تعبدوه ، ولا تشركوا به شيئا ، وأشترط لنفسى أن تمنعونى مما منعتم منه أنفسكم وأبناءكم ؛ قالوا : فإذا فعلنا ذلك فما لنا يا نبىّ الله ؟ قال : لكم النصر فى الدنيا ، والجنة فى الآخرة ، ففعلوا ، ففعل الله » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : تلا قتادة (كُونُوا أنْصَارَ اللهِ كما قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أنْصَارِى إلى اللهِ) قال : قد كان ذلك بحمد الله ، جاءه سبعون رجلا ، فبايعوه عند العقبة ، فنصروه وآووه حتى أظهر الله دينه ؛ قالوا : ولم يسمّ حىّ من السماء اسما لم يكن لهم قبل ذلك غيرهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : إن الحواريين كلهم من قريش : أبو بكر ، وعمر ، وعلىّ ، وحمزة ، وجعفر ، وأبو عُبيدة ، وعثمان بن مظعون ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، وعثمان ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوّام .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (مَنْ أنْصَارِى إلى اللهِ ؟) قال : من يتبعنى إلى الله

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ميسرة ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جُبَير ، قال : سئل ابن عباس عن الحواريين ، قال : سُمُّوا لبياض ثيابهم كانوا صيادى السمك .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله

Marfat.com

الحواريون : هم الغسالون بالنبطية ؛ يقال للغسال : حوارى ، وقد تقدم بياننا فى معنى الحوارى بشواهده واختلاف المختلفين فيه قبل فيما مضى ، فأغنى عن إعادته .

وقوله (قالَ الحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ) يقول : قالوا : نحن أنصار الله على ما بعث به أنبياءه من الحقّ . وقوله (فَآمَنَتْ طائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ وَكَفَرَتْ طائِفَةٌ) يقول جلّ ثناؤه : فآمنت طائفة من بنى إسرائيل بعيسى ، وكفرت طائفة منهم به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : « لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج إلى أصحابه وهم فى بيت اثنا عشر رجلا من عين فى البيت ورأسه يقطر ماء ؛ قال : فقال : إن منكم من سيكفر بى اثنتى عشرة مرّة بعد أن آمن بى ؛ قال : ثم قال : أيكم يلقى عليه شبهى فيقتل مكانى ، ويكون معى فى درجتى ؟ قال : فقام شاب من أحدثهم سنا : قال : فقال أنا ، فقال له : اجلس ؛ ثم أعاد عليهم ، فقام الشاب ، فقال أنا ؛ قال : نعم أنت ذاك ؛ فألقى عليه شبه عيسى ، ورُفع عيسى من رَوْزَنة فى البيت إلى السماء ؛ قال : وجاء الطلب من اليهود ، وأخذوا شبهه ، فقتلوه وصلبوه ، وكفر به بعضهم اثنتى عشرة مرّة بعد أن آمن به ، فتفرّقوا ثلاث فرَق ، فقالت فرقة : كان الله فينا ما شاء ، ثم صعد إلى السماء ، وهؤلاء اليعقوبية : وقالت فرقة : كان فينا ابن الله ما شاء الله ، ثم رفعه إليه ، وهؤلاء النسطورية . وقالت فرقة : كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ، ثم رفعه الله إليه ، وهؤلاء المسلمون ، فتظاهرت الطائفتان الكافرتان على المسلمة ، فقتلوها ، فلم يزل الإسلام طامسا حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ، فآمنت طائفة من بنى إسرائيل ، وكفرت طائفة ، يعنى الطائفة التى كفرت من بنى إسرائيل فى زمن عيسى ، والطائفة التى آمنت فى زمن عيسى ، فأيدنا الذين آمنوا على عدوّهم ، فأصبحوا ظاهرين فى إظهار محمد على دينهم دين الكفار ، فاصبحوا ظاهرين .

وقوله (فَأَيَّدْنا الَّذِينَ آمَنُوا عَلى عَدُوِّهِمْ) يقول : فقوّينا الذين آمنوا من الطائفتين من بنى إسرائيل على عدوّهم ، الذين كفروا منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بتصديقه إياهم ، أن عيسى عبد الله ورسوله ؛ وتكذيبه من قال هو إله ، ومن قال : هو ابن الله تعالى ذكره ، فأصبحوا ظاهرين ، فأصبحت الطائفة المؤمنون ظاهرين على عدوّهم الكافرين منهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عبد الله الهلالى ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَأَيَّدْنا الَّذِينَ آمَنُوا عَلى عَدُوِّهِمْ) قال : قوّينا .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن سماك ، عن إبراهيم (فَآمَنَتْ طائِفَةٌ مِنْ

Marfat.com

بنى إسرائيل وكفرت طائفة) قال : لما بعث الله محمدا ، ونزل تصديق من آمن بعيسى ، أصبحت حجة من آمن به ظاهرة .

قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن سماك ، عن إبراهيم ، فى قوله (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) قال : أيدوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فصدقهم ، وأخبر بحجتهم .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، فى قوله (فأصبحوا ظاهرين) قال : أصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم كلمة الله وروحه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (فأصبحوا ظاهرين) من آمن مع عيسى صلى الله عليه وسلم .

آخر تفسير سورة الصف

(٦٢) سورة الجمعة مدنية وآياتها إحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى :

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝

* يقول تعالى ذكره : يسبح لله كل ما فى السموات السبع ، وكل ما فى الأرضين من خلقه ، ويعظمه طوعا وكرها (الملك القدوس) الذى له ملك الدنيا والآخرة وسلطانهما ، النافذ أمره فى السموات والأرض وما فيهما ، القدوس : وهو الطاهر من كل مايضيف إليه المشركون به ، ويصفونه به مما ليس من صفاته المبارك (العزيز) يعنى الشديد فى انتقامه من أعدائه (الحكيم) فى تدبيره خلقه ، وتصريفه إياهم فيما هو أعلم به من مصالحهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝

* يقول تعالى ذكره : الله الذى بعث فى الأميين رسولا منهم ، فقوله هو كناية من اسم الله ، والأميون : هم العرب . وقد بينا فيما مضى المعنى الذى من أجله قيل للأمى أمى .

وبنحو الذى قلنا فى الأميين فى هذا الموضع قال أهل التأويل :

Marfat.com

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال (هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ) قال : العرب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت سفيان الثورى يحدّث لا أعلمه إلا عن مجاهد أنه قال : (هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) : العرب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ) قال : كان هذا الحىّ من العرب أمة أميّة ، ليس فيها كتاب يقرءونه ؛ فبعث الله نبيه محمدا رحمة وهدى يهديهم به .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ) قال : كانت هذه الأمة أميّة لا يقرءون كتابا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ) قال : إنما سميت أمة محمد صلى الله عليه وسلم الأميين ، لأنه لم ينزل عليهم كتابا ؛ وقال جلّ ثناؤه (رَسُولاً مِنْهُمْ) يعنى من الأميين ، وإنما قال منهم ، لأن محمدا صلى الله عليه وسلم كان أميًّا ، وظهر من العرب .

وقوله (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) يقول جلّ ثناؤه : يقرأ على هؤلاء الأميين آيات الله التى أنزلها عليه (وَيُزَكِّيهِمْ) يقول : ويطهرهم من دنس الكفر

وقوله (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ) يقول : ويعلمهم كتاب الله ، وما فيه من أمر الله ونهيه ، وشرائع دينه (وَالْحِكْمَةَ) يعنى بالحكمة : السنن .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) : أى السنة .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال (وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) أيضا كما علم هؤلاء يزكيهم بالكتاب والأعمال الصالحة ، ويعلمهم الكتاب والحكمة كما صنع بالأولين ، وقرأ قول الله عزّ وجلّ (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ) ممن بقى من أهل الإسلام إلى أن تقوم الساعة ، قال : وقد جعل الله فيهم سابقين ، وقرأ قول الله عزّ وجلّ (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ) ، وقال : (ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ) فثلة من الأولين سابقون ، وقليل السابقون من الآخرين ، وقرأ (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ) ... حتى بلغ (ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ ، وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ) أيضا ، قال :

Marfat.com

والسابقون من الأولين أكثروهم من الآخرين قليل ، وقرأ (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ) . . . الآية ، قال : هؤلاء من أهل الإسلام إلى أن تقوم الساعة .

وقوله (وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) يقول تعالى ذكره : وقد كان هؤلاء الأميون من قبل أن يبعث الله فيهم رسولا منهم فى جور عن قصد السبيل ، وأخذ على غير هدى مبين ، يقول : يبين لمن تأمله أنه ضلال وجور عن الحق وطريق الرشد .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝

* يقول تعالى ذكره : وهو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم ، وفى آخرين منهم لما يلحقوا بهم ، فآخرون فى موضع خفض عطفا على الأميين .

وقد اختلف فى الذين عُنوا بقوله (وَآخَرِينَ مِنْهُمْ) ، فقال بعضهم : عُنى بذلك العجم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنى ابن علية ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) قال : هم الأعاجم .

حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعى ، قال : ثنا فضيل بن طلحة ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) قال : هم الأعاجم .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد (وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) قال : الأعاجم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) قال : الأعاجم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت سفيان الثورى لا أعلمه إلا عن مجاهد : (وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) قال : العجم .

حدثنى محمد بن إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن معين ، قال : ثنا هشام بن يوسف ، عن عبد الرحمن بن عمر بن عبد الرحمن بن العاص ، عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عمر ، أنه قال له : أما إن سورة الجمعة أنزلت فينا وفيكم فى قتلكم الكذاب ، ثم قرأ (يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ) . حتى بلغ (وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) قال : فأنتم هم

Marfat.com

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) قال : الأعاجم :

حدثنى محمد بن معمر ، قال : ثنا أبوعامر ، قال : ثنا عبد العزيز ؛ وحدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : أخبرنى سليمان بن بلال جميعا ، عن ثور بن زيد ، عن أبى الغيث ، عن أبى هريرة ، قال: «كنا جلوسا عند النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فنزلت عليه سورة الجمعة ، فلما قرأ (وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) قال رجل من هؤلاء : يا رسول الله ؟ قال : فلم يراجعه النبىّ صلى الله عليه وسلم حتى سأله مرّة أو مرّتين أو ثلاثا ، قال : وفينا سلمان الفارسىّ ، فوضع النبىّ صلى الله عليه وسلم يده على سلمان فقال : « لَوْ كَانَ الإيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هَؤُلاءِ » .

حدثنى أحمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا سليمان بن بلال المدنىّ ، عن ثور بن زيد ، عن سالم أبى الغيث ، عن أبى هريرة ، قال : «كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه » .

وقال آخرون : إنما عُنِى بذلك جميع من دخل فى الإسلام من بعد النبىّ صلى الله عليه وسلم كائنا من كان إلى يوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) قال : من ردف الإسلام من الناس كلهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله عزّ وجلّ (وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) قال : هؤلاء كلّ من كان بعد النبىّ صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة ، كلّ من دخل فى الإسلام من العرب والعجم .

** وأولى القولين فى ذلك بالصواب عندى قول من قال : عُنِى بذلك كلّ لاحق لحق بالذين كانوا صحبوا النبىّ صلى الله عليه وسلم فى إسلامهم من أىّ الأجناس ، لأن الله عزّ وجلّ عمّ بقوله (وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) كلّ لاحق بهم من آخرين ، ولم يخصص منهم نوعا دون نوع ، فكلّ لاحق بهم فهو من الآخرين الذين لم يكونوا فى عداد الأوّلين الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو عليهم آيات الله

وقوله (لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) يقول : لم يجيئوا بعد وسيجيئون

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) يقول : لم يأتوا بعد .

وقوله (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) يقول : والله العزيز فى انتقامه ممن كفر به منهم ، الحكيم فى تدبيره خلقه .

Marfat.com

وقوله (ذلكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتيهِ مَنْ يَشاءُ) يقول تعالى ذكره : هذا الذى فعل تعالى ذكره من بعثته فى الأميين من العرب ، وفى آخرين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ، ويفعل سائر ما وصف ، فضل الله ، تفضل به على هؤلاء دون غيرهم ، يؤتيه من يشاء ، يقول : يؤتى فضله ذلك من يشاء من خلقه ، لا يستحق الذمّ ممن حرمه الله إياه ، لأنه لم يمنعه حقا كان له قبله ولا ظلمه فى صرفه عنه إلى غيره ، ولكنه علم مَنْ هُو له أهل ، فأودعه إياه ، وجعله عنده :

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن سنان القزاز ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى (ذلكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتيهِ مَنْ يَشاءُ) قال : الفضل : الدين (واللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ) يقول : والله ذو الفضل على عباده ، المحسن منهم والمسىء ، والذين بعث فيهم الرسول منهم وغيرهم ، العظيم الذى يقلّ فضل كلّ ذى فضل عنده .

القول فى تأويل قوله تعالى :

مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾

** يقول تعالى ذكره : مثل الذين أوتوا التوراة من اليهود والنصارى ، فحملوا العمل بها (ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها) يقول : ثم لم يعملوا بما فيها ، وكذّبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وقد أمروا بالإيمان به فيها واتباعه والتصديق به (كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً) يقول : كمثل الحمار يحمل على ظهره كتبا من كتب العلم ، لاينتفع بها ، ولا يعقل ما فيها ، فكذلك الذين أوتوا التوراة التى فيها بيان أمر محمد صلى الله عليه وسلم مثلهم إذا لم ينتفعوا بما فيها ، كمثل الحمار الذى يحمل أسفارا فيها علم ، فهو لا يعقلها ولا ينتفع بها.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (يَحْمِلُ أَسْفاراً) قال : يحمل كتبا لايدرى ما فيها ، ولا يعقلها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مَثَلُ الَّذِين حُمِّلُوا التَّوْراة ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً) قال : يحمل كتابا لايدرى ماذا عليه ، ولا ماذا فيه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً) قال : كمثل الحمار الذى يحمل كتبا ، لايدرى ما على ظهره :

Marfat.com

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال: سمعت الضحاك يقول فى قوله (كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً) كتبا ، والكتاب بالنبطية يسمى سِفْرا ، ضرب الله هذا مثلا للذين أعطوا التوراة ثم كفروا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْراةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً) والأسفار : الكتب ، فجعل الله مثل الذى يقرأ الكتاب ولا يتبع ما فيه ، كمثل الحمار يحمل كتاب الله الثقيل ، لايدرى ما فيه ، ثم قال (بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللهِ) . . . الآية .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد ، فى قول الله (كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً) قال : الأسفارُ : التوراة يحملها الحمار على ظهره ، كما تحمل المصاحف على الدواب ، كمثل الرجل يسافر فيحمل مصحفه ، قال : فلا ينتفع الحمارُ بها حين يحملها على ظهره ، كذلك لم ينتفع هؤلاء بها حين لم يعملوا بها وقد أوتوها ، كما لم ينتفع بها هذا وهى على ظهره .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ عن ابن عباس فى قوله (كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً) يقول : كتبا . والأسفار : جمع سفر ، وهى الكتب العظام .

وقوله (بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللهِ) يقول: بئس هذا المثل ، مثل القوم الذين كذّبوا بآيات الله ، يعنى بأدلته وحججه (واللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) يقول تعالى ذكره : والله لايوفّق القوم الذين ظلموا أنفسهم ، فكفروا بآيات ربهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾

** يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لليهود (يا أيُّها الَّذِين هادُوا إنْ زَعَمْتُمْ أنَّكُمْ أوْلِياءُ لِلهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ) سواكم (فَتَمَنَّوُا المَوْتَ إنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) فى قيلكم ، إنكم أولياء لله من دون الناس ، فإن الله لايعذّب أولياءه ، بل يكرمهم وينعمهم ، وإن كنتم محقين فيما تقولون فتمنوا الموت لتستريحوا من كرب الدنيا وهمومها وغمومها ، وتصيروا إلى روح الجنان ونعيمها بالموت .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قُلْ يا أيُّها الَّذِينَ هادُوا) قل يا أيها الذين تابوا : لليهود ، قال موسى (إنَّا هُدْنا إلَيْكَ) : إنا تبنا إليك .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾

Marfat.com

* يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا) يقول: ولا يتمنى اليهود الموت أبدا (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) يعني: بما اكتسبوا في هذه الدنيا من الآثام، واجترحوا من السيئات (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) يقول: والله ذو علم بمن ظلم من خلقه نفسه، فأوبقها بكفره بالله.

القول في تأويل قوله تعالى:

قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

* يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد لليهود (إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ) فتكرهونه، وتأبون أن تتمنوه (فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ) ونازل بكم (ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) ثم يردّكم ربكم من بعد مماتكم إلى عالم الغيب والشهادة، عالم غيب السموات والأرض؛ والشهادة: يعني وما شهد فظهر لرأى العين، ولم يغب عن أبصار الناظرين.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، قال: تلا قتادة (ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) فقال: إن الله أذلّ ابن آدم بالموت، لاأعلمه إلا رفعه (فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول: فيخبركم حينئذ ما كنتم في الدنيا تعملون من الأعمال، سيئها وحسنها، لأنه محيط بجميعها، ثم يجازيكم على ذلك المحسن بإحسانه، والمسيء بما هو أهله.

القول في تأويل قوله تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾

* يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من عباده: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله (إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ) وذلك هو النداء، ينادى بالدعاء إلى صلاة الجمعة عند قعود الإمام على المنبر للخطبة؛ ومعنى الكلام: إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة (فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ) يقول: فامضوا إلى ذكر الله، واعملوا له؛ وأصل السعي في هذا الموضع العمل، وقد ذكرنا الشواهد على ذلك فيما مضى قبل.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا إسماعيل بن عياش، عن شُرَحْبيل بن مسلم الخَوْلانيّ، في قول الله (فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ) قال: فاسعوا في العمل، وليس السعي في المشي.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ

Marfat.com

للصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللهِ) والسعى يا ابن آدم أن تسعى بقلبك وعملك ، وهو المضىّ إليها .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن شعبة ، قال : أخبرنى مغيرة ، عن إبراهيم أنه قيل لعمر رضى الله عنه : إن أبيًّا يقرؤها (فاسْعَوْا)قال : أما إنه أقرؤنا وأعلمنا بالمنسوخ وإنما هى فامضوا .

حدثنا عبد الحميد بن بيان السكرى ، قال : أخبرنا سفيان ، عن الزهرىّ ، عن سالم ، عن أبيه ، قال : ما سمعت عمر يقرؤها قطّ إلاّ فامضوا .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا حنظلة ، عن سالم بن عبد الله ، قال : كان عمر رضى الله عنه يقرؤها (فامْضُوا إلى ذِكْرِ اللهِ) .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن حنظلة ، عن سالم بن عبدالله أن عمر بن الخطاب قرأها : فامضوا .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا حنظلة بن أبى سفيان الجمحىّ ، أنه سمع سالم بن عبد الله يحدّث عن أبيه ، أنه سمع عمر بن الخطاب يقرأ (إذَا نُودِىَ للصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ فامْضُوا إلى ذِكْرِ اللهِ) .

قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرنى سالم بن عبد الله بن عمر ، أن عبدالله قال : لقد توفى الله عمر رضى الله عنه ، وما يقرأ هذه الآية التى ذكر الله فيها الجمعة : (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا نُودِىَ للصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ) إلا فامضوا إلى ذكر الله .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : كان عبد الله يقرؤها (فامْضُوا إلى ذِكْرِ اللهِ) ويقول : لو قرأتها فاسعوا ، لسعيت حتى يسقط ردائى .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن إبراهيم ، قال : قال عبد الله لو كان السعى لسعيت حتى يسقط ردائى ، قال : ولكنها (فامْضُوا إلى ذِكْرِ اللهِ) قال : هكذا كان يقرؤها .

حدثنى علىّ بن الحسين الأزدى ، قال : ثنا يحيى بن يمان الأزدى ، عن أبى جعفر الرازى ، عن الربيع عن أبى العالية أنه كان يقرؤها (فامْضُوا إلى ذِكْرِ اللهِ) .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، أنه قرأها (فامْضُوا إلى ذِكْرِ اللهِ) .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء ، قال : هى للأحرار :

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن منصور عن رجل ، عن مسروق ، قال : عند الوقت :

Marfat.com

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن رجل ، عن مسروق (إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ) قال : عند الوقت .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، قال : هو عند العزمة عند الخطبة ، عند الذكر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ) قال : النداء عند الذكر عزيمة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد (إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ) قال : العزمة عند الذكر عند الخطبة .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان عن المُغيرة والأعمش ، عن إبراهيم ، عن ابن مسعود ، قال : لو قرأتها (فاسْعَوْا) لسعيت حتى يسقط ردائى ، وكان يقرؤها (فامْضُوا إلى ذِكْرِ اللهِ) .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن الشعبىّ ، عن ابن مسعود قال : قرأها (فامْضُوا) .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى حيان ، عن عكرمة (فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللهِ) قال : السعى : العمل .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : وسألته عن قول الله (إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللهِ) قال : إذا سمعتم الداعى الأوّل ، فأجيبوا إلى ذلك وأسرعوا ولا تبطئوا ؛ قال : ولم يكن فى زمان النبىّ صلى الله عليه وسلم أذان إلا أذانان أذان حين يجلس على المنبر ، وأذان حين تُقام الصلاة ؛ قال : وهذا الآخر شىء أحدثه الناس بعد ؛ قال : ولا يحلّ له البيع إذا سمع النداء الذى يكون بين يدى الإمام إذا قعد على المنبر وقرأ (فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ) قال : ولم يأمرهم يذرون شيئا غيره ، حرّم البيع ثم أذن لهم فيه إذا فرغوا من الصلاة ؛ قال : والسعى أن يُسرع إليها ، أن يُقبِل إليها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : إن فى حرف ابن مسعود (إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فامْضُوا إلى ذِكْرِ اللهِ) .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللهِ) السعى : هو العمل ، قال الله (إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى) .

وقوله (وَذَرُوا الْبَيْعَ) يقول : ودعوا البيع والشراء إذا نودى للصلاة عند الخطبة .

وكان الضحاك يقول فى ذلك ما حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك ، قال : إذا زالت الشمس حرم البيع والشراء .

Marfat.com

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جويبر ، عن الضحاك (إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ) قال : إذا زالت الشمس حرم البيع والشراء .

حدثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل السدىّ ، عن أبي مالك ، قال : كان قوم يجلسون فى بقيع الزبير ، فيشترون ويبيعون إذا نودى للصلاة يوم الجمعة ، ولا يقومون ، فنزلت (إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ) وأما الذكر الذى أمر الله تبارك وتعالى بالسعى إليه عباده المؤمنين ، فإنه موعظة الإمام فى خطبته فيما قيل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد (إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ) قال : العزمة عند الذكر عند الخطبة :

حدثنا عبد الله بن محمد الحنفى ، قال : ثنا عبدان ، قال : أخبرنا عبد الله ، قال : أخبرنا منصور رجل من أهل الكوفة ، عن موسى بن أبى كثير ، أنه سمع سعيد بن المسيب يقول (إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ) قال : فهى موعظة الإمام فإذا قضيت الصلاة بعد .

وقوله (ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) يقول : سعيكم إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة إلى ذكر الله ، وترك البيع خير لكم من البيع والشراء فى ذلك الوقت ، إن كنتم تعلمون مصالح أنفسكم ومضارّها .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ) فقرأت ذلك عامة قرّاء الأمصار (الْجُمُعَةِ) بضم الميم والجيم ، خلا الأعمش فإنه قرأها بتخفيف الميم .

** والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ما عليه قرّاء الأمصار لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

القول في تأويل قوله تعالى:

فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾

** يقول تعالى ذكره : فإذا قُضيت صلاة الجمعة يوم الجمعة ، فانتشروا فى الأرض إن شئتم ، ذلك رخصة من الله لكم في ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن مجاهد أنه قال : هى رخصة ، يعنى قوله (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ) :

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله :

Marfat.com

(فإذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ) قال : هذا إذن من الله ، فمن شاء خرج ، ومن شاء جلس .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : أذن الله لهم إذا فرغوا من الصلاة ، (فإذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ) فقد أحللته لكم .

وقوله (وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ) . ذُكر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم فى تأويل ذلك ماحدثنى العباس ابن أبى طالب ، قال : ثنا علىّ بن المعافى بن يعقوب الموصلىّ ، قال : ثنا أبو عامر الصائغ من الموصل، عن أبى خلف ، عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فى قوله (فإذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ ، وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ) قال : لَيْسَ لِطَلَبِ دُنْيا ، وَلَكِنْ عِيادَةُ مَرِيضٍ ، وَحُضُورُ جَنازَةٍ ، وَزِيارَةُ أخٍ فِي اللهِ » .

وقد يحتمل قوله (وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ) أن يكون معنيا به : والتمسوا من فضل الله الذى بيده مفاتيح خزائنه لدنياكم وآخرتكم .

وقوله (وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) يقول : واذكروا الله بالحمد له ، والشكر على ما أنعم به عليكم من التوفيق لأداء فرائضه ، لتفلحوا ، فتدركوا طلباتكم عند ربكم ، وتصلوا إلى الخلد فى جنانه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾

* يقول تعالى ذكره : وإذا رأى المؤمنون عير تجارة أو لهوا (انْفَضُّوا إِلَيْهَا) يعنى أسرعوا إلى التجارة (وَتَرَكُوكَ قائما) يقول للنبىّ صلى الله عليه وسلم : وتركوك يامحمد قائما على المنبر ، وذلك أن التجارة التى رأوها فانفضّ القوم إليها ، وتركوا النبىّ صلى الله عليه وسلم قائما كانت زيتا قدم به دحية بن خليفة من الشام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل السدىّ ، عن أبى مالك ، قال : قدم دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام ، والنبىّ صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة ، فلما رأوه قاموا إليه بالبقيع خشوا أن يسبقوا إليه ، قال : فنزلت (وَإِذَا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْها وَتَرَكُوكَ قائما) .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن السدىّ ، عن قرة (إِذَا نُودِىَ

Marfat.com

للصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ) قال : جاء دحية الكلبي بتجارة والنبيّ صلى الله عليه وسلم قائم فى الصلاة يوم الجمعة ، فتركوا النبيّ صلى الله عليه وسلم وخرجوا إليه ، فنزلت (وَإِذَا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْها وَتَرَكُوكَ قائما) حتى ختم السورة :

حدثنى أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن سالم بن أبى الجعد ، عن جابر بن عبد الله ، قال : «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجمعة ، فمرّت عير تحمل الطعام ، قال : فخرج الناس إلا اثنى عشر رجلا ، فنزلت آية الجمعة» .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال الحسن : إن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء سعر ، فقدمت عير والنبيّ صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة ، فسمعوا بها ، فخرجوا والنبيّ صلى الله عليه وسلم قائم ، كما قال الله عزّ وجلّ :

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَإِذَا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْها وَتَرَكُوكَ قائما) قال : جاءت تجارة فانصرفوا إليها ، وتركوا النبيّ صلى الله عليه وسلم قائما وإذا رأوا لهوا ولعبا (قُلْ ما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجارَةِ ، وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله (وَإِذَا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْها) قال : رجال كانوا يقومون إلى نواضحهم وإلى السفر يبتغون التجارة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : « بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس يوم الجمعة ، فجعلوا يتسللون ويقومون حتى بقيت منهم عصابة ، فقال : كم أنتم ؟ فعدّوا أنفسهم فإذا اثنا عشر رجلا وامرأة ؛ ثم قام فى الجمعة الثانية فجعل يخطبهم ؛ قال سفيان : ولا أعلم إلا أن فى حديثه ويعظهم ويذكرهم ، فجعلوا يتسللون ويقومون حتى بقيت عصابة ، فقال : كم أنتم ، فعدّوا أنفسهم ، فإذا اثنا عشر رجلا وامرأة ؛ ثم قام فى الجمعة الثالثة فجعلوا يتسللون ويقومون حتى بقيت منهم عصابة ، فقال : كم أنتم ؟ فعدّوا أنفسهم ، فإذا اثنا عشر رجلا وامرأة ، فقال : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوِ اتَّبَعَ آخِرُكُمْ أَوَّلَكُمْ لالْتَهَبَ عَلَيْكُمُ الوَادِي نارًا ، وأنزل الله عزّ وجلّ : (وَإِذَا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْها وَتَرَكُوكَ قائما) » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (انْفَضُّوا إِلَيْها وَتَرَكُوكَ قائما) قال : لو اتبع آخرهم أولهم لالتهب عليهم الوادى نارا :

قال : ثنا ابن ثور ، قال معمر ، قال قتادة : لم يبق مع النبيّ صلى الله عليه وسلم يومئذ إلا اثنا عشر رجلا وامرأة معهم :

حدثنا محمد بن عمارة الرازى ، قال : ثنا محمد بن الصباح ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ،

Marfat.com

عن سالم وأبى سفيان ، عن جابر ، فى قوله (وَتَرَكُوكَ قائماً) قال : قدمت عير فانفضّوا إليها ، ولم يبق مع النبىّ صلى الله عليه وسلم إلا اثنا عشر رجلا .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآمُلى ، قال : ثنا جرير ، عن حصين ، عن سالم ، عن جابر « أن النبىّ صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائما يوم الجمعة ، فجاءت عير من الشام ، فانفتل الناس إليها حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلا ، قال : فنزلت هذه الآية فى الجمعة (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قائماً) وأما اللهو ، فإنه اختُلف من أىّ أجناس اللهو كان ، فقال بعضهم : كان كَبَرا [١] ومزامير .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن سهل بن عسكر ، قال : ثنا يحيى بن صالح ، قال : ثنا سليمان بن بلال ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله ، قال [٢] كان الجوارى إذا نكحوا كانوا يمرّون بالكبر والمزامير ويتركون النبىّ صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر ، وينفضون إليها ، فأنزل الله (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا) .

وقال آخرون : كان طبلا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم . قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : اللهو : الطبل .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الأشيب ، قال : ثنا ورقاء ، قال : ذكر عبدالله بن أبى نجيح ، عن إبراهيم ابن أبى بكر ، عن مجاهد أن اللهو : هو الطبل .

⁂ والذى هو أولى بالصواب فى ذلك الخبر الذى رويناه عن جابر ، لأنه قد أدرك أمر القوم ومشاهدهم .

وقوله (قُلْ ما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجارَةِ) يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهم يا محمد الذى عند الله من الثواب ، لمن جلس مستمعا خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وموعظته يوم الجمعة إلى أن يفرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ، خير له من اللهو ومن التجارة التى ينفضون إليها (وَاللهُ خَيْرُ الرازِقِينَ) يقول : والله خير رازق ، فاليه فارغبوا فى طلب أرزاقكم ، وإياه فاسألوا أن يوسع عليكم من فضله دون غيره .

آخر تفسير سورة الجمعة

---

(١) الكبر بالتحريك : الطبل . أو الطبل ذو الرأسين . أو الطبل الذى له وجه واحد ، بلغة أهل الكوفة . أو الطبل الصغير . (التاج : كبر) .

(٢) الذى فى الدر عن جابر « فإذا كان نكاح لعب أهله وعزفوا ومروا باللهو على المسجد » وما هنا بمعناه . وليست العبارة بمحررة

Marfat.com

(٦٣) سورة المنافقون مدنية
وآياتها إحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى:

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ) يا محمد (قَالُوا) بألسنتهم (نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ) قال المنافقون ذلك أو لم يقولوه (وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) يقول: والله يشهد إن المنافقين لكاذبون فى إخبارهم عن أنفسهم أنها تشهد إنك لرسول الله ، وذلك أنها لاتعتقد ذلك ولا تؤمن به ، فهم كاذبون فى خبرهم عنها بذلك .

وكان بعض أهل العربية يقول فى قوله (وَاللَّهُ يَشْهَدُ إن المُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) إنما كذب ضميرهم لأنهم أضمروا النفاق ، فكما لم يقبل إيمانهم ، وقد أظهروه ، فكذلك جعلهم كاذبين ، لأنهم أضمروا غير ما أظهروا .

القول في تأويل قوله تعالى:

اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾

يقول تعالى ذكره: اتخذ المنافقون أيمانهم جنة ، وهى حلفهم .

كما حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً): أى حلفهم جنة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال: ثنا أبو عاصم ، قال: ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال: ثنا الحسن ، قال: ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً) قال: يجتنون بها ، قال ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا .

حُدثت عن الحسين ، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد ، قال: سمعت الضحاك يقول فى قوله (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً) يقول: حلفهم بالله إنهم لمنكم جنة .

وقوله (جُنَّةً): سترة يستترون بها كما يستتر المستجنّ بجنته فى حرب وقتال ، فيمنعون بها أنفسهم وذراريهم وأموالهم ، ويدفعون بها عنها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

Marfat.com

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (جُنَّةً) ليعصموا بها دماءهم وأموالهم .

وقوله (فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ) يقول : فأعرضوا عن دين الله الذى بعث به نبيه صلى الله عليه وسلم وشريعته التى شرعها لخلقه (إِنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) يقول : إن هؤلاء المنافقين الذين اتخذوا أيمانهم جنة ساء ما كانوا يعملون فى اتخاذهم أيمانهم جُنة ، لكذبهم ونفاقهم ، وغير ذلك من أمورهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾

** يقول تعالى ذكره : إنهم ساء ما كانوا يعملون هؤلاء المنافقون الذين اتخذوا أيمانهم جُنة من أجل أنهم صدّقوا الله ورسوله ، ثم كفروا بشكهم فى ذلك وتكذيبهم به .

وقوله (فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) يقول : فجعل الله على قلوبهم ختما بالكفر عن الإيمان ، وقد بيّنا فى موضع غير هذا صفة الطبع على القلب بشواهدها ، وأقوال أهل العلم ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ) يقول تعالى ذكره : فهم لا يفقهون صوابا من خطأ ، وحقا من باطل لطبع الله على قلوبهم .

وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ على قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ) أقرّوا بلا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقلوبهم منكرة تأبى ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

* وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾

** يقول جلّ ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإذا رأيت هؤلاء المنافقين يا محمد تعجبك أجسامهم لاستواء خلقها وحسن صورها (وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ) يقول جلّ ثناؤه : وإن يتكلموا تسمع كلامهم يشبه منطقهم منطق الناس (كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ) يقول كأن هؤلاء المنافقين خُشُب مسنَّدة لا خير عندهم ولا فقه لهم ولا علم ، وإنما هم صور بلا أحلام ، وأشباح بلا عقول .

وقوله (يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ) يقول جلّ ثناؤه : يحسب هؤلاء المنافقون من خُبثهم وسوء ظنهم ، وقلة يقينهم كلّ صيحة عليهم ، لأنهم على وَجَل أن يُنزل الله فيهم أمرا يهتك به أستارهم

Marfat.com

ويفضحهم ، ويبيح للمؤمنين قتلهم وسبي ذراريهم ، وأخذ أموالهم ، فهم من خوفهم من ذلك كلما نزل بهم من الله وحي على رسوله ، ظنوا أنه نزل بهلاكهم وعطبهم ، يقول الله جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم . هم العدو يا محمد فاحذرهم ، فإن ألسنتهم إذا لقوكم معكم وقلوبهم عليكم مع أعدائكم ، فهم عين لأعدائكم عليكم .

وقوله (قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) يقول : أخزاهم الله إلى أي وجه يصرفون عن الحق :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، وسمعته يقول في قول الله (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ) . . . الآية ، قال : هؤلاء المنافقون .

واختلفت القراء في قراءة قوله (كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة خلا الأعمش والكسائي (خُشُبٌ) بضم الخاء والشين ، كأنهم وجهوا ذلك إلى جمع الجمع ، جمعوا الخشبة خشابا ثم جمعوا الخشاب خُشُبا ، كما جمعت الثمرة ثمارا ، ثم ثُمُرا وقد يجوز أن يكون الخُشُب بضم الخاء والشين إلى أنها جمع خَشَبة ، فتضم الشين منها مرة وتسكن أخرى ، كما جمعوا الأكمة أُكُما وأُكْما بضم الألف والكاف مرة ، وتسكين الكاف منها مرة ، وكما قيل : البُدُن والبُدْن ، بضم الدال وتسكينها لجمع البَدَنة ، وقرأ ذلك الأعمش والكسائي (خُشْبٌ) بضم الخاء وسكون الشين .

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان ، ولغتان فصيحتان ، وبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وتسكين الأوسط فيما جاء من جمع فَعَلة على فُعْل في الأسماء على ألسن العرب أكثر وذلك كجمعهم البَدَنة بُدْنا ، والأجمة أُجْما .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾

* يقول تعالى ذكره : وإذا قيل لهؤلاء المنافقين : تعالوا إلى رسول الله يستغفر لكم لوّوا رءوسهم ، يقول حركوها وهزّوها استهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم وباستغفاره وبتشديد الواو من « لوّوا » قرأت القراء على وجه الخبر عنهم أنهم كرّروا هز رءوسهم وتحريكها ، وأكثروا إلا نافعا فإنه قرأ ذلك بتخفيف الواو « لَوَوْا » على وجه أنهم فعلوا ذلك مرة واحدة .

والصواب من القول في ذلك قراءة من شدّد الواو لإجماع الحجة من القراء عليه .

وقوله (وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ) يقول تعالى ذكره : ورأيتهم يُعرضون عما دُعوا إليه بوجوههم (وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ) يقول : وهم مستكبرون عن المصير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لهم ، وإنما عُني بهذه الآيات كلها فيما ذُكر ، عبدُ الله بن أُبيّ ابن سلول ، وذلك أنه قال .

Marfat.com

لأصحابه: لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ، وقال (لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْها الأذَلَّ) فسمع بذلك زيد بن أرقم ، فأخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله عما أخبر به عنه ، فحلف أنه ما قاله ، وقيل له : لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألته أن يستغفر لك ، فجعل يلوى رأسه ويحرّكه استهزاء ، ويعنى بذلك أنه غير فاعل ما أشاروا به عليه ، فأنزل الله عزّ وجلّ فيه هذه السورة من أوّلها إلى آخرها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وجاءت الأخبار ٭

ذكر الرواية التى جاءت بذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن زيد بن أرقم ، قال : «خرجت مع عمى فى غزاة ، فسمعت عبد الله بن أُبَىّ ابن سلول يقول لأصحابه: لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضو ، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ ؛ قال: فذكرت ذلك لعمى، فذكره عمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إلىّ ، فحدثته ، فأرسل إلى عبد الله عليًّا رضى الله عنه وأصحابه ، فحلفوا ماقالوا ، قال: فكذّبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدّقه، فأصابنى همّ لم يصبنى مثله قطّ ؛ فدخلت البيت ، فقال لى عمى : ما أردت إلى أن كذّبك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتك ، قال: حتى أنزل الله عزّ وجلّ (إِذَا جَاءَكَ المُنافِقُونَ) قال: فبعث إلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقرأها ، ثم قال : إن الله عَزَّ وَجَلَّ قَدْ صَدَّقَكَ يا زيد » .

حدثنا أبو كُرَيب والقاسم بن بشر بن معروف ، قال : ثنا يحيى بن بكير ، قال : ثنا شعبة ، قال الحكم : أخبرنى ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظىّ قال : سمعت زيد بن أرقم قال : لما قال عبد الله بن أُبَىّ ابن سلول ما قال : لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ، وقال : (لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ) قال : سمعته فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرت ذلك ، فلامنى ناس من الأنصار ، قال : وجاء هو ، فحلف ما قال ذلك ، فرجعت إلى المنزل فنمت قال : فأتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بلغنى ، فأتيت النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالى قَد صدَّقَكَ وَعَذَرَكَ ، قال : فنزلت الآية (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لاتُنْفِقُوا عَلى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ) . . . الآية .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا هاشم أبو النضر ، عن شعبة ، عن الحكم ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظى ، قال : سمعت زيد بن أرقم يحدّث بهذا الحديث :

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن محمد بن كعب القرظى ، عن زيد بن أرقم ، قال : «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة ، فقال عبد الله بن أُبَىّ ابن سلول (لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْها الأذَلَّ) قال : فأتيت النبىّ صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فحلف عبد الله بن أُبَىّ إنه لم يكن شىء من ذلك ، قال : فلامنى قومى وقالوا : ما أردتَ إلى هذا ، قال : فانطلقت فنمت كئيبا أو حزينا ، قال : فأرسل إلىّ نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، أو أتيت

Marfat.com

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنّ اللهَ قَدْ أنزَلَ عُذْرَكَ وَصَدَّقَكَ ، قال : ونزلت هذه الآية (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا على مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حتى يَنْفَضُّوا) . . . حتى بلغ (لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْها الأذَلَّ) » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، قال: أخبرنى ابن عون ، عن محمد ، قال : « سمعها زيد ابن أرقم ، فرفعها إلى وليه ، قال : فرفعها وليّه إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : فقيل لزيد : وَفَتْ أذنك » .

حدثنا أحمد بن منصور الرّمادىّ ، قال : ثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى بشير بن مسلم « أنه قيل لعبد الله بن أُبَىّ ابن سلول : ياأباحباب إنه قد أنزل فيك آى شداد ، فاذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك ، فلوى رأسه وقال: أمرتمونى أن أومن فآمنت ، وأمرتمونى أن أعطى زكاة مالى فأعطيت ، فما بقى إلا أن أسجد لمحمد » .

حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة « (وَإذَا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا) . . . الآية كلها قرأها إلى (الفاسِقِينَ) أنزلت فى عبد الله بن أُبَىّ ، وذلك أن غلاما من قرابته انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدّثه بحديث عنه وأمر شديد ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا هو يحلف ويتبرأ من ذلك ، وأقبلت الأنصار على ذلك الغلام ، فلاموه وعذَلوه وقيل لعبد الله : لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل يلوى رأسه : أى لستُ فاعلا ، وكذب علىّ ، فأنزل الله ما تسمعون » .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَإذَا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ) قال عبد الله بن أُبَىّ ، قيل له تعالَ ليستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلوى رأسه وقال : ماذا قلت ؟.

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال له قومه : « لو أتيت النبىّ صلى الله عليه وسلم فاستغفر لك ، فجعل يلوى رأسه ، فنزلت فيه (وَإذَا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ) »

القول فى تأويل قوله تعالى :

(سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾)

* يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : سواء يا محمد على هؤلاء المنافقين الذين قيل لهم تعالوا

Marfat.com

يستغفر لكم رسول الله(أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ) ذنوبهم (أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ) : يقول : لن يصفح الله لهم عن ذنوبهم ، بل يعاقبهم عليها (إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِى القَوْمَ الفاسِقِينَ) يقول : إن الله لايوفّق للإيمان القوم الكاذبين عليه ، الكافرين به ، الخارجين عن طاعته .

وقد حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمى ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله(سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ) قال : نزلت هذه الآية بعد الآية التى فى سورة التوبة (إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم زيادة على سبعين مرّة ، فأنزل الله (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ) » .

القول فى تأويل قوله تعالى :

هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ۗ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾

يقول تعالى ذكره (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ) يعنى المنافقين الذين يقولون لأصحابهم (لاتُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ) من أصحابه المهاجرين (حَتى يَنْفَضُّوا) يقول : حتى يتفرّقوا عنه .

وقوله (وِللهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ) يقول : ولله جميع ما فى السموات والأرض من شيء وبيده مفاتيح خزائن ذلك ، لايقدر أحد أن يعطى أحدا شيئا إلا بمشيئته (وَلَكِنَّ المُنافِقِينَ لايَفْقَهُونَ) أن ذلك كذلك ، فلذلك يقولون : لاتنفقوا على من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ينفضُّوا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمى ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لاتُنْفِقُوا على مَنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ حَتى يَنْفَضُّوا) قال : لاتطعموا محمد وأصحابه حتى تصيبهم مجاعة ، فيتركوا نبيهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لاتُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتى يَنْفَضوا) قرأها إلى آخر الآية ، وهذا قول عبد الله بن أُبىّ لأصحابه المنافقين لاتنفقوا على محمد وأصحابه حتى يدعوه ، فإنكم لولا أنكم تنفقون عليهم لتركوه وأجلَوْا عنه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لاتُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ حَتى يَنْفَضُّوا) إن عبد الله بن أُبىّ ابن سلول قال لأصحابه ، لاتنفقوا على من عند رسول الله ، فإنكم لو لم تنفقوا عليهم قد انفضوا .

Marfat.com

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (لاتُنْفِقُوا عَلى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حتى يَنْفَضُّوا) يعني الرِّفد والمعونة ، وليس يعني الزكاة المفروضة والذين قالوا هذا هم المنافقون .

حدثنا الربيع بن سليمان ، قال : ثنا أسد بن موسى ، قال : ثنا يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا الأعمش عن عمرو بن مُرّة ، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى ، عن زيد بن أرقم ، قال : « لما قال ابن أُبيّ ماقال ، أخبرت النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فجاء فحلف ، فجعل الناس يقولون لي : تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكذب ؟ حتى جلستُ في البيت مخافة إذا رأوني قالوا : هذا الذي يكذب ، حتى أُنزل (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ) » :

القول في تأويل قوله تعالى :

يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨

** يقول تعالى ذكره : يقول هؤلاء المنافقون الذينَ وصف صفتهم قبل (لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْها الأذَلَّ) فيها ، ويعني بالأعزّ : الأشدّ والأقوى ، قال الله جلّ ثناؤه (ولِلهِ العِزَّةُ) يعني : الشدّة والقوّة (وَلِرَسُولِهِ وللْمُؤْمِنِينَ) بالله (وَلَكِنَّ المُنافِقِينَ لايَعْلَمُونَ) ذلك.

وذُكر أن سبب قيل ذلك عبدُالله بن أُبيّ كان من أجل أن رجلا من المهاجرين كَسَعَ رجلا من الأنصار :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن معمر ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا زَمْعة ، عن عمرو ، قال : سمعت جابر بن عبد الله ، قال : إن الأنصار كانوا أكثر من المهاجرين ، ثم إن المهاجرين كثروا فخرجوا في غزوة لهم ، فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار ، قال : فكانَ بينهما قتال إلى أن صرخ : يامعشر الأنصار ، وصرخ المهاجر : يا معشر المهاجرين ؛ قال : فبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال ما لَكُمْ وَلِدَعْوَةِ الجاهِلِيَّةِ ؟ فقالوا : كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دَعُوها فإنَّها مُنْتِنَةٌ ، قال : فقال عبد الله بن أُبيّ ابن سلول : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ ، فقال عمر : يا رسول الله دعني فأقتله ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لايَتَحَدَّثُ النَّاسُ أنَّ رَسُولَ اللهِ يَقْتُلُ أصحابَهُ » .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

Marfat.com

قوله (يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنا إلي المَدِينَة) ... إلى (وللهِ العِزَّةُ ولرَسُولِه) قال قال ذلك عبد الله ابن أُبيّ ابن سلول الأنصارى رأس المنافقين ، وناس معه من المنافقين .

حدثنى أحمد بن منصور الرمادى قال : ثنا إبراهيم بن الحكم قال : ثنى أبى عن عكرمة أن عبد الله بن عبد الله ابن أُبيّ ابن سلول كان يقال له حباب ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ، فقال : يارسول الله إن والدى يؤذى الله ورسوله ، فذرنى حتى أقتله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتَقْتُلْ أباكَ عَبْدَ اللهِ ، ثم جاء أيضا فقال : يارسول الله إن والدى يؤذى الله ورسوله ، فذرنى حتى أقتله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتَقْتُلْ أباكَ ، فقال : يارسول الله فتوضأ حتى أسقيه من وضوئك لعلّ قلبه أن يلين ، فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه ، فذهب به إلى أبيه فسقاه ، ثم قال له : هل تدرى ما سقيتك ؟ فقال له والداه نعم ، سقيتنى بول أمك ، فقال له ابنه : لا والله ، ولكن سقيتك وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال عكرمة : وكان عبد الله بن أُبيّ عظيم الشأن فيهم . وفيهم أنزلت هذه الآية فى المنافقين : (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لاتُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتى يَنْفَضُّوا) وهو الذى قال : (لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْها الأذَلَّ) قال : فلما بلغوا المدينة ، مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه ، أخذ ابنه السيف ، ثم قال لوالده : أنت تزعم « لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ » ، فوالله لاتدخلها حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر بن عبد الله أن رجلا من المهاجرين كسع رجلا من الأنصار برجله وذلك فى أهل اليمن شديد فنادى المهاجرى يا للمهاجرين ، ونادى الأنصارى يا للأنصار ؛ قال : والمهاجرون يومئذ أكثر من الأنصار ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : دَعُوها فإنَّها مُنْتِنَةٌ ، فقال عبد الله بن أُبيّ ابن سلول ، (لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْها الأذَلَّ) » :

حدثنى عمران بن بكار الكلاعيّ ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا علىّ بن سليمان ، قال : ثنا أبو إسحاق ، أن زيد بن أرقم ، أخبره أن عبد الله بن أُبيّ ابن سلول قال (لاتُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حتى يَنْفَضُّوا) وقال (لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْها الأذَلَّ) قال : فحدثنى زيد أنه أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول عبد الله بن أُبيّ ، قال : فجاء فحلف عبد الله ابن أُبيّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ذلك ؛ قال أبو إسحاق : فقال لى زيد ، فجلست فى بيتى ، حتى أنزل الله تصديق زيد ، وتكذيب عبد الله فى « إذا جاءك المنافقون » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْها الأذَلَّ) قرأ الآية كلها إلى (لايَعْلَمُونَ) قال : قد قالها منافق عظيم النفاق فى رجلين اقتتلا ، أحدهما غفاريّ ، والآخر جُهَنِيّ ، فظهر الغفاريّ على الجُهنيّ ، وكان بين جُهينة والأنصار حلف ، فقال رجل من المنافقين وهو ابن أُبيّ : يابنى الأوس ، يابنى الخزرج ، عليكم صاحبكم وحليفكم ،

Marfat.com

ثم قال : والله ما مثلنا ومَثَل محمد إلا كما قال القائل : « سَمِّن كلبك يأكُلك »، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ ، فسعى بها بعضهم إلى نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر : يا نبيّ الله مُر معاذ بن جبل أن يضرب عنق هذا المنافق ، فقال : لايتحدّثُ النّاسُ أنّ مُحَمّدًا يَقْتُلُ أصحابَهُ » :

ذُكر لنا أنه كان أُكْثِر على رجل من المنافقين عنده ، فقال : هل يصلى ؟ فقال : نعم ولا خير فى صلاته ، فقال : نُهيت عن المصلين ، نُهيت عن المصلين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : اقتتل رجلان ، أحدهما من جُهينة ، والآخر من غفار ، وكانت جهينة حليف الأنصار ، فظهر عليه الغفاريّ ، فقال رجل منهم عظيم النفاق : عليكم صاحبكم ، عليكم صاحبكم ، فوالله ما مَثَلنا ومَثَل محمد إلا كما قال القائل : « سمّن كلبك يأكلك » ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ وهم فى سفر ، فجاء رجل ممن سمعه إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فأخبره ذلك ، فقال عمر : مُر معاذا يضرب عنقه ، فقال : والله لايَتَحَدّثُ النّاسُ أنّ مُحَمّدًا يَقْتُلُ أصحابَهُ ، فنزلت فيهم (هُمُ الّذِينَ يَقُولونَ لاتُنْفِقُوا على مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ) .

وقوله (لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنّ الأعَزُّ مِنْها الأذَلَّ) . حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن « أن غلاما جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله إنى سمعت عبد الله بن أُبيّ يقول كذا وكذا ، قال : فَلَعَلّكَ غَضِبْتَ عَلَيْهِ ؟ قال : لا والله لقد سمعته يقوله ، قال : فَلَعَلّكَ أخْطأ سَمْعُكَ ؟ قال : لا والله يانبيّ الله لقد سمعته يقوله قال : فَلَعَلّهُ شُبّهَ عَلَيْكَ ، قال : لا والله ، قال : فأنزل الله تصديقا للغلام (لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنّ الأعَزُّ مِنْها الأذَلَّ) ، فأخذ النبيّ صلى الله عليه وسلم بأذن الغلام ، فقال : وَفَتْ أُذُنُكَ ، وَفَتْ أُذُنُكَ يا غُلامُ » .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (لَيُخْرِجَنّ الأعَزُّ مِنْها الأذَلَّ) قال : كان المنافقون يسمون المهاجرين : الجلابيب ؛ وقال : قال ابن أُبىّ : قد أمرتكم فى هؤلاء الجلابيب أمرى ، قال : قال هذا بين أَمَج وعسفان على الكديد تنازعوا على الماء ، وكان المهاجرون قد غلبوا على الماء ؛ قال : وقال ابن أُبىّ أيضا : أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزُّ منها الأذلَّ لقد قلت لكم : لاتنفقوا عليهم ، لوتركتموهم ماوجدوا ما يأكلون ، ويخرجوا ويهربوا ؛ فأتى عمر بن الخطاب إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ألاتسمع ما يقول ابن أُبيّ ؟ قال : وما ذاك ؟ فأخبره وقال : دعنى أضرب عنقه يا رسول الله ، قال : إذًا تَرْعَدُ لَهُ آنُفٌ كَثِيرَةٌ بِيَثْرِبَ قال عمر : فإن كرهت يارسول الله أن يقتله رجل من المهاجرين ، فمرْ به سعد بن معاذ ، ومحمد بن مسلمة فيقتلانه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّى أكْرَهُ أنْ يَتَحَدّثَ النّاسُ أنّ مُحَمّدًا يَقْتُلُ أصحابَهُ ، ادْعُوا لى عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيّ ، فدعاه ، فقال : ألاتَرَى مايَقُولُ أبُوكَ ؟

Marfat.com

قال : وما يقول بأبى أنت وأمى ؟ قال: يَقُولُ لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْها الأذَلَّ ؛ فقال : فقد صدق والله يارسول الله ، أنت والله الأعزّ وهو الأذلّ ، أما والله لقد قَدِمت المدينة يا رسول الله ، وإن أهل يثرب ليعلمون ما بها أحد أبرّ منى ، ولئن كان يرضى الله ورسوله أن آتيهما برأسه لآتِيَنَّهما به،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:لا ؛ فلما قَدِموا المدينة ، قام عبد الله بن عبد الله بن أُبَىّ على بابها بالسيف لأبيه ؛ ثم قال : أنت القائل : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ ، أما والله لتعرفنّ العزّة لك أو لرسول الله ، والله لايأويك ظله ، ولا تأويه أبدا إلا بإذن من الله ورسوله ؛ فقال : ياللخزرج ابنى يمنعنى بيتى ، ياللخزرج ابنى يمنعنى بيتى ، فقال : والله لاتأويه أبدا إلا بإذن منه ؛ فاجتمع إليه رجال فكلموه ، فقال : والله لايدخله إلا بإذن من الله ورسوله ، فأتوا النبىّ صلى الله عليه وسلم فأخبروه ، فقال : اذْهَبُوا إلَيْهِ ، فَقُولُوا لَهُ خَلِّهِ ومَسْكَنَهُ ؛ فأتوه ، فقال: أما إذا جاء أمر النبىّ صلى الله عليه وسلم فنعم » :

حدثنا ابن حميد ، قال:ثنا سَلَمة وعلىّ بن مجاهد ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الله بن أبى بكر ، وعن محمد بن يحيى بن حبان ، قال : كلّ قد حدثنى بعض حديث بنى المصطلق ، قالوا: «بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بنى المصطلق يجمعون له ، وقائدهم الحارث بن أبى ضرار أبوجويرية بنت الحارث زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم ؛ فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل ، فتزاحف الناس فاقتتلوا ، فهزم الله بنى المصطلق ، وقَتل من قُتل منهم ، ونفل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، فأفاءهم الله عليه ، وقد أصيب رجل من بنى كلب بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر ، يقال له هشام بن صبابة أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت ، وهو يرى أنه من العدوّ ، فقتله خطأ ، فبينا الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار يقال له جَهْجاه بن سعيد[1] ، يقود له فرسه ، فازدحم جَهْجاه وسنان الجُهَنِىّ حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا ، فصرخ الجهنىّ :يا معشر الأنصار ، وصرخ جهجاه : يامعشر المهاجرين ، فغضب عبد الله بن أُبَىّ ابن سلول ، وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم ، غلام حديث السنّ ، فقال: قد فعلوها ؟ قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا ، والله ماأعُدّنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل : «سمّن كلبك يأكلك» ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ ، ثم أقبل على من حضر من قومه ، فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير بلادكم ، فسمع ذلك زيد بن أرقم فمشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه ، فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال : يارسول الله مُر به عباد ابن بشر بن وقش فليقتله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فَكَيْفَ يا عُمَرُ إذَا تَحَدَّثَ النَّاسُ أنَّ

---

(١) اللى فى سيرة ابن هشام ابن مسعود .

Marfat.com

مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ ، لا ، وَلَكِنْ أَذِّنْ بالرَّحِيلِ ، وذلك فى ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها ، فارتحل الناس ، وقد مشى عبد الله بن أُبىّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ماسمع منه ، فحلف بالله ما قلت ما قال ، ولا تكلمت به ؛ وكان عبد الله بن أُبىّ فى قومه شريفا عظيما ، فقال من حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه من الأنصار : يا رسول الله عسى أن يكون الغلام أوهم فى حديثه ، ولم يحفظ ماقال الرجل حدباً على عبد الله بن أُبىّ ، ودفعا عنه ؛ فلما استقلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار ، لقيه أسيد بن حضير ، فحياه بتحية النبوّة وسلم عليه ، ثم قال : يا رسول الله لقد رُحتَ فى ساعة منكرة ما كنت تروح فيها ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أوَ ما بَلَغَكَ ما قالَ صَاحِبُكُمْ ؟ قال : فأىّ صاحب يا رسول الله ؟ قال : عَبْدُ الله بنُ أُبىّ ، قال : وما قال ؟ قال : زَعَمَ أنَّهُ إنْ رَجَعَ إلى المَدِينَةِ أخْرَجَ الأعَزُّ مِنْها الأذَلَّ ؛ قال أسيد : فأنت والله يارسول الله تخرجه إن شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز ؛ ثم قال : يا رسول الله ارفق به ، فوالله لقد جاء الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوّجوه ، فإنه ليرى أنك قد استلبته مُلكا ، ثم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس ، فلم يكن إلا أن وجدوا مسّ الأرض وقعوا نياما ، وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذى كان بالأمس من حديث عبد الله بن أُبىّ ، ثم راح بالناس وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فُويق النقيع ، يقال له نقعاء ؛ فلما راح رسول الله صلى الله عليه وسلم هبّت على الناس ريح شديدة آذتهم وتخوّفوها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تَخافُوا فإنَّما هَبَّتْ لِمَوْتِ عَظِيمٍ مِنْ عُظَماءِ الكُفَّارِ ؛ فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بنى قينقاع وكان من عظماء يهود ، وكهفا للمنافقين قد مات ذلك اليوم ، فنزلت السورة التى ذكر الله فيها المنافقين فى عبدالله بن أُبىّ ابن سلول ، ومن كان معه على مثل أمره ، فقال (إذَا جاءَكَ المُنافِقُونَ) فلما نزلت هذه السورة أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذن زيد فقال : هَذَا الَّذِى أَوْفَى اللهَ بِأُذُنه ، وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أُبىّ الذى كان من أبيه » .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة « أن عبد الله بن عبد الله بن أُبىّ أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنه بلغنى أنك تريد قتل عبدالله بن أُبىّ فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلا ، فمرنى به فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان فيها رجل أبرّ بوالده منى ، وإنى أخشى أن تأمر به غيره فيقتله ، فلا تدعنى نفسى أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أُبىّ يمشى فى الناس فأقتله ، فأقتل مؤمنا بكافر ، فأدخلَ النارَ ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بَلْ نَتَرَفَّقُ بِهِ ونُحْسِنُ صُحْبَتَهُ ما بَقِىَ مَعَنا ، وجعل بعد ذلك اليوم إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ، ويأخذونه ويعنفونه ويتوعدونه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر ابن الخطاب حين بلغه ذلك عنهم من شأنهم : كَيْفَ تَرَى يا عُمَرُ ، أما وَالله لَوْ قَتَلْتَهُ يَوْمَ أمَرْتَنِى

Marfat.com

بقتله لأرعدت له آنف ، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته ؛ قال : فقال عمر : قد والله علمت لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمرى » .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله (لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ) يقول : لا توجب لكم أموالكم (وَلَا أَوْلَادُكُمْ) اللهو (عَنْ ذِكْرِ اللهِ) وهو من ألهيته عن كذا وكذا ، فلها هو يلهو لهوا ؛ ومنه قول امرئ القيس :

وَمِثْلِكِ حُبْلَى قد طرقْتُ وَمُرْضِعٍ		فألْهَيْتُها عَنْ ذِي تَمائمَ مُحْوِلِ [1]

وقيل : عُنِى بذكر الله جلّ ثناؤه فى هذا الموضع : الصلوات الخمس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى سنان ، عن ثابت ، عن الضحاك (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ) قال : الصلوات الخمس .

وقوله (وَمَنْ يَفْعَلْ ذلكَ) يقول : ومن يلهه ماله وأولاده عن ذكر الله (فَأُولَئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ) يقول : هم المغبونون حظوظهم من كرامة الله ورحمته تبارك وتعالى .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : وأنفقوا أيها المؤمنون بالله ورسوله من الأموال التى رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول إذا نزل به الموت : يارب هلا أخرتنى فتُمْهِلَ لى فى الأجل إلى أجل قريب . فأصدّق يقول : فأزكى مالى (وأكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) يقول : وأعمل بطاعتك ، وأؤدّى فرائضك .

وقيل : عنى بقوله (وَأَكُنْ مِنَ الصالحِينَ) وأحجّ بيتك الحرام .

---

(١) البيت لامرىء القيس . وقد سبق استشهاد المؤلف به فى الجزء (١٧ : ١١٤) وشرحناه هناك شرحا مفصلا ، فراجعه . وموضع الشاهد فيه هنا قوله « فألهيتها » وأصله من اللهو ، وهو مالهوت به ولعبت به وشغلك . من هوى وطرب ونحوهما ، يقال : لهوت بالشئ ألهو به لهوا ، وتلهيت به : إذا لعبت به وتشاغلت ، وغفلت به عن غيره . وتقول : ألهانى فلان عن كذا : أى شغلنى وأنسانى ، وكأن الهمزة فيه للسلب .

Marfat.com

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس وسعيد بن الربيع ، قال سعيد ، ثنا سفيان ، وقال يونس : أخبرنا سفيان ، عن أبى جناب عن الضحاك بن مزاحم ، عن ابن عباس ، قال : ما من أحد يموت ولم يؤدّ زكاة ماله ولم يحجّ إلا سأل الكرّة ، فقالوا : ياأبا عباس لاتزال تأتينا بالشىء لانعرفه ؛ قال : فأنا أقرأ عليكم فى كتاب الله (وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ) قال : أؤدّى زكاة مالى (وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) قال : أحجّ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى سنان ، عن رجل ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : ما يمنع أحدكم إذا كان له مال يجب عليه فيه الزكاة أن يزكى ، وإذا أطاق الحجّ أن يحجّ من قبل أن يأتيه الموت ، فيسأل ربه الكرّة فلا يُعطاها ، فقال رجل : أما تتقى الله ، يسأل المؤمن الكرّة قال : نعم ، أقرأ عليكم قرآنا ، فقرأ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ) فقال الرجل : فما الذى يوجب علىّ الحجّ ، قال : راحلة تحمله ، ونفقة تبلغه .

حدثنا عباد بن يعقوب الأسدىّ وفضالة بن الفضل ، قال عباد : أخبرنا يزيد أبو حازم مولى الضحاك : وقال فضالة : ثنا بزيع عن الضحاك بن مزاحم فى قوله (لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ) قال : فأتصدّق بزكاة مالى (وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) قال : الحجّ :

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ) إلى آخر السورة : هو الرجل المؤمن نزل به الموت وله مال كثير لم يزكه ، ولم يحجّ منه ، ولم يعط منه حق الله يسأل الرجعة عند الموت فيزكى ماله ، قال الله (وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا) :

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ) .. إلى قوله (وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ) قال : هو الرجل المؤمن إذا نزل به الموت وله مال لم يزكه ولم يحجّ منه ، ولم يعط حقّ الله فيه ، فيسأل الرجعة عند الموت ليتصدّق من ماله ويزكى ، قال الله (وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا) :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) قال : الزكاة والحج .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار غير ابن محيصن وأبى عمرو : وأكن ، جزما عطفا بها على تأويل قوله (فَأَصَّدَّقَ) لو لم تكن فيه الفاء ، وذلك أن قوله (فَأَصَّدَّقَ) لو لم تكن فيه الفاء كان جزما وقرأ ذلك ابن محيصن وأ بو عمرو (وَأَكُونَ) بإثبات الواو

Marfat.com

ونصب (وأكونَ) عطفا به على قوله (فأصَّدَّقَ) فنصب قوله (وأكُونَ) إذ كان قوله (فأصَّدَّقَ) نصبا.

والصواب من القول فى ذلك: أنهما قراءتان معروفتان، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وقوله (وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا) يقول: لن يؤخر الله فى أجل أحد فيمدّ له فيه إذا حضر أجله، ولكن يخترمه (وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) يقول: والله ذو خبرة وعلم بأعمال عبيده هو بجميعها محيط، لايخفى عليه شىء، وهو مجازيهم بها، المحسنَ بإحسانه، والمسىءَ بإساءته.

آخر تفسير سورة المنافقين

(٦٤) سورة التغابن مدنية
وآياتها ثمانى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى:

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ①﴾

** يقول تعالى ذكره: يسجد له ما فى السموات السبع وما فى الأرض من خلقه ويعظمه.

وقوله (لَهُ الْمُلْكُ) يقول تعالى ذكره: له ملك السموات والأرض وسلطانه ماض قضاؤه فى ذلك نافذ فيه أمره.

وقوله (وَلَهُ الْحَمْدُ) يقول: وله حمد كلّ ما فيها من خلق، لأن جميع من فى ذلك من الخلق لايعرفون الخير إلا منه، وليس لهم رازق سواه فله حمد جميعهم (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول وهو على كلّ شىء ذو قدرة، يقول: يخلق ما يشاء، ويميت من يشاء، ويغنى من أراد، ويفقر من يشاء ويعزّ من يشاء، ويذلّ من يشاء، لايتعذّر عليه شىء أراده، لأنه ذو القدرة التامة التى لايعجزه معها شىء.

القول فى تأويل قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ②﴾

** يقول تعالى ذكره: الله (الَّذِي خَلَقَكُمْ) أيها الناس، وهو من ذكر اسم الله (فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ) يقول: فمنكم كافر بخالقه وأنه خلقه؛ ومنكم مؤمن: يقول: ومنكم مصدّق به موقن أنه خالقه أو بارئه (وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) يقول: والله الذى خلقكم بصير بأعمالكم عالم بها، لايخفى عليه منها شىء، وهو مجازيكم بها، فاتقوه أن تخالفوه فى أمره أو نهيه، فيسطوَ بكم.

حدثنا محمد بن منصور الطوسى، قال: ثنا حسن بن موسى الأشيب، قال: ثنا ابن لهيعة، قال: ثنا بكر بن سوادة، عن أبى تميم الجيشانىّ، عن أبى ذرّ: «إن المنىّ إذا مكث فى الرحم أربعين ليلة، أتى ملك

Marfat.com

النفوس ، فعرج به إلى الجبار فى راحته ، فقال : أى رب عبدك هذا ذكر أم أنثى ؟ فيقضى الله إليه ماهو قاض ، ثم يقول : أى ربّ أشقى أم سعيد ؟ فيكتب ماهولاق : قال : وقرأ أبوذرّ فاتحة التغابن خمس آيات ».

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝٣﴾

** يقول تعالى ذكره : خالق السموات السبع والأرض بالعدل والإنصاف ، وصوّركم : يقول : ومثلكم فأحسن مثلكم : وقيل : إنه عُنى بذلك تصويره آدم ، وخلقه إياه بيده .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قل : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأرْضَ بالحَقِّ ، وَصَوَّرَكُمْ فأحْسَنَ صُوَرَكُمْ) يعنى آدم خلقه بيده .

وقوله (وَإلَيْهِ المَصِيرُ) يقول : وإلى الله مرجع جميعكم أيها الناس .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٤﴾

** يقول تعالى ذكره : يعلم ربكم أيها الناس مافى السموات السبع والأرض من شىء ، لايخفى عليه من ذلك خافيه (وَيَعْلَمُ ما تُسِرُّونَ) أيها الناس بينكم من قول وعمل (وَما تُعْلِنُونَ)من ذلك فتظهرونه (وَاللهُ عَلِيمٌ بذَاتِ الصُّدُورِ) يقول جلّ ثناؤه والله ذو علم بضمائر صدور عباده ، وما تنطوى عليه نفوسهم ، الذى هو أخفى من السرّ ، لايعزب عنه شىء من ذلك ، يقول تعالى ذكره لعباده : احذروا أن تسرّوا غير الذى تعلنون ، أو تضمروا فى أنفسكم غير ما تُبدونه ، فإن ربكم لايخفى عليه من ذلك شىء ، وهو محص جميعه ، وحافظ عليكم كله .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا ۚ وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ ۚ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝٦﴾

** يقول تعالى ذكره لمشركى قريش : ألم يأتكم أيها الناس خبر الذين كفروا من قبلكم ، وذلك كقوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط (فَذَاقُوا وَبَالَ أمْرِهِمْ) فسهم عذاب الله إياهم على كفرهم (وَلَهُمْ عَذَابٌ ألِيمٌ) يقول : ولهم عذاب مؤلم موجع يوم القيامة فى نارجهنم ، مع الذى أذاقهم الله فى الدنيا وبال كفرهم

كفرهم

Marfat.com

وقوله (ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ) يقول جلّ ثناؤه : هذا الذى نال الذين كفروا من قبل هؤلاء المشركين من وبال كفرهم ، والذى أعدّ لهم ربهم يوم القيامة من العذاب ، من أجل أنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات الذين أرسلهم إليهم ربهم بالواضحات من الأدلة والإعلام على حقيقة ما يدعونهم إليه ، فقالوا لهم : أبشريهدوننا ، استكبارا منهم أن تكون رسل الله إليهم بشرا مثلهم واستكبارا عن اتباع الحقّ من أجل أن بشرا مثلهم دعاهم إليه ، وجمع الخبر عن البشر ، فقيل : يهدوننا ، ولم يقل : يهدينا ، لأن البشر ، وإن كان فى لفظ الواحد ، فإنه بمعنى الجميع .

وقوله (فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا) يقول : فكفروا بالله ، وجحدوا رسالة رسله الذين بعثهم الله إليهم استكبارا (وَتَوَلَّوْا) : يقول : وأدبروا عن الحقّ فلم يقبلوه ، وأعرضوا عما دعاهم إليه رسلهم (وَاسْتَغْنَى اللَّهُ) يقول : واستغنى الله عنهم ، وعن إيمانهم به وبرسله ، ولم تكن به إلى ذلك منهم حاجة (وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) يقول : والله غنيّ عن جميع خلقه ، محمود عند جميعهم بجميل أياديه عندهم ، وكريم فعاله فيهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾

** يقول تعالى ذكره : زعم الذين كفروا بالله أن لن يبعثهم الله إليه من قبورهم بعد مماتهم .وكان ابن عمر يقول : زعم كنية الكذب :

حدثنى بذلك محمد بن نافع البصرىّ ، قال : ثنا عبدالرحمن بن مهدى ، عن سفيان ، عن بعض أصحابه عن ابن عمر .

وقوله (قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ) يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهم يامحمد : بلى وربى لتبعثنّ من قبوركم (ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ) يقول : ثم لتخبرنّ بأعمالكم التى عملتموها فى الدنيا ، (وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) يقول : وبعثكم من قبوركم بعد مماتكم على الله سهل هين .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾

** يقول تعالى ذكره : فصدّقوا بالله ورسوله أيها المشركون المكذّبون بالبعث ، وبإخباره إياكم أنكم مبعوثون من بعد مماتكم ، وأنكم من بعد بلائكم تنشرون من قبوركم ، والنور الذى أنزلنا : يقول : وآمنوا بالنور الذى أنزلنا ، وهو هذا القرآن الذى أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) يقول تعالى ذكره : والله بأعمالكم أيها الناس ذو خبرة محيط بها ، محص جميعها ، لايخفى عليه منها شىء ، وهو مجازيكم على جميعها .

Marfat.com

القول في تأويل قوله تعالى :

يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝٩

* يقول تعالى ذكره : والله بما تعملون خبير (يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الجَمْعِ) الخلائق للعرض (ذلكَ يَوْمُ التَّغابُنِ) يقول : الجمع يوم غَبْن أهل الجنة أهلَ النار .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (ذَلكَ يَوْمُ التَّغابُنِ) قال : هو غبن أهل الجنة أهلَ النار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الجَمْعِ) هو يوم القيامة ، وهو يوم التغابن : يوم غَبْن أهلِ الجنة أهلَ النار .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (ذلك يَوْمُ التَّغابُنِ) من أسماء يوم القيامة ، عظّمه وحذّره عبادَه :

وقوله (وَمَنْ يُؤْمِنْ باللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا) يقول تعالى ذكره : ومن يصدّق بالله ويعمل بطاعته ، وينته إلى أمره ونهيه (يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئاتِهِ) يقول : يمح عنه ذنوبه (وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِها الأنهارُ) يقول : ويُدخله بساتين تجرى من تحت أشجارها الأنهار

وقوله (خالِدِينَ فِيها أبَدًا) يقول : لابثين فيها أبدا ، لايموتون ، ولا يخرجون منها

وقوله (ذلكَ الفَوْزُ العَظِيمُ) يقول : خلودهم فى الجنات التى وصفنا النجاء العظيم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝١٠

* يقول تعالى ذكره : والذين جحدوا وحدانية الله ، وكذّبوا بأدلته وحججه وآى كتابه الذى أنزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم (أُولَئِكَ أَصحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ) يقول : ماكثين فيها أبدا لايموتون فيها ، ولا يخرجون منها (وَبِئْسَ المَصِيرُ) يقول : وبئس الشىء الذى يُصار إليه جهنم .

Marfat.com

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١١)

* يقول تعالى ذكره : لم يصب أحدا من الخلق مصيبة إلا باذن الله ، يقول : إلا بقضاء الله وتقديره ذلك عليه (وَمَنْ يُؤْمِنْ باللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ) يقول : ومن يصدّق بالله فيعلم أنه لاأحد تصيبه مصيبة إلا بإذن الله بذلك يهد قلبه : يقول : يوفّق الله قلبه بالتسليم لأمره والرضا بقضائه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس قوله (وَمَنْ يُؤْمِنْ باللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ) يعنى : يهد قلبه لليقين ، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه .

حدثنى نصر بن عبد الرحمن الوشاء الأودىّ ، قال : ثنا أحمد بن بشير ، عن الأعمش ، عن أبى ظبيان قال : كنا عند علقمة ، فقرئ عنده هذه الآية (وَمَنْ يُؤْمِنْ باللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ) فسُئل عن ذلك فقال : هو الرجل تصيبه المصيبة ، فيعلم أنها من عند الله ، فيسلم ذلك ويرضى :

حدثنى عيسى بن عثمان الرملى ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن أبى ظبيان ، قال : كنت عند عاقمة وهو يعرض المصاحف ، فمرّ بهذه الآية (ما أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إلا بإذْنِ اللهِ ، وَمَنْ يُؤْمِنْ باللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ) قال : هو الرجل ... ثم ذكر نحوه :

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبوعامر ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى ظبيان ، عن علقمة ، فى قوله (ماأَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إلا بإذْنِ اللهِ ، وَمَنْ يُؤْمِنْ باللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ) قال : هو الرجل تصيبه المصيبة ، فيعلم أنها من عند الله فيسلم لها ويرضَى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى ابن مهدى ، عن الثورى ، عن الأعمش ، عن أبى ظبيان ، عن علقمة مثله ، غير أنه قال فى حديثه : فيعلم أنها من قضاء الله ، فيرضى بها ويسلم :

وقوله (وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) يقول : والله بكلّ شيء ذو علم بما كان ويكون وما هو كائن من قبل أن يكون :

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٢) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١٣)

* يقول تعالى ذكره : (وأطيعُوا اللهَ) أيها الناس فى أمره ونهيه (وأطيعُوا الرَّسُولَ) صلى الله عليه وسلم

Marfat.com

(فإن توليتم) فإن أدبرتم عن طاعة الله و طاعة رسوله مستكبرين عنها ، فلم تطيعوا الله ولارسوله (فإنما) فليس (على رسولنا) محمد إلاّ (البلاغُ المبينُ) أنه بلاغ إليكما أرسلته به يقول جل ّثناؤه : فقد أعذر إليكم بالإبلاغ والله وليّ الانتقام ممن عصاه ، وخالف أمره ، وتولى عنه (اللهُ لاإلهَ إلا هو) يقول جلّ ثناؤه : معبودكم أيها الناس معبود واحد لاتصلح العبادة لغيره ولا معبود لكم سواه .

(وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُون) يقول تعالى ذكره وعلى الله أيها الناس فليتوكل المصدّقون بوحدانيته :

القول في تأويل قوله تعالى :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾

** يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله (إن مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُمْ عَدُوّا لَكُمْ) يصدّونكم عن سبيل الله ، ويثبطونكم عن طاعة الله (فاحْذَرُوهُمْ) أن تقبلوا منهم ما يأمرونكم به من ترك طاعة الله .

وذُكر أن هذه الآية نزلت فى قوم كانوا أرادوا الإسلام والهجرة ، فثبّطهم عن ذلك أزواجهم وأولادهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا يحيى بن آدم وعبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : سأله رجل عن هذه الآية (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنَّ مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُمْ عَدُوّا لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ) قال : هؤلاء رجال أسلموا ، فأرادوا أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدَعوهم يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما أتَوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأوا الناس قد فقهوا فى الدين ، هموا أن يعاقبوهم ، فأنزل الله جلّ ثناؤه (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إن مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُمْ) . . . الآية .

حدثنا هناد بن السريّ ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، فى قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنَّ مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُمْ عَدُوّا لَكُم فاحْذَرُوهُمْ) قال : كان الرجل يريد أن يأتى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فيقول له أهله : أين تذهب وتدعنا ؟ قال : وإذا أسلم وفَقِه ، قال : لأرجعنّ إلى الذين كانوا ينهون عن هذا الأمر فلأفعلنّ ولأفعلنّ ، فأنزل الله جلّ ثناؤه (وَإنْ تَعْفُوا وتَصْفَحُوا وتَغْفِرُوا فإن اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إن مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُم عَدُوّا لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ) كان الرجل

Marfat.com

إذا أراد أن يهاجر من مكة إلى المدينة تمنعه زوجته وولده ، ولم يألُوا يثبطوه عن ذلك ، فقال الله : إنهم عدوٌّ لكم فاحذروهم واسمعوا وأطيعوا ، وامضُوا لشأنكم ، فكان الرجل بعد ذلك إذا مُنِع وثُبِّط مرّ بأهله وأقسم ، والقسم يمين ليفعلنّ وليعاقبنّ أهله فى ذلك ، فقال الله جلّ ثناؤه (وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا ، فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عطاء بن يسار قال : نزلت سورة التغابن كلها بمكة ، إلا هؤلاء الآيات (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنَّ مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ) نزلت فى عوف بن مالك الأشجعىّ ، كان ذا أهل وولد ، فكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ورقّقوه ، فقالوا : إلى من تَدعنا ؟ فيرقّ ويقيم ، فنزلت (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنَّ مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ) . الآية كلها بالمدينة فى عوف بن مالك وبقية الآيات إلى آخر السورة بالمدينة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (إنَّ مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ) قال : إنهما يحملانه على قطيعة رحمه ، وعلى معصية ربه ، فلا يستطيع مع حبه إلا أن يقطعه .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله ، إلا أنه قال : فلا يستطيع مع حبه إلا أن يطيعه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنَّ مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ) . . . الآية ، قال : منهم من لا يأمر بطاعة الله ، ولا ينهى عن معصيته ، وكانوا يبطِّئون عن الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الجهاد .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (إن مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ) قال : ينهون عن الإسلام ، ويُبَطِّئون عنه ، وهم من الكفار فاحذروهم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنَّ مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ) . . . الآية ، قال : هذا فى أناس من قبائل العرب كان يسلم الرجل أو النفر من الحىّ ، فيخرجون من عشائرهم ويدعون أزواجهم وأولادهم وآباءهم عامدين إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فتقوم عشائرهم وأزواجهم وأولادهم وآباؤهم ، فيناشدونهم الله أن لا يفارقوهم ، ولا يؤثروا عليهم غيرهم ، فمنهم من يَرِقّ ويرجع إليهم ، ومنهم من يمضى حتى يلحق بنبىّ الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن ناجية وزيد بن حباب ، قالا : ثنا يحيى بن واضح جميعا ، عن

Marfat.com

الحسين بن واقد ، قال : ثنى عبد الله بن بريدة ، عن أبيه ، قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ، فجاء الحسن والحسين رضى الله عنهما عليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذهما فرفعهما فوضعهما فى حجره ثم قال : صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ : « إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ » رأيتُ هذين فلم أصبر ، ثم أخذ فى خطبته » اللفظ لأبى كريب عن زيد .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ) قال : يقول : عدوًّا لكم فى دينكم ، فاحذروهم على دينكم .

حدثنى محمد بن عمرو بن علىّ المقدمىّ ، قال : ثنا أشعث بن عبدالله ، قال : ثنا شعبة ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، فى قوله (إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ) قال : كان الرجل يسلم ، فيلومه أهله وبنوه ، فنزلت (إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ) .

وقوله (وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا) يقول : وإن تعفوا أيها المؤمنون عما سلف منهم من صدّهم إياكم عن الإسلام والهجرة وتصفحوا لهم عن عقوبتكم إياهم على ذلك ، وتغفروا لهم غير ذلك من الذنوب (فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) لكم لمن تاب من عباده ، من ذنوبكم (رحيم) بكم أن يعاقبكم عليها من بعد توبتكم منها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾

** يقول تعالى ذكره : ما أموالكم أيها الناس وأولادكم إلا فتنة ، يعنى بلاء عليكم فى الدنيا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) يقول بلاء .

وقوله (وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) يقول : والله عنده ثواب لكم عظيم ، إذا أنتم خالفتم أولادكم وأزواجكم فى طاعة الله ربكم ، وأطعتم الله عزّ وجلّ ، وأدّيتم حقّ الله فى أموالكم ، والأجر العظيم الذى عند الله الجنة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) وهى الجنة .

Marfat.com

وقوله (فاتَّقُوا اللهَ ما اسْتَطَعْتُم) يقول تعالى ذكره : واحذروا الله أيها المؤمنون وخافوا عقابه ، وتجنبوا عذابه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ، والعمل بما يقرّب إليه ما أطقتم وبلغه وسعكم .

وذُكر أن قوله (فاتَّقُوا اللهَ ما اسْتَطَعْتُمْ) نزل بعد قوله (اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ) تخفيفا عن المسلمين ، وأن قوله (فاتَّقُوا اللهَ ما اسْتَطَعْتُمْ) ناسخ قوله (اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ)

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فاتَّقُوا اللهَ ما اسْتَطَعْتُمْ واسْمَعُوا وأطِيعُوا) هذه رخصة من الله ، والله رحيم بعباده ، وكان الله جلّ ثناؤه أنزل قبل ذلك (اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ) وحقّ تقاته أن يُطاع فلا يعصى ، ثم خفّف الله تعالى ذكره عن عباده ، فأنزل الرخصة بعد ذلك فقال : « فاتقوا الله ما استطعتم ، واسمعوا وأطيعوا » فيما استطعت يا ابن آدم ، عليها بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيما استطعتم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ) قال : نسختها (اتَّقُوا اللهَ ما اسْتَطَعْتُمْ) .

وقد تقدم بياننا عن معنى الناسخ والمنسوخ بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ، وليس فى قوله (فاتَّقُوا اللهَ ما اسْتَطَعْتُمْ) دلالة واضحة على أنه لقوله (اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ) ناسخ ، إذ كان محتملا قوله اتقوا الله حقّ تقاته فيما استطعتم ، ولم يكن بأنه له ناسخ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا كان ذلك كذلك ، فالواجب استعمالهما جميعا على مايحتملان من وجوه الصحة .

وقوله (واسْمَعُوا وأطِيعُوا) يقول : واسمعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأطيعوه فيما أمركم به ونهاكم عنه (وَأنْفِقُوا خَيْرًا لأنْفُسِكُمْ) يقول : وأنفقوا مالا من أموالكم لأنفسكم تستنقذوها من عذاب الله ، والخير فى هذا الموضع المال .

وقوله (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ) يقول تعالى ذكره : ومن يقه الله شحّ نفسه ، وذلك اتباع هواها فيما نهى الله عنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى أبو معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ) يقول : هوى نفسه حيث يتبع هواه ولم يقبل الإيمان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جامع بن شدّاد ، عن الأسود بن هلال ، عن ابن مسعود (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ) قال : أن يعمد إلى مال غيره فيأكله .

وقوله (فأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ) يقول : فهؤلاء الذين وُقُوا شح أنفسهم ، المُنجِحون الذين أدركوا طلباتهم عند ربهم .

Marfat.com

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾

٭٭ يقول تعالى ذكره: وإن تنفقوا في سبيل الله، فتحسنوا فيها النفقة، وتحتسبوا بإنفاقكم الأجر والثواب يضاعف ذلك لكم ربكم، فيجعل لكم مكان الواحد سبع مئة ضعف إلى أكثر من ذلك مما يشاء من التضعيف (يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) فيصفح لكم عن عقوبتكم عليها مع تضعيفه نفقتكم التي تنفقون في سبيله (وَاللَّهُ شَكُورٌ) يقول: والله ذو شكر لأهل الإنفاق في سبيله، بحسن الجزاء لهم على ما أنفقوا في الدنيا في سبيله (حَلِيمٌ) يقول: حليم عن أهل معاصيه بترك معاجلتهم بعقوبته (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) يقول: عالم ما لا تراه أعين عباده ويغيب عن أبصارهم وما يشاهدونه فيرونه بأبصارهم (الْعَزِيزُ) يعني الشديد في انتقامه ممن عصاه وخالف أمره ونهيه (الْحَكِيمُ) في تدبيره خلقه، وصرفه إياهم فيما يصلحهم.

آخر تفسير سورة التغابن

(٦٥) سورة الطلاق مدنية وآياتها اثنتا عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾

٭٭ يعني تعالى ذكره بقوله (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) يقول: إذا

Marfat.com

طلقتم نساءكم فطلقوهن لطهرهن الذى يحصينه من عدتهن ، طاهراً من غير جماع ، ولا تطلقوهن بحيضهن الذى لايعتددن به من قرئهن .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت الأعمش ، عن مالك بن الحارث ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله ، قال : الطلاق للعدة طاهرا من غير جماع .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مالك بن الحارث ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) قال : بالطهر فى غير جماع .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن عبد الله (إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) يقول : إذا طلقتم قال : الطهر فى غير جماع :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن عبد الله (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) قال : طاهرا من غير جماع :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، عن داود بن حصين ، عن عكرمة عن ابن عباس ، أنه كان يرى طلاق السنة طاهرا من غير جماع ، وفى كل طهر ، وهى العدة التى أمر الله بها .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عبد الله بن أبى نجيح ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد ، أن رجلا سأل ابن عباس فقال : إنه طلق امرأته مئة ، فقال : عصيت ربك ، وبانت منك امرأتك ، ولم تتق الله فيجعل لك مخرجا ، وقرأ هذه الآية (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً) ، وقال (يا أَيُّها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ فِى قُبُلِ عِدَّتِهِنَّ) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : ثنا شعبة ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد ، عن ابن عباس بنحوه :

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا أيوب ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، قال : كنت عند ابن عباس ، فجاءه رجل فقال : إنه طلق امرأته ثلاثا ، فسكت حتى ظننا أنه رادها عليه ، ثم قال : ينطلق أحدكم فيركب الحموقة ، ثم يقول : يا ابن عباس يا ابن عباس ، وإن الله عز وجل قال : (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً) وإنك لم تتق الله فلا أجد لك مخرجا ، عصيت ربك ، وبانت منك امرأتك ، قال الله (يا أَيُّها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ فِى قُبُلِ عِدَّتِهِنَّ) :

حدثنا محمد بن المثنى : قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال : سمعت مجاهدا يحدث عن ابن عباس فى هذه الآية (يا أَيُّها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) قال ابن عباس : فى قبل عدتهن .

Marfat.com

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، عن إسماعيل بن أمية، عن عبد الله بن كثير، عن مجاهد، أنه قرأ (فَطَلِّقُوهُنَّ فِي قُبُلِ عِدَّتِهِنَّ).

حدثنا العباس بن عبد العظيم، قال: ثنا جعفر بن عون، قال: أخبرنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) قال: طاهرا فى غير جماع.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا هارون بن المغيرة، عن إسماعيل بن مسلم، عن الحسن، فى قوله (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) قال: طاهرا من غير حيض، أو حاملا قد استبان حملها.

قال: ثنا هارون، عن عيسى بن يزيد بن دأب، عن عمرو، عن الحسن وابن سيرين، فيمن أراد أن يطلق ثلاث تطليقات جميعا فى كلمة واحدة، أنه لا بأس به بعد أن يطلقها فى قبل عدتها، كما أمره الله، وكانا يكرهان أن يطلق الرجل امرأته تطليقة، أو تطليقتين، أو ثلاثا، إذا كان بغير العدة التى ذكرها الله:

حدثنى يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا عون، عن ابن سيرين أنه قال فى قوله (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) قال: يطلقها وهى طاهر من غير جماع، أو حبل يستبين حملها.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى قول الله عزّ وجلّ (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) قال: لطهرهنّ.

حدثنا علىّ بن عبد الأعلى المحاربىّ، قال: ثنا المحاربىّ، عن جويبر، عن الضحاك، فى قول الله (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) قال: العدّة: القرء، والقرء: الحيض. والطاهر: الطاهر من غير جماع، ثم تستقبل ثلاث حيض.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) والعدة: أن يطلقها طاهرا من غير جماع تطليقة واحدة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، فى قوله (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) قال: إذا طهرت من الحيض فى غير جماع، قلت: كيف؟ قال: إذا طهرت فطلقها من قبل أن تمسها، فإن بدا لك أن تطلقها أخرى تركتها حتى تحيض حيضة أخرى، ثم طلقها إذا طهرت الثانية، فإذا أردت طلاقها الثالثة أمهلتها حتى تحيض، فإذا طهرت طلقها الثالثة، ثم تعتدّ حيضة واحدة، ثم تنكح إن شاءت.

قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، قال: وقال ابن طاوس: إذا أردت الطلاق فطلقها حين تطهر، قبل أن تمسها تطليقة واحدة، لا ينبغى لك أن تزيد عليها، حتى تخلو ثلاثة قروء، فإن واحدة تبينها.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول فى قوله (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) يقول: طلّقها طاهرا من غير جماع.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ)

Marfat.com

قال : إذا طلقها للعدة كان ملكها بيدك ، من طلق للعدة جعل الله له فى ذلك فسحة ، وجعل له ملكا إن أراد أن يرتجع قبل أن تنقضى العدة ارتجع .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) قال : طاهرا فى غير جماع ، فإن كانت لاتحيض ، فعند غرّة كل هلال .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : «طلّقت امرأتى وهى حائض ؛ قال : فأتى عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره بذلك ، فقال : مُرْهُ فَلْيُرَاجِعها حتى تَطْهُرَ ، ثُمَّ تَحِيضَ ، ثُمَّ تَطْهُرَ ، ثُمَّ إنْ شاءَ طَلَّقَها قَبْلَ أنْ يُجامِعَها ، وَإنْ شاءَ أمْسَكَها ، فإنَّها العِدَّةُ الَّتى قال اللهُ عزَّ وجلَّ » .

قال : ثنا ابن إدريس ، عن يحيى بن سعيد ، عن نافع ، عن ابن عمر بنحوه ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن مهدى ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر « أنه طلق امرأته وهى حائض ، فسأل عمرُ النبىَّ صلى الله عليه وسلم فقال : مُرْهُ فَلْيُراجِعْها ، ثُمَّ لِيُمْسِكْها حتى تَطْهُرَ ، ثُمَّ تَحِيضَ ، ثُمَّ تَطْهُرَ ، ثُمَّ إنْ شاءَ أمْسَكَها ، فَتِلْكَ العِدَّةُ الَّتى أمَرَ اللهُ أنْ تُطَلَّقَ لَهَا النِّساءُ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر « أنه طلق امرأته حائضا ، فأتى عمر النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فذكر ذلك له ، فأمره أن يراجعها ، ثم يتركها حتى إذا طهرت ثم حاضت طلقها ، قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : فَهِيَ العِدَّةُ الَّتى أمَرَ اللهُ أنْ يُطَلَّقَ لَهَا النِّساءُ » يقول : حين يطهرن .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس فى قوله (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) يقول : لايطلقها وهى حائض ، ولا فى طهر قد جامعها فيه ، ولكن يتركها حتى إذا حاضت وطهرت طلقها تطليقة ، فإن كانت تحيض فعدتها ثلاث حيض ، وإن كانت لاتحيض فعدتها ثلاثة أشهر ، وإن كانت حاملا ، فعدتها أن تضع حملها .

حدثنا ابن البرقىّ ، قال : ثنا عمرو بن أبى سلمة ، عن سعيد بن عبد العزيز ، سُئل عن قول الله (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) قال : طلاق السنة أن يطلق الرجل امرأته وهى فى قبل عدتها ، وهى طاهر من غير جماع واحدة ، ثم يدعها ، فإن شاء راجعها قبل أن تغتسل من الحيضة الثالثة ، وإن أراد أن يطلقها ثلاثا طلقها واحدة فى قبل عدتها ، وهى طاهر من غير جماع ، ثم يدعها حتى إذا حاضت وطهرت طلقها أخرى ، ثم يدعها ، حتى إذا حاضت وطهرت طلقها أخرى ، ثم لاتحلّ له حتى تنكح زوجا غيره .

ذُكر أن هذه الآية أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبب طلاقه حَفْصة .

Marfat.com

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن عبدالأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : « طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر تطليقة ، فأنزلت هذه الآية (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) فقيل : راجعها فإنها صوّامة قوّامة ، وإنها من نسائك فى الجنة »

وقوله (وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ) يقول : وأحصوا هذه العدّة وأقراءها فاحفظوها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ) قال : احفظوا العدّة :

وقوله (وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ) يقول : وخافوا الله أيها الناس ربكم فاحذروا معصيته أن تتعدّوا حده ، لاتخرجوا من طلقتم من نسائكم لعدتهنّ من بيوتهنّ التى كنتم أسكنتموهنّ فيها قبل الطلاق حتى تنقضى عدتهنّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ ، لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ) حتى تنقضى عدتهنّ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قال عطاء : إن أذن لها أن تعتدّ فى غير بيته ، فتعتدّ فى بيت أهلها ، فقد شاركها إذن فى الإثم . ثم تلا (لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ، وَلا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) قال : قلت هذه الآية فى هذه ؟ قال : نعم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا حيوة بن شريح ، عن محمد بن عجلان ، عن نافع ، أن عبد الله بن عمر كان يقول فى هذه الآية (لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ، وَلا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) قال : خروجها قبل انقضاء العدّة ، قال ابن عجلان عن زيد بن أسلم : إذا أتت بفاحشة أخرجت .

وحدثنا علىّ بن عبد الأعلى المحاربىّ ، قال : ثنا المحاربىّ ، عبد الرحمن بن محمد ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله (لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ، وَلا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) قال : ليس لها أن تخرج إلا بإذنه ، وليس للزوج أن يخرجها ما كانت فى العدّة ، فإن خرجت فلا سكنى لها ولا نفقة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ) قال : هى المطلقة لاتخرج من بيتها ، مادام لزوجها عليها رجعة ، وكانت فى عدّة .

Marfat.com

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ) وذلك إذا طلقها واحدة أو ثنتين لها ما لم يطلقها ثلاثا .

وقوله (وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) يقول جلّ ثناؤه : لاتخرجوهنّ إلا أن يأتين بفاحشة مبينة إنها فاحشة لمن عاينها أو علمها .

واختلف أهل التأويل فى معنى الفاحشة التى ذكرت فى هذا الموضع ، والمعنى الذى من أجله أذن الله بإخراجهنّ فى حال كونهنّ فى العدّة من بيوتهنّ ، فقال بعضهم : الفاحشة التى ذكرها الله فى هذا الموضع هو الزنى ، والإخراج الذى أباح الله هو الإخراج لإقامة الحدّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، فى قوله : (لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) قال : الزنى ، قال : فتُخرَج ليُقام عليها الحدّ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، مثله .

حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن صالح بن مسلم ، قال : سألت عامرا قلت : رجل طلق امرأته تطليقة أيخرجها من بيتها ؟ قال : إن كانت زانية .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) قال : إلا أن يزنين .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : وسألته عن قول الله عزّ وجلّ : (لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) قال : قال الله جلّ ثناؤه : (وَاللَّاتِى يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ) قال : هؤلاء المحصنات ، (فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ) . . . الآية . قال : فجعل الله سبيلهنّ الرجم ، فهى لاينبغى لها أن تخرج من بيتها إلا أن تأتى بفاحشة مبينة ، فإذا أتت بفاحشة مبينة أخرجت إلى الحدّ فرجمت ، وكان قبل هذا للمحصنة الحبس تحبس فى البيوت لاتترك تنكح ، وكان للبكرين الأذى ، قال الله جلّ ثناؤه : (وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا) يا زان ، يازانية ، (فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا) قال : ثم نُسخ هذا كله ، فجعل الرجم للمحصنة والمحصن ، وجعل جلد مئة للبكرين ، قال : ونسخ هذا .

وقال آخرون : الفاحشة التى عناها الله فى هذا الموضع : البَذاء على أحمائها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : ثنا محمد بن عمرو ، عن محمد بن إبراهيم ، عن ابن

Marfat.com

عباس قال الله : (لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ، وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) قال : الفاحشة المبينة أن تبذُوَ على أهلها .

وقال آخرون : بل هي كل معصية لله .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمى ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) والفاحشة : هي المعصية .

وقال آخرون : بل ذلك نشوزها على زوجها ، فيطلقها على النشوز ، فيكون لها التحوّل حينئذ من بيتها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) قال قتادة : إلا أن يطلقها على نشوز ، فلها أن تحوّل من بيت زوجها .

وقال آخرون : الفاحشة المبينة التي ذكر الله عزّ وجلّ في هذا الموضع خروجها من بيتها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، في قوله (وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) قال : خروجها من بيتها فاحشة . قال بعضهم خروجها إذا أتت بفاحشة أن تخرج فيُقام عليها الحدّ .

حدثني ابن عبد الرحيم البرقيّ ، قال : ثنا سعيد بن الحكم بن أبي مريم ، قال : أخبرنا يحيى بن أيوب قال : ثني محمد بن عجلان ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، في قوله (لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) قال : خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة .

** والصواب من القول في ذلك عندي قول من قال : عنى بالفاحشة في هذا الموضع : المعصية ، وذلك أن الفاحشة هي كلّ أمر قبيح تعدّى فيه حدّه ، فالزنى من ذلك ، والسرق والبذاء على الأحماء ، وخروجها متحوّلة عن منزلها الذي يلزمها أن تعتدّ فيه منه ، فأيّ ذلك فعلت وهي في عدتها ، فلزوجها إخراجها من بيتها ذلك ، لإتيانها بالفاحشة التي ركبتها .

وقوله (وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ) يقول تعالى ذكره : وهذه الأمور التي بينتها لكم من الطلاق للعدّة ، وإحصاء العدّة ، والأمر باتقاء الله ، وأن لا تخرج المطلقة من بيتها ، إلا أن تأتي بفاحشة مبينة حدود الله التي حدّها لكم أيها الناس فلا تعتدوها (وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) يقول تعالى ذكره ومن يتجاوز حدود الله التي حدّها لخلقه فقد ظلم نفسه : يقول : فقد أكسب نفسه وزرا ، فصار بذلك لها ظالما ، وعليها متعدّيا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

Marfat.com

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ بن عبد الأعلى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربىّ ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قول الله (وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ) يقول : تلك طاعة الله فلا تعتدوها ، قال : يقول : من كان على غير هذه فقد ظلم نفسه .

وقوله (لاتَدْرِى لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلك أمْرًا) يقول جلّ ثناؤه : لاتدرى ما الذى يحدث ؟ لعل الله يحدث بعد طلاقكم إياهنّ رجعة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ ، أن فاطمة بنت قيس كانت تحت أبى حفص المخزومى ، وكان النبىّ صلى الله عليه وسلم أمّر عليا على بعض اليمن ، فخرج معه ، فبعث إليها بتطليقة كانت لها ، وأمر عياش بن أبى ربيعة المخزومى ، والحارث بن هشام أن ينفقا عليها ، فقالا : لا والله مالها علينا نفقة ، إلا أن تكون حاملا ، فأتت النبىّ صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له ، فلم يجعل لها نفقة إلا أن تكون حاملا ، واستأذنته فى الانتقال ، فقالت : أين أنتقل يارسول الله ؟ قال : عِنْدَ ابْنِ أُمّ مَكْتُومٍ ، وكان أعمى ، تضع ثيابها عنده ، ولا يبصرها ؛ فلم تزل هنالك حتى أنكحها النبىّ صلى الله عليه وسلم أُسامة بن زيد حين مضت عدتها ، فأرسل إليها مروان بن الحكم يسألها عن هذا الحديث ، فأخبرته ، فقال مروان : لم نسمع هذا الحديث إلا من امرأة ، وسنأخذ بالعصمة التى وجدنا الناس عليها ، فقالت فاطمة : بينى وبينكم الكتاب ، قال الله جلّ ثناؤه (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) حتى بلغ (لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْرًا) قالت : فأىّ أمر يحدث بعد الثلاث ، وإنما هو فى مراجعة الرجل امرأته ، وكيف تحبس امرأة بغير نفقة ؟

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْرًا) قال : هذا فى مراجعة الرجل امرأته .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لاتَدْرِى لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْرًا) : أى مراجعة :

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لاتَدْرِى لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْرًا) قال : يراجعها فى بيتها هذا فى الواحدة والثنتين ، هو أبعد من الزنى .

قال سعيد ، وقال الحسن : هذا فى الواحدة والثنتين ، وما يحدث الله بعد الثلاث .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا أيوب ، قال : سمعت الحسن وعكرمة يقولان : المطلقة ثلاثا ، والمتوفى عنها لاسكنى لها ولا نفقة ؛ قال : فقال عكرمة (لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْرًا) فقال : ما يحدث بعد الثلاث :

Marfat.com

حدثنا علىّ بن عبد الأعلى المحاربى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله (لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْرًا) يقول : لعلّ الرجل يراجعها فى عدتها .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لاتَدْرِى لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْرًا) هذا ما كان له عليها رجعة :

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (لاتَدْرِى لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْرًا) قال : الرجعة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله(لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْرًا) قال : لعلّ الله يحدث فى قلبك تراجع زوجتك ؛ قال : قال ومن طلق للعدّة جعل الله له فى ذلك فسحة ، وجعل له ملكا إن أراد أن يرتجع قبل أن تنقضى العدة ارتجع .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْرًا) قال : لعله يراجعها .

وقوله (فإذَا بَلَغْنَ أجَلَهُنَّ) يقول تعالى ذكره : فإذا بلغ المطلقات اللواتى هنّ فى عدة أجلهنّ وذلك حين قرب انقضاء عددهنّ (فأمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) يقول : فأمسكوهنّ برجعة تراجعوهن ، إن أردتم ذلك بمعروف ، يقول : بما أمرك الله به من الإمساك وذلك باعطائها الحقوق التى أوجبها الله عليه لها من النفقة والكسوة والمسكن وحُسن الصحبة ، أو فارقوهنّ بمعروف ، أو اتركوهنّ حتى تنقضى عددهنّ ، فتبين منكم بمعروف ، يعنى بإيفائها مالها من حق قبله من الصداق والمتعة على ما أوجب عليه لها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن عبد الأعلى ، قال : ثنى المحاربى عبد الرحمن بن محمد ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قوله (فاذَا بَلَغْنَ أجَلَهُنَّ) يقول : إذاانقضت عدتها قبل أن تغتسل من الحيضة الثالثة ، أو ثلاثة أشهر إن لم تكن تحيض ، يقول : فراجع إن كنت تريد المراجعة قبل أن تنقضى العدّة بامساك بمعروف ، والمعروف أن تحسن صحبتها (أوْ تَسْرِيحٌ بإحْسانٍ) والتسريح بإحسان : أن يدعها حتى تمضى عدتها ، ويعطيها مهرا إن كان لها عليه إذا طاقها ، فذلك التسريح بإحسان ، والمُتعة على قدر الميسرة :

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (فاذَا بَلَغْنَ أجَلَهُنَّ) قال : إذا طاقها واحدة أو ثنتين ، يشاء[1] أن يمسكها بمعروف ، أو يسرّحها بإحسان :

وقوله (وأشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِنْكُمْ) وأشهدوا على الإمساك إن أمسكتموهنّ ، وذلك هو الرجعة ذوى عدل منكم ، وهما اللذان يرضى دينهما وأمانتهما .

وقد بيَّنا فيامضى قبل معنى العدل بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ، وذكرنا ماقال أهل العلم فيه .

---

(١) كذا فى الأصل . ولعل أصل العبارة : قله بعد ذلك ما يشاء . . . الخ .

Marfat.com

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قال : إن أراد مراجعتها قبل أن تنقضى عدتها ، أشهد رجلين كما قال الله (وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِنْكُمْ) عند الطلاق وعند المراجعة ، فإن راجعها فهى عنده على تطليقتين ، وإن لم يراجعها فإذا انقضت عدتها فقد بانت منه بواحدة ، وهى أملك بنفسها ، ثم تتزوّج من شاءت ، هو أو غيره .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِنْكُمْ) قال : على الطلاق والرجعة .

وقوله (وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ) يقول : وأشهدوا على الحقّ إذا استشهدتم ، وأدّوها على صحة إذا أنتم دُعيتم إلى أدائها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ) قال : اشهدوا على الحقّ .

وقوله (ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) يقول تعالى ذكره : هذا الذى أمرتكم به ، وعرّفتكم من أمر الطلاق ، والواجب لبعضكم على بعض عند الفراق والإمساك عظة منا لكم ، نعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فيصدّق به .

وعُنِى بقوله (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ) من كانت صفته الإيمان بالله ، كالذى حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) قال : يؤمن به .

وقوله (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) يقول تعالى ذكره : من يخف الله فيعمل بما أمره به ، ويجتنب ما نهاه عنه ، يجعل له من أمره مخرجا ، بأن يعرّفه بأن ماقضى فلا بدّ من أن يكون ، وذلك أن المطلق إذا طلّق ، كما ندبه الله إليه للعدّة ، ولم يراجعها فى عدتها حتى انقضت ثم تتبعها نفسه ، جعل الله له مخرجا فيما تتبعها نفسه ، بأن جعل له السبيل إلى خطبتها ونكاحها ، ولو طلقها ثلاثا لم يكن له إلى ذلك سبيل

وقوله (وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) يقول : ويسبب له أسباب الرزق من حيث لا يشعر ، ولا يعلم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، وذكر بعضهم أن هذه الآية نزلت بسبب عوف بن مالك الأشجعى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن صَلْت ، عن قيس ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق

Marfat.com

عن عبد الله ، فى قوله (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا) قال : يعلم أنه من عند الله ، وأن الله هو الذى يعطى ويمنع .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا) قال : المخرج أن يعلم أن الله تبارك وتعالى لو شاء أعطاه وإن شاء منعه ، (وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ) قال : من حيث لا يدرى .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، مثله .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا) يقول : نجاته من كلّ كرب فى الدنيا والآخرة ، (وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الربيع بن المنذر ، عن أبيه ، عن الربيع ابن خثيم (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا) قال : من كلّ شىء ضاق على الناس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا) قال : من طلق كما أمره الله يجعل له مخرجا .

حدثنى علىّ بن عبد الأعلى المحاربىّ ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربىّ ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا) ومن يتق الله يجعل له من أمره يُسرا ، قال : يعنى بالمخرج واليُسر إذا طلق واحدة ثم سكت عنها ، فإن شاء راجعها بشهادة رجلين عدلين ، فذلك اليُسر الذى قال الله ، وإن مضت عدتها ولم يراجعها ، كان خاطبا من الخطاب ، وهذا الذى أمر الله به ، وهكذا طلاق السنة فأما من طلق عند كلّ حيضة فقد أخطأ السنة ، وعصى الربّ ، وأخذ بالعسر .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا) قال : يطلق للسُّنة ، ويراجع للسُّنة ، زعم أن رجلا من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم يقال له عوف الأشجعىّ ، كان له ابن ، وأن المشركين أسروه ، فكان فيهم ، فكان أبوه يأتى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فيشكوا إليه مكان ابنه ، وحالته التى هو بها وحاجته ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره بالصبر ويقول له : إن الله سيجعل له مخرجا ، فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيرا إذا انفلت ابنه من أيدى العدوّ ، فمرّ بغنم من أغنام العدوّ فاستاقها ، فجاء بها إلى أبيه ، وجاء معه بغنًى قد أصابه من الغنم ، فنزلت هذه الآية (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ) » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عمار بن أبى معاوية الدهنى ، عن سالم بن أبى الجعد (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا) قال : نزلت فى رجل من أشجع جاء إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم وهو مجهود ، فسأله فقال له النبىّ صلى الله عليه وسلم : اتَّقِ اللهَ وَاصْبِرْ ، قال : قد فعلت ، فأتى قومه ،

Marfat.com

فقالوا : ماذا قال لك ؟ قال : قال اتق الله واصبر ، فقلت : قد فعلت حتى قال ذلك ثلاثا ، فرجع فإذا هو بابنه كان أسيرا فى بنى فلان من العرب ، فجاء معه بأعنز ، فرجع إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال إن ابنى كان أسيرا فى بنى فلان ، وإنه جاء بأعنز ، فطابت لنا ؟ قال : نعم » .

قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو ، عن عمار الدهنى ، عن سالم بن أبى الجعد « فى قوله (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) قال : نزلت فى رجل من أشجع أصابه الجهد ، فأتى النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال له : اتَّقِ اللهَ وَاصْبِرْ ، فرجع فوجد ابنا له كان أسيرا ، قد فكه الله من أيديهم ، وأصاب أعنزا ، فجاء ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل تطيبُ لى يا رسول الله ؟ قال : نَعَمْ . »

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن المنذر الثورىّ ، عن أبيه ، عن الربيع بن خثيم (يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) قال : من كلّ شىء ضاق على الناس .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق (يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) قال : يعلم أن الله إن شاء منعه ، وإن شاء أعطاه (وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) يقول : من حيث لا يدرى .

قال : ثنا مهران ، عن سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة (يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) قال : من شُبُهات الأمور ، والكرب عند الموت (وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) : من حيث لا يرجو ولا يؤمل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) لا يأمل ولا يرجو .

وقوله (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) يقول تعالى ذكره : ومن يتق الله فى أموره ، ويفوّضها إليه فهو كافيه .

وقوله (إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ) منقطع عن قوله (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) ومعنى ذلك : إن الله بالغ أمره بكل حال توكل عليه العبد أو لم يتوكل عليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ، إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ) توكل عليه أو لم يتوكل عليه ، غير أن المتوكل يُكَفِّرْ عنه سيئاته ، ويُعْظِم له أجرا .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق بنحوه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن صلت عن قيس ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) قال : ليس بمتوكل الذى قد قُضيت حاجته ، وجعل فضل من توكل عليه على من لم يتوكل أن يكفرَ عنه سيئاته ، ويُعْظِمَ له أجرا .

Marfat.com

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن الشعبيّ ، قال : تجالس شُتَير بن شكل ومسروق ، فقال شُتَير : إما أن تحدّث ما سمعت من ابن مسعود فأصدّقك ، وإما أن أحدث فتصدّقنى ؟ قال مسروق : لا بل حدّث فأصدّقك ، فقال : سمعت ابن مسعود يقول : إن أكبر آية فى القرآن تفوّضا [1] (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) قال مسروق : صدقت .

وقوله (قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) يقول تعالى ذكره : قد جعل الله لكلّ شيء من الطلاق والعدّة وغير ذلك حدّا وأجلا وقدرا يُنتهى إليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق (قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) قال : أجلا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق (قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) قال : منتهى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق مثله .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) قال : الحيض فى الأجل والعدّة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾

يقول تعالى ذكره : والنساء اللاتى قد ارتفع طمعهنّ عن المحيض ، فلا يرجون أن يحضن من نسائكم إن ارتبتم .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (إِنِ ارْتَبْتُمْ) فقال بعضهم : معنى ذلك : إن ارتبتم بالدم الذى يظهر منها لكبرها ، أمن الحيض هو ، أم من الاستحاضة ، فعدّتهن ثلاثة أشهر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِنِ ارْتَبْتُمْ) إن لم تعلموا التى قعدت عن الحيضة ، والتى لم تحض ، فعدتهن ثلاثة أشهر .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ (إِنِ ارْتَبْتُمْ) قال : فى كبرها

(١) كذا فى الأصل ، ولم أجد فى المعاجم هذا المصدر ولافعله ، ولعله محرف عن « التفويض » ، وهو رد الأمر كله إلى الله ، وهو المفهوم من معنى هديث ابن مسعود هذا .

Marfat.com

أن يكون ذلك من الكبر ، فإنها تعتدّ حين ترتاب ثلاثة أشهر ؛ فأما إذا ارتفعت حيضة المرأة وهى شابة ، فإنه يتأنى بها حتى ينظر حامل هى أم غير حامل ؟ فإن استبان حملها ، فأجلها أن تضع حملها ، فإن لم يستبن حملها ، فحتى يستبين بها ، وأقصى ذلك سنة .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَاللاَّئِى يَئِسْنَ مِنَ المَحِيضِ مِنْ نِسائِكُمْ إنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أشْهُرٍ) قال : إن ارتبت أنها لاتحيض وقد ارتفعت حيضتها ، أو ارتاب الرجال ، أو قالت هى : تركتنى الحيضة ، فعدّتهنّ ثلاثة أشهر إن ارتاب ، فلو كان الحمل انتظر الحملَ حتى تنقضى تسعة أشهر ، فخاف وارتاب هو ، وهى أن تكون الحيضة قد انقطعت ، فلا ينبغى لمسلمة أن تحبَس ، فاعتدت ثلاثة أشهر ، وجعل الله جلّ ثناؤه أيضا للتى لم تحض الصغيرة ثلاثة أشهر .

حدثنا ابن عبد الرحيم البَرْقىّ ، قال : ثنا عمرو بن أبى سلمة ، قال : أخبرنا أبو معبد ، قال : سُئل سليمان عن المرتابة ، قال : هى المرتابة التى قد قعدت من الولد تطلق ، فتحيض حيضة ، فيأتى إبّان حيضتها الثانية فلا تحيض ؛ قال : تعتدّ حين ترتاب ثلاثة أشهر مستقبلة ؛ قال : فإن حاضت حيضتين ثم جاء إبان الثالثة فلم تحض اعتدّت حين ترتاب ثلاثة أشهر مستقبلة ، ولم يعتدّ بما مضى .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن ارتبتم بحكمهنّ فلم تدروا ما الحكم فى عدتهنّ ، فإن عدتهنّ ثلاثة أشهر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا مطرف ، عن عمرو بن سالم ، قال : « قال أبىّ بن كعب : يارسول الله إن عِددا من عدد النساء لم تذكر فى الكتاب الصغار والكبار ، وأولات الأحمال ، فأنزل الله (وَاللاَّئِى يَئِسْنَ مِنَ المَحِيضِ مِنْ نِسائِكُمْ إنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أشْهُرٍ واللاَّئِى لَمْ يَحِضْنَ ، وأُولاتُ الأحْمالِ أجَلُهُنَّ أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) » .

وقال آخرون : معنى ذلك : إن ارتبتم مما يظهر منهنّ من الدم ، فلم تدروا أدم حيض ، أم دم مستحاضة من كبر كان ذلك أو علة ؟

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عكرمة ، قال : إن من الريبة : المرأة المستحاضة ، والتى لايستقيم لها الحيض ، تحيض فى الشهر مرارا ، وفى الأشهر مرّة ، فعدتها ثلاثة أشهر ، وهو قول قتادة .

** وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة قول من قال : عُنى بذلك : إن ارتبتم فلم تدروا ما الحكم فيهنّ ، وذلك أن معنى ذلك لو كان كما قاله من قال : إن ارتبتم بدمائهنّ فلم تدروا أدم حيض ، أو استحاضة ؟ لقيل : إن ارتبتنّ لأنهنّ إذا أشكل الدم عليهنّ فهنّ المرتابات بدماء أنفسهنّ لاغيرهنّ ، وفى قوله (إن ارْتَبْتُمْ)

Marfat.com

وخطابه الرجال بذلك دون النساء الدليل الواضح على صحة ماقلنا من أن معناه : إن ارتبتم أيها الرجال بالحكم فيهن ، وأخرى وهو أنه جل ثناؤه قال (وَاللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ) واليائسة من المحيض هي التي لاترجو محيضا للكبر ، ومحال أن يقال : واللائي يئسن ، ثم يقال : ارتبتم بيأسهن ، لأن اليأس : هو انقطاع الرجاء والمرتاب بيأسها مرجوّ لها ، وغير جائز ارتفاع الرجاء ووجوده فى وقت واحد ، فإذا كان الصواب من القول فى ذلك ماقلنا ، فبين أن تأويل الآية : واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم بالحكم فيهن ، وفى عددهن ، فلم تدروا ماهن ، فإن حكم عددهن إذا طلقن ، وهن ممن دخل بهن أزواجهن ، فعدتهن ثلاثة أشهر (وَاللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ) يقول : وكذلك عدد اللائى لم يحضن من الجوارى لصغر إذا طلقهن أزواجهن بعد الدخول .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى فى قوله (وَاللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ) يقول : التى قد ارتفع حيضها ، فعدتها ثلاثة أشهر (وَاللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ) قال : الجوارى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ) وهن اللواتى قعدن من المحيض فلا يحضن ، واللائى لم يحضن هن الأبكار التى لم يحضن ، فعدتهن ثلاثة أشهر .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَاللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ) ... الآية ، قال : القواعد من النساء (وَاللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ) : لم يبلغن المحيض ، وقد مُسِسْن ، عدتهن ثلاثة .

وقوله (وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) فى انقضاء عدتهن أن يضعن حملهن ، وذلك إجماع من جميع أهل العلم فى المطلقة الحامل ، فأما فى المتوفى عنها ففيها اختلاف بين أهل العلم .

وقد ذكرنا اختلافهم فيما مضى من كتابنا هذا ، وسنذكر فى هذا الموضع بعض ما لم نذكره هنالك .

ذكر من قال حكم قوله (وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) عام فى المطلقات والمتوفى عنهن :

حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان المصرىّ ، قال : ثنا سعيد بن أبى مريم ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنى ابن شبرمة الكوفى ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن قيس أن ابن مسعود قال : من شاء لاعنته ، مانزلت (وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) إلا بعد آية المتوفى عنها زوجها ، وإذا وضعت المتوفى عنها فقد حلت ، يريد بآية المتوفى عنها (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا)

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا مالك ، يعنى ابن إسماعيل ، عن ابن عيينة ، عن أيوب ، عن ابن سيرين

Marfat.com

عن أبي عطية قال : سمعت ابن مسعود يقول : من شاء قاسمته نزلت سورة النساء القُصْرَى بعدها ، يعنى بعد أربعة أشهر وعشرا .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : أخبرنا أيوب ، عن محمد ، قال : لقيت أبا عطية مالك بن عامر ، فسألته عن ذلك ، يعنى عن المتوفى عنها زوجها إذا وضعت قبل الأربعة الأشهر والعشر ، فأخذ يحدثنى بحديث سُبيعة ، قلت : لا ، هل سمعت من عبد الله فى ذلك شيئا ؟ قال : نعم ، ذكرت ذات يوم أو ذات ليلة عند عبد الله ، فقال : أرأيت إن مضت الأربعة الأشهر والعشر ولم تضع أقد أحلَّت ؟ قالوا : لا ، قال : أفتجعلون عليها التغليظ ، ولا تجعلون لها الرخصة ، فوالله لأنزلت النساء القُصْرَى بعد الطُّولَى .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن ابن عون ، قال : قال الشعبى : من شاء حالفته لأنزلت النساء القُصْرَى بعد الأربعة الأشهر والعشر التى فى سورة البقرة .

حدثنى أحمد بن منيع ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن الشعبىّ ، قال : ذكر عبد الله بن مسعود آخر الأجلين ، فقال : من شاء قاسمته بالله أن هذه الآية التى أنزلت فى النساء القُصْرَى نزلت بعد الأربعة الأشهر ، ثم قال : أجل الحامل أن تضع ما فى بطنها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مُغيرة ، قال : قلت للشعبى : ما أصدّق أن عليا رضى الله عنه كان يقول : آخر الأجلين أن لا تتزوّج المتوفى عنها زوجها حتى يمضى آخر الأجلين ؛ قال الشعبىّ : بلى وصدق أشدّ ما صدّقت بشىء قط ؛ وقال علىّ رضى الله عنه : إنما قوله (وأُولاتُ الأحْمالِ أجَلُهُنَّ أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) المطلقات ، ثم قال : إن عليا رضى الله عنه وعبد الله كانا يقولان فى الطلاق بحلول أجلها إذا وضعت حملها .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا موسى بن داود ، عن ابن لهيعة ، عن عمرو بن شعيب ، عن سعيد ابن المسيب ، عن أُبىّ بن كعب ، قال : لما نزلت هذه الآية (وأُولاتُ الأحْمالِ أجَلُهُنَّ أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) قال : قلت : يا رسول الله ، المتوفى عنها زوجها والمطلقة ، قال : نَعَمْ » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا مالك بن إسماعيل ، عن ابن عيينة ، عن عبد الكريم بن أبى المخارق ، يحدّث عن أُبىّ بن كعب ، قال : «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن (أُولاتُ الأحْمالِ أجَلُهُنَّ أن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) قال : أجَلُ كُلِّ حامِلٍ أنْ تَضَعَ ما فى بَطْنِها » .

حدثنى محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (وأُولاتُ الأحْمالِ أجَلُهُنَّ أن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) قال : للمرأة الحُبْلَى التى يطلقها زوجها وهى حامل ، فعدتها أن تضع حملها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأُولاتُ الأحْمالِ أجَلُهُنَّ أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) فإذا وضعت ما فى رحمها فقد انقضت عدتها ، ليس المحيض من أمرها فى شىء إذا كانت حاملا

Marfat.com

وقال آخرون : ذلك خاصّ فى المطلقات ، وأما المتوفى عنها فإن عدتها آخر الأجلين ، وذلك قول مرويّ عن عليّ وابن عباس رضى الله عنهما .

وقد ذكرنا الرواية بذلك عنهما فيما مضى قبل :

❊ والصواب من القول فى ذلك أنه عامّ فى المطلقات والمتوفى عنهنّ ، لأن الله جلّ وعزّ ، عمّ بقوله بذلك فقال : (وأُولاتُ الأحمالِ أجلُهُنّ أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنّ) ولم يخصص بذلك الخبر عن مطلقة دون متوفى عنها ، بل عمّ الخبر به عن جميع أولات الأحمال ، إن ظنّ ظانّ أن قوله (وأُولاتُ الأحمالِ أجلُهُنّ أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنّ) فى سياق الخبر عن أحكام المطلقات دون المتوفى عنهنّ ، فهو بالخبر عن حكم المطلقة أولى بالخبر عنهنّ ، وعن المتوفى عنهنّ ، فإن الأمر بخلاف ما ظنّ ، وذلك أن ذلك وإن كان فى سياق الخبر عن أحكام المطلقات ، فإنه منقطع عن الخبر عن أحكام المطلقات ، بل هو خبر مبتدأ عن أحكام عدد جميع أولات الأحمال المطلقات منهنّ وغير المطلقات ، ولا دلالة على أنه مراد به بعض الحوامل دون بعض من خبر ولا عقل ، فهو على عمومه لما بيّنّا .

وقوله (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا) يقول جلّ ثناؤه : ومن يخف الله فرهبه ، فاجتنب معاصيه ، وأدّى فرائضه ، ولم يخالف إذنه فى طلاق امرأته ، فإنه يجعل الله له من طلاقه ذلك يسرا ، وهو أن يسهل عليه إن أراد الرخصة لاتباع نفسه إياها الرجعة ما دامت فى عدتها وإن انقضت عدتها ، ثم دعته نفسه إليها قدر على خطبتها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾

❊ يقول تعالى ذكره : هذا الذى بيّنت لكم من حكم الطلاق والرجعة والعدّة ، أمر الله الذى أمركم به ، أنزله إليكم أيها الناس ، لتأتمروا له ، وتعملوا به .

وقوله (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ) يقول : ومن يخف الله فيتقه باجتناب معاصيه ، وأداء فرائضه ، يمح الله عنه ذنوبه وسيئات أعماله (وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا) يقول : ويجزل له الثواب على عمله ذلك وتقواه ، ومن إعظامه له الأجر عليه أن يُدخله جنته . فيخلده فيها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا

Marfat.com

** يقول تعالى ذكره : أسكنوا مطلقات نسائكم من الموضع الذى سكنتم (من وجدكم) : يقول : من سعتكم التى تجدون ، وإنما أمر الرجال أن يعطوهن مسكنا يسكنه مما يجدونه ، حتى يقضين عددهن .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ) يقول : من سعتكم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (مِنْ وُجْدِكُمْ) قال : من سعتكم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ) قال : من سعتكم :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، قوله (أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ) فإن لم تجد إلا ناحية بيتك فأسكنها فيه .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ) قال : المرأة يطلقها ، فعليه أن يسكنها ، وينفق عليها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : وسألته عن قول الله عزّ وجلّ : (أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ) قال : من مقدرتك حيث تقدر ، فإن كنت لاتجد شيئا ، وكنت فى مسكن ليس لك ، فجاء أمر أخرجك من المسكن ، وليس لك مسكن تسكن فيه ، وليس تجد فذاك ، وإذا كان به قوّة على الكراء فذاك وجده ، لايخرجها من منزلها ، وإذا لم يجد وقال صاحب المسكن : لاأنزل هذه فى بيتى فلا ، وإذا كان يجد ، كان ذلك عليه

وقوله (وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ) يقول جلّ ثناؤه : ولا تضارّوهنّ فى المسكن الذى تسكنونهنّ فيه ، وأنتم تجدون سعة من المنازل أن تطلبوا التضييق عليهنّ ، فذلك قوله (لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ) يعنى : لتضيقوا عليهنّ فى المسكن مع وجودكم السعة :

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ) قال : فى المسكن .

حدثنى محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (مِنْ وُجْدِكُمْ) قال : من ملككم ، من مقدرتكم .

Marfat.com

وفى قوله (وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ) قال : : لتضيقوا عليهن مساكنهن حتى يخرجن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ) قال : ليس ينبغى له أن يضارّها ويضيق عليها مكانها (حتى يضعن حملهن) هذا لمن يملك الرجعة ، ولمن لا يملك الرجعة .

وقوله (وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) يقول تعالى ذكره: وإن كان نساؤكم المطلقات أولات حمل وكنّ بائنات منكم ، فأنفقوا عليهن فى عدتهن منكم حتى يضعن حملهن .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) فهذه المرأة يطلقها زوجها ، فيبتّ طلاقها وهى حامل ، فيأمره الله أن يسكنها ، وينفق عليها حتى تضع ، وإن أرضعت فحتى تفطم ، وإن أبان طلاقها ، وليس بها حبل ، فلها السكنى حتى تنقضى عدتها ولا نفقة ، وكذلك المرأة يموت عنها زوجها ، فإن كانت حاملا أنفق عليها من نصيب ذى بطنها إذا كان ميراث ، وإن لم يكن ميراث أنفق عليها الوارث حتى تضع وتفطم ولدها كما قال الله عزّ وجلّ (وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ) فإن لم تكن حاملا ، فإن نفقتها كانت من مالها .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) قال : ينفق على الحبلى إذا كانت حاملا حتى تضع حملها .

وقال آخرون : عُنِى بقوله (وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) كلّ مطلقة ، ملك زوجها رجعتها أو لم يملك .

وممن قال ذلك : عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما .

ذكر الرواية عنهما بذلك

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : كان عمر وعبد الله يجعلان للمطلقة ثلاثا : السكنى ، والنفقة ، والمتعة : وكان عمر إذا ذكر عنده حديث فاطمة بنت قيس أن النبىّ صلى الله عليه وسلم أمرها أن تعتدّ فى غير بيت زوجها ، قال : ما كنا لنجيز فى ديننا شهادة امرأة .

حدثنى نصر بن عبد الرحمن الأوْدِىّ ، قال : ثنا يحيى بن إبراهيم ، عن عيسى بن قرطاس ، قال : سمعت علىّ بن الحسين يقول فى المطلقة ثلاثا : لها السكنى ، والنفقة والمتعة ، فإن خرجت من بيتها فلا سكنى ولا نفقة ولا متعة .

حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعى ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : للمطلقة ثلاثا : السكنى والنفقة

Marfat.com

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن حماد ، عن إبراهيم ، قال : إذا طلق الرجل ثلاثا ، فإن لها السكنى والنفقة .

** والصواب من القول فى ذلك عندنا أن لانفقة للمبتوتة إلا أن تكون حاملا ، لأن الله جل ثناؤه جعل النفقة بقوله (وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فأنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ) للحوامل دون غيرهن من البائنات من أزواجهن ولو كان البوائن من الحوامل وغير الحوامل فى الواجب لهن من النفقة على أزواجهن سواء ، لم يكن لخصوص أولات الأحمال بالذكر فى هذا الموضع وجه مفهوم ، إذ هن وغيرهن فى ذلك سواء وفى خصوصهن بالذكر دون غيرهن أدل الدليل على أن لانفقة لبائن إلا أن تكون حاملا .

وبالذى قلنا فى ذلك صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا بشر بن بكر ، عن الأوزاعى ، قال : ثنا يحيى بن أبى كثير ، قال : ثنى أبو سلمة بن عبد الرحمن ، قال : «حدثتنى فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس أن أبا عمرو المخزومى ، طلقها ثلاثا فأمر لها بنفقة فاستقلتها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه نحو اليمن ، فانطلق خالد بن الوليد فى نفر من بنى مخزوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عند ميمونة ، فقال : يا رسول الله إن أبا عمرو طلق فاطمة ثلاثا ، فهل لها من نفقة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَيْسَ لَهَا نَفَقَةٌ ، فأرسل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن انتقلى إلى بيت أم شريك وأرسل إليها أن لاتسبقينى بنفسك ، ثم أرسل إليها أن أم شريك يأتيها المهاجرون الأولون ، فانتقلى إلى ابن أم مكتوم ، فإنك إذا وضعت خمارك لم يرك ، فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد» .

وقوله (فإنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) يقول جل ثناؤه : فإن أرضع لكم نساؤكم البوائن منكم أولادهن الأطفال منكم بأجرة ، فآتوهن أجورهن على رضاعهن إياهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك أنه قال فى الرضاع : إذا قام على شىء فأم الصبى أحق به ، فإن شاءت أرضعته ، وإن شاءت تركته إلا أن لايقبل من غيرها ، فإذا كان كذلك أجبرت على رضاعه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فإنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) هى أحق بولدها أن تأخذه بما كنت مسترضعا به غيرها .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (فإنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) قال : ما تراضوا عليه «على الموسع قدره ، وعلى المقتر قدره» .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم فى الصبى إذا قام على ثمن فأمه أحق أن ترضعه ، فإن لم يجد له من يرضعه أجبرت الأم على الرضاع .

Marfat.com

قال : ثنا مهران ، عن سفيان (فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) قال: إن أرضعت لك بأجر فهى أحقّ من غيرها ، وإن هى أبت أن ترضعه ولم تواتك فيما بينك وبينها عاسرتك فى الأجر فاسترضع له أخرى

وقوله (وأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ) يقول تعالى ذكره : وليقبل بعضكم أيها الناس من بعض ما أمركم بعضكم به بعضا من معروف .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ) قال : اصنعوا المعروف فيما بينكم :

حدثنا ابن حميد ، قال: ثنا مهران ، عن سفيان (وأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ) حثّ بعضهم على بعض .

وقوله (وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى) يقول: وإن تعاسر الرجل والمرأة فى رضاع ولدها منه ، فامتنعت من رضاعه ، فلا سبيل له عليها ، وليس له إكراهها على إرضاعه ، ولكنه يستأجر للصبىّ مرضعة غير أمه البائنة منه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى) قال : إن أبت الأم أن ترضع ولدها إذا طلقها أبوه التمس له مرضعة أخرى ، الأمّ أحقّ إذا رضيت من أجر الرضاع بما يرضى به غيرها ، فلا ينبغى له أن ينتزع منها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قال : إن هى أبت أن ترضعه ولم تواتك فيما بينها وبينك عاسرتك فى الأجر ، فاسترضع له أخرى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قول الله (وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى ، لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ، وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ) قال : فرض لها من قدر ما يجد ، فقالت : لا أرضى هذا ؛ قال : وهذا بعد الفراق ، فأما وهى زوجته فإنها ترضع له طائعة ومكرهة إن شاءت وإن أبت ، فقال لها : ليس لى زيادة على هذا إن أحببت أن ترضعى بهذا فارضعى ، وإن كرهت استرضعت ولدى ، فهذا قوله (وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى).

وقوله (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ، وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ) : يقول تعالى ذكره : لينفق الذى بانت منه امرأته إذا كان ذا سعة من المال ، وغنى من سعة ماله وغناه على امرأته البائنة فى أجر رضاع ولده منها ، وعلى ولده الصغير (وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ) يقول : ومن ضيق عليه رزقه فلم يوسع عليه ، فلينفق مما أعطاه الله على قدر ماله ، وما أعطى منه

Marfat.com

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ) قال : من سعة موجده ، قال (وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ) قال : من قتر عليه رزقه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ) يقول : من طاقته .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ، وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتاهُ اللهُ) قال : فرض لها من قدر ما يجد .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنى ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ) قال : على المطلقة إذا أرضعت له .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبى سنان ، قال : سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، عن أبى عبيدة ، فقيل له : إنه يلبس الغليظ من الثياب ، ويأكل أخشن الطعام ، فبعث إليه بألف دينار ، وقال للرسول : انظر ما يصنع إذا هو أخذها ، فما لبث أن لبس ألين الثياب ، وأكل أطيب الطعام ، فجاء الرسول فأخبره ، فقال رحمه الله : تأوّل هذه الآية (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ، وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتاهُ اللهُ) .

وقوله (لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إلاَّ ما آتاها) يقول : لا يكلف الله أحدا من النفقة على من تلزمه نفقته بالقرابة والرحم لا ما أعطاه ، إن كان ذا سعة فمن سعته ، وإن كان مقدورا عليه رزقه فمما رزقه الله على قدر طاقته ، لا يكلف الفقير نفقة الغنىّ ، ولا أحدً من خلقه إلا فرضه الذى أوجبه عليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إلاَّ ما آتاها) قال : يقول : لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغنىّ .

حدثنا عبد الله بن محمد الزهرى ، قال : ثنا سفيان ، عن هشيم (لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إلاَّ ما آتاها) قال : إلا ما افترض عليها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إلاَّ ما آتاها) يقول : إلا ما أطاقت .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إلاَّ ما آتاها) قال : لا يكلفه الله أن يتصدّق وليس عنده ما يتصدّق به ، ولا يكلفه الله أن يزكى وليس عنده ما يزكى .

Marfat.com

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ۝ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : (سَيَجْعَلُ اللهُ) للمقلّ من المال المقدور عليه رزقه (بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) يقول : من بعد شدّة رخاء ، ومن بعد ضيق سعة ، ومن بعد فقر غنى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) بعد الشدة الرخاء .

وقوله (وكأيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أمْرِ رَبِّها وَرُسُلِهِ) يقول تعالى ذكره : وكأين من أهل قرية طغوا عن أمر ربهم وخالفوه ، وعن أمر رسل ربهم ، فتمادوا فى طغيانهم وعتوّهم ، ولجوا فى كفرهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط عن السدى ، فى قوله (وكأيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أمْرِ رَبِّها وَرُسُلِهِ) قال : غيَّرت وعصت .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وكأيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أمْرِ رَبِّها وَرُسُلِهِ فَحاسَبْناها حِسابا شَدِيدًا) قال : العتوّ ههنا الكفر والمعصية ، عتوًّا : كفرا ، وعتت عن أمر ربها : تركته ولم تقبله . وقيل : إنهم كانوا قوما خالفوا أمر ربهم فى الطلاق ، فتوعد الله بالخبر عنهم هذه الأمة أن يفعل بهم فعله بهم إن خالفوا أمره فى ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى ابن عبد الرحيم البرقى ، قال : ثنا عمرو بن أبى سلمة ، قال : سمعت عمر بن سليمان يقول فى قوله (وكأيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أمْرِ رَبِّها وَرُسُلِهِ) قال : قرية عذّبت فى الطلاق .

وقوله (فَحاسَبْناها حِسابا شَدِيدًا) يقول : فحاسبناها على نعمتنا عندها وشكرها حسابا شديدا ، يقول : حسابا استقصينا فيه عليهم ، لم نعف لهم فيه عن شىء ، ولم نتجاوز فيه عنهم .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قوله (فَحاسَبْناها حِسابا شَدِيدًا) قال : لم نعف عنها الحساب الشديد الذى ليس فيه من العفو شىء .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَحاسَبْناها حِسابا شَدِيدًا) يقول : لم نرحم :

Marfat.com

وقوله (وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا) يقول : وعذّبناها عذابا عظيما منكرا ، وذلك عذاب جهنم .

وقوله (فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا) يقول : فذاقت هذه القرية التى عتت عن أمر ربها ورسله ، عاقبة ما عملت وأتت من معاصى الله والكفر به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا) قال : عقوبة أمرها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا) قال : ذاقت عاقبة ما عملت من الشرّ . الوبال : العاقبة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا) يقول : عاقبة أمرها .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا) قال : جزاء أمرها .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا) يعنى بوبال أمرها : جزاء أمرها الذى قد حلّ .

وقوله (وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا) يقول تعالى ذكره : وكان الذى أعقب أمرهم ، وذلك كفرهم بالله وعصيانهم إياه خسرا : يعنى غَبْنًا ، لأنهم باعوا نعيم الآخرة بخسيس من الدنيا قليل ، وآثروا اتباع أهوائهم على اتباع أمر الله .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾

يقول تعالى ذكره : أعدّ الله لهؤلاء القوم الذين عتَوا عن أمر ربهم ورسله عذابا شديدا ، وذلك عذاب النار الذى أعده لهم فى القيامة (فاتّقُوا اللهَ يا أُولى الألباب) يقول تعالى ذكره : فخافوا الله ، واحذروا سخطه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه يا أولى العقول .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (فاتّقُوا اللهَ يا أُولى الألْبابِ) قال : يا أولى العقول .

وقوله (والّذِينَ آمَنُوا) يقول : الذين صدّقوا الله ورسله .

Marfat.com

وقوله ﴿ قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا ﴾ اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بالذكر والرسول فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : الذكر هو القرآن ، والرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله ﴿ قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا ﴾ قال : الذكر : القرآن ، والرسول : محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله عزّ وجلّ ﴿ قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴾ قال : القرآن روح من الله ، وقرأ ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ إلى آخر الآية ، وقرأ ﴿ قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا ﴾ قال : القرآن ، وقرأ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ قال : بالقرآن ، وقرأ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ﴾ قال : القرآن ، قال : وهو الذكر ، وهو الروح .

وقال آخرون : الذكر : هو الرسول .

* والصواب من القول فى ذلك أن الرسول ترجمة عن الذكر ، وذلك نصب لأنه مردود عليه على البيان عنه والترجمة .

فتأويل الكلام إذن : قد أنزل الله إليكم يا أولى الألباب ذكرا من الله لكم يذكركم به ، وينبهكم على حظكم من الإيمان بالله ، والعمل بطاعته ، رسولا يتلو عليكم آيات الله التى أنزلها عليه ﴿ مُبَيِّنَاتٍ ﴾ يقول : مبينات لمن سمعها وتدبرها أنها من عند الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾ ﴾

* يقول تعالى ذكره : قد أنزل الله إليكم أيها الناس ذكرا رسولا ، يتلو عليكم آيات الله مبيّنات ، كى يخرج الذين صدّقوا الله ورسوله ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ يقول : وعملوا بما أمرهم الله به وأطاعوه ﴿ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ يعنى من الكفر وهى الظلمات ، إلى النور : يعنى إلى الإيمان .

وقوله ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا ﴾ يقول : ومن يصدّق بالله ويعمل بطاعته ﴿ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ يقول : يُدخله بساتين تجرى من تحت أشجارها الأنهار ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ يقول : ماكثين مقيمين فى البساتين التى تجرى من تحتها الأنهار أبدا ، لايموتون ، ولا يخرجون منها أبدا .

Marfat.com

وقوله (قَدْ أَحْسَنَ اللهُ لَهُ رِزْقاً) يقول : قد وسع الله له فى الجنات رزقا ، يعنى بالرزق : ما رزقه فيها من المطاعم والمشارب ، وسائر ما أعدّ لأوليائه فيها ، فطيبه لهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : (اللهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ) لامايعبده المشركون من الآلهة والأوثان التى لاتقدر على خلق شىء .

وقوله (وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) يقول : وخلق من الأرض مثلهنّ لما فى كلّ واحدة منهنّ مثل ما فى السموات من الخلق .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عمرو بن على ومحمد بن المثنى ، قالا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرّة ، عن أبى الضحى ، عن ابن عباس ، قال فى هذه الآية (اللهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) قال عمرو : قال فى كل أرض مثل إبراهيم ونحو ما على الأرض من الخلق . وقال ابن المثنى : فى كلّ سماء إبراهيم .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا الأعمش ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، فى قوله (سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) قال : لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم وكفركم تكذيبكم بها .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا أبو بكر ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله ، قال : خلق الله سبع سموات غلظ كلّ واحدة مسيرة خمس مئة عام ، وبين كلّ واحدة منهنّ خمس مئة عام ، وفوق السبع السموات الماء ، والله جلّ ثناؤه فوق الماء ، لايخفى عليه شىء من أعمال بنى آدم . والأرض سبع ، بين كلّ أرضين خمس مئة عام ، وغلظ كلّ أرض خمس مئة عام .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يعقوب بن عبد الله بن سعد القُمى الأشعرى ، عن جعفر بن أبى المُغيرة الخزاعى ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال رجل لابن عباس (اللهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) . . . الآية ، فقال ابن عباس : ما يؤمنك أن أخبرك بها فتكفر .

قال : ثنا عباس ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : هذه الأرض إلى تلك مثل الفسطاط ضربته فى فلاة ، وهذه السماء إلى تلك السماء ، مثل حلقة رميت بها فى أرض فلاة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس ، قال : السماء أوّلها موج

Marfat.com

مكفوف ؛ والثانية صخرة ؛ والثالثة حديد ؛ والرابعة نحاس ؛ والخامسة فضة ؛ والسادسة ذهب ، والسابعة ياقوتة :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا جرير بن حازم ، قال : ثني حميد بن قيس ، عن مجاهد ، قال : هذا البيت الكعبة رابع أربعة عشر بيتا فى كل سماء بيت ، كل بيت منها حذو صاحبه ، لو وقع وقع عليه ، وإن هذا الحرم حرمى بناؤه من السموات السبع والأرضين السبع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) خلق سبع سموات وسبع أرضين فى كلّ سماء من سمائه ، وأرض من أرضه ، خلق من خلقه وأمر من أمره ، وقضاء من قضائه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : « بينا النبى صلى الله عليه وسلم جالس مرّة مع أصحابه ، إذ مرّت سحابة ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم « أتَدْرُونَ ما هَذَا ؟ هَذِهِ العَنَانُ ، هَذِهِ رَوَايا الأَرْضِ يَسُوقُها اللهُ إلى قَوْمٍ لايَعْبُدُونَه ؛ قال : أتَدْرُونَ ما هَذِهِ السَّماءُ ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذه السَّماءُ مَوجٌ مَكْفُوفٌ ، وَسَقْفٌ مَحْفُوظٌ ؛ ثم قال : أتَدْرُونَ ما فَوْقَ ذلكَ ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فَوْقَ ذلكَ سَماءٌ أُخْرَى ، حتى عدّ سبع سموات وهو يقول : أتَدْرُونَ ما بَيْنَهُما خَمْسُ مِئَةِ سَنَةٍ ؛ ثُمّ قال : أتَدْرُونَ ما فَوْقَ ذلكَ ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فَوْقَ ذلكَ العَرْشُ ، قال : أتَدْرُونَ ما بَيْنَهُما ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : بَيْنَهُما خَمْسُ مِئَةِ سَنَةٍ ؛ ثم قال : أتدرون ماهَذِهِ الأَرْضُ ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : تَحْتَ ذلكَ أرْضٌ ، قال : أتَدْرُونَ كَمْ بَيْنَهُما ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : بَيْنَهُما مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ ، حتى عدّ سبع أرضين ، ثم قال : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ دُلِّيَ رَجُلٌ بِحَبْلٍ حتى يَبْلُغَ أَسْفَلَ الأَرَضِينَ السَّابِعَةِ لَهَبَطَ على اللهِ ؛ ثم قال : هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالباطِنُ ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : « التقى أربعة من الملائكة بين السماء والأرض ، فقال بعضهم لبعض : من أين جئت ؟ قال أحدهم : أرسلنى ربى من السماء السابعة ، وتركته ؛ ثم قال الآخر : أرسلنى ربى من الأرض السابعة وتركته ؛ ثم قال الآخر : أرسلنى ربى من المشرق وتركته ؛ ثم قال الآخر : أرسلنى ربى من المغرب وتركته ثمّ » .

وقوله (يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ) يقول تعالى ذكره : يتنزّل أمر الله بين السماء السابعة والأرض السابعة .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ) قال : بين الأرض السابعة إلى السماء السابعة .

Marfat.com

وقوله (لِتَعْلَمُوا أنَّ اللهَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول تعالى ذكره : ينزل قضاء الله وأمره بين ذلك كي تعلموا أيها الناس كنه قدرته وسلطانه ، وأنه لايتعذّر عليه شيء أراده ، ولا يمتنع عليه أمر شاءه ، ولكنه على مايشاء قدير (وأنَّ اللهَ قَدْ أحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْما) يقول جلّ ثناؤه : ولتعلموا أيها الناس أن الله بكل شيء من خلقه محيط علما ، لايعزُب عنه مثقالُ ذرّة فى الأرض ولافى السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر : يقول جلّ ثناؤه فخافوا أيها الناس المخالفون أمر ربكم عقوبته ، فإنه لا يمنعه من عقوبتكم مانع ، وهو على ذلك قادر ، ومحيط أيضا بأعمالكم ، فلا يخفى عليه منها خاف ، وهو محصيها عليكم ، ليجازيكم بها ، يوم تجزى كلّ نفس ماكسبت .

آخر تفسير سورة الطلاق

(٦٦) سُورَةُ التَّحْرِيمِ مَدَنِيَّةٌ
وَآيَاتُهَا اثْنَتَا عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١)

** يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا أيها النبيّ المحرّم على نفسه ما أحلّ الله له ، يبتغى بذلك مرضاة أزواجه ، لم تحرّم على نفسك الحلال الذى أحله الله لك ، تلتمس بتحريمك ذلك مرضاة أزواجك .

** واختلف أهل العلم فى الحلال الذى كان الله جلّ ثناؤه أحله لرسوله ، فحرّمه على نفسه ابتغاء مرضاة أزواجه ، فقال بعضهم : كان ذلك مارية مملوكته القبطية ، حرّمها على نفسه بيمين أنه لايقربها طالبا بذلك رضا حفصة بنت عمر زوجته ، لأنها كانت غارت بأن خلا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يومها وفى حجرتها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عبد الرحيم البرقى ، قال : ثنى ابن أبى مريم ، قال : ثنا أبوغسان ، قال : ثنى زيد بن أسلم « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصاب أمّ إبراهيم فى بيت بعض نسائه ؛ قال : فقالت : أى رسول الله فى بيتى وعلى فراشى ، فجعلها عليه حراما ؛ فقالت : يا رسول الله كيف تحرّم عليك الحلال ؟ ، فحلف لها بالله لايصيبها ، فأنزل الله عزّ وجلّ (يا أيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أزْوَاجِكَ) » قال زيد : فقوله أنت علىّ حرام لغو .

Marfat.com

حدثنى يعقوب ، قال : ثنى ابن علية ، قال : ثنا داود بن أبى هند ، عن الشعبىّ ، قال : قال مسروق إن النبىّ صلى الله عليه وسلم حرّم جاريته ، وآلى منها ، فجعل الحلال حراما ، وقال فى اليمين : (قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيمانِكُمْ) .

حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : ثنا سفيان ، عن داود ، عن الشعبىّ ، عن مسروق ، قال : آلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرّم ، فعوتب فى التحريم ، وأمر بالكفارة فى اليمين .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، عن مالك ، عن زيد بن أسلم ، قال لها : أنت علىّ حرام ، ووالله لاأطؤك :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاةَ أزْواجِكَ) قال : كان الشعبي يقول : حرّمها عليه ، وحلف لايقربها ، فعوتب فى التحريم ، وجاءت الكفارة فى اليمين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة وعامر الشعبىّ ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم حرّم جاريته . قال الشعبىّ : حلف بيمين مع التحريم ، فعاتبه الله فى التحريم ، وجعل له كفارة يمين .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (يا أيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللهُ لَكَ) قال : « إنه وَجَدَتِ امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مع جاريته فى بيتها ، فقالت : يا رسول الله أنى كان هذا الأمر ، وكنتُ أهونهنّ عليك ؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : اسْكُتِى لاتَذْكُرِى هَذَا لأحَدٍ ، هِيَ عَلَىَّ حَرَامٌ إنْ قَرِبْتُها بَعْدَ هَذَا أبَدًا ، فقالت : يارسول الله وكيف تحرّم عليك ما أحلّ الله لك حين تقول : هى علىّ حرام أبدا ؟ فقال : وَاللهِ لا آتِيها أبَدًا ، فقال الله : (يا أيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللهُ لَكَ) . . . الآية ، قد غفرت هذا لك ، وقولك والله (قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أيمانِكُمْ ، وَاللهُ مَوْلاكُمْ ، وَهُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ) » .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : « (يا أيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللهُ لَكَ) كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتاة ، فغشيها ، فبصُرت به حفصة ، وكان اليوم يومَ عائشة ، وكانتا متظاهرتين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكْتُمى عَلَىَّ وَلا تَذْكُرِى لِعائِشَةَ ما رأيْتِ . فذكرت حفصة لعائشة ، فغضبت عائشة ، فلم تزل بنبىّ الله صلى الله عليه وسلم حتى حلف أن لايقربها أبدا ، فأنزل الله هذه الآية ، وأمره أن يكفر يمينه ، ويأتى جاريته » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عامر ، فى قول الله (يا أيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللهُ

Marfat.com

لكَ) فى جارية أتاها ، فأطلعت عليه حفصة ، فقال : هى علىّ حرام ، فاكتمى ذلك ، ولا تخبرى به أحدا فذكرت ذلك :

وقال آخرون : بل حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم جاريته ، فجعل الله عزّ وجلّ تحريمه إياها بمنزلة اليمين ، فأوجب فيها من الكفارة مثل ما أوجب فى اليمين إذا حنث فيها صاحبها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ) أمر الله النبىّ صلى الله عليه وسلم والمؤمنين إذا حرموا شيئا مما أحلّ الله لهم أن يكفروا أيمانهم ، بإطعام عشرة مساكين أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة ، وليس يدخل ذلك فى طلاق .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، « قوله (يا أَيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللهُ لَكَ) . . . إلى قوله (وَهُوَ العَلِيمُ الْحَكِيمُ) قال : كانت حفصة وعائشة متحابتين وكانتا زوجَتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فذهبت حفصة إلى أبيها ، فتحدثت عنده ، فأرسل النبىّ صلى الله عليه وسلم إلى جاريته ، فظلت معه فى بيت حفصة ، وكان اليوم الذى يأتى فيه عائشة ، فرجعت حفصة ، فوجدتهما فى بيتها ، فجعلت تنتظر خروجها ، وغارت غيرة شديدة ، فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاريته ، ودخلت حفصة فقالت : قد رأيت من كان عندك ، والله لقد سُؤْتَنِى ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : والله لأُرْضِيَنَّكِ فإنى مُسِرّ إلَيْكِ سِرّا فاحْفَظِيهِ ؛ قالت : ما هو ؟ قال : إنى أُشْهِدُكِ أنّ سُرِّيَّتِى هَذِهِ عَلَىَّ حَرَامٌ رِضًا لَكِ ، وكانت حفصة وعائشة تظاهران على نساء النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فانطلقت حفصة إلى عائشة ، فأسرّت إليها أن أبشرى إن النبىّ صلى الله عليه وسلم قد حرّم عليه فتاته ، فلما أخبرت بسرّ النبىّ صلى الله عليه وسلم أظهر الله عزّ وجلّ النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله على رسوله لما تظاهرتا عليه (يا أَيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللهُ لَكَ ، تَبْتَغِى مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ) . . . إلى قوله (وَهُوَ العَلِيمُ الْحَكِيمُ) » .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا هشام الدستوائى ، قال : كتب إلىّ يحيى يحدّث عن يعلى بن حكيم ، عن سعيد بن جُبير ، أن ابن عباس كان يقول : فى الحرام يمين تكفرها . وقال ابن عباس (لَقَدْ كانَ لَكُمْ فى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) يعنى أن النبى صلى الله عليه وسلم حرّم جاريته ، فقال الله جلّ ثناؤه : (يا أَيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللهُ لَكَ) . . . إلى قوله (قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ) فكفر يمينه ، فصير الحرام يمينا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : أنبأنا أبو عثمان « أن النبىّ صلى الله عليه وسلم دخل بيت حفصة ، فإذا هى ليست ثَمّ ، فجاءته فتاته ، وألقى عليها سترا ، فجاءت حفصة فقعدت على الباب حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته ، فقالت : والله لقد سؤتنى ، جامعتها فى بيتى أو كما قالت ؛ قال : وحرّمها النبىّ صلى الله عليه وسلم ، أو كما قال » .

Marfat.com

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يا أيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللهُ لَكَ) . . . الآية ، قال : كان حرم فتاته القبطية أمَّ ولده إبراهيم يقال لها مارية في يوم حفصة ، وأسرَّ ذلك إليها ، فأطلعت عليه عائشة ، وكانتا تظاهران على نساء النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فأحلّ الله له ما حرّم على نفسه ، فأُمر أن يكفر عن يمينه ، وعوتب في ذلك ، فقال (قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أيْمَانِكُمْ ، وَاللهُ مَوْلاكُمْ ، وَهُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ) قال قتادة : وكان الحسن يقول حرّمها عليه ، فجعل الله فيها كفارة يمين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم حرّمها يعني جاريته ، فكانت يمينا .

حدثنا سعيد بن يحيي ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس ، قال : « قلت لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : من المرأتان ؟ قال : عائشة ، وحفصة . وكان بدء الحديث في شأن أمّ إبراهيم القبطية ، أصابها النبيّ صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة في يومها ، فوجدته حفصة ، فقالت : يا نبيّ الله لقد جئت إليّ شيئا ما جئتَ إلى أحد من أزواجك بمثله في يومى وفى دوري ، وعلى فراشي ؛ قال : ألا تَرْضَيْنَ أنْ أُحَرِّمَها فَلا أقْرَبَها ؟ قالت : بلى ، فحرّمها ، وقال : لاتَذْكُرِى ذلكَ لأحَدٍ ، فذكرته لعائشة ، فأظهره الله عزّ وجلّ عليه ، فأنزل الله (يا أيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللهُ لَكَ ، تَبْتَغِى مَرْضَاةَ أزْوَاجِكَ) . . . الآيات كلها ، فبلغنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كفر يمينه ، وأصاب جاريته » .

وقال آخرون : كان ذلك شرابا يشربه ، كان يعجبه ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبوداود ، قال : ثنا شعبة ، عن قيس بن مسلم ، عن عبد الله بن شدّاد ابن الهاد ، قال : نزلت هذه الآية في شراب (ياأيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاةَ أزْوَاجِكَ) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو قَطَن البغدادى عمرو بن الهيثم ، قال : ثنا شعبة ، عن قيس بن مسلم ، عن عبد الله بن شدّاد مثله .

قال : ثنا أبوقطن ، قال : ثنا يزيد بن إبراهيم ، عن ابن أبي مليكة ، قال : نزلت في شراب .

❊ والصواب من القول في ذلك أن يقال : كان الذى حرّمه النبيّ صلى الله عليه وسلم على نفسه شيئا كان الله قد أحله له ، وجائز أن يكون ذلك كان جاريته ، وجائز أن يكون كان شرابا من الأشربة ، وجائز أن يكون كان غير ذلك ، غير أنه أيّ ذلك كان ، فإنه كان تحريم شيء كان له حلالا ، فعاتبه الله على تحريمه على نفسه ما كان له قد أحله ، وبين له تحلة يمينه في يمين كان حلف بها مع تحريمه ما حرّم على نفسه .

❊ فإن قال قائل : وما برهانك على أنه صلى الله عليه وسلم كان حلف مع تحريمه ما حرم ، فقد علمت

Marfat.com

قول من قال : لم يكن من النبيّ صلى الله عليه وسلم فى ذلك غير التحريم ، وأن التحريم هو اليمين ؟ قيل : البرهان على ذلك واضح ، وهو أنه لا يعقل فى لغة عربية ولا عجمية أن قول القائل لجاريته ، أو لطعام أو شراب ، هذا علىّ حرام يمين ، فإذا كان ذلك غير معقول ، فمعلوم أن اليمين غير قول القائل للشيء الحلال له : هو علىّ حرام . وإذا كان ذلك كذلك صحّ ماقلنا ، وفسد ماخالفه . وبعد ، فجائز أن يكون تحريم النبيّ صلى الله عليه وسلم ماحرّم على نفسه من الحلال الذى كان الله تعالى ذكره ، أحله له بيمين ، فيكون قوله (لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللهُ) معناه : لم تحلف على الشيء الذى قد أحله الله أن لا تقربه ، فتحرّمه على نفسك باليمين .

وإنما قلنا : إن النبيّ صلى الله عليه وسلم حرّم ذلك ، وحلف مع تحريمه ، كما حدثنى الحسن بن قزعة ، قال : ثنا مسلمة بن علقمة ، عن داود بن أبى هند ، عن الشعبىّ ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : آلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرم ، فأُمِرَ فى الإيلاء بكفارة ، وقيل له فى التحريم (لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللهُ لَكَ) .

وقوله (وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول تعالى ذكره : والله غفور يامحمد لذنوب التائبين من عباده من ذنوبهم ، وقد غفر لك تحريمك على نفسك ما أحله الله لك ، رحيم بعباده أن يعاقبهم على ما قد تابوا منه من الذنوب بعد التوبة :

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ۚ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾

يقول تعالى ذكره : قد بين الله عزّ وجلّ لكم تحلة أيمانكم ، وحدّها لكم أيها الناس (وَاللهُ مَوْلاكُمْ) يتولاكم بنصره أيها المؤمنون (وَهُوَ العَلِيمُ) بمصالحكم (الحَكِيمُ) فى تدبيره إياكم ، وصرفكم فيما هو أعلم به :

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾

يقول تعالى ذكره (وَإذْ أسَرَّ النَّبِيُّ) محمد صلى الله عليه وسلم (إلى بَعْضِ أزْوَاجِهِ) ، وهو فى قول ابن عباس وقتادة وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن بن زيد والشعبي والضّحاك بن مزاحم : حَفْصة . وقد ذكرنا الرواية فى ذلك قبل .

وقوله (حَدِيثًا) والحديث الذى أسرّ إليها فى قول هؤلاء هو قوله لمن أسرّ إليه ذلك من أزواجه تحريمُ فتاته ، أو ماحرّم على نفسه مما كان الله جلّ ثناؤه قد أحله له ، وحلفه على ذلك وقوله (لا تَذْكُرِى ذَلِكَ لأحَدٍ)

وقوله (فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ) يقول تعالى ذكره : فلما أخبرت بالحديث الذى أسرّ إليها رسول الله

Marfat.com

صلى الله عليه وسلم صاحبتها (وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ) يقول : وأظهر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على أنها قد أنبأت بذلك صاحبتها .

وقوله (عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار غير الكسائىّ (عَرَّفَ) بتشديد الراء ، بمعنى : عرّف النبىّ صلى الله عليه وسلم حفصة بعض ذلك الحديث وأخبرها به . وكان الكسائىّ يذكر عن الحسن البصرىّ وأبى عبد الرحمن السلمى وقتادة ، أنهم قرءوا ذلك (عَرَفَ) بتخفيف الراء ، بمعنى : عرف لحفصة بعض ذلك الفعل الذى فعلته من إفشائها سرّه ، وقد استكتمها إياه : أى غضب من ذلك عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجازاها عليه من قول القائل لمن أساء إليه : لأعرفنّ لك يافلان ما فعلت ، بمعنى : لأجازينك عليه ؛ قالوا : وجازاها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك من فعلها بأن طلقها .

وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأه (عَرَّفَ بَعْضَهُ) بتشديد الراء ، بمعنى : عرّف النبىّ صلى الله عليه وسلم حفصة ، يعنى ما أظهره الله عليه من حديثها صاحبتها لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

وقوله (وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ) يقول : وترك أن يخبرها ببعض .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : اخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا) قوله لها : لاتذكريه (فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ) وكان كريما صلى الله عليه وسلم .

وقوله (فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ) يقول : فلما خبر حفصة نبىّ الله صلى الله عليه وسلم بما أظهره الله عليه من إفشائها سرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عائشة (قَالَتْ : مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا ؟) يقول : قالت حفصةُ لرسول الله : من أنبأك هذا الخبر وأخبرك به (قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ) يقول تعالى ذكره : قال محمد نبىّ الله لحفصة : خبرنى به العليم بسرائر عباده ، وضمائر قلوبهم ، الخبير بأمورهم ، الذى لايخفى عنه شىء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا ؟) ولم تشكّ أن صاحبتها أخبرت عنها (قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾

Marfat.com

﴿ يقول تعالى ذكره : إن تتوبا إلى الله أيتها المرأتان فقد مالت قلوبكما إلى محبة ما كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجتنابه جاريته ، وتحريمها على نفسه ، أو تحريم ما كان له حلالا مما حرّمه على نفسه بسبب حفصة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنْ تَتُوبا إلى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما) يقول : زاغت قلوبكما ، يقول : قد أثمت قلوبكما .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا محمد بن طلحة ، عن زبيد ، عن مجاهد ، قال كنا نرى أن قوله (فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما) شىء هين ، حتى سمعت قراءة ابن مسعود (إِنْ تَتُوبا إلى اللهِ فَقَدْ زَاغَتْ قُلُوبُكُما) :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما) : أى مالت قلوبكما .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن قتادة (فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما) مالت قلوبكما .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما) يقول : زاغت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (صَغَتْ قُلُوبُكُما) قال : زاغت قلوبكما :

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال الله عزّ وجلّ (إِنْ تَتُوبا إلى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما) قال : سرهما أن يجتنب رسول الله صلى الله عليه وسلم جاريته ، وذلك لهما موافق (صَغَتْ قُلُوبُكُما) إلى أن سرّهما ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقوله (وَإِنْ تَظاهَرَا عَلَيْهِ) يقول تعالى ذكره للتى أسرّ إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه ، والتى أفشت إليها حديثه ، وهما عائشة وحفصة رضى الله عنهما .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبى ثور ، عن ابن عباس قال : لم أزل حريصا على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اللتين قال الله جلّ ثناؤه (إِنْ تَتُوبا إلى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما) قال : فحجّ عمر ، وحججت معه ، فلما كان ببعض الطريق عدل عمر ، وعدلت معه بإداوة ، ثم أتانى فسكبت على يده وتوضأ فقلت : يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبىّ صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله لهما (إِنْ تَتُوبا إلى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما) قال عمر : واعجبا لك يا ابن عباس ، قال الزهرى : وكره والله ما سأله

Marfat.com

ولم يكتم ، قال : هي حفصة وعائشة ؛ قال : ثم أخذ يسوق الحديث ، فقال : كنا معشر قريش نغلب النساء ، فلما قدمنا المدينة ، ثم ذكر الحديث بطوله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن أشهب ، عن مالك ، عن أبي النضر ، عن عليّ بن حسين ، عن ابن عباس ، أنه سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن المتظاهرتين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : عائشة وحفصة .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا سفيان ، عن يحيي بن سعيد ، عن عبيد بن حنين أنه سمع ابن عباس يقول : مكثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن المتظاهرتين ، فما أجد له موضعا أسأله فيه ، حتى خرج حاجا ، وصحبته حتى إذا كان بمرّ الظّهران ذهب لحاجته ، وقال : أدركني بإداوة من ماء ؛ فلما قضى حاجته ورجع ، أتيته بالإداوة أصبها عليه ، فرأيت موضعا ، فقلت : يا أمير المؤمنين من المرأتان المتظاهرتان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فما قضيت كلامي حتى قال : عائشة وحفصة رضي الله عنهما .

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا عمر بن يونس ، قال : ثنا عكرمة بن عمار ، قال : ثنا سماك أبو زميل ، قال : ثني عبد الله بن عباس ، قال : ثني عمر بن الخطاب ، قال : لما اعتزل نبيّ الله صلى الله عليه وسلم نساءه ، دخلت عليه وأنا أرى في وجهه الغضب ، فقلت : يا رسول الله ما شقّ عليك من شأن النساء ، فلئن كنت طلقتهنّ فإن الله معك وملائكته ، وجبرائيل وميكائيل ، وأنا وأبو بكر معك ، وقلما تكلمت وأحمد الله بكلام ، إلا رجوت أن يكون الله مصدّق قولي ، فنزلت هذه الآية ، آية التخيير : (عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ) ، (وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ ، وَجِبْرِيلُ ، وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) ... الآية ، وكانت عائشة ابنة أبي بكر وحفصة تتظاهران على سائر نساء النبيّ صلى الله عليه وسلم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ) يقول : على معصية النبيّ صلى الله عليه وسلم وأذاه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال ابن عباس لعمر : يا أمير المؤمنين إني أريد أن أسألك عن أمر وإني لأهابك ، قال : لا تهبني ، فقال : من اللتان تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : عائشة وحفصة .

وقوله (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ ، وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) يقول : فإن الله هو وليه وناصره ، وصالح المؤمنين : وخيار المؤمنين أيضا مولاه وناصره .

وقيل : عني بصالح المؤمنين في هذا الموضع : أبو بكر ، وعمر رضي الله عنهما .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ بن الحسن الأزدي ، قال : ثنا يحيي بن يمان ، عن عبد الوهاب ، عن مجاهد ، في قوله (وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) قال : أبو بكر وعمر :

Marfat.com

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك ، فى قوله (وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) قال : خيار المؤمنين أبو بكر الصدّيق وعمر .

حدثنا إسحاق بن إسرائيل ، قال : ثنا الفضل بن موسى السينانى «من قرية بمرو يقال لها سينان» عن عبيد ابن سليمان ، قال : سمعت الضحاك بن مزاحم يقول فى قوله (وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) قال : أبو بكر وعمر .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) يقول : خيار المؤمنين .

وقال آخرون : عُنِى بصالح المؤمنين : الأنبياء صلوات الله عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) قال : هم الأنبياء .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) قال : هم الأنبياء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) قال الأنبياء .

** والصواب من القول فى ذلك عندى : أن قوله (وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) وإن كان فى لفظ واحد ، فإنه بمعنى الجميع ، وهو بمعنى قوله (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ) فالإنسان وإن كان فى لفظ واحد ، فإنه بمعنى الجميع ، وهو نظير قول الرجل : لاتقرين إلا قارئُ القرآن ، يقال : قارئُ القرآن ، وإن كان فى اللفظ واحدا ، فمعناه الجمع ، لأنه قد أذن لكلّ قارئُ القرآن أن يقربه ، واحدا كان أو جماعة .

وقوله (وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ) يقول : والملائكة مع جبريل و صالح المؤمنين لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعوان على من آذاه ، وأراد مساءته . والظهير فى هذا الموضع بلفظ واحد فى معنى جمع . ولو أخرج بلفظ الجميع لقيل : والملائكة بعد ذلك ظهراء .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) قال : وبدأ بصالح المؤمنين هاهنا قبل الملائكة ، قال (وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾

** يقول تعالى ذكره : عسى ربّ محمد إن طلقكنّ يا معشر أزواج محمد صلى الله عليه وسلم أن يبدله منكنّ أزواجا خيرا منكن .

وقيل : إن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تحذيرا من الله نساءه لما اجتمعن عليه فى الغيرة .

Marfat.com

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم ، قالا : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : اجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه في الغيرة فقلت لهنّ : عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكنّ ، قال : فنزل كذلك .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن حميد ، عن أنس ، عن عمر ، قال : « بلغني عن بعض أمهاتنا ، أمهات المؤمنين شدّة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذاهنّ إياه ، فاستقريتهنّ امرأة امرأة ، أعظها وأنهاها عن أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقول : إن أبيتنّ أبدله الله خيرا منكنّ ، حتى أتيت ، حسبت أنه قال على زينب ، فقالت : يا ابن الخطاب ، أما في رسول الله صلى الله عليه وسلم مايعظ نساءه حتى تعظهنّ أنت ؟ فأمسكت ، فأنزل الله (عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ) » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، عن حميد ، عن أنس ، قال : قال عمر بن الخطاب : بلغني عن أمهات المؤمنين شيء ، فاستقريتهن أقول : لتكففن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو ليبدلنه الله أزواجا خيرا منكنّ ، حتى أتيت على إحدى أمهات المؤمنين ، فقالت : يا عمر أما في رسول الله صلى الله عليه وسلم مايعظ نساءه حتى تعظهنّ أنت ؟ فكففت ، فأنزل الله (عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ) . . . الآية .

واختلفت القرّاء في قراءة قوله (أَنْ يُبَدِّلَهُ) فقرأ ذلك بعض قرّاء مكة والمدينة والبصرة بتشديد الدال « يبدّله أزواجا » من التبديل . وقرأه عامة قرّاء الكوفة « يُبْدِله » بتخفيف الدال من الإبدال .

والصواب من القول أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (مُسْلِمَاتٍ) يقول : خاضعات لله بالطاعة (مُؤْمِنَاتٍ) يعني مصدّقات بالله ورسوله .

وقوله (قَانِتَاتٍ) يقول : مطيعات لله .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (قَانِتَاتٍ) قال : مطيعات .

حدثني ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (قَانِتَاتٍ) قال مطيعات .

وقوله (تَائِبَاتٍ) يقول : راجعات إلى مايحبه الله منهنّ من طاعته عما يكرهه منهنّ (عَابِدَاتٍ) يقول : متذللات لله بطاعته .

وقوله (سَائِحَاتٍ) يقول : صائمات .

واختلف أهل التأويل في معنى قوله (سَائِحَاتٍ) فقال بعضهم : معنى ذلك : صائمات .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (سَائِحَاتٍ) قال : صائمات .

Marfat.com

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (سَائِحاتٍ) قال : صائمات .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال (السَّائِحاتِ) : الصائمات .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (سائحاتٍ) يعنى : صائمات .

وقال آخرون : السائحات : المهاجرات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا إسحاق بن أبى إسرائيل ، قال : ثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردىّ ، عن زيد بن أسلم ، قال : السائحات : المهاجرات .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (سائحاتٍ) قال : مهاجرات ليس فى القرآن ، ولا فى أمة محمد سياحة إلا الهجرة ، وهى التى قال الله (السَّائِحُونَ) .

وقد بيّنا الصواب من القول فى معنى السائحين فيما مضى قبل بشواهده مع ذكرنا أقوال المختلفين فيه ، وكرهنا إعادته .

وكان بعض أهل العربية يقول : نرى أن الصائم إنما سمى سائحا ، لأن السائح لازاد معه ، وإنما يأكل حيث يجد الطعام ، فكأنه أُخذ من ذلك :

وقوله (ثَيِّباتٍ) وهنّ اللواتى قد افترعن وذهبت عذرتهنّ (وأبْكارًا) وهنّ اللواتى لم يجامعن ، ولم يفترعن .

القول فى تأويل قوله تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦

يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله (قُوا أنْفُسَكُمْ) يقول : علموا بعضكم بعضا ما تقون به من تعلمونه النار ، وتدفعونها عنه إذا عمل به من طاعة الله ، واعملوا بطاعة الله .

وقوله (وأهْلِيكُمْ نارا) يقول : وعلموا أهليكم من العمل بطاعة الله ما يقون به أنفسهم من النار .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن رجل ، عن علىّ ابن أبى طالب رضى الله عنه فى قوله (قُوا أنْفُسَكُمْ وأهْلِيكُمْ نارًا وَقُودُها النَّاسُ والْحِجارَةُ) قال : علّموهم ، أدّبوهم .

Marfat.com

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن رجل ، عن عليّ (قُوا أَنْفُسَكُمْ وأَهْلِيكُمْ نارًا) يقول : أدّبوهم ، علّموهم .

حدثني الحسين بن يزيد الطحان ، قال : ثنا سعيد بن خثيم ، عن محمد بن خالد الضبيّ ، عن الحكم ، عن عليّ بمثله .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (قُوا أَنْفُسَكُمْ وأَهْلِيكُمْ نارًا) يقول : اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصي الله ، ومروا أهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (قُوا أَنْفُسَكُمْ وأَهْلِيكُمْ نارًا) قال : اتقوا الله ، وأوصوا أهليكم بتقوى الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُوا أَنْفُسَكُمْ وأَهْلِيكُمْ نارًا وَقُودُها النَّاسُ والْحِجارَةُ) قال : قال يقيهم أن يأمرهم بطاعة الله ، و ينهاهم عن معصيته ، وأن يقوم عليهم بأمر الله يأمرهم به ويساعدهم عليه ، فإذا رأيت لله معصية ردعتهم عنها ، وزجرتهم عنها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (قُوا أَنْفُسَكُمْ وأَهْلِيكُمْ نارًا) قال : مروهم بطاعة الله ، وانهوهم عن معصيته .

وقوله (وَقُودُها النَّاسُ) يقول : حطبها الذي يوقد على هذه النار بنو آدم وحجارة الكبريت .

وقوله (عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ) يقول : على هذه النار ملائكة من ملائكة الله ، غلاظ على أهل النار ، شداد عليهم (لا يَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُمْ) يقول : لا يخالفون الله في أمره الذي يأمرهم به (وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ) يقول : وينتهون إلى ما يأمرهم به ربهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ⑦

** يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيله يوم القيامة للذين جحدوا وحدانيته في الدنيا (يا أيُّها الَّذِينَ كَفَرُوا) الله (لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّما تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول : يقال لهم : إنما تثابون اليوم ، وذلك يوم القيامة ، وتعطون جزاء أعمالكم التي كنتم في الدنيا تعملون ، فلا تطلبوا المعاذير منها .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ

Marfat.com

يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾

* يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله (تُوبُوا إلى اللهِ) يقول : ارجعوا من ذنوبكم إلى طاعة الله ، وإلى مايرضيه عنكم (تَوْبَةً نَصُوحاً) يقول : رجوعا لاتعودون فيها أبدا .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (نَصُوحاً) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد بن السَّرىّ ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن النعمان بن بشير ، قال : سُئل عمر عن التوبة النصوح ، قال : التوبة النصوح : أن يتوب الرجل من العمل السيئ ، ثم لايعود إليه أبدا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن النعمان بن بشير ، عن عمر ، قال : التوبة النصوح : أن تتوب من الذنب ثم لا تعود فيه ، أو لاتريد أن تعود .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، قال : سمعت النعمان بن بشير يخطب ، قال : سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : (ياأيها الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إلى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً) قال : يذنب الذنب ثم لايرجع فيه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن النعمان بن بشير ، قال : سألت عمر عن قوله (تُوبُوا إلى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحا) قال : هو العبد يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه أبدا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن النعمان بن بشير ، قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : التوبة النصوح : أن يتوب من الذنب فلا يعود .

حدثنا به ابن حميد مرّة أخرى ، قال : أخبرنى عن عمر بهذا الإسناد ، فقال : التوبة النصوح : الذى يذنب ثم لايريد أن يعود .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الأحوص ، عن عبد الله (تَوْبَةً نَصُوحاً) قال : يتوب ثم لايعود .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الأحوص ، عن عبد الله قال : التوبة النصوح : الرجل يذنب الذنب ثم لايعود فيه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا تُوبُوا إلى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً) أن لايعود صاحبها لذلك الذنب الذى يتوب منه ، ويقال : توبته أن لايرجع إلى ذنب تركه .

Marfat.com

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنى الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (تَوْبَةً نَصُوحاً) قال : يستغفرون ثم لايعودون .

حدثنى نصر بن عبد الرحمن الأودىّ ، قال : ثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (تَوْبَةً نَصُوحاً) قال : النصوح : أن تحول عن الذنب ثم لاتعود له أبدا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إلى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً) قال : هى الصادقة الناصحة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (تُوبُوا إلى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً) قال : التوبة النصوح الصادقة ، يعلم أنها صدق ندامة على خطيئته ، وحبّ الرجوع إلى طاعته ، فهذا النصوح .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار خلا عاصم (نَصُوحا) بفتح النون على أنه من نعت التوبة وصفتها . وذُكر عن عاصم أنه قرأه (نُصُوحاً) بضمّ النون ، بمعنى المصدر من قولهم : نصح فلان لفلان نُصُوحا .

وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك قراءة من قرأه بفتح النون على الصفة للتوبة لإجماع الحجة على ذلك .

وقوله (عَسَى رَبُّكُمْ أنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ) يقول : عسى ربكم أيها المؤمنون أن يمحو سيئات أعمالكم التى سلفت منكم (وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِها الأنْهارُ) يقول : وأن يدخلكم بساتين تجرى من تحت أشجارها الأنهار (يَوْمَ لا يُخْزِى اللهُ النَّبِيَّ) محمدا صلى الله عليه وسلم (وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ، نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أيْدِيهِمْ) يقول : يسعى نورهم أمامهم (وبأيْمانِهِمْ) يقول : وبأيمانهم كتابهم .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (يَوْمَ لا يُخْزِى اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ) . . . إلى قوله (وَبِأيْمانِهِمْ) يأخذون كتابهم فيه البشرى (يَقُولُونَ رَبَّنا أتْمِمْ لَنا نُورَنا ، وَاغْفِرْ لَنا) يقول جلّ ثناؤه مخبرا عن قيل المؤمنين يوم القيامة : يقولون ربنا أتمم لنا نورنا ، يسألون ربهم أن يبقى لهم نورهم ، فلا يطفئه حتى يجوزوا الصراط ، وذلك حين يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا (انْظُرُونا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (رَبَّنا أتْمِمْ لَنا نُورَنا) قال : قول المؤمنين حين يُطْفَأ نور المنافقين .

Marfat.com

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن الحسن ، قال : ليس أحد إلا يعطى نورا يوم القيامة ، يعطى المؤمن والمنافق ، فيطفأ نور المنافق ، فيخشى المؤمن أن يطفأ نوره ، فذلك قوله (رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا) :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن يزيد بن شجرة ، قال : كان يذكرنا ويبكى ، ويصدّق قوله فعله ، يقول : يا أيها الناس إنكم مكتوبون عند الله عزّ وجلّ بأسمائكم وسيماكم ، ومجالسكم ونجواكم وخلائكم ، فإذا كان يومُ القيامة قيل : يافلانُ بْنَ فلان هاكَ نورَك ، ويافلانُ بْنَ فلان ، لانور لك .

وقوله (وَاغْفِرْ لَنَا) يقول : واستر علينا ذنوبنا ، ولا تفضحنا بها بعقوبتك إيانا عليها (إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول : إنك على إتمام نورنا لنا ، وغفران ذنوبنا ، وغير ذلك من الأشياء ذو قدرة .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾

** يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (ياأيُّها النَّبِيُّ جاهِدِ الكُفَّارَ) بالسيف (وَالمُنافِقِينَ) بالوعيد واللسان .

وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيُّها النَّبِيُّ جاهِدِ الكُفَّارَ والمُنافِقِينَ) قال : أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام أن يجاهد الكفار بالسيف ، ويغلظ على المنافقين بالحدود (وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) يقول : واشدد عليهم فى ذات الله (وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ) يقول : ومكثهم جهنم ، ومصيرهم الذى يصيرون إليه نار جهنم (وَبِئْسَ المَصِيرُ) قال : وبئس الموضع الذى يصيرون إليه جهنم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾

** يقول تعالى ذكره : مَثَّل الله مثلا للذين كفروا من الناس وسائر الخلق امرأة نوح وامرأة لوط ، كانتا تحت عبدين من عبادنا ، وهما نوح ولوط فخانتاهما .

ذُكر أن خيانة امرأة نوح زوجها أنها كانت كافرة ، وكانت تقول للناس : إنه مجنون . وأن خيانة امرأة لوط ، أن لوطا كان يُسِرّ الضيف ، وتدلّ عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن موسى بن أبى عائشة ، عن سليمان بن

Marfat.com

قيس ، عن ابن عباس ، قوله (فَخَانَتَاهُمَا) قال : كانت امرأة نوح تقول للناس : إنه مجنون . وكانت امرأة لوط تَدُلّ على الضيف .

حدثنا محمد بن منصور الطوسى ، قال : ثنا إسماعيل بن عمر ، قال : ثنا سفيان ، عن موسى بن أبى عائشة عن سليمان بن قيس ، قال : سمعت ابن عباس قال فى هذه الآية : أما امرأة نوح ، فكانت تخبر أنه مجنون ؛ وأما خيانة امرأة لوط ، فكانت تَدُلّ على لوط .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى عامر الهمدانى ، عن الضحاك (كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ) قال : مابغت امرأة نبىّ قط (فَخَانَتَاهُمَا) قال : : فى الدين خانتاهما .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ ، كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا) قال : كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما ، فكانت امرأة نوح تطلع على سرّ نوح ، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به ، فكان ذلك من أمرها ؛ وأما امرأة لوط فكانت إذا ضاف لوطا أحد خبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء (فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن أبى سعيد ، أنه سمع عكرمة يقول فى هذه الآية (فَخَانَتَاهُمَا) قال : فى الدين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، فى قوله (كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا) قال : وكانت خيانتهما أنهما كانتا مشركتين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك (فَخَانَتَاهُمَا) قال : كانتا مخالفتين دين النبىّ صلى الله عليه وسلم كافرتين بالله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى أبو صخر ، عن أبى معاوية البجلى ، قال : سألت سعيد بن جبير : ماكانت خيانة امرأة لوط وامرأة نوح ؟ فقال : أما امرأة لوط ، فإنها كانت تدلّ على الأضياف ؛ وأما امرأة نوح فلا علم لى بها .

وقوله (فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا) يقول : فلم يغن نوح ولوط عن امرأتيهما من الله لما عاقبهما على خيانتهما أزواجهما شيئا ، ولم ينفعهما أن كانت أزواجهما أنبياء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ) . . . الآية ، هاتان زوجتا نبيّي الله لما عصتا ربهما ، لم يغن أزواجهما عنهما من الله شيئا .

Marfat.com

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وامْرَأَةَ لُوطٍ) . . . الآية ، قال : يقول الله : لم يغن صلاح هذين عن هاتين شيئا ، وامرأة فرعون لم يضرّها كفر فرعون .

وقوله (وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ) قال الله لهما يوم القيامة : ادخلا أيتها المرأتان نار جهنم مع الداخلين فيها .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾﴾

يقول تعالى ذكره : وضرب الله مثلا للذين صدّقوا الله ووحدوه ، امرأة فرعون التى آمنت بالله ووحدته ، وصدّقت رسوله موسى ، وهى تحت عدوّ من أعداء الله كافر ، فلم يضرّها كفر زوجها ، إذ كانت مؤمنة بالله ، وكان من قضاء الله فى خلقه أن لا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن لكلّ نفس ما كسبت ، إذ قالت : (رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِى الجَنَّةِ) ، فاستجاب الله لها فبنى لها بيتا فى الجنة .

كما حدثنى إسماعيل بن حفص الأيلى [1] ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، عن سليمان التيمىّ ، عن أبى عثمان ، عن سلمان ، قال : كانت امرأة فرعون تعذّب بالشمس . فإذا انصرف عنها أظلّتها الملائكة بأجنحتها ، وكانت ترى بيتها فى الجنة .

حدثنا محمد بن عبيد المحاربىّ ، قال : ثنا أسباط بن محمد ، عن سليمان التيمىّ ، عن أبى عثمان ، قال : قال سلمان : كانت امرأة فرعون ، فذكر نحوه .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن هشام الدستوائى ، قال : ثنا القاسم بن أبى بزّة ، قال : كانت امرأة فرعون تسأل من غلب ؟ فيقال : غلب موسى وهارون ، فتقول : آمنت بربّ موسى وهارون ؛ فأرسل إليها فرعون ، فقال : انظروا أعظم صخرة تجدونها ، فإن مضت على قولها فألقوها عليها ، وإن رجعت عن قولها فهى امرأته ؛ فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء ، فأبصرت بيتها فى السماء ، فمضت على قولها ، فانتزع الله روحها ، وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ) وكان أعتى أهل الأرض على الله ، وأبعده من الله ، فوالله ما ضرّ امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربها ، لتعلموا أن الله حكم عدل ، لا يؤاخذ عبده إلا بذنبه .

وقوله (وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ) وتقول : وأنقذنى من عذاب فرعون ، ومن أن أعمل عمله ، وذلك كفره بالله .

(١) بهمزة ، ثم موحدة مضمومتين ، نسبه إلى الأبلة .

Marfat.com

وقوله (وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) تقول : وآخلصني وأنقذني من عمل القوم الكافرين بك ، ومن عذابهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ ١٢

يقول تعالى ذكره : (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنوا)(مَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها) يقول : التي منعت جيب درعها جبريل عليه السلام ، وكلّ ما كان في الدرع من خرق أو فتق ، فإنه يسمى فَرْجا ، وكذلك كلّ صدع وشقّ في حائط ، أو فرج سقف فهو فرج .

وقوله (فَنَفَخْنا فِيهِ مِنْ رُوحِنا) يقول : فنفخنا فيه في جيب درعها ، وذلك فرجها ، من روحنا من جبرئيل ، وهو الروح .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَنَفَخْنا فِيهِ مِنْ رُوحِنا) فنفخنا في جيبها من روحنا (وَصَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها) يقول : آمنت بعيسى ، وهو كلمة الله (وكُتُبِهِ) يعني التوراة والإنجيل (وكانَتْ مِنَ القانِتِينَ) يقول : وكانت من القوم المطيعين .

كما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مِنَ القانِتِينَ) من المطيعين .

آخر تفسير سورة التحريم

تمّ الجزء الثامن والعشرون من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري ،

ويليه الجزء التاسع والعشرون

وأوله : تفسير سورة الملك

Marfat.com

جامع البيان

عن

تأويل آي القرآن

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء التاسع والعشرون

دار الفكر

Marfat.com

[illegible]

Marfat.com

فهارس الجزء التاسع والعشرون
من
جامع البيان عن تأويل آي القرآن
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

الفهرس الأول : للآيات المفسرة
الفهرس الثاني : مواضيع الآيات المفسرة
الفهرس الثالث : للقوافي
الفهرس الرابع : للأحاديث النبوية.

Marfat.com

١ – فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
	تفسير سورة الملك	
١	تبارك الذى بيده الملك . . .	١
٢	الذى خلق الموت والحياة . . .	١
٣	الذى خلق سبع سموات طباقا . . .	٢
٤	ثم ارجع البصر كرتين . . .	٢
٥	ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح . . .	٣
٦	وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم . . .	٤
٧	إذا أُلقوا فيها سمعوا لها شهيقا . . .	٤
٨	تكاد تَميَّز من الغيظ . . .	٤
٩	قالوا بلى قد جاءنا نذير . . .	٤
١٠	وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل . . .	٥
١١	فاعترفوا بذنبهم . . .	٥
١٢	إن الذين يخشون ربهم بالغيب . . .	٦
١٣	وأسرُّوا قولكم أو اجهروا به . . .	٦
١٤	ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير .	٦
١٥	هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا . . .	٦
١٦	أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم . . .	٧
١٧	أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم...	٧
١٨	ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف ...	٨
١٩	أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات . . .	٨
٢٠	أمَّن هذا الذى هو جند لكم ينصركم . .	٨
٢١	أمَّن هذا الذى يرزقكم إن أمسك . . .	٩
٢٢	أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى . . .	٩
٢٣	قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع ...	١٠
٢٤	قل هو الذى ذرَأكم فى الأرض . . .	١١
٢٥	ويقولون متى هذا الوعد . . .	١١
٢٦	قل إنما العلم عند الله . . .	١١
٢٧	فلما رأوه زُلْفة سِيئت وجوه . . .	١١
٢٨	قل أرأيتم إن أهلكنى الله ومن معى ...	١٢
٢٩	قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا . . .	١٣
٣٠	قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غَوْرا . . .	١٣
	تفسير سورة نٓ	
١	نٓ والقلم وما يسطرون .	١٤
٢	ما أنت بنعمة ربك بمجنون .	١٤
٣	وإن لك لأجرا غير مَمنون . .	١٤
٤	وإنك لعلى خلق عظيم .	١٨
٥	فستبصر ويُبصرون .	١٨
٦	بأيِّكم المفتون .	١٨
٧	إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ...	١٨
٨	فلا تطع المكذبين .	٢١
٩	ودُّوا لو تُدْهِن فيُدهِنون .	٢١
١٠	ولا تطع كل حلاف مَهِين .	٢١
١١	هَمَّاز مَشَّاء بنميم .	٢١
١٢	مَنَّاع للخير معتدٍ أثيم	٢٣
١٣	عُتُلٍّ بعد ذلك زَنيم .	٢٣
١٤	أن كان ذا مال وبنين .	٢٧
١٥	إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين .	٢٧
١٦	سنسمه على الخُرطوم .	٢٧

Marfat.com

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٧	إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة . . .	٢٩
١٨	ولا يستثنون .	٢٩
١٩	فطاف عليهم طائف من ربك . . .	٣٠
٢٠	فأصبحت كالصريم .	٣٠
٢١	فتنادوا مصبحين .	٣١
٢٢	أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين .	٣١
٢٣	فانطلقوا وهم يتخافتون .	٣١
٢٤	أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين .	٣١
٢٥	وغدوا على حرد قادرين .	٣١
٢٦	فلما رأوها قالوا إنا لضالون .	٣٤
٢٧	بل نحن محرومون .	٣٤
٢٨	قال أوسطهم : ألم أقل لكم لولا تسبحون	٣٤
٢٩	قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين .	٣٥
٣٠	فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون .	٣٥
٣١	قالوا : يا ويلنا إنا كنا طاغين .	٣٥
٣٢	عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها . . .	٣٦
٣٣	كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر . . .	٣٦
٣٤	إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم .	٣٦
٣٥	أفنجعل المسلمين كالمجرمين .	٣٦
٣٦	مالكم كيف تحكمون .	٣٦
٣٧	أم لكم كتاب فيه تدرسون .	٣٧
٣٨	إن لكم فيه لما تخيرون .	٣٧
٣٩	أم لكم أيمان علينا بالغة . . .	٣٧
٤٠	سلهم أيهم بذلك زعيم .	٣٧
٤١	أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم . .	٣٧
٤٢	يوم يكشف عن ساق ويدعون . .	٣٨
٤٣	خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة . . .	٣٨
٤٤	فذرني ومن يكذب بهذا الحديث . . .	٤٣
٤٥	وأملي لهم إن كيدي متين .	٤٣
٤٦	أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون .	٤٤
٤٧	أم عندهم الغيب فهم يكتبون .	٤٤
٤٨	فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب . . .	٤٤
٤٩	لولا أن تداركه نعمة من ربه . . .	٤٤
٥٠	فاجتباه ربه فجعله من الصالحين .	٤٥
٥١	وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك . . .	٤٥
٥٢	وما هو إلا ذكر للعالمين .	٤٥

تفسير سورة الحاقة

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	الحاقة .	٤٧
٢	ما الحاقة .	٤٧
٣	وما أدراك ما الحاقة .	٤٧
٤	كذبت ثمود وعاد بالقارعة .	٤٧
٥	فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية .	٤٨
٦	وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية .	٤٨
٧	سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما .	٤٨
٨	فهل ترى لهم من باقية .	٤٨
٩	وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات . . .	٥٢
١٠	فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية	٥٢
١١	إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية .	٥٢
١٢	لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية	٥٢
١٣	فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة .	٥٦
١٤	وحملت الأرض والجبال . . .	٥٦
١٥	فيومئذ وقعت الواقعة .	٥٦
١٦	وانشقت السماء فهي يومئذ واهية .	٥٧
١٧	والملك على أرجائها ويحمل . . .	٥٧
١٨	يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية .	٥٧
١٩	فأما من أوتي كتابه بيمينه . . .	٦٠

Marfat.com

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٠	إنى ظننت أنى ملاقٍ حسابيه .	٦٠
٢١	فهو فى عيشة راضية .	٦١
٢٢	فى جنة عالية .	٦١
٢٣	قُطُوفها دانية .	٦١
٢٤	كلوا واشربوا هنيئا . . .	٦١
٢٥	وأما من أُوتى كتابه بشماله . . .	٦٢
٢٦	ولم أدر ما حسابيَه .	٦٢
٢٧	ياليتها كانت القاضية .	٦٢
٢٨	ما أغنَى عنى ماليهْ .	٦٢
٢٩	هلك عنى سلطانيهْ .	٦٢
٣٠	خذوه فغلوه .	٦٢
٣١	ثم الجحيم صلُّوه .	٦٢
٣٢	ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه	٦٢
٣٣	إنه كان لا يؤمن بالله العظيم .	٦٢
٣٤	ولا يحضُّ على طعام المسكين .	٦٤
٣٥	فليس له اليوم هاهنا حميم .	٦٤
٣٦	ولا طعام إلا من غِسلين .	٦٤
٣٧	لا يأكله إلا الخاطئون .	٦٤
٣٨	فلا أقسم بما تبصرون .	٦٥
٣٩	وما لا تبصرون .	٦٥
٤٠	إنه لقول رسول كريم .	٦٥
٤١	وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون .	٦٥
٤٢	ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون .	٦٥
٤٣	تنزيل من رب العالمين .	٦٦
٤٤	ولو تقوَّل علينا بعضَ الأقاويل .	٦٦
٤٥	لأخذنا منه باليمين .	٦٦
٤٦	ثم لقطعنا منه الوتين .	٦٦
٤٧	فما منكم من أحدٍ عنه حاجزين .	٦٧
٤٨	وإنه لتذكرةٌ للمتقين .	٦٧
٤٩	وإنا لنعلم أن منكم مكذبين .	٦٨
٥٠	وإنه لحسرة على الكافرين .	٦٨
٥١	وإنه لحق اليقين .	٦٨
٥٢	فسبح باسم ربك العظيم .	٦٨
	تفسير سورة المعارج	
١	سأل سائل بعذاب واقع .	٦٩
٢	للكافرين ليس له دافع .	٦٩
٣	من الله ذى المعارج .	٦٩
٤	تعرج الملائكة والروح إليه . . .	٦٩
٥	فاصبر صبْرا جميلا .	٦٩
٦	إنهم يرونه بعيدا .	٧٢
٧	ونراه قريبا .	٧٢
٨	يوم تكون السماء كالمُهْل .	٧٢
٩	وتكون الجبال كالعهن .	٧٢
١٠	ولا يسأل حميم حميما .	٧٢
١١	يُبَصَّرونهم يودّ المجرم . . .	٧٢
١٢	وصاحبته وأخيه .	٧٤
١٣	وفصيلته التى تُؤويه .	٧٤
١٤	ومن فى الأرض جميعا ثم ينجيه .	٧٤
١٥	كلا إنها لَظَى .	٧٥
١٦	نزاعة للشوَى .	٧٥
١٧	تدعو من أدبر وتولى .	٧٥
١٨	وجمع فأوعى .	٧٥
١٩	إن الإنسان خلق هلوعا .	٧٨
٢٠	إذا مسه الشر جَزوعا .	٧٨
٢١	وإذا مسه الخير منوعا .	٧٨
٢٢	إلا المصلّين .	٧٨

Marfat.com

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٣	الذين هم على صلاتهم دائمون .	٧٨
٢٤	والذين فى أموالهم حق معلوم .	٨٠
٢٥	للسائل والمحروم .	٨٠
٢٦	والذين يصدقون بيوم الدين .	٨٠
٢٧	والذين هم من عذاب ربهم مشفقون .	٨٠
٢٨	إن عذاب ربهم غير مأمون .	٨٠
٢٩	والذين هم لفروجهم حافظون .	٨٣
٣٠	إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ...	٨٣
٣١	فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون .	٨٣
٣٢	والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون .	٨٤
٣٣	والذين هم بشهاداتهم قائمون .	٨٤
٣٤	والذين هم على صلاتهم يحافظون .	٨٤
٣٥	أولئك فى جنات مكرمون .	٨٤
٣٦	فما للذين كفروا قبلك مهطعين .	٨٤
٣٧	عن اليمين وعن الشمال عزين .	٨٤
٣٨	أيطمع كل امرىء منهم . . .	٨٤
٣٩	كلا إنا خلقناهم مما يعلمون .	٨٤
٤٠	فلا أقسم برب المشارق والمغارب . . .	٨٧
٤١	على أن نبدل خيرا منهم . . .	٨٧
٤٢	فذرهم يخوضوا ويلعبوا . . .	٨٧
٤٣	يوم يخرجون من الأجداث . . .	٨٨
٤٤	خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة . . .	٨٨
	تفسير سورة نوح	
١	إنا أرسلنا نوحا إلى قومه . . .	٩٠
٢	قال يا قوم إنى لكم نذير مبين .	٩٠
٣	أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون	٩٠
٤	يغفر لكم من ذنوبكم . . .	٩٠
٥	قال رب إنى دعوت قومى ليلا ونهارا .	٩٢
٦	فلم يزدهم دعائى إلا فرارا .	٩٢
٧	وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم . . .	٩٢
٨	ثم إنى دعوتهم جهارا .	٩٣
٩	ثم إنى أعلنت لهم . . .	٩٣
١٠	فقلت استغفروا ربكم . . .	٩٣
١١	يرسل السماء عليكم مدرارا .	٩٣
١٢	ويمددكم بأموال وبنين . . .	٩٤
١٣	مالكم لا ترجون لله وقارا .	٩٤
١٤	وقد خلقكم أطوارا .	٩٤
١٥	ألم تروا كيف خلق الله . . .	٩٦
١٦	وجعل القمر فيهن نورا . . .	٩٦
١٧	والله أنبتكم من الأرض نباتا .	٩٦
١٨	ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا .	٩٦
١٩	والله جعل لكم الأرض بساطا .	٩٧
٢٠	لتسلكوا منها سبلا فجاجا .	٩٧
٢١	قال نوح رب إنهم عصونى . . .	٩٧
٢٢	ومكروا مكرا كبارا .	٩٧
٢٣	وقالوا لا تذرن آلهتكم . . .	٩٨
٢٤	وقد أضلوا كثيرا . . .	٩٨
٢٥	مما خطيئاتهم أغرقوا . . .	١٠٠
٢٦	وقال نوح رب لا تذر على الأرض ...	١٠٠
٢٧	إنك إن تذرهم يضلوا عبادك . . .	١٠٠
٢٨	رب اغفر لى ولوالدى . . .	١٠٠
	تفسير سورة الجن	
١	قل أوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجن...	١٠٢
٢	يهدى إلى الرشد فآمنا به . .	١٠٢
٣	وأنه تعالى جد ربنا . . .	١٠٢

Marfat.com

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤	وأنه كان يقول سفيهنا على الله . . .	١٠٧
٥	وأنا ظننا أن لن تقول الإنس . . .	١٠٧
٦	وأنه كان رجال من الإنس . . .	١٠٧
٧	وأنهم ظنوا كما ظننتم . . .	١١٠
٨	وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرَسا . . .	١١٠
٩	وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع . . .	١١٠
١٠	وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض . . .	١١٠
١١	وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك . . .	١١١
١٢	وأنا ظننا أن لن نُعْجِز الله فى الأرض . . .	١١١
١٣	وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به . . .	١١١
١٤	وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون . .	١١٣
١٥	وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا .	١١٣
١٦	وأن لو استقاموا على الطريقة . . .	١١٤
١٧	لنفتنهم فيه ، ومن يعرض عن ذكر ربه . . .	١١٤
١٨	وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا . . .	١١٦
١٩	وأنه لما قام عبد الله يدعوه . . .	١١٦
٢٠	قل إنما أدعو ربى . . .	١١٩
٢١	قل إنى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا .	١١٩
٢٢	قل إنى لن يجيرنى من الله أحد . . .	١١٩
٢٣	إلا بلاغا من الله ورسالاته . . .	١٢٠
٢٤	حتى إذا رأوا ما يوعدون . . .	١٢٠
٢٥	قل إن أدرى أقريب ما توعدون . . .	١٢١
٢٦	عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا .	١٢١
٢٧	إلا من ارتضى من رسول . . .	١٢١
٢٨	ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم . . .	١٢١

تفسير سورة المزمل

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	يا أيها المزمل .	١٢٤
٢	قم الليل إلا قليلا .	١٢٤
٣	نصفه أو انقص منه قليلا .	١٢٥
٤	أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا .	١٢٤
٥	إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا .	١٢٧
٦	إن ناشئة الليل هى أشد وطئا . . .	١٢٧
٧	إن لك فى النهار سبحا طويلا .	١٢٧
٨	واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا .	١٣٢
٩	رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو . . .	١٣٢
١٠	واصبر على ما يقولون واهجرهم . . .	١٣٢
١١	وذرنى والمكذبين أولى النَّعمه . . .	١٣٤
١٢	إن لدينا أنكالا وجحيما .	١٣٤
١٣	وطعاما ذا غصة وعذابا أليما .	١٣٤
١٤	يوم ترجُف الأرض والجبال . . .	١٣٥
١٥	إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدًا عليكم	١٣٦
١٦	فعصى فرعون الرسول . . .	١٣٦
١٧	فكيف تتقون إن كفرتم . . .	١٣٧
١٨	السماء منفطر به كان وعده مفعولا .	١٣٧
١٩	إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ .	١٣٩
٢٠	إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى . . .	١٣٩

تفسير سورة المدثر

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	يا أيها المدثر .	١٤٢
٢	قم فأنذر .	١٤٢
٣	وربك فكبر .	١٤٢
٤	وثيابك فطهر .	١٤٢
٥	والرُّجْز فاهجر .	١٤٢
٦	ولا تمنن تستكثر .	١٤٢
٧	ولربك فاصبر .	١٤٢
٨	فإذا نُقِر فى الناقور .	١٥٠
٩	فذلك يومئذ يوم عسير .	١٥٠

Marfat.com

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٠	على الكافرين غير يسير .	١٥٠
١١	ذرنى ومن خلقت وحيدا .	١٥٠
١٢	وجعلت له مالا ممدودا .	١٥٠
١٣	وبنين شهودا .	١٥٤
١٤	ومهدت له تمهيدا .	١٥٤
١٥	ثم يطمع أن أزيد .	١٥٤
١٦	كلا إنه كان لآياتنا عنيدا .	١٥٤
١٧	سأرهقه صعودا .	١٥٤
١٨	إنه فكّر وقدّر.	١٥٥
١٩	فقتل كيف قدر .	١٥٥
٢٠	ثم قتل كيف قدر .	١٥٥
٢١	ثم نظر.	١٥٥
٢٢	ثم عبس وبَسَر.	١٥٥
٢٣	ثم أدبر واستكبر .	١٥٦
٢٤	فقال إن هذا إلا سحر يؤثر .	١٥٦
٢٥	إن هذا إلا قول البشر .	١٥٦
٢٦	سأصليه سَقَر .	١٥٨
٢٧	وما أدراك ما سقر .	١٥٨
٢٨	لا تبقى ولا تذر .	١٥٨
٢٩	لواحة للبشر .	١٥٨
٣٠	عليها تسعة عشر .	١٥٨
٣١	وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة . . .	١٥٨
٣٢	كلا والقمر .	١٦٢
٣٣	والليل إذ أدبر .	١٦٢
٣٤	والصبح إذا أسفر.	١٦٢
٣٥	إنها لإحدى الكُبر .	١٦٢
٣٦	نذيرًا للبشر .	١٦٢
٣٧	لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر.	١٦٢
٣٨	كل نفس بما كسبت رهينة .	١٦٤
٣٩	إلا أصحاب اليمين .	١٦٤
٤٠	فى جنات يتساءلون .	١٦٤
٤١	عن المجرمين .	١٦٤
٤٢	ما سلككم فى سقر .	١٦٤
٤٣	قالوا لم نك من المصلين .	١٦٤
٤٤	ولم نك نطعم المسكين .	١٦٤
٤٥	وكنا نخوض مع الخائضين .	١٦٤
٤٦	وكنا نكذب بيوم الدين .	١٦٦
٤٧	حتى أتانا اليقين .	١٦٦
٤٨	فما تنفعهم شفاعة الشافعين .	١٦٦
٤٩	فما لهم عن التذكرة معرضين .	١٦٦
٥٠	كأنهم حمر مستنفرة .	١٦٨
٥١	فرّت من قسورة .	١٦٨
٥٢	بل يريد كل امرىء منهم . . .	١٦٨
٥٣	كلا بل لا يخافون الآخرة .	١٦٨
٥٤	كلا إنه تذكرة .	١٧١
٥٥	فمن شاء ذكره .	١٧١
٥٦	وما يذكرون إلا أن يشاء الله . . .	١٧١
	تفسير سورة القيامة	
١	لا أقسم بيوم القيامة .	١٧٢
٢	ولا أقسم بالنفس اللوامة .	١٧٢
٣	أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه .	١٧٢
٤	بلى قادرين على أن نسوى بنانه .	١٧٢
٥	بل يريد الإنسان ليفجر أمامه .	١٧٦
٦	يسأل أيان يوم القيامة .	١٧٦
٧	فإذا برق البصر .	١٧٦

Marfat.com

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٨	وخَسَفَ القمر .	١٧٧
٩	وجُمع الشمس والقمر .	١٧٧
١٠	يقول الإنسان يومئذ أين المفرّ .	١٧٧
١١	كلا لا وزَر .	١٧٧
١٢	إلى ربِّك يومئذ المستقر .	١٧٧
١٣	ينبؤ الإنسان يومئذ بما قدّم وأخر .	١٨٣
١٤	بل الإنسانُ على نفسه بصيرة .	١٨٣
١٥	ولو ألقى معاذيره .	١٨٣
١٦	لا تحرك به لسانك لتعجل به .	١٨٧
١٧	إن علينا جمعه وقرآنه .	١٨٧
١٨	فإذا قرأناه فاتبع قرآنه .	١٨٧
١٩	ثم إن علينا بيانه .	١٨٧
٢٠	كلاّ بل تحبون العاجلة .	١٩١
٢١	وتذرون الآخرة .	١٩١
٢٢	وجوه يومئذ ناضرة .	١٩١
٢٣	إلى ربها ناظرة .	١٩١
٢٤	ووجوه يومئذ باسرة .	١٩١
٢٥	تظن أن يفعل بها فاقرة .	١٩١
٢٦	كلا إذا بلغت التراقى .	١٩٤
٢٧	وقيل من راق .	١٩٤
٢٨	وظن أنه الفراق .	١٩٤
٢٩	والتفت الساق بالساق .	١٩٤
٣٠	إلى ربك يومئذ المساق .	١٩٤
٣١	فلا صدّق ولا صلّى .	١٩٩
٣٢	ولكن كذّب وتولى .	١٩٩
٣٣	ثم ذهب إلى أهله يتمطى .	١٩٩
٣٤	أولى لك فأولى .	١٩٩
٣٥	ثم أولى لك فأولى .	١٩٩
٣٦	أيحسب الإنسان أن يترك سدًى .	١٩٩
٣٧	ألم يك نطفة من منيٍّ يُمنَى .	٢٠١
٣٨	ثم كان علقة فخلق فسوّى .	٢٠١
٣٩	فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى :	٢٠١
٤٠	أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى .	٢٠١
	سورة هل أتى على الإنسان	
١	هل أتى على الإنسان حين من الدهر...	٢٠٢
٢	إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج ...	٢٠٢
٣	إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا.	٢٠٦
٤	إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا . . .	٢٠٦
٥	إن الأبرار يشربون من كأس . . .	٢٠٦
٦	عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها . . .	٢٠٦
٧	يوفون بالنذر ويخافون يوما ...	٢٠٨
٨	ويطعمون الطعام على حبه مسكينا . . .	٢٠٨
٩	إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم ...	٢٠٨
١٠	إنا نخاف من ربنا يوما عَبُوسا قمطريرا .	٢١١
١١	فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم . . .	٢١١
٢	وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا . . .	٢١٣
١٣	متكئين فيها على الأرائك لايرَون فيها ..	٢١٣
١٤	ودانية عليهم ظلالُها وذللت قُطوفُها ...	٢١٤
١٥	ويُطاف عليهم بآنية من فضة . . .	٢١٤
١٦	قوارير من فضة قدروها تقديرا .	٢١٦
١٧	ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا.	٢١٦
١٨	عينا فيها تسمى سلسبيلا .	٢١٦
١٩	ويطوف عليهم ولدانٌ مخلدون . . .	٢٢٠
٢٠	وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا .	٢٢٠
٢١	عاليهم ثياب سندس خُضْرٌ وإستبرق...	٢٢٢
٢٢	إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم...	٢٢٣
٢٣	إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا .	٢٢٣
٢٤	فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم . .	٢٢٣
٢٥	واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا .	٢٢٥

Marfat.com

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٦	ومن الليل فاسجد له . . .	٢٢٥
٢٧	إن هؤلاء يُحِبُّون العاجلة . . .	٢٢٥
٢٨	نحن خلقناهم وشددنا أسْرَهم . . .	٢٢٦
٢٩	إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه...	٢٢٦
٣٠	وما تشاءون إلا أن يشاء الله . . .	٢٢٧
٣١	يُدْخِل من يشاء فى رحمته . . .	٢٢٧
	سورة المرسلات	
١	والمرسلات عُرفا .	٢٢٨
٢	فالعاصفات عَصفا .	٢٢٨
٣	والناشرات نَشرا .	٢٢٨
٤	فالفارقات فَرقا .	٢٢٨
٥	فالمُلقيات ذكرا .	٢٢٨
٦	عُذْرا أو نُذْرا	٢٢٨
٧	إنما توعدون لواقع .	٢٣٣
٨	فإذا النجوم طُمِست .	٢٣٣
٩	وإذا السماء فُرِجت .	٢٣٣
١٠	وإذا الجبال نُسِفت .	٢٣٣
١١	وإذا الرسل أُقِّتت .	٢٣٣
١٢	لأى يوم أجِّلت ؟ .	٢٣٣
١٣	ليوم الفصل .	٢٣٣
١٤	وما أدراك ما يوم الفصل . ؟	٢٣٣
١٥	ويل يومئذ للمكذبين .	٢٣٣
١٦	ألم نهلك الأولين .	٢٣٥
١٧	ثم نتبعهم الآخرين ؟ .	٢٣٥
١٨	كذلك نفعل بالمجرمين .	٢٣٥
١٩	ويل يومئذ للمكذبين .	٢٣٥
٢٠	ألم نخلقكم من ماء مهين ؟ .	٢٣٥
٢١	فجعلناه فى قرار مكين .	٢٣٥

الآية	الآيه المفسرة	الصفحة
٢٢	إلى قَدَر معلوم .	٢٣٤
٢٣	فقدرْنا فنعم القادرون .	٢٣٥
٢٤	ويل يومئذ للمكذبين .	٢٣٥
٢٥	ألم نجعل الأرض كفاتا .	٢٣٦
٢٦	أحياء وأمواتا .	٢٣٦
٢٧	وجعلنا فيهارواسىَ شامخاتوأسقيناكم...	٢٣٦
٢٨	ويل يومئذ للمكذبين .	٢٣٦
٢٩	انطلقوا إلى ماكنتم به تكذبون .	٢٣٨
٣٠	انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب .	٢٣٨
٣١	لا ظليل ولا يغنى من اللهب .	٢٣٩
٣٢	إنها ترمى بشرر كالقصر .	٢٣٩
٣٣	كأنه جمالات صفر .	٢٣٩
٣٤	ويل يومئذ للمكذبين .	٢٣٩
٣٥	هذا يوم لاينطقون .	٢٤٣
٣٦	ولا يؤذَن لهم فيعتذرون .	٢
٣٧	ويل يومئذ للمكذبين	٢٤٣
٣٨	هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين .	٢٤٣
٣٩	فإن كان لكم كيدٌ فكيدون .	٢٤٣
٤٠	ويل يومئذ للمكذبين .	٢٤٣
٤١	إن المتقين فى ظلال وعيون .	٢٤٤
٤٢	وفواكه مما يشتهون	٢٤٤
٤٣	كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون	٢٤٤
٤٤	إنا كذلك نجزى المحسنين .	٢٤٤
٤٥	ويل يومئذ للمكذبين .	٢٤٤
٤٦	كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون .	٢٤٥
٤٧	ويل يومئذ للمكذبين .	٢٤٥
٤٨	وإذا قيل لهم اركعوا لايركعون .	٢٤٥
٤٩	ويل يومئذ للمكذبين .	٢٤٥
٥٠	فبأى حديث بعده يؤمنون .	٢٤٦

Marfat.com

٢ ــ فهرس الموضوعات

صحيفة

١ سورة الملك
٣ ما خُلقتِ النجوم لأجله .
٦ تأويل « ألا يعلم من خلق » . . الآية، ومعنى مناكب الأرض .
٩ مشى الكافر يوم القيامة على وجهه .
١٤ سورة نٓ
أول ما خلق الله .
١٨ ماكان عليه خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم .
٢١ تأويل « فلا تطع المكذبين » ، ومن نزلت فيه هذه الآيات .
٢٩ أصحاب الجنة فى قوله « كما بلونا أصحاب الجنة »
٣٨ تأويل قوله « يوم يكشف عن ساق » ... الآية
٣٩ ما يمتحن به الخلق يوم القيامة من السجود .
٤٦ ما قصدته قريش من إزلاقه صلى الله عليه وسلم بالأبصار .
٤٧ سورة الحاقة
٤٩ ما أهلكت به ثمود وعاد .
٥٤ قدر ارتفاع الماء فى طوفان نوح .
٥٧ كيفية انشقاق السماء ، وحمل الملائكة للعرش .
٦٢ ما يفعل بالكافر فى القيامة .
٦٣ قدر السلسلة التى يسلسل بها .
٦٩ سورة سأل سائل
٧٣ الحالة التى تكون السماء عليها يوم القيامة .

الصحيفة

٨٠ تأويل « والذين فى أموالهم » . . . الآية ومعنى السائل والمحروم .
٩٠ سورة نوح
٩٦ نور الشمس والقمر يوجد فى السموات .
٩٨ الأسباب التى دعت المشركين إلى عبادة الأصنام .
١٠٢ سورة الجن
١٠٨ ماكان يستعيذ به أهل الجاهلية من الجن .
١١٠ ما كانت عليه السماء قبل بعث النبىّ صلى الله عليه وسلم .
١١١ الجنّ فرق وطرائق .
١١٧ اجتماع الجنّ بالنبىّ صلى الله عليه وسلم .
١٢١ ما يعلمه الأنبياء من الغيب .
١٢٤ سورة المزمل
ماكان عليه النبىّ صلى الله عليه وسلم من شدة العبادة .
١٢٧ ما كان يعترى النبىّ عند الوحى من ثقل الأعضاء .
١٢٩ ما فى قيام الليل من فراغ القلب من شواغل الدنيا .
١٣٤ تأويل قوله « وذرنى والمكذبين » . وزمان نزول الآية .
١٣٩ فرضية قيام الليل فى أوّل الأمر وكيف كانوا يقسمون الليل وذكر فضيلة بعض الأذكار .

Marfat.com

الصفحة

١٤٢ سورة المدثر
١٤٣ أول آية أنزلت وما حصل للنبيّ عند نزول الوحي .
١٤٤ ذكر معنى تطهير الثياب والخلاف فيه ، والشواهد على ذلك .
١٥٠ تأويل قوله « فإذا نقر في الناقور » . والناقور .
١٥٢ من أنزلت فيه هذه الآيات ، وهي قول الله تعالى « ذرني ومن خلقت وحيداً » . الخ .
١٥٩ ذكر عدد الملائكة الموكلين بالنار وما قالته قريش في ذلك .
١٦٥ أصحاب اليمين من هم ، وأنهم لا يرهنون .
١٧٢ سورة القيامة
١٧٣ المراد بالنفس اللوّامة .

الصفحة

١٨٠ اجتماع الشمس والقمر يوم القيامة .
١٨٧ ما كان يفعله صلى الله عليه وسلم عند نزول الوحي عليه من تحريك شفتيه .
١٩١ تأويل قوله « كلا بل تحبون العاجلة » .
١٩٣ ما ورد في رؤية الله تعالى يوم القيامة .
٢٠٢ سورة هل أتى على الإنسان
٢٠٨ تأويل « يوفون بالنذر » . وما كانوا عليه من بذل الصدقة .
٢١٥ أواني أهل الجنة وشرابهم .
٢٢٢ شراب أهل الجنة طهورية .
٢٢٣ ما رآه النبيّ ليلة الإسراء .
٢٢٨ سورة المرسلات
٢٣٩ بيان كيفية دخان جهنم وشررها .

Marfat.com

٣ ــ فهرس القوافى

القافية	الصفحة
ب	
الصيبُ	٢١٩
لِغُرَّبِ	١٦٨
السَّحاب	١٣٩
ثيابي	٤٥
تصوبا	٢٢٨
عقابَها	١١٣
ت	
شهواتُهْ	٧٦
ج	
الفَلَجْ . بالفرج	٢٠
مَشِيجُ	٢٠٣
نَشِيج	٢٠٧
نشَّاج	٢٠٣
أمشاجِ	٢٠٣
ح	
سارحُ	١٨١
الصُّراحُ	٤٢
د	
وتجلُّد	٨٧
الفرْدُ	٢٥
دَعْبُدُ	٢٩
يبدُو	٢٩
الأساودِ	٣٣
لُبَدَ	١١٧
العُنَّدَا	١٥٤
ر	
التَّجيرَ	٢٨
الفِرَار	١٨١
أوتارُ	١٣٢
افتقارُ	٢٣٤
قُماطِرُ	٢١١
وبُسُورُ	١٥٦
وأحْجارِ	٢٤١
سَطْرًا	١٨
مستطير	٢٠٩
الجُزَارَهْ	٧٦
القَسْوَرَه	١٧٠
ض	
أوفاض	٨٩
مِيفاضِ	٨٩
الإضاض	٨٩
ع	
أتقنَّعُ	١٤٥
رُبَعْ	٢٢٤
فانْدَفَعُوا	٢٢٤
جَدَعا	٢٣
والصَّلَعا	٢٣٦
مَدْفَعَا	١٠٦
ومتصرَّعا	٢١٩
ق	
فَبَرَقْ	١٧٩
شَهَقْ	٤
نَهَقْ	٤
ساقْ	٣٨
العتيقِ	١٠٦
العِشْرِقِ	١٧٩
تَبْرَقِ	١٧٩
فراق	٢٢٧
رَهَقَا	١٠٩
ل	
الرِّعالِ	٣٠
عَوَاسِيل	٩٥

Marfat.com

القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة
قُتِلا	١٠٥	صَرِيمُ	٣١		
سِجالا	١٠٥	غُيُومُ	٣١	ن	
فَلُولا	٨٦	الصَّرِيم	٣٠	مَغْيُونُ	١٣٦
مُخْتالا	٢٢٦	كَلامِ	١٧٦	طِينُها	٣٣
اللهْ	٣٣	تَسأمِ	١٩٨	الكُشْبانِ	٢٢٠
المُغْلَهْ	٣٣	لَئِيمِ	٢٥	الوَتِينِ	٦٧
		دَمِي	٢٠٨	جَنَينا	١٨٩
م		أَخْيَتَما	٩	والعُيُونا	١٠٦
بالأَكَمْ	٦٤	غَنَماهُما	٥٦	شَنَهْ	٢٠٣

Marfat.com

٤ ـ فهرس الأحاديث

مطلع الحديث	الصفحة
إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ...	٤١
إذا مشت أمتي المطيطاء.	٢٠٠
اشتكت النار إلى ربها، فقالت ربّ ...	٢١٤
﴿ أفمن يمشي مكباً على وجهه ﴾ قال: ...	١٠
﴿ أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى ﴾ ...	١٠
أن رسول الله ﷺ بعث سرية، فغنموا، فجاء ...	٨٢
أن النبي ﷺ بعث سرية، فغنموا وفتح عليهم ...	٨٢
أن النبي ﷺ خرج عليهم وهم حلق ...	٨٦
أن النبي ﷺ قر﴿ إن لدينا أنكالاً ﴾ ...	١٣٥
أن النبي ﷺ كان إذا أوحي إليه ...	١٢٧
إنّ أدنى اهل الجنة منزلة، كمن ينظر...	١٩٣
إن أقد امهم لفي الأرض السابعة ...	٥٩
إنّ أول ما خلق الله خلق القلم ...	١٦
إن أول ما خلق الله القلم، فقال له ...	١٦
إن الله أذلّ ابن آدم بالموت.	١
إنّ من أمتي رجلاً يدخل الله بشفاعته ...	١٦٧
أولُ شيء خلق الله القلم ...	١٦
بينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء ...	١٤٣
بينا أنا أمشي يوماً إذ رأيت ...	١٤٣
تبكي السماءُ من عبد أصحّ الله جسمه ...	٢٤
جاء النبي ﷺ إلى ناس من أصحابه ...	٨٦
جاورت بحراء، فلما قضيت جواري ...	١٤٣
حتى إن أحدهم ليلتف فيكشف عن ساق ...	٤٠
خذوا من العمل ما تطيقون، فإن الله ...	٨٠
خلتان لا يحصيها رجل مسلم ...	١٤٠
دخل علينا رسول الله ﷺ ونحن متفرقون ...	٨٦
﴿ سأرهقه صعوداً ﴾ قال هو جبل في النار ...	١٥٥
سئل رسول الله ﷺ عن العُتُلّ الزنيم، قال ...	٢٤
سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي: إن الله أمرني ...	٥٦
سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي: يا علي ...	٥٦
الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين ...	١٥٥
قرأ رسول الله ﷺ ﴿ وتعيها أذن واعية ﴾ ...	٥٥
كنت أشتري لرسول الله ﷺ حصيراً ...	١٢٥
كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن ...	١٥١
كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن ...	١٥١
لما أنزل الله على نبيه ﴿ يا أيها المزمل ﴾ ...	١٢٥
لما خلقهم الله قال: تدرون لمَ خلقتكم ...	٥٩
لو أن رصاصة مثل هذه، وأشار إلى جمجمة ...	٦٤
هم اليوم أربعة (يعني حلة العرش) ...	٥٩
والذي نفسي بيده، إنه ليخفف على المؤمن ...	٧٢
يأخذ الله للمظلوم من الظالم ...	٤١
يؤذن للمؤمنين يوم القيامة في السجود ...	٤٣
يا أيها الناس اكلفوا من الأعمال ما تطيقون ...	١٢٥
يا أيها الناس إن الله لا يمل حتى تملوا ...	١٢٥
يحمله اليوم أربعة، و يوم القيامة ثمانية ...	٥٩
ينادي مناديه فيقول: ليلحق كل قوم ...	٤١

Marfat.com

(٦٧) سورة الملك مكية
وآياتها ثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾

يعني بقوله تعالى ذكره : (تَبارَكَ) : تعاظم وتعالى (الَّذي بِيَدِهِ المُلْكُ) بيده مُلك الدنيا والآخرة وسُلطانهما نافذ فيهما أمره وقضاؤه (وَهُوَ على كلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول : وهو على مايشاء فعله ذوقدرة لايمنعه من فعله مانع ، ولا يحول بينه وبينه عجز .

وقوله (الَّذي خَلَقَ المَوْتَ والحَياةَ) فأمات من شاء وما شاء ، وأحيا من أراد وما أراد إلى أجل معلوم (لِيَبْلُوَكُمْ أيُّكُمْ أحْسَنُ عَمَلاً) يقول : ليختبركم فينظر أيكم له أيها الناس أطوع ، وإلى طلب رضاه أسرع .

وقد حدثني ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (الَّذي خَلَقَ المَوْتَ وَالحَياةَ) قال : أذلَّ الله ابن آدم بالموت ، وجعل الدنيا دار حياة ودار فناء ، وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الَّذي خَلَقَ المَوْتَ وَالحَياةَ لِيَبْلُوَكُمْ) ذكر أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « إنَّ اللهَ أذَلَّ ابْنَ آدَمَ بالمَوْتِ » .

وقوله (وَهُوَ العَزِيزُ) يقول : وهو القويّ الشديد انتقامه ممن عصاه ، وخالف أمره (الغَفُورُ) ذنوب من أناب إليه وتاب من ذنوبه

Marfat.com

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝﴾

*** يقول تعالى ذكره مخبرا عن صفته (الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ طِبَاقا)طبقا فوق طبق ، بعضها فوق بعض .

وقوله (ماتَرَى فى خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفاوُتٍ) يقول جلّ ثناؤه : ما ترى فى خلق الرحمن الذى خلق لا فى سماء ولا فى أرض ، ولا فى غير ذلك من تفاوت ، يعنى من اختلاف .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ماتَرَى فِى خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفاوُتٍ) : ما ترى فيهم من اختلاف .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (مِنْ تَفَاوُتٍ) قال : من اختلاف .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (مِنْ تَفاوُتٍ) بألف . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (مِنْ تَفَوُّتٍ) بتشديد الواو وبغير ألف .

والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان بمعنى واحد ، كما قيل : وَلاتُصاعِرْ ، ولا تُصَعِّر ؛ وتعهّدت فلانا ، وتعاهدته ؛ وتظهّرت ، وتظاهرت ؛ وكذلك التفاوت والتفوّت

وقوله (فارْجِعِ البَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ) يقول : فرد البصر ، هل ترى فيه من صُدوع ؟ وهى من قول الله (تَكادُ السَّمٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ) بمعنى يتشققن وينصدّعن ، والفُطُور مصدر فُطِر فطُورا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ) قال : الفطور : الوهى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ) يقول : هل ترى من خلل يا ابن آدم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مِنْ فُطُورٍ) قال : من خلل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ) قال : من شقوق .

Marfat.com

وقوله (ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ) يقول جلّ ثناؤه : ثم ردّ البصر يا ابن آدم كرّتين ، مرّة بعد أخرى ، فانظر (هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ) أو تفاوت (يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا) يقول يرجع إليك بصرك صاغرا مُبْعَدا من قولهم للكلب اخسأ : إذا طردوه : أى ابعد صاغرا (وَهُوَ حَسِيرٌ) يقول : وهو مُعْيٍ كالّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ) يقول : هل ترى فى السماء من (خلل يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ) بسواد الليل .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ) يقول : ذليلا . . وقوله (وَهُوَ حَسِيرٌ) يقول : مرجف.

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة ، قوله (يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا) أى حاسرا (وَهُوَ حَسِيرٌ) أى مُعْيٍ

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (خاسئا) قال : صاغرا ، (وَهُوَ حَسِيرٌ) يقول : مُعْيٍ لم ير خللا ولا تفاوتا .

وقال بعضهم : الخاسئ والحسير واحد .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ) . . . الآية ، قال : الخاسئ والخاسر واحد ؛ حَسَر طرفُه أن يرى فيها فَطْرًا ، فرجع وهو حسير قبل أن يرى فيها فَطْرا ؛ قال : فإذا جاء يوم القيامة انفطرت ثم انشقت ، ثم جاء أمر أكبر من ذلك انكشطت .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ۝

** يقول تعالى ذكره : (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ)وهى النجوم ، وجعلها مصابيح لإضاءتها وكذلك الصبح إنما قيل له صبح للضوء الذى يضىء للناس من النهار (وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ) يقول : وجعلنا المصابيح التى زيّنّا بها السماء الدنيا رجوما للشياطين تُرْجَم بها .

وقد حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ) إن الله جلّ ثناؤه إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصال : خلقها زينة للسماء

Marfat.com

الدنيا ورجوما للشياطين ، وعلامات يهتدى بها ، فمن يتأوّل منها غير ذلك ، فقد قال برأيه ، وأخطأ حظه ، وأضاع نصيبه ، وتكلّف ما لاعلم له به .

وقوله (وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ) يقول جلّ ثناؤه : وأعتدنا للشياطين فى الآخرة عذاب السعير ، تُسْعَر عليهم فتُسْجَر .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝ ﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : (وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ) الذى خلقهم فى الدنيا (عَذَابُ جَهَنَّمَ) فى الآخرة (وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) يقول : وبئس المصير عذاب جهنم .

وقوله (إِذَا أُلْقُوا فِيهَا) يعنى إذا ألقى الكافرون فى جهنم (سَمِعُوا لَهَا) يعنى لجهنم (شَهِيقًا) يعنى بالشهيق : الصوت الذى يخرج من الجوف بشدّة كصوت الحمار ، كما قال رؤبة فى صفة حمار :

• حَشْرَجَ فى الْجَوْفِ سَحِيلاً أَوْ شَهَقْ •

• حَتَّى يُقَالَ نَاهِقٌ وَمَا نَهَقْ • [1]

وقوله (وَهِيَ تَفُورُ) يقول : تغلى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مجاهد (سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ) يقول تغلى كما يغلى القدر .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝ ﴾

(١) البيتان فى (ديوان رؤبة الراجز طبع ليبسج ١٠٦) وحشرج الحمار : قطع صوته وردده فى حلقه ، والسحيل : صوت إلى البحة يدور فى صدر الحمار ، وكذلك السحال بالضم . والشهيق : نهيق الحمار . والشهيق رد النفس ، والزفير إخراج النفس قال الله عز وجل فى صفة أهل النار : « لهم فيها زفير وشهيق » قال الزجاج : الزفير والشهيق : من أصوات المكروبين قال : والزفير من شديد الأنين وقبيحه . والشهيق : الأنين الشديد المرتفع جدا . قال : وزعم بعض أهل اللغة من البصريين والكوفيين : أن الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمار من النهيق ، والشهيق : بمنزلة آخر صوته فى الشهيق . وروى عن الربيع فى قوله « لهم فيها زفير وشهيق » قال : الزفير فى الحلق ، والشهيق فى الصدر (اللسان : شهق) .

Marfat.com

* يقول تعالى ذكره (تكادُ) جهنم (تَمَيَّزُ) يقول : تتفرّق وتتقطع (مِنَ الغَيْظِ) على أهلها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (تَكادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ) يقول : تتفرّق .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (تَكادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ) تكاد يفارق بعضها بعضا وتنفطر .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (تَكادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ) يقول : تفرّق .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (تَكادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ) قال : التميز : التفرّق من الغيظ على أهل معاصى الله غضبا لله ، وانتقاما له .

وقوله (كُلَّما أُلْقِيَ فِيها فَوْجٌ سأَلَهُمْ) يقول جلّ ثناؤه : كلما ألقى فى جهنم جماعة سألهم (خَزَنَتُها : أَلَمْ يأْتِكُمْ نَذِيرٌ) يقول : سأل الفوجَ خزنة جهنم ، فقالوا لهم ألم يأتكم فى الدنيا نذير ينذركم هذا العذاب الذى أنتم فيه ؟ فأجابهم المساكين (فقالُوا بَلَى قَدْ جاءَنا نَذِيرٌ) ينذرنا هذا ، (فَكَذَّبْنا)ه (وَقُلْنا) له (مانَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ إنْ أَنْتُمْ إلاَّ فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ) يقول فى ذهاب عن الحقّ بعيد

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقٗا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾

* يقول تعالى ذكره : وقال الفوج الذى ألقى فى النار للخزَنة (لَوْ كُنَّا) فى الدنيا (نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ) من النذر ما جاءونا به من النصيحة ، أو نعقل عنهم ما كانوا يدعوننا إليه (ما كُنَّا) اليوم (فِي أصحابِ السَّعِيرِ) يعنى أهل النار .

وقوله (فاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ) يقول : فأقرّوا بذنبهم ووحّد الذنب ، وقد أضيف إلى الجمع ، لأن فيه معنى فعل ، فأدّى الواحد عن الجمع ، كما يقال : خرج عطاء الناس ، وأعطية الناس (فَسُحْقًا لأَصْحابِ السَّعِيرِ) يقول : فبُعدا لأهل النار .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

Marfat.com

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (فَسُحْقًا لأصحابِ السَّعِيرِ) يقول : بُعدا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن سعيد بن جبير (فَسُحْقًا لأصحابِ السَّعِيرِ) قال : سُحقا واد فى جهنم ، والقرّاء على تخفيف الحاء من السُّحْق ، وهو الصواب عندنا لأن الفصيح من كلام العرب ذلك ، ومن العرب من يحرّكها بالضمّ .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : إن الذين يخافون ربهم بالغيب : يقول : وهم لم يروه (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) يقول لهم عفو من الله عن ذنوبهم (وأجْرٌ كَبِيرٌ) يقول : وثواب من الله لهم على خشيتهم إياه بالغيب جزيل .

وقوله (وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ) يقول جلّ ثناؤه : وأخفوا قولكم وكلامكم أيها الناس أو أعلنوه وأظهروه (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) يقول : إنه ذو علم بضمائر الصدور التى لم يُتَكَلَّم بها ، فكيف بما نطق به وتكلم به ، أخفى ذلك أو أعلن ، لأن من لم تخف عليه ضمائر الصدور فغيرها أحرى أن لا يخفى عليه .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره (ألا يَعْلَمُ) الربّ جلّ ثناؤه (مَنْ خَلَقَ) من خلقه ، يقول : كيف يخفى عليه خلقه الذى خلق (وَهُوَ اللَّطِيفُ) بعباده (الخَبِيرُ) بهم وبأعمالهم .

وقوله (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ ذَلُولاً) يقول تعالى ذكره : الله الذى جعل لكم الأرض ذَلُولاً سهلا ، سهّلها لكم (فامْشُوا فِي مَنَاكِبِها) .

واختلف أهل العلم فى معنى (مَنَاكِبِها) فقال بعضهم : مناكبها : جبالها .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (فِي مَنَاكِبِها) يقول : جبالها .

Marfat.com

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن بشير بن كعب أنه قرأ هذه الآية (فامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا) فقال لجارية له: إن دَرَيْتِ ما مناكبُها، فأنت حرّة لوجه الله؛ قالت: فإن مناكبها: جبالها، فكأنما سُفِعَ فى وجهه، ورغب فى جاريته، فسأل منهم من أمره، ومنهم من نهاه، فسأل أبا الدرداء، فقال: الخير فى طمأنينة، والشرّ فى ريبة، فَذَرْ مايريبك إلى ما لايَريبك.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا معاذ بن هشام، قال: ثنى أبى، عن قتادة، عن بشير بن كعب، بمثله سواء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (فامْشُوا فى مَنَاكِبِهَا): جبالها.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، فى قوله (فِي مَنَاكِبِهَا) قال: فى جبالها.

وقال آخرون: (مَنَاكِبِهَا): أطرافها ونواحيها.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس قوله (فامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا) يقول: امشوا فى أطرافها.

حدثنى يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن سعيد، عن قتادة، أن بشير بن كعب العدوىّ، قرأ هذه الآية (فامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا) فقال لجاريته: إن أخبرتنى ما مناكبها، فأنت حرّة، فقالت: نواحيها فأراد أن يتزوّجها، فسأل أبا الدرداء، فقال: إن الخير فى طمأنينة، وإن الشرّ فى ريبة، فدع مايريبك إلى ما لايريبك.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قوله (فامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا) قال: طرقها وفجاجها.

** وأولى القولين عندى بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فامشوا فى نواحيها وجوانبها وذلك أن نواحيها نظير مناكب الإنسان التى هى من أطرافه.

وقوله (وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ) يقول: وكلوا من رزق الله الذى أخرجه لكم من مناكب الأرض، (وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) يقول تعالى ذكره: وإلى الله نشركم من قبوركم.

القول فى تأويل قوله تعالى

ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾

** يقول تعالى ذكره: (أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) أيها الكافرون (أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فإذا هِيَ تَمُورُ) يقول: فإذا الأرض تذهب بكم وتجىء وتضطرب (أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) وهو الله

Marfat.com

(أنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً) وهو التراب فيه الحصباء الصغار (فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ) يقول : فستعلمون أيها الكفرة كيف عاقبة نذيرى لكم ، إذ كذبتم به، ورددتموه على رسولى .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : ولقد كذّب الذين من قبل هؤلاء المشركين من قريش من الأمم الخالية رسلهم . (فَكَيْفَ كانَ نَكيرِ) يقول : فكيف كان نكيرى تكذيبهم إياهم (أوَ لَمْ يَرَوْا إلى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ) يقول : أو لم ير هؤلاء المشركون إلى الطير فوقهم صافات أجنحتهن (وَيَقْبِضْنَ) يقول : ويقبضن أجنحتهن أحيانا . وإنما عُنِى بذلك أنها تَصُفُّ أجنحتها أحيانا ، وتقبض أحيانا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (صَافَّاتٍ) قال : الطير يصفّ جناحه كما رأيت ، ثم يقبضه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ) بسطهنّ أجنحتهنّ وقبضهنّ .

وقوله (ما يُمْسِكُهُنَّ إلاَّ الرَّحْمَنُ) يقول : ما يمسك الطير الصافات فوقكم إلا الرحمن : يقول : فلهم بذلك مذكر إن ذكروا ، ومعتبر إن اعتبروا ، يعلمون به أن ربهم واحد لا شريك له (إنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ) يقول : إن الله بكل شىء ذو بصر وخبرة ، لا يدخل تدبيره خلل ، ولا يرى فى خلقه تفاوت .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾

﴿ يقول تعالى ذكره للمشركين به من قريش : من هذا الذى هو جند لكم أيها الكافرون به ، ينصركم من دون الرحمن إن أراد بكم سوءا ، فيدفع عنكم ما أراد بكم من ذلك (إنِ الكافِرُونَ إلاَّ فِى غُرُورٍ) يقول تعالى ذكره : ما الكافرون بالله إلا فى غرور من ظنهم أن آلهتهم تقرّبهم إلى الله زلفى ، وأنها تنفع أو تضرّ .

Marfat.com

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ۚ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : أم من هذا الذى يطعمكم ويسقيكم ، ويأتى بأقواتكم إن أمسك بكم رزقه الذى يرزقه عنكم :

وقوله (بَلْ لَجُّوا فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ) يقول : بل تمادوا فى طغيان ونفور عن الحقّ واستكبار .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (بَلْ لَجُّوا فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ) يقول : فى ضلال .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (بَلْ لَجُّوا فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ) قال : كفور .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : (أَفَمَنْ يَمْشِى) أيها الناس (مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ) لا يبصر ما بين يديه ، وما عن يمينه وشماله (أَهْدَى) : أشدّ استقامة على الطريق ، وأهدى له ، (أَمْ مَنْ يَمْشِى سَوِيًّا) مَشْى بنى آدم على قدميه (عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) يقول : على طريق لا اعوجاج فيه وقيل (مُكِبًّا) لأنه فعل غير واقع ، وإذا لم يكن واقعا أدخلوا فيه الألف ، فقالوا : أكبّ فلان على وجهه ، فهو مكبّ ؛ ومنه قول الأعشى :

مُكِبًّا عَلَى رَوْقَيْهِ يَحْفِرُ عِرْقَها عَلَى ظَهْرِ عُرْيانِ الطَّرِيقَةِ أَهْيَما[1]

فقال : مكبا ، لأنه فعل غير واقع ، فإذا كان واقعا حُذفت منه الألف ، فقيل : كببت فلانا على وجهه وكبّه الله على وجهه .

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه ٢٩٥) من قصيدة يمدح بها إياس بن قبيصة الطائى ، والبيت فى وصف ثور شبه به ناقة . ومكبا : مطأطئا رأسه يحفر الأرطاة (فى البيت قبله) ليتخذ فيها كناسا يأوى إليه . وروقيه : قرنيه . وعلى ظهر عريان الطريقة : على ظاهر الطريق . وأهيم منهار لا يتماسك ، وهو من صفة (عريان الطريقة) . يقول : أكب الثور على أصل الشجرة بقرنيه يحفرفيها بيتا يؤويه ، فى هذا الموضع المكشوف ، الذى تنهال رماله غير متماسكة . وقد أورد المؤلف البيت شاهدا على قول الله تعالى « أفمن يمشى مكبا على وجهه » : أى مطرقا إلى الأرض . وقال الفراء فى معانى القرآن . (الورقة ٣٣٨) وقوله : « أفمن يمشى مكبا على وجهه » تقول : قد أكب الرجل : إذا كان فعل غير واقع على أحد (غير متعد) فإذا وقع الفعل (تعدى) أسقطت الألف ، فتقول قد كبه الله لوجهه ، وكببته أنا لوجهه . اهـ .

Marfat.com

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) يقول : من يمشى فى الضلالة أهدى ، أم من يمشى مهتديا ؟.

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال: ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ) قال : فى الضلالة (أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) قال : حقّ مستقيم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ) يعنى الكافر أهدى (أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا) المؤمن ؟ ضرب الله مثلا لهما .

وقال آخرون : بل عنى بذلك أن الكافر يحشره الله يوم القيامة على وجهه ، فقال (أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ) يوم القيامة (أَهْدَى أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا) يومئذ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله « (أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى) هو الكافر أكبّ على معاصى الله فى الدنيا ، حشره الله يوم القيامة على وجهه ، فقيل : يا نبىّ الله كيف يحشر الكافر على وجهه ؟ قال : إن الذى أمشاه على رجليه قادر أن يحشره يوم القيامة على وجهه » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة « (أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ) قال : هو الكافر يعمل بمعصية الله ، فيحشره الله يوم القيامة على وجهه . قال معمر : قيل للنبىّ صلى الله عليه وسلم (كيف يمشون على وجوههم ؟ قال : إِنَّ الَّذِى أَمْشَاهُمْ عَلَى أَقْدَامِهِمْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) قال : المؤمن عمل بطاعة الله ، فيحشره الله على طاعته .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴾ ﴿٢٣﴾

** يقول تعالى ذكره : قل يا محمد للذين يكذّبون بالبعث من المشركين . الله الذى أنشأكم فخلقكم ، (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ) تسمعون به (وَالْأَبْصَارَ) تبصرون بها (وَالْأَفْئِدَةَ) تعقلون بها (قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ) يقول قليلا ما تشكرون ربكم على هذه النعم التى أنعمها عليكم .

Marfat.com

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

﴿ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد ، الله (الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ) يقول : الله الذى خلقكم فى الأرض (وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) يقول : وإلى الله تحشرون ، فتجمعون من قبوركم لموقف الحساب (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) يقول جلّ ثناؤه : ويقول المشركون : متى يكون ماتعدنا من الحشر إلى الله إن كنتم صادقين فى وعدكم إيانا ما تعدوننا .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

﴿ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المستعجليك بالعذاب وقيام الساعة : إنما علم الساعة ، ومتى تقوم القيامة عند الله لا يعلم ذلك غيره (وإِنَّمَا أنا نَذِيرٌ مُبِينٌ) يقول : وما أنا إلا نذير لكم أنذركم عذاب الله على كفركم به (مُبِينٌ) : قد أبان لكم إنذاره .

وقوله (فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) يقول تعالى ذكره : فلما رأى هؤلاء المشركون عذاب الله زلفة : يقول : قريبا ، وعاينوه ، سيئت وجوه الذين كفروا : يقول : ساء الله بذلك وجوه الكافرين .

وبنحو الذى قلنا فى قوله (زُلْفَةً) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ) قال : لما عاينوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن أبى بكير ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى رجاء ، قال : سألت الحسن ، عن قوله (فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً) قال : معاينة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً) قال : قد اقترب

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) لما عاينت من عذاب الله .

Marfat.com

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً) قال : لما رأوا عذاب الله زُلفة ، يقول : سيئت وجوههم حين عاينوا من عذاب الله وخزيه ما عاينوا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ) قيل : الزلفة حاضر قد حضرهم عذاب الله عزّ وجلّ .

(وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ) يقول : وقال الله لهم : هذا العذاب الذي كنتم به تذكرون ربكم أن يعجله لكم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ) قال : استعجالهم بالعذاب .

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار (هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ) بتشديد الدال بمعنى تفتعلون من الدعاء .

وذُكر عن قتادة والضحاك أنهما قرءا ذلك (تَدْعُونَ) بمعنى تفعلون في الدنيا .

حدثني أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، قال : أخبرنا أبان العطار وسعيد بن أبي عرُوبة ، عن قتادة أنه قرأها (الذي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ) خفيفة ؛ ويقول : كانوا يدعون بالعذاب ، ثم قرأ (وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ، أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) .

** والصواب من القراءة في ذلك ، ما عليه قرّاء الأمصار لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾

** يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد للمشركين من قومك (أَرَأَيْتُمْ) أيها الناس (إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ) فأماتني (وَمَنْ مَعِيَ ، أَوْ رَحِمَنَا) فأخّر في آجالنا (فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ) بالله (مِنْ عَذَابٍ) موجع مؤلم ، وذلك عذاب النار . يقول : ليس ينجي الكفار من عذاب الله موتنا وحياتنا ، فلا حاجة بكم إلى أن تستعجلوا قيام الساعة ، ونزول العذاب ، فإن ذلك غير نافعكم ، بل ذلك بلاء عليكم عظيم .

Marfat.com

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٢٩)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد ربنا (الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ) يقول : صدّقنا به (وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا) يقول : وعليه اعتمدنا فى أمورنا ، وبه وثقنا فيها (فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) يقول : فستعلمون أيها المشركون بالله الذى هو فى ذهاب عن الحق ، والذى هو على غير طريق مستقيم منا ومنكم إذا صرنا إليه ، وحشرنا جميعا .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾ (٣٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يامحمد لهؤلاء المشركين (أَرَأَيْتُمْ) أيها القوم العادلون بالله (إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا) يقول : غائرا لاتناله الدلاء (فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ) يقول : فمن يجيئكم بماء معين ، يعنى بالمعين : الذى تراه العيون ظاهرا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ) يقول : بماء عذب .

حدثنا ابن عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنى عبيد بن قاسم البزاز ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير فى قوله (إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا) لاتناله الدلاء (فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ) قال : الظاهر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا) : أى ذاهبا (فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ) قال : الماء المعين : الجارى .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (مَاؤُكُمْ غَوْرًا) ذاهبا (فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ) جارٍ . وقيل غورا فوصف الماء بالمصدر ، كما يقال : ليلة غم ، يراد : ليلة غامة .

آخر تفسير سورة الملك

Marfat.com

(٦٨) سورة القلم مكية
وآياتها اثنتان وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ نٓ ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝ ﴾

اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (نٓ) ، فقال بعضهم : هو الحوت الذى عليه الأرَضُون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبى ظبيان ، عن ابن عباس ، قال : أوّل ما خلق الله من شىء القلم ، فجرى بما هو كائن ، ثم رفع بخار الماء ، فخلقت منه السموات ، ثم خلق النون فبسطت الأرض على ظهر النون ، فتحرّكت الأرض فمادت ، فأثبتت بالجبال ، فإن الجبال لتفخر على الأرض ، قال : وقرأ (نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) .

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : ثنا إسحاق ، عن شريك ، عن الأعمش ، عن أبى ظبيان ، أو مجاهد عن ابن عباس ، بنحوه ، إلا أنه قال : فَفُتِقَتْ مِنْهُ السموات .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنى سليمان ، عن أبى ظبيان ، عن ابن عباس ، قال : « أوّل ما خلق الله القلم ، قال : اكتب ، قال : ما أكتب ؟ قال : اكتب القدر ، قال : فجرى بما يكون من ذلك اليوم إلى قيام الساعة ، ثم خلق النون ، ورفع بخار الماء ، ففُتِقت منه السماء وبُسِطت الأرض على ظهر النون ، فاضطرب النون ، فمادت الأرض ، فأثبتت بالجبال ، فإنها لتفخر على الأرض » .

حدثنا واصل بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن فُضَيل ، عن الأعمش ، عن أبى ظبيان ، عن ابن عباس قال : « أوّل ما خلق الله من شىء القلم ، فقال له : اكتب ، فقال : وما أكتب ؟ قال : اكتب القدَر ، قال فجرى القلم بما هو كائن من ذلك إلى قيام الساعة ، ثم رفع بخار الماء ففتق منه السموات ، ثم خلق النون فدُحيت الأرض على ظهره ، فاضطرب النون ، فمادت الأرض ، فأُثبتت بالجبال فإنها لتفخر على الأرض » .

حدثنا واصل بن عبد الأعلى ، قال : ثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن أبى ظبيان ، عن ابن عباس نحوه .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، أن إبراهيم بن أبى بكر ، أخبره عن مجاهد ، قال : كان يقال : النون : الحوت الذى تحت الأرض السابعة .

Marfat.com

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، قال : قال معمر . ثنا الأعمش ، أن ابن عباس قال : إنّ أوّل شيء خُلق القلم ، ثم ذكر نحو حديث واصل عن ابن فضيل ، وزاد فيه : ثم قرأ ابن عباس (نٓ وَالقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن أبي الضحى مسلم بن صبيح ، عن ابن عباس ، قال : إن أوّل شيء خلق ربي القلم ، فقال له : اكتب ، فكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ، ثم خلق النون فوق الماء ، ثم كبس الأرض عليه .

وقال آخرون (نٓ) حرف من حروف الرحمن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عبد الله بن أحمد المروزى ، قال : ثنا علىّ بن الحسين ، قال : ثنا أبي ، عن يزيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (الرٓ ، وحمٓ ، ونٓ) حروف الرحمن مقطعة .

حدثنى محمد بن معمر ، قال : ثنا عباس بن زياد الباهلى ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قوله (الرٓ ، وحمٓ ، ونٓ) قال : اسم مقطع .

وقال آخرون : (نٓ) : الدواة ، والقلم : القلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، قال : ثنا أخى عيسى بن عبد الله ، عن ثابت البنانى ، عن ابن عباس قال : إن الله خلق النون وهى الدواة ، وخلق القلم ، فقال : اكتب ، فقال : ما أكتب ؟ قال : اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة ، من عمل معمول ، برّ أو فجور ، أو رزق مقسوم حلال أو حرام ، ثم ألزم كلّ شيء من ذلك شأنه دخوله فى الدنيا ومقامه فيها كم ، وخروجه منها كيف ؛ ثم جعل على العباد حفظة ، وللكتاب خزانا ، فالحفظة ينسخون كلّ يوم من الخزان عمل ذلك اليوم ، فإذا فنى الرزق وانقطع الأثر ، وانقضى الأجل ، أتت الحفظة الخزنة يطلبون عمل ذلك اليوم ، فتقول لهم الخزنة : ما نجد لصاحبكم عندنا شيئا ، فترجع الحفظة فيجدونهم قد ماتوا ؛ قال : فقال ابن عباس : ألستم قوما عربا تسمعون الحفَظة يقولون (إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) وهل يكون الاستنساخ إلا من أصل ؟ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن وقتادة ، فى قوله (نٓ) قال : هو الدواة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو ، عن قتادة ، قال : النون : الدواة .

وقال آخرون : (نٓ) : لوح من نور .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن شبيب المكتّب ، قال : ثنا محمد بن زياد الجزرى ، عن فرات بن أبي الفرات ، عن

Marfat.com

معاوية بن قرّة ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) : لوح من نور يجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة .

وقال آخرون : (نٓ) : قَسَم أقسم الله به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ،عن قتادة ، فى قوله (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) يُقْسِم الله بما شاء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) قال : هذا قسم أقسم الله به .

وقال آخرون : هى اسم من أسماء السورة .

وقال آخرون : هى حرف من حروف المعجم ، وقد ذكرنا القول فيما جانس ذلك من حروف الهجاء التى افتتحت بها أوائل السور ، والقول فى قوله نظير القول فى ذلك .

واختلفت القرّاء فى قراءة (نٓ) ، فأظهر النون فيها وفى يسٓ عامة قرّاء الكوفة خلا الكسائىّ ، وعامة قرّاء البصرة ، لأنها حرف هجاء ، والهجاء مبنى على الوقوف عليه وإن اتصل ، وكان الكسائىّ يُدغم النون الآخرة منهما ويخفيها بناء على الاتصال .

* والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان فصيحتان بأيتهما قرأ القارئُ أصاب ، غير أن إظهار النون أفصح وأشهر ، فهو أعجب إلىّ . وأما القلم : فهو القلم المعروف ، غير أن الذى أقسم به ربنا من الأقلام : القلم الذى خلقه الله تعالى ذكره ، فأمره فجرى بكتابة جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة .

حدثنى محمد بن صالح الأنماطى ، قال : ثنا عباد بن العوّام ، قال : ثنا عبد الواحد بن سليم ، قال : سمعت عطاء ، قال : سألت الوليد بن عبادة بن الصامت : كيف كانت وصية أبيك حين حضره الموت ؟ فقال : دعانى فقال : أى بنىّ اتق الله واعلم أنك لن تتقى الله ، ولن تبلغ العلم حتى تؤمن بالله وحده والقدر خيره وشرّه ، إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « إنَّ أوَّلَ ما خَلَقَ اللهُ خَلَقَ القَلَمَ ، فَقالَ لَهُ : اكْتُبْ ، قالَ : يارَبِّ وَما أكْتُبُ ؟ قالَ : اكْتُبَ القَدَرَ ، قالَ فَجَرَى القَلَمُ فِى تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا كانَ ، وَما هُوَ كائِنٌ إلى الأبَدِ » .

حدثنى محمد بن عبد الله الطوسى ، قال : ثنا علىّ بن الحسن بن شقيق ، قال : أخبرنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنا رباح بن زيد ، عن عمرو بن حبيب ، عن القاسم بن أبى بزّة ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس أنه كان يحدّث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أوَّلُ شَىْءٍ خَلَقَ اللهُ القَلَمَ ، وأمَرَهُ فَكَتَبَ كُلَّ شَىْءٍ » .

حدثنا موسى بن سهل الرملى ، قال : ثنا نعيم بن حماد ، قال : ثنا ابن المبارك بإسناده عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

Marfat.com

حدثنا موسى بن سهل الرملى ، قال : ثنا نعيم بن حماد ، قال : ثنا ابن المبارك بإسناده عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى هاشم ، عن مجاهد قال : قلت لابن عباس : إن ناسا يكذّبون بالقدر ، فقال : إنهم يكذّبون بكتاب الله ، لآخذنّ بشَعْر أحدهم ، فلا يقصّن به ، إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئا ، فكان أوّل ما خلق الله القلم ، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة ، فإنما يجرى الناس على أمر قد فُرِغ منه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبو هاشم ، أنه سمع مجاهدا ، قال : سمعت عبد الله لاندرى ابن عمر أو ابن عباس قال : إن أوّل ماخلق الله القلم ، فجرى القلم بما هو كائن وإنما يعمل الناس اليوم فيما قد فُرِغ منه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى معاوية بن صالح ؛ وحدثنى عبد الله بن آدم ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا الليث بن سعد عن معاوية بن صالح ، عن أيوب بن زياد ، قال : ثنى عباد بن الوليد بن عُبادة بن الصامت ، قال : أخبرنى أبى ، قال : قال أبى عُبادة بن الصامت : يابنىّ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنَّ أوَّلَ ما خَلَقَ اللهُ القَلَمَ ، فَقالَ لَهُ : اكْتُبْ ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كائِنٌ إلى يَوْمِ القِيامَةِ » .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (نٓ وَالقَلَمِ) قال : الذى كُتِبَ به الذكر .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، أخبره عن إبراهم بن أبى بكر ، عن مجاهد ، فى قوله (نٓ والقَلَمِ) قال : الذى كتب به الذكر .

وقوله (وَما يَسْطُرُون) يقول : والذى يخُطُّون ويكتبون . وإذا وُجِّهَ التأويل إلى هذا الوجه كان القسم بالخلق وأفعالهم . وقد يحتمل الكلام معنى آخر ، وهو أن يكون معناه : وسطرهم ما يسطرون ، فتكون « ما » بمعنى المصدر . وإذا وُجه التأويل إلى هذا الوجه ، كان القسم بالكتاب ، كأنه قيل : نٓ والقلم والكتاب ، وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَما يَسْطُرُونَ) قال : وما يخُطُّون .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَما يَسْطُرُونَ) يقول : يكتبون .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَما يَسْطُرُونَ) قال : وما يكتبون .

Marfat.com

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَا يَسْطُرُونَ) : وما يكتبون يقال منه : سطر فلان الكتابَ فهو يَسْطُر سَطْرا : إذا كتبه ؛ ومنه قول رُؤبة بن العجّاج :

إنّى وأسْطارٍ سُطِرْنَ سَطْرَا !

وقوله (ما أنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ما أنت بنعمة ربك بمجنون ، مكذِّبا بذلك مشركي قريش الذين قالوا له : إنك مجنون .

وقوله (وَإنَّ لَكَ لأجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ) يقول تعالى ذكره : وإن لك يا محمد لثوابا من الله عظيما على صبرك على أذى المشركين إياك غير منقوص ولا مقطوع من قولهم : حبل منين ، إذا كان ضعيفا ، وقد ضعفت منّته : إذا ضعفت قوّته .

وكان مجاهد يقول فى ذلك ماحدثنى به محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (غَيْرَ مَمْنُونٍ) قال : محسوب .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ۝ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝﴾

** يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإنك يا محمد لعلى أدب عظيم ، وذلك أدب القرآن الذى أدّبه الله به ، وهو الإسلام وشرائعه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) يقول : دين عظيم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) يقول : إنك على دين عظيم ، وهو الإسلام .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (خُلُقٍ عَظِيمٍ) قال : الدين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : سألت عائشة عن خُلُق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : كان خلقه القرآن ، تقول كما هو فى القرآن .

(١) البيت فى ديوان رؤبة بن العجاج الراجز (ديوانه طبع ليبسج ١٧٤) . وهو من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن عند قوله تعالى : « والقلم وما يسطرون » قال « وما يكتبون » قال رؤبة : « إنى وأسطار » . . . البيت . والأسطار : جمع سطر ، وهو الصف من النخل أو من حروف الكتابة المنسوقة .

Marfat.com

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) ذُكر لنا أن سعيد بن هشام سأل عائشة عن خُلُق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : ألست تقرأ القرآن؟ قال : قلت : بلى ، قالت : فإن خُلُق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن .

حدثنا عُبيد بن آدم بن أبي إياس ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنا المبارك بن فضالة ، عن الحسن ، عن سعيد بن هشام ، قال : أتيت عائشة أمّ المؤمنين رضى الله عنها ، فقلت : أخبريني عن خُلُق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : كان خلقه القرآن ، أما تقرأ (وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى معاوية بن صالح ، عن أبى الزاهرية ، عن جُبير بن نُفَيل قال : حججت فدخلت على عائشة ، فسألتها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن .

حدثنا عبيد بن أسباط ، قال : ثنى أبى ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، فى قوله (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) قال : أدب القرآن .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) قال : على دين عظيم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) يعنى دينه ، وأمره الذى كان عليه ، مما أمره الله به ، ووكله إليه .

وقوله (فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ) يقول تعالى ذكره : فسترى يامحمد ، ويرى مشركو قومك الذين يدعونك مجنونا (بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ) يقول : ترى ويرون .

وقوله (بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : تأويله بأيكم المجنون ، كأنه وجَّه معنى الباء فى قوله (بِأَيِّكُمُ) إلى معنى فى . وإذا وجهت الباء إلى معنى فى كان تأويل الكلام : ويبصرون فى أىّ الفريقين المجنون فى فريقك يامحمد أو فريقهم ، ويكون المجنون اسما مرفوعا بالباء .

ذكر من قال معنى ذلك : بأيكم المجنون

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ) قال : المجنون .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد (بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ) قال : بأيكم المجنون .

وقال آخرون : بل تأويل ذلك : بأيكم الجنون ، وكأن الذين قالوا هذا القول وجهوا المفتون إلى

Marfat.com

معنى الفتنة أو الفتون ، كما قيل : ليس له معقول ولا معقود : أى بمعنى ليس له عقل ولاعقد رأى فكذلك وضع المفتون موضع الفُتُون .

ذكر من قال : المفتون : بمعنى المصدر ، وبمعنى الجنون

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بأَيِّكُمُ المَفْتُونُ) قال : الشيطان .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك ، يقول فى قوله (بأَيِّكُمُ المَفْتُونُ) يعنى الجنون .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس يقول : بأيكم الجنون .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أيكم أولى بالشيطان ، فالباء على قول هؤلاء زيادة دخولها وخروجها سواء ، ومثّل هؤلاء ذلك بقول الراجز :

نَحْنُ بَنُو جَعْدَةَ أَصْحابُ الفَلَجْ نَضْرِبُ بالسَّيْفِ وَنَرْجُو بالفَرَجْ[1]

بمعنى : نرجو الفرج ، فدخول الباء فى ذلك عندهم فى هذا الموضع وخروجها سواء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بأَيِّكُمُ المَفْتُونُ) يقول : بأيكم أولى بالشيطان .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (بأَيِّكُمُ المَفْتُونُ) قال : أيكم أولى بالشيطان .

واختلف أهل العربية فى ذلك نحوَ اختلاف أهل التأويل ، فقال بعض نحويِّى البصرة : معنى ذلك : فستبصر ويبصرون أيُّكم المفتون . وقال بعض نحويى الكوفة : بأيكم المفتون ههنا ، بمعنى الجنون ، وهو فى مذهب الفُتُون ، كما قالوا : ليس له معقول ولامعقود ؛ قال : وإن شئت جعلت بأيكم فى أيكم فى أىّ الفريقين المجنون ؛ قال : وهو حينئذ اسم ليس بمصدر .

** وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال : معنى ذلك : بأيكم الجنون ، ووجه المفتون إلى الفتون بمعنى المصدر ، لأن ذلك أظهر معانى الكلام ، إذا لم ينو إسقاط الباء ، وجعلنا لدخولها وجها مفهوما . وقد بيّنا أنه غير جائز أن يكون فى القرآن شىء لامعنى له .

وقوله (إنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ) يقول تعالى ذكره : إن ربك يا محمد هو

---

(١) البيتان من مشطور الرجز ، وهما من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٧٩) من مصورة الجامعة عن نسخة « مراد مثلا » بالآستانة قال عند قوله تعالى « بأيكم المفتون » : مجازها : أيكم المفتون ، كما قال الأول : « نحن بنو جعدة . . . والشاهد فيه أن الباء فى قوله بالفرج ، أى نرجو الفرج ، كما زيدت فى الآية . والبيتان للنابغة الجعدى . وقد سبق للاستشهاد بهما على مثل هذا الموضع فى الجزء (١٨ : ١٤) فراجعه .

Marfat.com

أعلم بمن ضلّ عن سبيله ، كضلال كفار قريش عن دين الله ، وطريق الهدى (وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) يقول : وهو أعلم بمن اهتدى ، فاتبع الحقّ ، وأقرّ به ، كما اهتديت أنت فاتبعت الحقّ ، وهذا من معاريض الكلام . وإنما معنى الكلام : إن ربك هو أعلم يا محمد بك ، وأنت المهتدى وبقومك من كفار قريش وأنهم الضالون عن سبيل الحقّ .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾

** يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (فَلَا تُطِعِ) يا محمد (الْمُكَذِّبِينَ) بآيات الله ورسوله (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) اختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ودّ المكذّبون بآيات الله لو تكفر بالله يا محمد فيكفرون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) يقول : ودّوا لو تكفر فيكفرون .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) قال : تكفُر فيكفرون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) قال تكفر فيكفرون

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ودّوا لو ترُخّص لهم فيُرخّصون ، أو تلين فى دينك فيلينون فى دينهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) يقول : لو ترخص لهم فيرخّصون .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) قال : لو تركَنُ إلى آلهتهم ، وتترك ما أنت عليه من الحقّ فيمالئونك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) يقول : ودّوا يا محمد لو أدهنت عن هذا الأمر ، فأدهنوا معك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) قال : ودّوا لو يُدْهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيُدْهنون .

** وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك : ودّ هؤلاء المشركون يا محمد لو تلين لهم

Marfat.com

فى دينك بإجابتك إياهم إلى الركون إلى آلهتهم ، فيلينون لك فى عبادتك إلهك ، كما قال جلّ ثناؤه (وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ، إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ) وإنما هو مأخوذ من الدُّهن شبه التليين فى القول بتليين الدُّهن .

وقوله (وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ) ولا تطع يا محمد كلّ ذى إكثار للحلف بالباطل؛مَهِين : وهو الضعيف .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل . ، غير أن بعضهم وجه معنى المهين إلى الكذّاب ، وأحسبه فعل ذلك لأنه رأى أنه إذا وصف بالمهانة فإنما وصف بها لمهانة نفسه كانت عليه ، وكذلك صفة الكذوب ، إنما يكذب لمهانة نفسه عليه :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ) والمهين : الكذّاب .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (حَلَّافٍ مَهِينٍ) قال : ضعيف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ) وهو المكثار فى الشرّ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، فى قوله (كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ) يقول : كلّ مكثار فى الحلف مهين ضعيف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سعيد ، عن الحسن وقتادة (وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ) قال : هو المكثار فى الشرّ .

وقوله (هَمَّازٍ) يعنى : مغتاب للناس يأكل لحومهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (هَمَّازٍ) يعنى الاغتياب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (هَمَّازٍ) يأكل لحوم المسلمين .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (هَمَّازٍ) قال : الهماز : الذى يهمز الناس بيده ويضربهم ، وليس باللسان ، وقرأ (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) الذى يلمز الناس بلسانه ، والهمز أصله الغمز ، فقيل للمغتاب : هماز ، لأنه يطعن فى أعراض الناس بما يكرهون ، وذلك غمز عليهم :

Marfat.com

وقوله (مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ) يقول: مشاء بحديث الناس بعضهم فى بعض، ينقل حديث بعضهم إلى بعض وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (هَمَّازٍ) يأكل لحوم المسلمين (مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ) ينقل الأحاديث من بعض الناس إلى بعض.

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس (مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ) يمشى بالكذب.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الكلبى، فى قوله (مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ) قال: هو الأخنس بن شريق، وأصله من ثقيف، وعداده فى بنى زُهْرة.

القول فى تأويل قوله تعالى:

﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾

وقوله (منَّاعٍ لِلْخَيْرِ). يقول تعالى ذكره: بخيل بالمال ضنين به عن الحقوق.

وقوله (مُعْتَدٍ) يقول: معتد على الناس (أثيمٍ): ذى إثم بربه.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، فى قوله (مُعْتدٍ) فى عمله (أثيمٍ) بربه.

وقوله (عُتُلٍّ) يقول: وهو عُتُلٌّ، والعتلّ: الجافى الشديد فى كفره، وكلّ شديد قوىّ فالعرب تسميه عُتُلا؛ ومنه قول ذى الإصبع العَدْوانىّ:

والدَّهْرُ يَغْدُو مِعْتَلاً جَذَعا [1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (عُتُلٍّ) العتلّ: العاتل الشديد المنافق.

حدثنى إسحاق بن وهب الواسطى، قال: ثنا أبو عامر العَقَدِىُّ، قال: ثنا زهير بن محمد، عن زيد

(١) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٧٩) أنشده عند قوله تعالى «عتل» قال: العتل: اللفظ الكافر فى هذا الموضع، وهو الشديد من كل شىء بعد ذلك؛ قال ذو الإصبع العدوانى: «والدهر يغدو معتلا جذعا» أى شديدا. اهـ. وفى (اللسان: عتل): العتل: هو الشديد الجافى، والفظ الغليظ. قيل: هو الجافى الخلق. اللئيم الضريبة. وقيل هو الشديد من الرجال والدواب. وفى التنزيل «عتل بعد ذلك زنيم» قيل هو الشديد الخصومة. اهـ. وفى (اللسان: عتل) ورجل معتل (بوزن منبر) بالكسر: قوى. والجذع: الصغير السن.

Marfat.com

ابن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن وهب الذّمارىّ ، قال : تبكى السماء والأرض من رجل أتمّ الله خلقه ، وأرحب جوفه ، وأعطاه مقضما من الدنيا ، ثم يكون ظلوما للناس ، فذلك العتلّ الزنيم .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن أبى الزبير ، عن عبيد بن عمير ، قال : العتلّ : الأكول الشروب القوىّ الشديد، يوضع فى الميزان فلا يزن شعيرة ، يدفع المَلَكُ من أولئك سبعين ألفا دفعة فى جهنم .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبى رزين ، فى قوله (عُتُلّ بَعْدَ ذلكَ زَنِيمٍ) قال : العتلّ : الشديد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبى رزين ، فى قوله (عُتُلّ بَعْدَ ذلكَ زَنِيمٍ) قال : العتلّ : الصحيح .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن كثير بن الحارث ، عن القاسم ، مولى معاوية قال : « سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العُتُلّ الزنيم ، قال : الفاحِشُ اللَّئيمُ » قال معاوية ، وثنى عياض بن عبد الله الفهرىّ ، عن موسى بن عقبة ، عن رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم ، بمثل ذلك .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (عُتُلّ بَعْدَ ذلكَ زَنِيمٍ) قال : فاحش الخُلق ، لئيم الضريبة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (عُتُلّ بَعْدَ ذلكَ زَنِيمٍ) قال : الحسن وقتادة : هو الفاحش اللئيم الضريبة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، فى قوله (عُتُلّ) قال : هو الفاحش اللئيم الضريبة .

قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن زيد بن أسلم ، قال : قال رسول الله صلى الله عله وسلم : « تَبْكى السَّماءُ مِنْ عَبْدٍ أصحَّ اللهُ جِسْمَهُ ، وأرْحَبَ جَوْفَهُ ، وأعْطاهُ مِنَ الدُّنْيا مِقْضَما ، فَكانَ للنَّاسِ ظَلُوما ، فَذلكَ العُتُلُّ الزَّنِيمُ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبى رزين ، قال : العتلّ : الصحيح الشديد .

حدثنى جعفر بن محمد البزورى ، قال : ثنا أبو زكريا ، وهو يحيى بن مصعب ، عن عمر بن نافع ، قال : سُئل عكرمة ، عن (عُتُلّ بَعْدَ ذلكَ زَنِيمٍ) فقال : ذلك الكافر اللئيم .

حدثنى علىّ بن الحسن الأزدىّ ، قال : ثنا يحيى ، يعنى ابن يمان ، عن أبى الأشهب ، عن الحسن فى قوله (عُتُلّ بَعْدَ ذلكَ زَنِيمٌ) قال : الفاحش اللئيم الضريبة .

Marfat.com

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنى أبى ، عن قتادة ، قال : العتلّ : الزنيم الفاحش اللئيم الضريبة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عُتُلّ) قال : شديد الأشَر .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبامعاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول (عُتُلّ) قال : العتلّ : الشديد (بَعْدَ ذلكَ زَنِيمٍ)ومعنى « بعد» فى هذا الموضع معنى مع ، وتأويل الكلام (عُتُلّ بَعْدَ ذلكَ زَنِيمٍ) : أى مع العتلّ زنيم .

وقوله « زنيم » والزنيم فى كلام العرب : الملصق بالقوم وليس منهم ؛ ومنه قول حسان بن ثابت :

وأنْتَ زَنِيمٌ نِيطَ فِي آلِ هاشِمٍ ... كمَا نِيطَ خَلْفَ الرَّاكِبِ القَدَحُ الفَرْدُ [1]

وقال آخر :

زَنِيمٌ لَيْسَ يَعْرِفُ مَنْ أبُوهُ ... بَغِيُّ الأُمّ ذُو حَسَبٍ لَئِيمِ [2]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (زَنِيمٍ) قال : والزنيم : الدعىّ ، ويقال : الزنيم : رجل كانت به زنمة يُعرف بها ، ويقال: هو الأخنس ابن شَرِيق الثَّقَفِىّ حليف بنى زُهْرة . وزعم ناس من بنى زُهرة أن الزنيم هو : الأسود بن عبد يغوث الزُّهرىّ ، وليس به .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : أخبرنا ابن إدريس ، قال : ثنا هشام ، عن عكرمة ، قال : هو الدعىّ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى سليمان بن بلال ، عن عبد الرحمن بن حرملة ، عن سعيد بن المسيب ، أنه سمعه يقول فى هذه الآية (عُتُلٍّ بَعْدَ ذلكَ زَنِيمٍ) قال : سعيد : هو الملصق بالقوم ليس منهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن الحسن ، عن سعيد بن جبير ، قال : الزنيم الذى يعرف بالشرّ ، كما تعرف الشاة بزنمتها الملصق .

---

(١) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٧٩ من مصورة الجامعة ٢٦٣٩٠ عن مخطوطة « مراد منلا بالآستانة) . أنشده عند قول الله تعالى « زنيم » قال : الزنيم : المعلق فى القوم ليس منهم ، قال حسان بن ثابت : « وأنت زنيم . . . البيت» . ويقال للتيس زنيم ، له زنمتان . اهـ .

(٢) ليس هذا البيت من شواهد الفراء ولا من شواهد أبى عبيدة ، ولم ينسبه المؤلف إلى قائله . وفى اللسان : الزنيم : المستلحق فى قوم ليس منهم ، لايحتاج إليه ، فكأنه فيهم زنمة (أى زنمة العنز المعلقة عند حلقها) . يقول : هو فيهم زنيم ، لا يعرفون أباه ، لأنه دخيل ، وأمه بغى ، وحسبه لئيم . وهو فى معنى الشاهد الذى قبله على معنى « الزنيم » .

Marfat.com

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

وقال آخرون : هو الذى له زَنَمة كزنمة الشاة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال فى الزنيم ، قال : نعت ، فلم يعرف حتى قيل زنيم . قال : وكانت له زنمة فى عنقه يُعرف بها .

وقال آخرون : كان دعيًّا .

حدثنى الحسين بن علىّ الصدائى ، قال : ثنا علىّ بن عاصم ، قال : ثنا داود بن أبى هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (بَعْدَ ذلكَ زَنِيمٍ) قال : نزل على النبىّ صلى الله عليه وسلم (وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ . هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ) قال : فلم نعرفه حتى نزل على النبىّ صلى الله عليه وسلم (بَعْدَ ذَلكَ زَنِيمٍ) قال : فعرفناه له زنمة كزنمة الشاة .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أصحاب التفسير ، قالوا : هو الذى يكون له زنمة كزنمة الشاة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله الزنيم : يقول : كانت له زنمة فى أصل أذنه ، يقال : هو اللئيم الملصق فى النسب .

وقال آخرون : هو المريب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : ثنا إسحاق ، عن شريك ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (عُتُلٍّ بَعْدَ ذلكَ زَنِيمٍ) قال : زنيم : المُريب الذى يعرف بالشرّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن الحسن بن مسلم ، عن سعيد بن جبير قال : الزنيم : الذى يعرف بالشرّ .

وقال آخرون : هو الظلوم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (زَنِيمٍ) قال : ظلوم .

وقال آخرون : هو الذى يُعرف بأُبنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس أنه قال فى الزنيم الذى يُعرف بأبنة ، قال أبو إسحاق : وسمعت الناس فى إمرة زياد يقولون : العتلّ : الدعىّ .

Marfat.com

وقال آخرون : هو الحِلْف الجافى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنى عبد الأعلى ، قال : ثنا داود بن أبى هند ، قال : سمعت شهر بن حَوْشب يقول : هو الحلف الجافى الأكول الشروب من الحرام .

وقال آخرون : هو علامة الكفر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبوكريب ، ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبى رزين ، قال : (الزنيم) : علامة الكفر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبى رزين ، قال : الزنيم : علامة الكافر .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، أنه كان يقول : الزنيم يُعرف بهذا الوصف كما تعرف الشاة .

وقال آخرون : هو الذى يعرف باللؤم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن عكرمة ، قال : الزّنيم : الذى يعرف باللؤم ، كما تُعرف الشاة بزنمتها .

وقال آخرون : هو الفاجر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبى رزين ، فى قوله (عُتُلٍّ بَعْدَ ذلكَ زَنيمٍ) قال : الزنيم : الفاجر .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (أنْ كانَ) فقرأ ذلك أبو جعفر المدنىّ وحمزة (أأنْ كانَ ذَا مالٍ) بالاستفهام بهمزتين ، وتتوجه قراءة من قرأ ذلك كذلك إلى وجهين : أحدهما أن يكون مرادًا به تقريع هذا الحلاف المهين ، فقيل : ألأن كان هذا الحلاف المهين ذا مال وبنين (إذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آياتُنا قالَ أساطيرُ الأوّلين) وهذا أظهر وجهيه . والآخر أن يكون مرادًا به : ألأن كان ذا مال وبنين تطيعه ، على وجه التوبيخ لمن أطاعه . وقرأ ذلك بعد سائر قرّاء المدينة والكوفة والبصرة : (أنْ كانَ ذا مال) على وجه الخبر بغير استفهام بهمزة واحدة ، ومعناه إذا قُرئ كذلك : ولا تطع كلّ حلاف مهين « أنْ كان ذا مال وبنين » كأنه نهاه أن يطيعه من أجل أنه ذو مال وبنين .

Marfat.com

وقوله (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) يقول: إذا تقرأ عليه آيات كتابنا ، قال : هذا مما كتبه الأوّلون استهزاء به وإنكارًا منه أن يكون ذلك من عند الله .

وقوله (سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : سنخطمه بالسيف ، فنجعل ذلك علامة باقية ، وسمة ثابتة فيه ما عاش .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ) فقاتل يوم بدر ، فخُطم بالسيف فى القتال .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : سنشينه شينا باقيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ) شَيْن لايفارقه آخر ما عليه .

وقال آخرون : سيمَى على أنفه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ) قال : سنسم على أنفه .

** وأولى القولين بالصواب فى تأويل ذلك عندى قول من قال : معنى ذلك : سنبين أمره بيانا واضحا حتى يعرفوه ، فلا يخفى عليهم ، كما لاتخفى السمة على الخرطوم . وقال قتادة : معنى ذلك : شين لايفارقه آخر ماعليه ، وقد يحتمل أيضا أن يكون خطم بالسيف ، فجمع له مع بيان عيوبه للناس الخطم بالسيف .

ويعنى بقوله (سَنَسِمُهُ) سنكويه . وقال بعضهم : معنى ذلك : سنسمه سِمَة أهل النار : أى سنسوّد وجهه . وقال : إن الخرطوم وإن كان خصّ بالسمة ، فإنه فى مذهب الوجه ، لأن بعض الوجه يؤدّى عن بعض ، والعرب تقول : والله لأسمنك وسما لايفارقك ، يريدون الأنف . قال : وأنشدنى بعضهم :

لَأُعَلِطَنَّـــهُ وَسْمًا لا يُفارِقُهُ ... كما يُحَزُّ بِحَمْى المِيسَمِ النَّجِزُ [١]

والنجز : داء يأخذ الإبل فتُكوى على أنفها .

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٣٩) قال عند قوله تعالى « سنسمه على الخرطوم » أى سنسمه سمة أهل النار ، أى سنسود وجهه ؛ فهو وإن كان الخرطوم قد خص بالسمة ، فإنه فى مذهب الوجه ، لأن بعض الوجه يؤدى عن بعض ، والعرب تقول أما والله لأسمنك وسما لايفارقك ، يريدون الأنف ؛ وأنشدنى بعضهم : « لأعلطنه وسما . . . . البيت» فقال الميسم ولم يذكر الأنف لأنه موضع السمة . والبحر : البعير إذا أصابه البحر ، وهو داء يأخذ البعير فيوسم لذلك . اهـ . قلت : وأنشد صاحب اللسان البيت (فى بحر) وقال ؛ قال الفراء : البحر أن يلغى البعير بالماء ، فيكثر منه ، حتى يصيبه منه داء ، يقال : بحر يبحر بحرا ، فهو بحر ، وأنشد : بيت الشاهد . قال : وإذا أصابه الداء كوى فى مواضع فيبرأ . اهـ كلام الفراء كما فى اللسان . وقال الأزهرى معقبا عليه : الداء الذى يصيب البعير فلا يروى من الماء ، هو النجر ، بالنون والجيم ، والبجر بالباء والجيم . وأما البحر فهو داء =

Marfat.com

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله (إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ) : أى بلونا مشركى قريش ، يقول : امتحناهم فاختبرناهم ، (كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ) يقول : كما امتحنا أصحاب البستان (إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ) يقول : إذ حلفوا ليصرمُنّ ثمرها إذا أصبحوا . (وَلَا يَسْتَثْنُونَ) : ولا يقولون إن شاء الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد بن السرىّ ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ؛ فى قوله (لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ) قال : هم ناس من الحبشة كانت لأبيهم جنة ، كان يطعم المساكين منها ، فلما مات أبوهم ، قال بنوه : والله إن كان أبونا لأحمق حين يُطعم المساكين ، فأقسموا ليصرمنها مصبحين ، ولا يستثنون ، ولا يطعمون مسكينا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ) قال : كانت الجنة لشيخ ، وكان يتصدّق ، فكان بنوه ينهونه عن الصدقة ، وكان يمسك قوت سنته ، وينفق ويتصدّق بالفضل ؛ فلما مات أبوهم غدوا عليها فقالوا : (لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ) .

وذُكر أن أصحاب الجنة كانوا أهل كتاب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا) ... الآية ، قال : كانوا من أهل الكتاب والصرم : القطع ، وإنما عنى بقوله (لَيَصْرِمُنَّهَا) ليَجُدُّنّ ثمرها ؛ ومنه قول امرئ القيس :

صَرَمَتْكَ بَعْدَ تَوَاصُلٍ دَعْدُ ... وَبَدَا لِدَعْدٍ بعضُ ما يَبْدُو [1]

= يورث السل . وأبجر الرجل : إذا أخذه السل . ورجل بجير وبجر : مسلول ذاهب اللحم ، عن ابن الأعرابى . اه . قلت : ويؤيد هذا ما جاء فى (اللسان : نجر) قال الجوهرى : النجر بالتحريك : عطش يصيب الإبل والغنم عن أكل الحبة ، فلا تكاد تروى من الماء . يقال : نجرت الإبل ومجرت أيضا . اه . وفى التهذيب : نجر ينجر نجرا : إذا أكثر من شرب الماء ، ولم يكد يروى . قال يعقوب : وقد يصيب الإنسان . اه . وحمى الميسم : حره . والميسم جديدة يكوى بها .

(١) نسب المؤلف البيت إلى امرئ القيس ، ولم أجده فى مختار الشعر الجاهلى ، ولا فى العقد الثمين ، ولعله لغير امرئ القيس بن حجر الكندى من المراقسة . أنشده المؤلف شاهدا على أن الصرم فى قوله تعالى « ليصرمنها » بمعنى القطع . وفى (اللسان : صرم) الصرم القطع البائن . وعم به بعضهم القطع أى نوع كان . اه .

Marfat.com

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ۝ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾

✽ يقول تعالى ذكره: فطرق جنة هؤلاء القوم ليلا طارق من أمر الله وهم نائمون، ولايكون الطائف فى كلام العرب إلا ليلا، ولا يكون نهارا، وقد يقولون: أطفت بها نهارا.

وذكر الفرّاء أن أبا الجرّاح أنشده:

أَطَفْتُ بِها نَهارًا غَيْرَ لَيْلٍ ... وأَلْهَى رَبَّها طَلَبُ الرِّخالِ[١]

والرِّخال: هى أولاد الضأن الإناث.

وبنحو الذى قلنا فى معنى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى سليمان بن عبد الجبار، قال: ثنا محمد بن الصلت، قال: ثنا أبو كريب، عن قابوس، عن أبيه، قال: سألت ابن عباس، عن الطوفان (فَطافَ عَلَيْها طائِفٌ مِنْ رَبِّكَ) قال: هو أمر من أمر الله.

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (فَطافَ عَلَيْها طائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نائِمُونَ) قال: طاف عليها أمر من أمر الله وهم نائمون.

وقوله (فأَصْبَحَتْ كالصَّرِيمِ) اختلف أهل التأويل فى الذى عُنِى بالصريم، فقال بعضهم: عُنِى به الليل الأسود، وقال بعضهم: معنى ذلك: فأصبحت جنتهم محترقة سوداء كسواد الليل المظلم البهيم.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سهل بن عسكر، قال: ثنا عبد الرزاق، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا شيخ لنا عن شيخ من كلب يقال له سليمان عن ابن عباس، فى قوله (فأَصْبَحَتْ كالصَّرِيمِ) قال: الصَّرِيم: الليل. قال: وقال فى ذلك أبو عمرو بن العلاء رحمه الله.

ألا بَكَرَتْ وَعاذِلَتِي تَلُومُ ... تُهَجِّدُنِي وَما انْكَشَفَ الصَّرِيمُ[٢]

---

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٩٣) عند قوله تعالى «فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون» قال: لايكون الطائف إلا ليلا، ولا يكون نهارا، وقد تكلم به العرب، فيقولون: أطفت به نهارا، وليس موضعه بالنهار ولكنه بمنزلة قولك: «لو ترك القطا ليلا لنام» لأن القطا لا يسرى ليلا، قال: أنشدنى أبو الجراح العقيل: «أطفت بها نهارا ... البيت». اهـ. والرخال: جمع رخل (بكسر الراء وفتحها): الأنثى من أولاد الضأن. والذكر: حمل، والجمع: أرخل ورخال (بكسر الراء وضمها) ورخلان أيضا. اهـ.

(٢) نسب المؤلف البيت إلى أبى عمرو بن العلاء ولعله يريد أنه مما أنشده أبو عمرو. يقول استيقظت هذه المرأة قبل أن ينكشف الليل عن الصبح، توقظنى حين هبت عاذلتى تلومنى. قال فى اللسان: هجد: قال ابن بزرج: أهجدت الرجل: أنمته، وهجدته بالتشديد: أيقظته. والصريم: الليل. وقال الفراء فى معانى القرآن (٣٣٩) فأصبحت كالصريم: أى احترقت، فصارت سوداء مثل الليل المسود. اهـ. وفى اللسان (صرم) عن ثعلب، فأصبحت كالصريم: أى احترقت فصارت سوداء مثل الليل. اهـ. ويقال: كالشىء المصروم، الذى ذهب ما فيه. وقيل: الصريم: أرض سوداء لاتنبت شيئا. وقال: الجوهرى: أى احترقت واسودت.

Marfat.com

وقال أيضا :

تَطاوَلَ لَيْلُكَ الجَوْنُ البَهِيمُ فَمَا يَنْجابُ عَنْ صُبْحٍ صَرِيمِ
إذا ما قُلْتَ أقْشَعَ أوْ تناهَى جَرَتْ مِنْ كُلِّ ناحِيَةٍ غُيُومُ[1]

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فأصبحت كأرض تدعى الصريم معروفة بهذا الاسم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : أخبرنى نعيم بن عبد الرحمن أنه سمع سعيد بن جُبير يقول : هى أرض باليمن يقال لها ضَرْوان من صنعاء على ستة أميال .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

** يقول تعالى ذكره : فتنادى هؤلاء القوم وهم أصحاب الجنة . يقول : نادى بعضهم بعضا مصبحين ، يقول : بعد أن أصبحوا (أنِ اغْدُوا على حَرْثِكُمْ) وذلك الزرع (إنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ) يقول : إن كنتم حاصدى زرعكم (فانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخافَتُونَ) يقول : فمضوا إلى حرثهم وهم يتسارّون بينهم (أنْ لايَدْخُلَنَّها اليَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِين) يقول : وهم يتسارّون يقول بعضهم لبعض : لايدخلنّ جنتكم اليوم عليكم مسكين .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَتَنادَوْا مُصْبِحِينَ أنِ اغْدُوا على حَرْثِكُمْ إنْ كُنْتُمْ صارِمِينَ فانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخافَتُونَ) يقول : يُسِرّون (أن لايَدْخُلَنَّها اليَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : لما مات أبوهم غدوا عليها ، فقالوا : (لايَدْخُلَنَّها اليَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ) .

واختلف أهل التأويل فى معنى الحرْد فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : معناه : على قُدْرة . فى أنفسهم وجدّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَغَدَوْا على حَرْدٍ قادِرِينَ) قال : ذوى قدرة .

(١) أنشد اللسان : (صرم) البيت الأول من هذا الشاهد ، وقال : قال ابن برى : وأنشد أبو عمرو : « تطاول ليلك . . . البيت » ، فالبيتان إذن ليسا لأبى عمرو ، وإنما هو أنشدها . وكذلك بيت الشاهد الذى قبلهما . والجون الأسود ، والبهيم : الخالص السواد : لابياض فيه . وينجاب : ينكشف ويزول . وصريم : أى ليل . وأقشع زال . وتناهى : انتهى . وهذا الشاهد فى معنى الشاهد الذى قبله ، وهو أن الصريم بمعنى الليل الشديد السواد . اهـ .

Marfat.com

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حجاج عمن حدثه ، عن مجاهد فى قول الله (على حَرْدٍ قادِرِينَ) قال : على جدّ قادرين فى أنفسهم .

قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وَغَدَوْا على حَرْدٍ قادِرِينَ) قال : على جهد ، أو قال : على جِدّ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَغَدَوْا على حَرْدٍ قادِرِينَ) غدا القوم وهم مُحْرِدون إلى جنتهم ، قادرون عليها فى أنفسهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَغَدَوْا على حَرْدٍ قادِرِينَ) قال : على جِدّ من أمرهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (على حَرْدٍ قادِرِينَ) على جِدّ قادرين فى أنفسهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وغدوا على أمرهم قد أجمعوا عليه بينهم ، واستسرّوه ، وأسرّوه فى أنفسهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إبراهيم بن المهاجر ، عن مجاهد (وَغَدَوْا على حَرْدٍ قادِرِينَ) قال : كان حرث لأبيهم ، وكانوا إخوة ، فقالوا : لانطعم مسكينا منه حتى نعلم ما يخرج منه (وَغَدَوْا على حَرْدٍ قادِرِينَ) على أمر قد أسسوه بينهم .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (على حَرْدٍ) قال : على أمر مجمع .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة (وَغَدَوْا على حَرْدٍ قادِرِينَ) قال : على أمر مُجْمَع .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وغدوا على فاقة وحاجة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الاعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : قال الحسن ، فى قوله (وَغَدَوْا على حَرْدٍ قادِرِينَ) قال : على فاقة :

وقال آخرون : بل معنى ذلك : على حنق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَغَدَوْا على حَرْدٍ قادرينَ) قال : على حنق ، وكأن سفيان ذهب فى تأويله هذا إلى مثل قول الأشهب بن رُميلة .

Marfat.com

أُسُودُ شَرًى لاقَتْ أُسُودَ خفِيَّةٍ تَساقَوْا على حَرْدٍ دِماءَ الأساوِدِ[1]

يعنى : على غضب . وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يتأوّل ذلك : وغدوا على منع . ويوجهه إلى أنه من قولهم : حاردت السنة إذا لم يكن فيها مطر ، وحاردت الناقة إذا لم يكن لها لبن ، كما قال الشاعر :

فإذَا ما حارَدَتْ أوْ بَكأَتْ فُتَّ عَنْ حاجِبِ أُخْرَى طِينُها[2]

وهذا قول لا نعلم له قائلا من متقدّمى العلم قاله وإن كان له وجه ، فإذا كان ذلك كذلك ، وكان غير جائز عندنا أن يتعدّى ما أجمعت عليه الحجة ، فما صحّ من الأقوال فى ذلك إلا أحد الأقوال التى ذكرناها عن أهل العلم . وإذا كان ذلك كذلك ، وكان المعروف من معنى الحرد فى كلام العرب القصد من قولهم : قد حرد فلان حرْد فلان : إذا قصد قصده ؛ ومنه قول الراجز :

وجاءَ سَيْلٌ كانَ مِنْ أمْرِ اللهْ يَحْرُدُ حَرْدَ الجَنَّـةِ المُغِلَّهْ[3]

---

(1) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٧٩) عند قوله تعالى « وغدوا على حرد قادرين » قال : مجازه على منع من حاردت الناقة لم يكن لها لبن . و« على حرد » أيضا على قصد ، قال الأول :

قَدْ جاءَ سَيْلٌ كانَ مِنْ أمْرِ اللهْ يَحْـرُدُ حَرْدَ الجَنَّـةِ المُغِلَّهْ

وقال آخر : « على حرد » : على غضب . قال الأشهب بن زميلة الذى كان يهاجى الفرزدق : « أسود شرى . . . . البيت . اه والشرى وخفية مأسدتان معروفتان . والأساود : جمع أسود ، وهو اسم للحية وللذلك جمع كما تجمع الأسماء على فاعل ، مثل أرانب ، ولو كان صفة لجمع على سود . قلت : ورواية البيت فى (اللسان : حرد) :

أُسودُ شَرًى لاقَتْ أُسودَ خَفِيَّةٍ تَساقَيْنَ سُمًّا كُلُّهُنَّ حَوَارِدُ

وقال بعد البيت : قال أبو العباس : وقال أبو زيد والأصمعى وأبو عبيدة : الذى سمعناه من العرب الفصحاء حرد يحرد حردا كغضب يغضب غضباً) بتحريك الراء . قال أبو العباس (ثعلب) : وسألت عنها ابن الأعرابى فقال : صحيحة ، إلا أن المفضل أخبر أن من العرب من يقول حرد حردا (كغضب غضبا) وحردا (أى بسكون الراء) والتسكين أكثر . والأخرى : فصيحة .

(2) فى (اللسان : حرد) حاردت الإبل حرادا : أى انقطعت ألبانها أو قلت . وفى (اللسان : بكأ) : بكأت الناقة والشاة بكاءا وبكؤت تبكؤ بكوءاً : وهى بكىء وبكيئة : قل لبنها . وقيل انقطع . والفت : الدق . فت الشىء يفته فتا وفتته (بالتشديد) دقه ، وقيل : فته : كسره . وأنشد البيت صاحب اللسان فى حرد مع بيت آخر قبله ، وقال : الحارد : القليلة اللبن من النوق ، والحرود من النوق : القليلة الدر . وحاردت السنة : قل ماؤها ومطرها : وقد استعير فى الآنية إذا نفد شربها قال :

وَلَنا باطِيَــةٌ مَمْلُوءَةٌ جَــوْنَةٌ يَتْبَعُها بِرْزِينُها
فإذَا ما حارَدَتْ أوْ بَكأَتْ فُتَّ عَنْ حاجِبِ أُخْرَى طِينُها

والبرزين : إناء يتخذ من قشر طلع الفحال ، يشرب به . اه . والبيت شاهد على أن معنى حاردت السنة ، وحاردت الناقة ، وحاردت الباطية ، قل مطرها ، وقل لبنها ، ونفد خمرها . اه . ورواية البيت الأول فى (اللسان : برزن) : إنما لقحتنا باطية . . . الخ .

(3) هذان بيتان من مشطور الرجز ، لم ينسبا لقائل معروف . وكرواية الفراء فى معانى القرآن ورواية البيت الأول فى (اللسان حرد) وجاء سيل ، كرواية المؤلف هنا . وفى مجاز القرآن : (قد جاء . وفى الكامل للمبرد « ١ : ٥٠ طبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده) : « قد جاء سيل جاء » . قال المبرد فى الكامل : فأما قول الله عز وجل : « وغدوا على حرد قادرين » فإن فيه قولين : أحدهما ما ذكرنا من معنى القصد — قال الشاعر : قد جاء سيل جاء . . . البيتين . وقالوا على حرد : على منع ، من قولهم حاردت السنة : إذا منعت قطرها ، وحاردت الناقة : إذا منعت درها . اه . وقال الفراء فى معانى القرآن : « على حرد » : على حد وقدرة فى أنفسهم . والحرد أيضا القصد ، كما يقول الرجل قد أقبلت قبلك . وقصدت قصدك ، وحردت حردك . وأنشدنى بعضهم « وجاء سيل كان . . . البيتين » . ويريد : يقصد قصدها . اه .

Marfat.com

يعني : يقصد قصدها ، صحّ أن الذى هو أولى بتأويل الآية قول من قال : معنى قوله (وَغَدَوْا على حَرْدٍ قادِرِينَ) وغدوا على أمر قد قصدوه واعتمدوه ، واستسرّوه بينهم ، قادرين عليه فى أنفسهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾

﴿﴾ يقول تعالى ذكره : فلما صار هؤلاء القوم إلى جنتهم ، ورأوها محترقا حرثها ، أنكروها وشكوا فيها ، هل هى جنتهم أم لا ؟ فقال بعضهم لأصحابه ظنا منه أنهم قد أغفلوا طريق جنتهم ، وأن التى رأوا غيرها : إنا أيها القوم لضالون طريق جنتنا ، فقال من علم أنها جنتهم ، وأنهم لم يخطئوا الطريق : بل نحن أيها القوم محرومون ، حُرِمنا منفعة جنتنا بذهاب حرثها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا رَأَوْها قالُوا إنَّا لَضَالُّونَ) : أى أضللنا الطريق ، بل نحن محرومون ، بل جُوزينا فحُرِمنا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَلَمَّا رَأَوْها قالُوا إنَّا لَضَالُّونَ) . يقول قتادة : يقولون أخطأنا الطريق ماهذه بجنتنا ، فقال بعضهم : بل نحن محرومون حرمنا جنتنا .

وقوله (قالَ أوْسَطُهُمْ) يعنى : أعدلهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قالَ أوْسَطُهُمْ) قال أعدلهم ، ويقال : قال خيرهم ، وقال فى البقرة (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطا) قال : الوسط : العدل .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (قالَ أوْسَطُهُمْ) يقول : أعدلهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الفرات بن خلاد ، عن سفيان ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد (قالَ أوْسَطُهُمْ) : أعدلهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (قالَ أوْسَطُهُمْ) قال : أعدلهم .

Marfat.com

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد (قالَ أوْسَطُهُمْ) قال : أعدلهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قالَ أوْسَطُهُمْ) : أى أعدلهم قولا ، وكان أسرع القوم فزعا ، وأحسنهم رَجْعَة (أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قالَ أوْسَطُهُمْ) قال : أعدلهم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (قالَ أوْسَطُهُمْ) يقول : أعدلهم .

وقوله (أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ) يقول : هلا تستثنون إذ قلتم (لَنَصْرِمُنَّها مُصْبِحِينَ) ، فتقولوا إن شاء الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إبراهيم بن المهاجر ، عن مجاهد (لَوْلا تُسَبِّحُونَ) قال : بلغنى أنه الاستثناء .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مجاهد (أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ) قال : يقول : تستثنون ، فكان التسبيح فيهم الاستثناء .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ۝ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ۝٣١ ﴾

** يقول تعالى ذكره : قال أصحاب الجنة : (سُبْحانَ رَبِّنا إنَّا كُنَّا ظالِمِينَ) فى تركنا الاستثناء فى قسمنا وعزمنا على ترك إطعام المساكين من ثمر جنتنا .

وقوله (فأقْبَلَ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ) يقول جلّ ثناؤه : فأقبل بعضهم على بعض يلوم بعضهم بعضا على تفريطهم فيما فرّطوا فيه من الاستثناء ، وعزمهم على ما كانوا عليه من ترك إطعام المساكين من جنتهم .

وقوله (يا وَيْلَنا إنَّا كُنَّا طاغِينَ) يقول : قال أصحاب الجنة : يا ويلنا إنا كنا مُعْتَدين : مخالفين أمر الله فى تركنا الاستثناء والتسبيح .

Marfat.com

القول في تأويل قوله تعالى :

عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

※ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل أصحاب الجنة (عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا) بتوبتنا من خطأ فعلنا الذى سبق منا خيرا من جنتنا (إنَّا إلى رَبِّنَا رَاغِبُونَ) يقول : إنا إلى ربنا راغبون فى أن يبدلنا من جنتنا إذ هلكت خيرا منها :

قوله تعالى ذكره (كَذَلِكَ العَذَابُ) يقول جلّ ثناؤه : كفعلنا بجنة أصحاب الجنة ، إذ أصبحت كالصريم بالذى أرسلنا عليها من البلاء والآفة المفسدة ، فعلنا بمن خالف أمرنا وكفر برسلنا فى عاجل الدنيا ، (وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ) يعنى عقوبة الآخرة بمن عصى ربه وكفر به ، أكبر يوم القيامة من عقوبة الدنيا وعذابها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (كَذَلِكَ العَذَابُ ، وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) يعنى بذلك عذاب الدنيا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال الله (كَذَلِكَ العَذَابُ) : أى عقوبة الدنيا (وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كَذَلِكَ العَذَابُ) قال : عذاب الدنيا : هلاك أموالهم : أى عقوبة الدنيا .

وقوله (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) يقول : لو كان هؤلاء المشركون يعلمون أن عقوبة الله لأهل الشرك به أكبر من عقوبته لهم فى الدنيا ، لارتدعوا وتابوا وأنابوا ، ولكنهم بذلك جهال لايعلمون .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾

※ يقول تعالى ذكره : (إنَّ لِلْمُتَّقِينَ) الذين اتقوا عقوبة الله بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه (عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ) يعنى : بساتين النعيم الدائم .

وقوله (أفَنَجْعَلُ المُسْلِمِينَ كالمُجْرِمِينَ) يقول تعالى ذكره : أفنجعل أيها الناس فى كرامتى

Marfat.com

ونعمتى فى الآخرة الذين خضعوا لى بالطاعة ، وذلوا لى بالعبودية ، وخشعوا لأمرى ونهيى ، كالمجرمين الذين اكتسبوا المآثم ، وركبوا المعاصى ، وخالفوا أمرى ونهيى ؟ كَـلّا ماالله بفاعل ذلك .

وقوله (مالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) أتجعلون المطيع لله من عبيده ، والعاصى له منهم فى كرامته سواء . يقول جلّ ثناؤه : لاتسوّوا بينهما فإنهما لايستويان عند الله ، بل المطيع له الكرامة الدائمة ، والعاصى له الهوان الباقى .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ۝٣٧ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ۝٣٨ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ۝٣٩

** يقول تعالى ذكره للمشركين به من قريش : ألكم أيها القوم بتسويتكم بين المسلمين والمجرمين فى كرامة الله كتاب نزل من عند الله أتاكم به رسول من رسله بأن لكم ما تَخَيَّرون ، فأنتم تدرسون فيه ماتقولون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (أمْ لَكُمْ كِتابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ) قال : فيه الذى تقولون تقرءونه : تدرسونه ، وقرأ (أمْ آتَيْناهُمْ كِتابا فَهُمْ على بَيِّنَةٍ مِنْهُ) . . . إلى آخر الآية .

وقوله (إنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخَيَّرُونَ) يقول جلّ ثناؤه : إن لكم فى ذلك الذى تخيرون من الأمور لأنفسكم ، وهذا أمر من الله ، توبيخ لهؤلاء القوم وتقريع لهم فيما كانوا يقولون من الباطل ، ويتمنون من الأمانىّ الكاذبة .

وقوله (أمْ لَكُمْ) فيه (أيمانٌ عَلَيْنابالِغَةٌ إلى يَوْمِ القِيامَةِ) يقول : هل لكم أيمان علينا تنتهى بكم إلى يوم القيامة ، بأن لكم ما تحكمون أى بأن لكم حكمكم ، ولكن الألف كسرت من « إن » لما دخل فى الخبر اللام : أى هل لكم أيمان علينا بأن لكم حكمكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ۝٤٠ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ۝٤١

** يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : سل يامحمد هؤلاء المشركين أيهم بأن لهم علينا أيمانا بالغة بحكمهم إلى يوم القيامة (زَعِيمٌ) يعنى : كفيل به ، والزعيم عند العرب : الضامن والمتكلم عن القوم .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أيُّهُمْ بذَلكَ زَعِيمٌ) يقول : أيهم بذلك كفيل .

Marfat.com

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة فى قوله (سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ) يقول : أيهم بذلك كفيل .

وقوله (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ) يقول تعالى ذكره : ألهؤلاء القوم شركاء فيما يقولون ويصفون من الأمور التى يزعمون أنها لهم ، فليأتوا بشركائهم فى ذلك إن كانوا فيما يدّعون من الشركاء صادقين :

القول في تأويل قوله تعالى :

يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾

** يقول تعالى ذكره (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) قال جماعة من الصحابة والتابعين من أهل التأويل : يبدو عن أمر شديد .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عبيد المحاربىّ ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن أُسامة بن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) قال : هو يوم حرب وشدّة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن المغيرة ، عن إبراهيم ، عن ابن عباس (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) قال : عن أمر عظيم كقول الشاعر :

وقامَتِ الحَرْبُ بنا على ساق[1]

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) ولا يبقى مؤمن إلا سجد ، ويقسو ظهر الكافر فيكون عظما واحدا . وكان ابن عباس يقول : يكشف عن أمر عظيم ، ألا تسمع العرب تقول :

وقامَتِ الحَرْبُ بنا على ساق

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) يقول : حين يكشف الأمر ، وتبدو الأعمال ، وكشفه : دخول الآخرة وكشف الأمر عنه .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنا معاوية ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) هو الأمر الشديد المفظع من الهول يوم القيامة .

حدثنى محمد بن عبيد المحاربىّ وابن حميد ، قالا : ثنا ابن المبارك ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله

(١) هذا بيت من الرجز المشطور . أنشده المؤلف عند قوله تعالى : « يوم يكشف عن ساق » : أى أمر عظيم . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٧٩) : « يوم يكشف عن ساق » : إذا اشتد الحرب والأمر ، قيل : قد كشف الأمر عن ساقه .

Marfat.com

(يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ) قال : شدّة الأمر وجدّه ، قال ابن عباس : هى أشد ساعة فى يوم القيامة.

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ) قال : شدّة الأمر ، قال ابن عباس : هى أوّل ساعة تكون فى يوم القيامة غير أن فى حديث الحارث قال : وقال ابن عباس : هى أشدّ ساعة تكون فى يوم القيامة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران عن سفيان ، عن عاصم بن كليب ، عن سعيد بن جبير ، قال : عن شدّة الأمر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ) قال : عن أمر فظيع جليل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ) قال : يوم يكشف عن شدة الأمر .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ) وكان ابن عباس يقول : كان أهل الجاهلية يقولون : شمّرت الحرب عن ساق يعنى إقبال الآخرة وذهاب الدنيا .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، قال : ثنا أبو الزهراء ، عن عبد الله ، قال : « يتمثل الله للخلق يوم القيامة حتى يمرّ المسلمون ، قال : فيقول : من تعبدون ؟ فيقولون : نعبد الله لانشرك به شيئا ، فينتهرهم مرّتين أو ثلاثا ، فيقول : هل تعرفون ربكم ؟ فيقولون : سبحانه إذا اعترف إلينا عرفناه ، قال : فعند ذلك يكشف عن ساق ، فلا يبقى مؤمن إلا خرّ لله ساجدا ، ويبقى المنافقون ظهورهم طبَقٌ واحد ، كأنما فيها السفافيد ، فيقولون : ربنا ، فيقول : قد كنتم تدعون إلى السجود وأنتم سالمون » :

حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى ، قال : ثنا شريك ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله ابن مسعود ، قال : ينادى مناد يوم القيامة : أليس عدلا من ربكم الذى خلقكم ، ثم صوّركم ، ثم رزقكم ، ثم توليتم غيره أن يولى كلَّ عبد منكم ماتولى ، فيقولون : بلى ، قال : فيمثل لكلّ قوم آلهتهم التى كانوا يعبدونها ، فيتبعونها حتى توردهم النار ، ويبقى أهل الدعوة ، فيقول بعضهم لبعض : ماذا تنتظرون ، ذهب الناس ؟ فيقولون : ننتظر أن يُنادى بنا ، فيجيء إليهم فى صورة ، قال : فذكر منها ما شاء الله ، فيكشف عما شاء الله أن يكشف ، قال : فيخرّون سجدًا إلا المنافقين ، فإنه يصير فقار أصلابهم عظما واحدا مثل صياصى البقر ، فيقال لهم : ارفعوا رءوسكم إلى نوركم ، ثم ذكر قصة فيها طول » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا أبو بكر ، قال : ثنا الأعمش ، عن المنهال عن قيس بن سكن ، قال : حدّث عبد الله وهو عند عمر (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العالَمِينَ) قال : «إذا كان يوم القيامة قال :

Marfat.com

يقوم الناس بين يدى ربّ العالمين أربعين عاما ، شاخصة أبصارهم إلى السماء ، حُفاة عُراة، يلجمهم العرق ، ولا يكلمهم بشر أربعين عاما ، ثم ينادى مناد : يا أيها الناس أليس عدلا من ربكم الذى خلقكم وصوّركم ورزقكم ، ثم عبدتم غيره ، أن يولّىَ كلّ قوم ما تولوا ؟ قالوا : نعم ؟ ، قال : فيرفع لكل قوم ما كانوا يعبدون من دون الله ؛ قال : ويمثل لكل قوم ، يعنى آلهتهم ، فيتبعونها حتى تقذفهم فى النار. ، فيبقى المسلمون والمنافقون ، فيقال : ألا تذهبون فقد ذهب الناس ؟ فيقولون : حتى يأتينا ربنا ، قال : وتعرفونه ؟ فقالوا : إن اعترف لنا ، قال : فيتجلى فيخرّ من كان يعبده ساجدا ، قال : ويبقى المنافقون لا يستطيعون كأن فى ظهورهم السفافيد . قال : فيذهب بهم فيساقون إلى النار ، فيقذف بهم ، ويدخل هؤلاء الجنة ، قال : فيستقبلون فى الجنة بما يستقبلون به من الثواب والأزواج والحور العين ، لكلّ رجل منهم فى الجنة كذا وكذا ، بين كل جنة كذا وكذا ، بين أدناها وأقصاها ألف سنة هو يرى أقصاها كما يرى أدناها ؛ قال : ويستقبله رجل حسن الهيئة إذا نظر إليه مُقبلا حسب أنه ربه ، فيقول له : لا تفعل إنما أنا عبدك وقَهْرَمانك على ألف قرية ، قال : يقول عمر : يا كعب ألا تسمع ما يحدّث به عبد الله » ؟ .

حدثنا ابن جَبَلة ، قال : ثنا يحيى بن حماد ، قال : ثنا أبو عوانة ، قال : ثنا سليمان الأعمش ، عن المنهال ابن عمرو ، عن أبى عبيدة وقيس بن سكن ، قالا : قال عبد الله وهو يحدّث عمر ، قال : وجعل عمر يقول : ويحك يا كعب ، ألا تسمع ما يقول عبد الله ؟ إذا حشر الناس على أرجلهم أربعين عاما شاخصة أبصارهم إلى السماء ، لا يكلمهم بشر ، والشمس على رءوسهم حتى يلجمهم العرق ، كلّ برّ منهم وفاجر ، ثم ينادى مناد من السماء : يا أيها الناس أليس عدلا من ربكم الذى خلقكم ورزقكم وصوّركم ، ثم توليتم غيره ، أن يولّى كلّ رجل منكم ما تولى ، فيقولون بلى ، ثم ينادى مناد من السماء : يا أيها الناس ، فلتنطلق كلّ أمة إلى ما كانت تعبد ، قال : ويبسط لهم السراب ، قال : فيمثل لهم ما كانوا يعبدون ، قال : فينطلقون حتى يلجوا النار ، فيقال للمسلمين : ما يحبسكم ؟ فيقولون : هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فيقال لهم : هل تعرفونه إذا رأيتموه ؟ فيقولون : إن اعترف لنا عرفناه » .

قال : وثنى أبو صالح ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم «حتى إن أحدهم ليلتفّ فيكشف عن ساق ، فيقعون سجودا ، قال : وتُدْمَج أصلاب المنافقين حتى تكون عظما واحدا ، كأنها صياصى البقر ، قال : فيقال لهم : ارفعوا رءوسكم إلى نوركم بقدر أعمالكم ؛ قال : فترفع طائفة منهم رءوسهم إلى مثل الجبال من النور ، فيمرّون على الصراط كطرف العين ، ثم ترفع أخرى رءوسهم إلى أمثال القصور ، فيمرّون على الصراط كمرّ الريح ، ثم يرفع آخرون بين أيديهم أمثال البيوت ، فيمرّون كمرّ الخيل ؛ ثم يرفع آخرون إلى نور دون ذلك ، فيشدّون شدّا ؛ وآخرون دون ذلك يمشون مشيا حتى يبقى آخر الناس رجل على أنملة رجله مثل السراج ، فيخرّ مرّة ، ويستقيم أخرى ، وتصيبه النار فتشعث منه حتى يخرج ، فيقول : ما أعطى أحد ما أعطيت ، ولا يدرى مما نجا ، غير أنى وجدت مسها ، وإنى وجدت حرّها ، وذكر حديثا فيه طول اختصرت هذا منه » :

Marfat.com

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : ثنا هشام بن سعد ، قال : ثنا زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخُدْرِيّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا كان يوم القيامة نادى مناد : ألا لتلحق كلّ أمة بما كانت تعبد ، فلا يبقى أحد كان يعبد صنما ولا وثنا ولا صورة إلا ذهبوا حتى يتساقطوا في النار ، ويبقى من كان يعبد الله وحده من برّ وفاجر ، وغبرات (١) أهل الكتاب ثم تعرض جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا ، ثم تدعى اليهود ، فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : عزير ابن الله ، فيقول : كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فماذا تريدون ؟ فيقولون : أى ربنا ظمئنا فيقول : أفلا تردون فيذهبون حتى يتساقطوا في النار ، ثم تدعى النصارى ، فيقال : ماذا كنتم تعبدون ؟ فيقولون : المسيح ابن الله ، فيقول : كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فماذا تريدون ؟ فيقولون : أى ربنا ظمئنا اسقنا ، فيقول : أفلا تردون ، فيذهبون فيتساقطون في النار ، فيبقى من كان يعبد الله من برّ وفاجر. قال : ثم يتبدّى الله لنا في صورة غير صورته التي رأيناه فيها أوّل مرّة ، فيقول : أيها الناس لحقت كلّ أمة بما كانت تعبد ، وبقيتم أنتم فلا يكلمه يومئذ إلا الأنبياء ، فيقولون : فارقنا الناس في الدنيا ، ونحن كنا إلى صحبتهم فيها أحوج لحقت كلّ أمة بما كانت تعبد ، ونحن ننتظر ربنا الذى كنا نعبد ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك ، فيقول : هل بينكم وبين الله آية تعرفونه بها ؟ فيقولون نعم ، فيكشف عن ساق ، فيخرّون سجدا أجمعون ، ولا يبقى أحد كان سجد في الدنيا سمعة ولا رياء ولا نفاقا ، إلا صار ظهره طبقا واحدا ، كلما أراد أن يسجد خرّ على قفاه ؛ قال : ثم يرجع يرفع برّنا ومسيئنا ، وقد عاد لنا في صورته التي رأيناه فيها أوّل مرّة ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : نعم أنت ربنا ثلاث مرار » .

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثني أبي وسعيد بن الليث ، عن الليث ، قال : ثنا خالد ابن يزيد ، عن أبي هلال ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يُنادِي مُنادٍ بِهِ فَيَقُولُ : لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كانُوا يَعْبُدُونَ فَيَذْهَبُ أصحابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ ، وأصحابُ الأوْثانِ مَعَ أوْثانِهِمْ ، وأصحابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ ، حتى يَبْقَى مَنْ كانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ وَفاجِرٍ وَغُبَّراتِ (١) أهْلِ الكِتابِ ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تَعْرِضُ كأنَّها سَرابٌ » ثم ذكر نحوه ، غير أنه قال « فإنَّا نَنْتَظِرُ رَبَّنا ، فقال : إن كان قاله فيأتيهم الجبار » ، ثم حدثنا الحديث نحو حديث المسروقي .

حدثنا أبو كُرَيب : قال : ثنا عبد الرحمن المحاربيّ ، عن إسماعيل بن رافع المدنيّ ، عن يزيد بن أبي زياد عن رجل من الأنصار ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يأْخُذُ اللهُ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ حتى إذا لَمْ يَبْقَ تبعة لأحَدٍ عِنْدَ أحَدٍ جَعَلَ اللهُ مَلَكا مِنَ المَلائِكَةِ على صُورَةِ عُزَيْرٍ ، فَتَتْبَعُهُ اليَهُودُ ، وَجَعَلَ اللهُ مَلَكا مِنَ المَلائِكَةِ على صُورَةِ عِيسَى فَتَتْبَعُهُ النَّصارَى ، ثُمَّ نادَى مُنادٍ أسمعَ الخَلائِقَ كُلَّهُمْ ، فَقالَ : ألا لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بآلِهَتِهِمْ

---

(١) في النهاية لابن الأثير : للغبرات جمع غبر ، وهو من الغابر الباقى . وفى اللسان : وغبر كل شىء : بقيته .

Marfat.com

وَماكانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله ، فلا يَبْقَى أحَدٌ كانَ يَعْبُدُ مِنْ دُونِ الله شَيْئًا إلا مُثِّلَ لَهُ آلِهَتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ قادَتْهُمْ إلى النَّارِ حتى إذَا لَمْ يَبْقَ إلاَّ المُؤْمِنُون فِيهِمُ المُنافِقُون قالَ اللهُ جَلَّ ثَناؤُهُ : أيُّها النَّاسُ ذَهَبَ النَّاسُ ، ذَهَبَ النَّاسُ ، الْحَقُوا بِآلِهَتِكُمْ وَماكُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ، فَيَقُولُونَ : وَالله مالَنا إلَهٌ إلاَّ اللهُ وَماكُنَّا نَعْبُدُ إلَها غَيْرَه ، وَهُوَ اللهُ ثَبَّتَهُمْ ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُمُ الثَّانِيَةَ مِثْلَ ذلكَ : الْحَقُوا بِآلِهَتِكُم وَماكُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ، فَيَقُولُونَ مِثْلَ ذلكَ ، فَيُقالُ : هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ مِنْ آيَةٍ تَعْرِفُونَها ؟ فَيَقُولُونَ نَعَمْ ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ مِنْ عَظَمَتِهِ مايَعْرِفُونَهُ أنَّهُ رَبُّهُمْ فَيَخِرُّونَ لَهُ سُجَّدًا على وُجُوهِهِمْ وَيَقَعُ كُلُّ مُنافِقٍ على قَفاهُ ، وَيَجْعَلُ اللهُ أصْلابَهُمْ كَصَياصِي البَقَرِ » .

وحدثني أبوزيد عمر بن شبة ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثنا أبوسعيد روح بن جناح ، عن مولى لعمر بن عبد العزيز ، عن أبي بردة بن أبي موسى ، عن أبيه ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال« (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ) قال : عن نور عظيم ، يخرّون له سجدا » .

حدثني جعفر بن محمد البزوريّ ، قال : ثنا عبيد الله ، عن أبي جعفر ، عن الربيع في قول الله (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ) قال : يكشف عن الغطاء ، قال : وَيُدْعَوْنَ إلى السجود وهم سالمون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن أُسامة بن زيد ، عن عكرمة ، في قوله(يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ) قال :هويوم كرب وشدّة . وذُكر عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك (يَوْمَ تَكْشِفُ عَنْ ساقٍ) بمعنى : يوم تكشف القيامة عنشدّة شديدة ، والعرب تقول : كشَفَ هذا الأمرُ عن ساق : إذا صار إلى شدّة ؛ ومنه قول الشاعر :

كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ ساقِها وَبَدَا مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاحُ [١]

وقوله (وَيُدْعَوْنَ إلى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ) يقول : ويدعوهم الكشف عن الساق إلى السجود لله تعالى فلا يطيقون ذلك .

وقوله (خاشِعَةً أبْصارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ) يقول : تغشاهم ذلة منعذاب الله(وَقَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إلى السُّجُودِ وَهُمْ سالِمُونَ) يقول : وقد كانوا في الدنيا يدعونهم إلى السجود له ، وهم سالمون ، لايمنعهم من ذلك مانع ، ولا يحول بينه وبينهم حائل . وقد قيل : السجود في هذا الموضع : الصلاة المكتوبة .

---

(١) البيت لجد طرفة كما قال الفراء في معاني القرآن (الورقة ٣٤٠) قال عند قوله تعالى : « يوم يكشف عن ساق » : القراء مجتمعون على رفع الياء . وبسنده إلى ابن عباس : أنه قرأ : « يوم تكشف (بالتاء مفتوحة) ، يريد القيامة والساعة لشدتها . قال : وأنشدني بعض العرب لجد طرفة : وهو سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة جد طرفة بن العبد :

كشفت لهم عن ساقها وبدا من الشر البراح

وروايته في (اللسان : سوق) عن ديوان الحماسة : « الصراح ، في موضع » : « البراح » .

Marfat.com

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم التيمىّ (وَقَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إلى السُّجُودِ وَهُمْ سالِمُونَ) قال : إلى الصلاة المكتوبة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى سنان ، عن سعيد بن جبير (وَقَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إلى السُّجُودِ) قال : يَسْمَعُ المنادى إلى الصلاة المكتوبة فلا يجيبه .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن إبراهيم التيمىّ (وَقَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إلى السُّجُودِ) قال : الصلاة المكتوبة .

وبنحو الذى قلنا فى قوله (وَيُدْعَوْنَ إلى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ) .. الآية ، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَقَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إلى السُّجُودِ وَهُمْ سالِمُون) قال : هم الكفار كانوا يدعون فى الدنيا وهم آمنون ، فاليوم يدعوهم وهم خائفون ، ثم أخبر الله سبحانه أنه حال بين أهل الشرك وبين طاعته فى الدنيا والآخرة ، فأما فى الدنيا فإنه قال (ما كانُوا يسْتَطِيعُون السَّمْعَ وَما كانُوا يُبْصِرُونَ) وأما فى الآخرة فإنه قال (فَلا يَسْتَطِيعُونَ . خاشِعَةً أبْصارُهُمْ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : (وَيُدْعَوْنَ إلى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ) ذلكم والله يوم القيامة . ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « يُؤْذَنُ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ القِيامَةِ فى السُّجُودِ ، فَيَسْجُدُ المُؤْمِنُونَ ، وَبَيْنَ كُلِّ مُؤْمِنَيْنِ مُنافِقٌ ، فَيَقْسُو ظَهْرُ المُنافِقِ عَنِ السُّجُودِ ، وَيَجْعَلُ اللهُ سُجُودَ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ تَوْبِيخا وَذُلاً وَصَغارًا ، وَنَدامَةً وَحَسْرَةً » .

وقوله (وَقَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إلى السُّجُودِ) أى فى الدنيا (وَهُمْ سالِمُونَ) : أى فى الدنيا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : « بلغنى أنه يُؤْذَنُ للمؤمنين يوم القيامة فى السجود بين كل مؤمنين منافق يسجد المؤمنون ، ولا يستطيع المنافق أن يسجد ، وأحسبه قال : تقسو ظهورهم ، ويكون سجود المؤمنين توبيخا عليهم . قال : (وَقَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إلى السُّجُودِ وَهُمْ سالِمُونَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ ﴾

* يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : كِلْ يا محمد أمر هؤلاء المكذّبين بالقرآن إلىّ ، وهذا كقول القائل لآخر غيره يتوعد رجلا : دعنى وإياه ، وخلنى وإياه ، بمعنى : أنه من وراء مساءته . و « مَن »

Marfat.com

فى قوله (وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ) فى موضع نصب ، لأن معنى الكلام ما ذكرت ، وهو نظير قولهم لو تُرِكْتَ ورأيك ما أفلحت . والعرب تنصب : ورأيك ، لأن معنى الكلام : لو وكلتك إلى رأيك لم تفلح .

وقوله (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ) يقول جلّ ثناؤه : سنكيدهم من حيث لايعلمون ، وذلك بأن يمتعهم بمتاع الدنيا حتى يظنوا أنهم متعوا به بخير لهم عند الله ، فيتمادوا فى طغيانهم ، ثم يأخذهم بغتة وهم لايشعرون .

وقوله (وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) يقول تعالى ذكره : وأنسئ فى آجالهم ملاوة من الزمان ، وذلك برهة من الدهر على كفرهم وتمرّدهم على الله لتتكامل حجج الله عليهم (إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) يقول : إن كيدى بأهل الكفر قوىّ شديد .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾

** يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : أتسأل يامحمد هؤلاء المشركين بالله على ماأتيتهم به من النصيحة ، ودعوتهم إليه من الحقّ ، ثوابا وجزاء (فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ) يعنى من غرم ذلك الأجر مثقلون ، قد أثقلهم القيام بأدائه ، فتحاموا لذلك قبول نصيحتك ، وتجنبوا لعظم ماأصابهم من ثقل الغرم الذى سألتهم على ذلك الدخول فى الذى دعوتهم إليه من الدين .

وقوله (أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ) يقول : أعندهم اللوح المحفوظ الذى فيه نبأ ماهو كائن ، فهم يكتبون منه ما فيه ، ويجادلونك به ، ويزعمون أنهم على كفرهم بربهم أفضل منزلة عند الله من أهل الإيمان به .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾

** يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فاصبر يامحمد لقضاء ربك وحكمه فيك ، وفى هؤلاء المشركين بما أتيتهم به من هذا القرآن ، وهذا الدين ، وامض لما أمرك به ربك ، ولا يثنيك عن تبليغ ما أمرت بتبليغه تكذيبهم إياك وأذاهم لك .

وقوله (وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ) الذى حبسه فى بطنه ، وهو يونس بن متّى صلى الله عليه وسلم فيعاقبك ربك على تركك تبليغ ذلك ، كما عاقبه فحبسه فى بطنه . (إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ) يقول : إذ نادى وهو مغموم ، قد أثقله الغمّ وكظمه .

Marfat.com

كما حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِذْ نادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ) يقول : مغموم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (مَكْظُومٌ) قال : مغموم .

وكان قتادة يقول في قوله (وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ) : لا تكن مثله في العَجَلة والغضب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ) يقول : لا تعجل كما عَجِل ، ولا تغضب كما غضب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

وقوله (لَوْلا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ) يقول جلّ ثناؤه : لولا أن تدارك صاحب الحوت نعمة من ربه ، فرحمه بها ، وتاب عليه من مغاضبته ربه (لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ) وهو الفضاء من الأرض ؛ ومنه قول قيس بن جَعْدة :

وَرَفَعْتُ رِجْلاً لا أَخافُ عِثارَها ... وَنَبَذْتُ بالبَلَدِ العَراءِ ثِيابِي[1]

(وَهُوَ مَذْمُومٌ) اختلف أهل التأويل في معنى قوله (وَهُوَ مَذْمُومٌ) فقال بعضهم : معناه وهو مُليم :

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثني أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله (وَهُوَ مَذْمُومٌ) يقول : وهو مليم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وهو مذنب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه عن بكر (وَهُوَ مَذْمُومٌ) قال : هو مذنب .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

يقول تعالى ذكره : فاجتبى صاحبَ الحوت ربُّه ، يعني اصطفاه واختاره لنبوّته (فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) يعني من المرسلين العاملين بما أمرهم به ربهم ، المنتهين عما نهاهم عنه .

(١) البيت : من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ١٧٩) عند قوله تعالى : « النبذ بالعراء » قال : لأنّي بوجه الأرض . قال رجل من خزاعة يقال له قيس بن جعدة أحد الفرارين : ورفعت رجلا . . . . البيت » .

Marfat.com

وقوله (وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ) يقول جلّ ثناؤه : وإن يكاد الذين كفروا يامحمد يَنْفُذونك بأبصارهم من شدة عداوتهم لك ويزيلونك فيرموا بك عند نظرهم إليك غيظا عليك . وقد قيل: إنه عُنِيَ بذلك : وإن يكاد الذين كفروا مما عانوك بأبصارهم ليرمون بك يامحمد، ويصرعونك كما تقول العرب : كاد فلان يصرعني بشدّة نظره إلىّ ، قالوا : وإنما كانت قريش عانوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوه بالعين ، فنظروا إليه ليعينوه ، وقالوا: ما رأينا رجلا مثله ، أو إنه لمجنون ، فقال الله لنبيه عند ذلك : وإن يكاد الذين كفروا ليرمونك بأبصارهم (لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ ، وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ) .

وبنحو الذى قلنا فى معنى (لَيُزْلِقُونَكَ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ) يقول: يَنْفُذونك بأبصارهم من شدّة النظر ، يقول ابن عباس : يقال للسهم : زَهَق السهم أو زاق .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ) يقول : لَيَنْفُذونك بأبصارهم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى، قال : ثنى عمى، قال : ثنى أبى، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ) يقول : ليزهقونك بأبصارهم .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا معاوية ، عن إبراهيم ، عن عبد الله أنه كان يقرأ (وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْهِقُونَكَ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (لَيُزْلِقُونَكَ) قال : لينفذونك بأبصارهم

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة فى قوله لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ) قال : ليزهقونك ، وقال الكلبى : ليصرعونك .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ) لينفذونك بأبصارهم معاداة لكتاب الله ، ولذكر الله .

حُدثت عن الحسين، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ) يقول : يَنْفُذونك بأبصارهم من العداوة والبغضاء .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (لَيُزْلِقُونَكَ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة (لَيَزْلِقُونَكَ) بفتح الياء من زلقته أزلقه زَلْقا . وقرأته عامة قرّاء الكوفة والبصرة (لَيُزْلِقُونَكَ) بضم الياء من أزلقه يُزْلِقه .

Marfat.com

** والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان معروفتان ، ولغتان مشهورتان فى العرب متقاربتا المعنى والعرب تقول للذى يحلق الرأس : قد أزلقه وزلقه ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ) يقول : لما سمعوا كتاب الله يتلى (وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ) يقول تعالى ذكره : يقول هؤلاء المشركون الذين وصف صفتهم إن محمدا لمجنون ، وهذا الذى جاءنا به من الهذيان الذى يهذى به فى جنونه (وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) وما محمد إلا ذكر ذكّر الله به العالمين الثقلين الجنّ والإنس .

آخر تفسير سورة نۤ والقلم

(٦٩) سورة الحاقة مكية
وآياتها اثنتان وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى :

الْحَاقَّةُ ۞ مَا الْحَاقَّةُ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۞ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ۞

** يقول تعالى ذكره : الساعة (الْحَاقَّةُ) التى تحقّ فيها الأمور ، ويجب فيها الجزاء على الأعمال (ما الْحَاقَّةُ) يقول : أىّ شىء الساعة الحاقة . وذُكر عن العرب أنها تقول : لما عرف الحاقة منى والحقة منى ، وبالكسر بمعنى واحد فى اللغات الثلاث ، وتقول : وقد حقّ عليه الشىء إذا وجب ، فهو يحقّ حقوقا . والحاقة الأولى مرفوعة بالثانية ، لأن الثانية بمنزلة الكناية عنها ، كأنه عجب منها ، فقال : الحاقة : ما هى كما يقال : زيد ما زيد . والحاقة الثانية مرفوعة بما ، وما بمعنى أى ، وما رفع بالحاقة الثانية ، ومثله فى القرآن (وأَصْحَابُ الْيَمِينِ ما أَصْحَابُ الْيَمِينِ) و (الْقَارِعَةُ ما الْقَارِعَةُ) فما فى موضع رفع بالقارعة الثانية والأولى بجملة الكلام بعدها .

وبنحو الذى قلنا فى قوله (الْحَاقَّةُ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله : (الْحَاقَّةُ) قال : من أسماء يوم القيامة ، عظمه الله ، وحذّره عباده .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن شريك ، عن جابر ، عن عكرمة قال(الْحَاقَّةُ) القيامة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الْحَاقَّةُ) يعنى الساعة أحقت لكل عامل عمله .

Marfat.com

حدثنى ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (الْحَاقَّةُ) قال : أحقت لكلّ قوم أعمالهم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبامعاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (الْحَاقَّةُ) يعنى القيامة :

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (الْحَاقَّةُ ما الْحَاقَّةُ و- الْقَارِعَةُ ما القارعة ، والواقِعةُ ، والطَّامَّة ، والصَّاخَّة) قال : هذا كله يوم القيامة الساعة ، وقرأ قول الله (لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كاذِبَةٌ خافِضَةٌ رَافِعَةٌ) والخافضة من هؤلاء أيضا خفضت أهل النار ، ولا نعلم أحدا أخفض من أهل النار ، ولا أذلّ ولا أخزى ؛ ورفعت أهل الجنة ، ولا نعلم أحدا أشرف من أهل الجنة ولا أكرم .

وقوله (وَما أَدْرَاكَ ما الْحَاقَّةُ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وأىّ شىء أدراك وعرّفك أىّ شىء الحاقة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان قال : ما فى القرآن : وما يدريك ، فلم يخبره ، وما كان وما أدراك ، فقد أخبره .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَما أَدْرَاكَ ما الْحَاقَّةُ) تعظيما ليوم القيامة كما تسمعون :

وقوله (كَذَّبَتْ ثَمُودُ وعادٌ بالقارِعَةِ) يقول تعالى ذكره : كذّبت ثمود قوم صالح ، وعاد قوم هود بالساعة التى تقرع قلوب العباد فيها بهجومها عليهم والقارعة أيضا : اسم من أسماء القيامة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعادٌ بالقارِعَةِ) أى بالساعة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (كَذَّبَتْ ثَمُودُ وعادٌ بالقارِعَةِ) قال : القارعة : يوم القيامة :

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۞ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۞ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۞ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ۞ ﴾

Marfat.com

﴿ يقول تعالى ذكره (فأَمَّا ثَمُودُ) قوم صالح ، فأهلكهم الله بالطاغية .

واختلف فى معنى الطاغية التى أهلك الله بها ثمود أهل التأويل ، فقال بعضهم : هى طغيانهم وكفرهم بالله

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله عز وجل (فأُهْلِكُوا بالطَّاغِيَةِ) قال : بالذنوب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فأمَّا ثَمُودُ فأُهْلِكُوا بالطَّاغِيَةِ) فقرأ قول الله (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بطَغْوَاها) وقال : هذه الطاغية طغيانهم وكفرهم بآيات الله الطاغية طغيانهم الذى طغوا فى معاصى الله وخلاف كتاب الله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فأهلكوا بالصيحة التى قد جاوزت مقادير الصياح وطغت عليها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فأمَّا ثَمُودُ فأُهْلِكُوا بالطَّاغِيَةِ) بعث الله عليهم صيحة فأهمدتهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بالطَّاغِيَةِ) قال : أرسل الله عليهم صيحة واحدة فأهمدتهم .

﴿ وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك : فأُهلكوا بالصيحة الطاغية .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لأن الله إنما أخبر عن ثمود بالمعنى الذى أهلكها به ، كما أخبر عن عاد بالذى أهلكها به ، فقال (وأمَّا عادٌ فأُهْلِكُوا بريحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ) ولو كان الخبر عن ثمود بالسبب الذى أهلكها من أجله ، كان الخبر أيضا عن عاد كذلك ، إذ كان ذلك فى سياق واحد ، وفى إتباعه ذلك بخبره عن عاد بأن هلاكها كان بالريح الدليل الواضح على أن إخباره عن ثمود إنما هو ما بينت .

وقوله (وأمَّا عادٌ فأُهْلِكُوا بريحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ) يقول تعالى ذكره : وأما عاد قوم هود فأهلكهم الله بريح صرصر ، وهى الشديدة العصوف مع شدّة بردها (عاتِيَةٍ) يقول : عتت على خزانها فى الهبوب ، فتجاوزت فى الشدّة والعصوف مقدارها المعروف فى الهبوب والبرد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه عن ابن عباس ، قوله (وأمَّا عادٌ فأُهْلِكُوا بريحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ) يقول : بريح مهلكة باردة ، عتت عليهم بغير رحمة ولا بركة ، دائمة لا تفتُر :

Marfat.com

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأمَّا عادٌ فأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ) والصرصر الباردة عتت عليهم حتى نقبت عن أفئدتهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن موسى بن المسيب ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس ، قال : « ما أرسل الله من ريح قطّ إلا بمكيال ولاأنزل قطرة قطّ إلا بمثقال ، إلا يوم نوح ويوم عاد ، فإن الماء يوم نوح طغى على خزانه ، فلم يكن لهم عليه سبيل ، ثم قرأ (إنَّا لَمَّا طَغَى الماءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الجارِيَةِ) وإن الريح عتت على خزانها فلم يكن لهم عليها سبيل ، ثم قرأ (بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ) » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، قال : ثنا أبوسنان ، عن غير واحد ، عن عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه ، قال : « لم تنزل قطرة من ماء إلا بكيل على يدى مَلَك ؛ فلما كان يوم نوح أذن للماء دون الخُزّان : فطغى الماء على الجبال فخرج ، فذلك قول الله (إنا لَمَّا طَغَى الماءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الجارِيَةِ) ولم ينزل من الريح شيء إلا بكيل على يدى مَلَك إلاّ يوم عاد ، فإنه أذن لها دون الخزّان ، فخرجت ، وذلك قول الله (بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ) عتت على الخزّان » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ) قال : الصرصر : الشديدة ، والعاتية : القاهرة التى عتت عليهم فقهرتهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (صَرْصَرٍ) قال : شديدة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (بِرِيحٍ صَرْصَرٍ) يعنى : باردة عاتية ، عتت عليهم بلا رحمة ولا بركة .

وقوله (سَخَّرَها عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيالٍ وَثَمانِيَةَ أيَّامٍ حُسُوماً) يقول تعالى ذكره سخر تلك الرياح على عاد سبع ليال وثمانية أيام حسوما ، فقال بعضهم : عُنى بذلك تباعا .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَثَمانِيَةَ أيَّامٍ حُسُوما) يقول : تباعا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (حُسُوما) قال : متتابعة .

حدثنا ابن حميد ، قال حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبى معمر ، عن ابن مسعود (وَثَمانِيَةَ أيَّامٍ حُسُوماً) قال : متتابعة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبى معمر ، عن عبد الله بن مسعود مثل حديث محمد بن عمرو .

Marfat.com

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبى معمر ، عن عبد الله (حُسُوما) قال : تباعا .

قال : ثنا يحيى بن سعيد القطان ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة ، فى قوله : (حُسُوما) قال : تباعا :

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة أنه قال فى هذه الآية (وَثَمانِيَةَ أيَّامٍ حُسُوما) قال : متتابعة .

حدثنا نصر بن علىّ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنا خالد بن قيس ، عن قتادة (وَثَمانِيَةَ أيَّامٍ حُسُوما) قال : متتابعة ليس لها فترة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَثَمانِيَةَ أيَّامٍ حُسُوما) قال : متتابعة ليس فيها تفتير .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (حُسُوما) قال : دائمات .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبى معمر عبد الله بن سَخْبَرَةَ ، عن ابن مسعود (أيَّامٍ حُسُوما) قال : متتابعة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان قال : قال مجاهد : (أيَّامٍ حُسُوماً) قال : تباعا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (أيَّامٍ حُسُوما) قال : متتابعة ، و(أيام نحسات) قال : مشائيم .

وقال آخرون : عنى بقوله (حُسُوما) الريح ، وأنها تحسم كلّ شىء ، فلا تبقى من عاد أحدا ، وجعل هذه الحسوم من صفة الريح .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَثَمانِيَةَ أيَّامٍ حُسُوما) قال : حسمتهم لم تُبق منهم أحدا ، قال : ذلك الحسوم مثل الذى يقول : احسم هذا الأمر ؛ قال : وكان فيهم ثمانية لهم خلق يذهب بهم فى كل مذهب ؛ قال : قال موسى بن عقبة : فلما جاءهم العذاب قالوا : قوموا بنا نردّ هذا العذاب عن قومنا ؛ قال : فقاموا وصفوا فى الوادى ، فأوحى الله إلى ملك الريح أن يقلع منهم كل يوم واحدًا ، وقرأ قول الله (سَخَّرَها عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيالٍ وَثَمانِيَةَ أيَّامٍ حُسُوما) حتى بلغ (نخل خاوية) قال : فإن كانت الريح لتمرّ بالظعينة فتستدبرها وحمولتها ، ثم تذهب بهم فى السماء ، ثم تكبهم على الرءوس ، وقرأ قول الله (فَلَمَّا رَأَوْهُ عارِضًا مُسْتَقْبِلَ أوْدِيَتِهِمْ قالُوا هَذَا عارِضٌ مُمْطِرُنا) قال : وكان أمسك عنهم المطر ، فقرأ حتى بلغ (تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأمْرِ رَبِّها) قال : وما كانت الريح تقلع من أولئك الثمانية كلّ يوم إلا واحدًا ؛ قال : فلما عذّب الله قوم عاد ، أبقى الله واحدًا ينذر الناس ، قال : فكانت امرأة قد رأت قومها ، فقالوا لها : أنت أيضا ، قالت : تنحيت على الجبل ؛ قال : وقد قيل

Marfat.com

لها بعد : أنت قد سلمت وقد رأيت ، فكيف لا رأيت عذاب الله ؟ قالت : ما أدرى غير أن أسلم ليلة : ليلة لا ريح .

⁂ وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب قول من قال: عُنِىَ بقوله(حُسُوما) متتابعة ، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك . وكان بعض أهل العربية يقول: الحسوم : التباع ، إذا تتابع الشىء فلم ينقطع أوّله عن آخره قيل فيه حسوم ؛ قال : وإنما أخذ والله أعلم من حسم الداء : إذا كوى صاحبه ، لأنه لحم يكوى بالمكواة ، ثم يتابع عليه .

وقوله (فَتَرَى القَوْمَ فِيها صَرْعَى) يقول : فترى يا محمد قوم عاد فى تلك السبع الليالى والثمانية الأيام الحسوم صرعى قد هلكوا (كأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَةٍ) يقول : كأنهم أصول نخل قد خوت :

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَةٍ) وهى أصول النخل .

وقوله (فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ باقِيَةٍ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فهل ترى يا محمد لعاد قوم هود من بقاء : وقيل : عُنِىَ بذلك فهل ترى منهم باقيا . وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من البصريين يقول : معنى ذلك : فهل ترى لهم من بقية ، ويقول : مجازها مجاز الطاغية مصدر :

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾

⁂ يقول تعالى ذكره (وَجاءَ فِرْعَوْنُ) مصر . واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَمَنْ قَبْلَهُ) فقرأته عامة قرّاء المدينة والكوفة ومكة خلا الكسائىّ (وَمَنْ قَبْلَهُ) بفتح القاف وسكون الباء ، بمعنى : وجاء من قبل فرعون من الأمم المكذّبة بآيات الله كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط بالخطيئة : وقرأ ذلك عامة قرّاء البصرة والكسائى (وَمَنْ قِبَلِهِ) بكسر القاف وفتح الباء ، بمعنى : وجاء مع فرعون من أهل بلده مصر من القبط .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب

وقوله (وَالمُؤْتَفِكاتُ بالخاطِئَةِ) يقول : والقرى التى ائتفكت بأهلها فصار عاليها سافلها (بالخاطِئَةِ) يعنى بالخطيئة . وكانت خطيئتها : إتيانها الذكران فى أدبارهم .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (وَالمُؤْتَفِكاتُ) قال أهل التأويل .

Marfat.com

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالمُؤْتَفِكاتُ) قرية لوط . وفى بعض القراءة (وَجاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ مَعَهُ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَجاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالمُؤْتَفِكاتُ بِالخاطِئَةِ) قال : المؤتفكات : قوم لوط ، ومدينتهم وزرعهم : ، وفى قوله (وَالمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى) قال : أهواها من السماء : رمى بها من السماء ، أوحى الله إلى جبريل عليه السلام ، فاقتلعها من الأرض ، ربضها ومدينتها ، ثم هوى بها إلى السماء ، ثم قلبهم إلى الأرض ، ثم أتبعهم الصخر حجارة ، وقرأ قول الله (حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً) قال : المسومة : المُعَدَّة للعذاب .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَجاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالمُؤْتَفِكاتُ بِالخاطِئَةِ) يعنى المكذّبين :

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَالمُؤْتَفِكاتُ) هم قوم لوط ، ائتفكت بهم أرضُهم .

وبما قلنا فى قوله (بِالخاطِئَةِ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (بِالخاطِئَةِ) قال : الخطايا :

وقوله (فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ) يقول جلّ ثناؤه : فعصى هؤلاء الذين ذكرهم الله ، وهم فرعون ومن قبله والمؤتفكات رسول ربهم .

وقوله (فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رابِيَةً) يقول : فأخذهم ربهم بتكذيبهم رسله أخذة ، يعنى أخذة زائدة شديدة نامية من قولهم أربيت : إذا أخذ أكثر مما أعطى من الربا ، يقال : أربيتَ فربَا رباك ، والفضة والذهب قد رَبَوا :

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أَخْذَةً رابِيَةً) قال : شديدة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رابِيَةً) يعنى أخذة شديدة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قول الله (فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رابِيَةً) قال : كما يكون فى الخير رابية كذلك يكون فى الشرّ رابية ، قال : ربا عليهم : زاد عليهم

Marfat.com

وقرأ قول الله عزّ وجلّ : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ العَذَابِ) ، وقرأ قول الله عزّ وجلّ : (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ، وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) يقول : ربا لهؤلاء الخير ولهؤلاء الشرّ .

وقوله (إِنَّا لَمَّا طَغَى المَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الجَارِيَةِ) يقول تعالى ذكره : إنا لما كثر الماء فتجاوز حدّه المعروف ، كان له ، وذلك زمن الطوفان .

وقيل : إنه زاد فعلا فوق كلّ شيء بقدر خمس عشرة ذراعا .

ذكر من قال ذلك ، ومن قال فى قوله (طَغَى) مثل قولنا

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِنَّا لَمَّا طَغَى المَاءُ) قال : بلغنا أنه طغى فوق كلّ شيء خمس عشرة ذراعا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّا لَمَّا طَغَى المَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الجَارِيَةِ) ذاكم زمن نوح طغى الماء على كلّ شيء خمس عشرة ذراعا بقدر كل شيء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمّىّ ، عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن سعيد بن جُبير ، فى قوله (إِنَّا لَمَّا طَغَى المَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فى الجَارِيَةِ) قال : لم تنزل من السماء قطرة إلا بعلم الخزّان ، إلا حيث طغى الماء ، فإنه قد غضب لغضب الله ، فطغى على الخزان ، فخرج ما لايعلمون ما هو .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّا لَمَّا طَغَى المَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الجَارِيَةِ) إنما يقول : لما كثر .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّا لَمَّا طَغَى المَاءُ) يعنى كثر الماء ليالى غرّق الله قوم نوح .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّا لَمَّا طَغَى المَاءُ حَمَلْنَاكُمْ) قال محمد ابن عمرو فى حديثه : طما ؛ وقال الحارث : ظهر .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، عن الضحاك ، فى قوله (لَمَّا طَغَى المَاءُ) : كثر وارتفع .

وقوله (حَمَلْنَاكُمْ فِي الجَارِيَةِ) يقول : حملناكم فى السفينة التى تجرى فى الماء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (حَمَلْنَاكُمْ فِي الجَارِيَةِ) الجارية : السفينة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (حَمَلْنَاكُمْ فِي الجَارِيَةِ)

Marfat.com

والجارية : سفينة نوح التى حملتم فيها ؛ وقيل : حملناكم ، فخاطب الذين نزل فيهم القرآن ، وإنما حمل أجدادهم نوحا وولده ، لأن الذين خوطبوا بذلك ولد الذين حملوا فى الجارية ، فكان حمل الذين حملوا فيها من الأجداد حملا لذريتهم على ما قد بيّنا من نظائر ذلك فى أماكن كثيرة من كتابنا هذا .

وقوله (لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً) يقول : لنجعل السفينة الجارية التى حملناكم فيها لكم تذكرة ، يعنى عبرة وموعظة تتعظون بها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً) فأبقاها الله تذكرة وعبرة وآية حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة ، وكم من سفينة قد كانت بعد سفينة نوح قد صارت رمادا .

وقوله (وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) يعنى حافظة عقلت عن الله ما سمعت .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) يقول : حافظة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) يقول : سامعة وذلك الإعلان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا نصر بن علىّ ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا خالد بن قيس ، عن قتادة (وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) قال : أذن عقلت عن الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) أذن عقلت عن الله ، فانتفعت بما سمعت من كتاب الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) قال : أذن سمعت ، وعقلت ما سمعت .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) سمعتها أذن ووعت .

حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن علىّ بن حوشب ، قال : سمعت مكحولا يقول : « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) ثم التفت إلى علىّ ، فقال : سأَلْتُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَهَا أُذُنَكَ ؛ قال علىّ رضى الله عنه : فما سمعت شيئا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فنسيته » .

Marfat.com

حدثني محمد بن خلف ، قال : ثني بشر بن آدم ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، قال : ثني عبد الله ابن رستم ، قال : سمعت بُرَيدة يقول : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعليّ : ياعليُّ إنّ اللهَ أمرَني أنْ أُدْنيكَ ولاأُقْصِيكَ ، وأنْ أُعلِّمَكَ ، وأنْ تعِي ، وحقٌ على اللهِ أنْ تعِي » ، قال : فنزلت (وتَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ) .

حدثني محمد بن خلف ، قال : ثنا الحسن بن حماد ، قال : ثنا إسماعيل بن إبراهيم أبو يحيى التيميّ عن فضيل بن عبد الله ، عن أبي داود ، عن بُرَيدة الأسلميّ ، قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعليّ : إنّ اللهَ أمرَنى أنْ أُعلِّمَكَ وأنْ أُدْنِيَكَ ولا أجْفُوَكَ ولا أُقْصِيَكَ » ، ثم ذكر مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وتَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ) قال : واعية يحذرون معاصي الله أن يعذّبهم الله عليها ، كما عذّب من كان قبلهم تسمعها فتعيها ، إنما تعي القلوب ما تسمع الآذان من الخير والشرّ من باب الوعي .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۝١٣ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۝١٤ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝١٥ ﴾

يقول تعالى ذكره : (فإذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ) إسرافيل (نَفْخَةٌ واحِدَةٌ) وهي النفخة الأولى ، (وحُمِلَتِ الأرْضُ والجبالُ فَدُكَّتا دَكَّةً واحِدَةً) يقول : فزلزلتا زلزلة واحدة .

وكان ابن زيد يقول في ذلك ماحدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وحُمِلَتِ الأرْضُ والجِبالُ فَدُكَّتا دَكَّةً واحِدَةً) قال : صارت غبارا . وقيل : (فَدُكَّتا) وقد ذكر قبل الجبال والأرض ، وهي جماع ، ولم يقل : فدككن ، لأنه جعل الجبال كالشيء الواحد ، كما قال الشاعر :

هُمَا سَيِّدَانِ يَزْعُمانِ وإنَّمَا ... يَسُودانِنا إنْ يَسَّرَتْ غَنَماهُمَا (١)

(١) نسب البيت صاحب اللسان (يسر) والعيني في شرح شواهد الألفية إلى أبي أسيدة الدبيري . وأنشد في اللسان قبله بيتا آخر ، وهو :

إنّ لَنَا شَيْخَيْنِ لايَنْفَعانِنَا ... غَنِيَّيْنِ لايُجْدِي عَلَيْنَا غِناهُمَا

أي ليس فيهما من السيادة إلا كونهما قد يسرت غنماهما ، أي كثرت وكثرت ألبانها ونسلها ، والسؤدد يوجب البذل والعطاء والحراسة والحماية وحسن التدبير والحلم ، وليس عندهما من ذلك شيء . واستشهد المؤلف بالبيت على أن الشاعر قال : غنماهما بلفظ التثنية للغنم ، مع أن الغنم اسم للجمع ، وليس بمفرد ، ولكنه عامله معاملة المفرد ، كما اعتبرت الجبال في قوله تعالى « وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة » في حكم المفرد كالأرض ، ولذلك قال : فدكتا ، ولم يقل فدككن . اهـ . وفي البيت شاهد آخر عند النحويين في باب إلغاء عمل ظن وأفعال القلوب إذا تأخرت عن معموليها ولو تقدمت عليهما لعملت فيهما النصب .

Marfat.com

وكما قيل : (أنَّ السَّمَوَاتِ والأرْضَ كانَتا رَتْقا) (فيومئذ وقعت الواقعة)يقول جلّ ثناؤه : فيومئذ وقعت الصيحة الساعة ، وقامت القيامة .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾

** يقول تعالى ذكره : وانصدعت السماء (فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ) يقول : منشقة منصدّعة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقىّ ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن الأجلح ، قال : سمعت الضحاك ابن مزاحم ، قال : « إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا بأهلها ، ونزل من فيها من الملائكة ، فأحاطوا بالأرض ومن عليها ، ثم الثانية ، ثم الثالثة ، ثم الرابعة ، ثم الخامسة ، ثم السادسة ، ثم السابعة ؛ فصفوا صفا دون صفّ ثم نزل الملك الأعلى على مجنبته اليسرى جهنم ، فإذا رآها أهل الأرض ندّوا ، فلا يأتون قطرا من أقطار الأرض إلا وجدوا سبعة صفوف من الملائكة ، فيرجعون إلى المكان الذى كانوا فيه ، فذلك قول الله (إنّى أخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنادِ ، يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ما لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عاصِمٍ) وذلك قوله (وَجاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ، وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ) ، وقوله (يا مَعْشَرَ الجِنِّ والإنْسِ إنِ اسْتَطَعْتُمْ أنْ تَنْفُذُوا مِنْ أقْطارِ السَّمَوَاتِ والأرْضِ فانْفُذُوا ، لاتَنْفُذُونَ إلاَّ بِسُلْطانٍ) وذلك قوله (وَانْشَقَّتِ السَّماءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ واهِيَةٌ ، وَالمَلَكُ على أرْجائِها) » .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَانْشَقَّتِ السَّماءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ واهِيَةٌ) يعنى : متمزّقة ضعيفة .

(والمَلَكُ على أرجائها) يقول تعالى ذكره : والملك على أطراف السماء حين تشقق وحافاتها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (والمَلَكُ على أرْجائها) يقول : والملك على حافات السماء حين تشقّق ، ويقال على شقة ، كلّ شىء تشقّق عنه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَالمَلَكُ على أرْجائها) قال : أطرافها .

Marfat.com

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (وَالْمَلَكُ على أَرْجائِها) قال : على حافات السماء .

حدثنى موسى بن عبدالرحمن المسروقى ، قال : ثنا أبو أُسامة ، عن الأجلح ، قال : قلت للضحاك : ما أرجاؤها ، قال : حافاتها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال ثنى سعيد : ، عن قتادة (والمالكُ على أرجائها) على حافاتها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر (وَالْمَلَكُ على أَرْجائِها) قال : بلغنى أنها أقطارها ، قال قتادة : على نواحيها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَالْمَلَكُ على أَرْجائِها) قال : نواحيها .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الأشيب ، قال : ثنا ورقاء ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن المسيب : الأرجاء حافات السماء .

قال : ثنا الأشيب ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبير (وَالْمَلَكُ على أَرْجائِها) قال : على ما لم يَه منها .

حدثنا محمد بن سنان القزاز ، قال : ثنا حسين الأشقر ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (والمَلَكُ على أرجائها) قال : على ما لم يه منها .

وقوله (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ) اختلف أهل التأويل فى الذى عنى بقوله (ثَمانِيَةٌ) فقال بعضهم : عنى به ثمانية صفوف من الملائكة ، لايعلم عدّتهن إلا الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا طلق عن ظهير ، عن السدىّ ، عن أبى مالك عن ابن عباس : (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ) قال : ثمانية صفوف من الملائكة لايعلم عدّتهم إلا الله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ) قال : هى الصفوف من وراء الصفوف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ) قال : ثمانية صفوف من الملائكة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ) قال بعضهم : ثمانية صفوف لايعلم عدّتهن إلا الله. وقال بعضهم : ثمانية أملاك على خلق الوعلة .

وقال آخرون : بل عنى به ثمانية أملاك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ

Marfat.com

فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ)قال : ثمانية أملاك ، وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَحْمِلُهُ الْيَوْمَ أَرْبَعَةٌ ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَمَانِيَةٌ » ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ أَقْدَامَهُمْ لَفِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ ، وَإِنَّ مَنَاكِبَهُمْ خَارِجَةٌ مِنَ السَّمَوَاتِ عَلَيْهَا الْعَرْشُ » قال ابن زيد الأربعة قال : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَمَّا خَلَقَهُمُ اللهُ قَالَ : تَدْرُونَ لِمَ خَلَقْتُكُمْ ؟ قَالُوا : خَلَقْتَنَا رَبَّنَا لِمَا تَشَاءُ ، قَالَ لَهُمْ : تَحْمِلُونَ عَرْشِي ، ثُمَّ قَالَ : سَلُونِي مِنَ الْقُوَّةِ مَا شِئْتُمْ أَجْعَلْهَا فِيكُمْ ، فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ : قَدْ كَانَ عَرْشُ رَبِّنَا على الماءِ ، فاجْعَلْ فِي قُوَّةَ الماءِ ، قالَ : قَدْ جَعَلْتُ فيكَ قُوَّةَ الماءِ ؛ وقال آخَرُ : اجْعَلْ فِي قُوَّةَ السَّمَوَاتِ ، قالَ : قَدْ جَعَلْتُ فيكَ قُوَّةَ السَّمَوَاتِ ؛ وقالَ آخَرُ : اجْعَلْ فِي قُوَّةَ الأَرْضِ ، قالَ : قَدْ جَعَلْتُ فيكَ قُوَّةَ الأَرْضِ والجبالِ ؛ وقالَ آخَرُ : اجْعَلْ فِي قُوَّةَ الرِّيَاحِ ، قالَ : قَدْ جَعَلْتُ فيكَ قُوَّةَ الرِّيَاحِ ؛ ثُمَّ قال: احْمِلُوا ، فَوَضَعُوا العَرْشَ على كَوَاهِلِهِمْ ، فَلَمْ يَزُولُوا ؛ قالَ : فَجاءَ عِلْمٌ آخَرُ ، وإِنَّمَا كانَ عِلْمُهُمُ الَّذِي سَأَلُوهُ القُوَّةَ ؛ فَقالَ لَهُمْ : قُولُوا : لاحَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاَّ بالله ، فَقالُوا : لاحَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ ، فَجَعَلَ اللهُ فِيهِمْ مِنَ الحَوْلِ والقُوَّةِ ما لَمْ يَبْلُغْهُ عِلْمُهُمْ ، فَحَمَلُوا » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال: بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هُمُ الْيَوْمَ أَرْبَعَةٌ » ، يعنى حملة العرش « وَإِذَا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ أَيَّدَهُمُ اللهُ بِأَرْبَعَةٍ آخَرِينَ فَكانُوا ثَمانِيَةً ، وَقَدْ قالَ اللهُ : (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ)» .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن ميسرة ، قوله (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ) قال : أرجلهم فى التخوم لايستطيعون أن يرفعوا أبصارهم من شعاع النور .

وقوله (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ ، لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ) يقول تعالى ذكره : يومئذ أيها الناس تعرضون على ربكم ، وقيل : تعرضون ثلاث عرضات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن قزعة الباهلىّ ، قال : ثنا وكيع بن الجراح ، قال : ثنا علىّ بن علىّ الرفاعىّ ، عن الحسن ، عن أبى موسى الأشعرى ، قال : « تُعرض الناس ثلاث عرضات ، فأما عرضتان فجدال ومعاذير . وأما الثالثة ، فعند ذلك تطير الصحف فى الأيدى ، فآخذ بيمينه ، وآخذ بشماله » .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سليمان بن حيان ، عن مروان الأصغر ، عن أبى وائل عن عبد الله ، قال: « يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات : عرضتان معاذير وخصومات ، والعرضة الثالثة تطيّر الصحف فى الأيدى » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى

Marfat.com

مِنْكُمْ خافِيَةٌ) ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « يُعرضُ الناس ثلاث عرضات يوم القيامة ، فأما عرضتان ففيهما خصومات ومعاذير وجدال . وأما العرضة الثالثة فتطيّر الصحف فى الأيدى » .

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، بنحوه .

وقوله (لا تَخْفَى مِنْكُمْ خافِيَةٌ) يقول جلّ ثناؤه : لا تخفى على الله منكم خافية ، لأنه عالم بجميعكم، محيط بكلكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ۞ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ۞

يقول تعالى ذكره : فأما من أعطى كتاب أعماله بيمينه ، فيقول تعالى (اقْرَءُوا كِتابِيَهْ) .

كما حدثني يونس بن عبدالأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (هاؤُمُ اقْرَءُوا كِتابِيَهْ) قال : تعالوا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان بعض أهل العلم يقول : وجدت أكايس الناس من قال : (هاؤُمُ اقْرَءُوا كِتابِيَهْ) .

وقوله (إِنِّى ظَنَنْتُ أَنِّى مُلاقٍ حِسابِيَهْ) يقول : إنى علمت أنى ملاق حسابيه إذا وردت يوم القيامة على ربى .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (إِنِّى ظَنَنْتُ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنِّى ظَنَنْتُ أَنِّى مُلاقٍ حِسابِيَهْ) يقول : أيقنت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنِّى ظَنَنْتُ أَنِّى مُلاقٍ حِسابِيَهْ) : ظنّ ظنا يقينا ، فنفعه الله بظنه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنِّى ظَنَنْتُ أَنِّى مُلاقٍ حِسابِيَهْ) قال : إن الظنّ من المؤمن يقين ، وإن عسى من الله واجب (فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ - وعَسَى أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُفْلِحِينَ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِنِّى ظَنَنْتُ أَنِّى مُلاقٍ حِسابِيَهْ) قال : ما كان من ظنّ الآخرة فهو علم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، قال : كلّ ظنّ فى القرآن (إِنِّى ظَنَنْتُ) يقول : أى علمت .

Marfat.com

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : فالذى وصفت أمره ، وهو الذى أوتى كتابه بيمينه ، فى عيشة مرضية ، أو عيشة فيها الرضا ، فوصفت العيشة بالرضا وهى مرضية ، لأن ذلك مدح للعيشة ، والعرب تفعل ذلك فى المدح والذمّ فتقول : هذا ليل نائم ، وسرّ كاتم ، وماء دافق ، فيوجهون الفعل إليه ، وهو فى الأصل مفعول لما يراد من المدح أو الذمّ ، ومن قال ذلك لم يجز له أن يقول للضارب مضروب ، ولا للمضروب ضارب ، لأنه لا مدح فيه ولا ذمّ .

وقوله (فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ) يقول : فى بستان عال رفيع ، و « فى » من قوله (فى جَنَّةٍ) من صلة عيشة

وقوله (قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ) يقول : ما يقطف من الجنة من ثمارها دانٍ قريب من قاطفه .

وذُكر أن الذى يريد ثمرها يتناوله كيف شاء قائما وقاعدا ، لا يمنعه منه بُعد ، ولا يحول بينه وبينه شوك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، قال : سمعت البراء يقول فى هذه الآية (قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ) قال : يتناول الرجل من فواكهها وهو نائم .

حدثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيد قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ) : دنت فلا يردّ أيديهم عنها بعد ولا شوك .

وقوله (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ) يقول لهم ربهم جل ثناؤه : كلوا معشر من رضيت عنه ، فأدخلته جنتى من ثمارها ، وطيب ما فيها من الأطعمة ، واشربوا من أشربتها ، (هَنِيئًا لَكُمْ) لا تتأذون بما تأكلون ، ولا بما تشربون ، ولا تحتاجون من أكل ذلك إلى غائط ولا بول (بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ) يقول : كلوا واشربوا هنيئا : جزاء من الله لكم ، وثوابا بما أسلفتم ، أو على ما أسلفتم : أى على ما قدّمتم فى دنياكم لآخرتكم من العمل بطاعة الله فى الأيام الخالية ، يقول : فى أيام الدنيا التى خلت فمضت .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال الله : (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ) إن أيامكم هذه أيام خالية : هى أيام فانية ، تؤدى إلى أيام باقية ، فاعملوا فى هذه الأيام ، وقدّموا فيها خيرًا إن استطعتم ، ولا قوّة إلا بالله .

Marfat.com

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الخَالِيَةِ) قال : أيام الدنيا بما عملوا فيها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾

يقول تعالى ذكره : وأما من أعطى يومئذ كتاب أعماله بشماله ، فيقول : يا ليتني لم أعط كتابيه ، (وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ) يقول : ولم أدر أيّ شيء حسابيه .

وقوله (يَا لَيْتَهَا كَانَتِ القَاضِيَةَ) يقول : يا ليت الموتة التي منها في الدنيا كانت هي الفراغ من كلّ ما بعدها ، ولم يكن بعدها حياة ولا بعث ، والقضاء : هو الفراغ . وقيل : إنه تمنّى الموت الذي يقضي عليه ، فتخرج منه نفسه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَا لَيْتَهَا كَانَتِ القَاضِيَةَ) تمنى الموت ، ولم يكن في الدنيا شيء أكره عنده من الموت .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَا لَيْتَهَا كَانَتِ القَاضِيَةَ) الموت .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الذي أوتي كتابه بشماله (مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ) يعني أنه لم يدفع عنه ماله الذي كان يملكه في الدنيا من عذاب الله شيئا (هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ) يقول : ذهبت عني حججي ، وضلت ، فلا حجة لي أحتجّ بها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ) يقول : ضلت عني كلّ بينة فلم تغن عني شيئا .

Marfat.com

حدثنى عبد الرحمن بن الأسود الطُّفاوىّ ، قال : ثنا محمد بن ربيعة ، عن النضر بن عربىّ ، قال : سمعت عكرمة يقول : (هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيَهْ) قال : حُجتى .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيَهْ) قال : حُجتى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيَهْ) أما والله ما كلّ من دخل النار كان أمير قرية يجبيها ، ولكن الله خلقهم ، وسلطهم على أقرانهم ، وأمرهم بطاعة الله ، ونهاهم عن معصية الله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيَهْ) يقول : بينتى ضلّت عنى .

وقال آخرون : عنى بالسلطان فى هذا الموضع : الملك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيَهْ) قال : سلطان الدنيا .

وقوله (خُذُوهُ فَغُلُّوهُ) يقول تعالى ذكره للملائكته من خزّان جهنم (خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ) يقول ثم فى نار جهنم أوردوه ليصلى فيها (ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ) يقول : ثم اسلكوه فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا بذراع الله أعلم بقدر طولها . وقيل : إنها تدخل فى دُبُره ، ثم تخرج من منخريه .

وقال بعضهم : تدخل فى فيه ، وتخرج من دبره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن نسير بن دعلوق ، قال : سمعت نوفا يقول (فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا) قال : كلّ ذراع سبعون باعا ، الباع : أبعد ما بينك وبين مكة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنى نسير ، قال : سمعت نوفا يقول فى رحبة الكوفة فى إمارة مصعب بن الزبير فى قوله (فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا) قال : الذراع : سبعون باعا ، الباع : أبعد ما بينك وبين مكة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن نسير بن ذعلوق أبى طعمة ، عن نوف البكالى (فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا) قال : كلّ ذراع سبعون باعا ، كلّ باع أبعد مما بينك وبين مكة وهو يومئذ فى مسجد الكوفة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

Marfat.com

قوله (فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ) قال: بذراع الملك فاسلكوه ، قال : تسلك في دُبره حتى تخرج من منخريه ، حتى لايقوم على رجليه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يعمر بن بشير المنقرى ، قال : ثنا ابن المبارك ، قال : أخبرنا سعيد بن يزيد ، عن أبي السمح ، عن عيسى بن هلال الصدفي ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ أَنَّ رَصَاصَةً مِثْلَ هَذِهِ ، وأشار إلى جمجمة ، أُرْسِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ، وَهِيَ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ ، لَبَلَغَتِ الأَرْضَ قَبْلَ اللَّيْلِ ، وَلَوْ أَنَّهَا أُرْسِلَتْ مِنْ رَأْسِ السِّلْسِلَةِ لَسَارَتْ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ قَعْرَهَا أَوْ أَصْلَهَا » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن ابن المبارك ، عن مجاهد ، عن جُويبر ، عن الضحاك ، (فَاسْلُكُوهُ) قال : السلك : أن تدخل السلسلة في فيه ، وتخرج من دبره . وقيل : (ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ) وإنما تسلك السلسلة في فيه ، كما قالت العرب : أدخلت رأسي في القلنسوة ، وإنما تدخل القلنسوة في الرأس ، وكما قال الأعشى :

إِذَا مَا السَّرَابُ ارْتَدَى بِالأَكَمْ (١)

وإنما يرتدى الأكم بالسراب وما أشبه ذلك ، وإنما قيل ذلك كذلك لمعرفة السامعين معناه ، وإنه لايشكل على سامعه ما أراد قائله .

وقوله (إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ) يقول : افعلوا ذلك به جزاء له على كفره بالله في الدنيا ، إنه كان لايصدّق بوحدانية الله العظيم .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ۝ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ۝

* يقول تعالى ذكره مخبرا عن هذا الشقيّ الذي أوتي كتابه بشماله إنه كان في الدنيا لايحضّ الناس على إطعام أهل المسكنة والحاجة .

---

(١) هذا عجز بيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة ، من قصيدة له يمدح بها قيس بن معديكرب ٣٥ وما بعدها ورواية البيت كله كما في الديوان :

غَضُوبٌ مِنَ السَّيْفِ زَيَّافَةٌ إِذَا مَا ارْتَدَى بِالسَّرَابِ الأَكَمْ

وعلى رواية المؤلف يكون في البيت قلب ، لأن المعنى : إذا ارتدى الأكم بالسراب ، كما في رواية الديوان . وأما على رواية الديوان فلا قلب . وقد جعل المؤلف على روايته القلب في البيت نظير ما في قوله تعالى « ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه » قال : تسلك السلسلة في فيه ، كما قالت العرب : أدخلت رأسي في القلنسوة ، وإنما تدخل القلنسوة في الرأس . وإنما قيل ذلك كذلك لمعرفة السامعين معناه ، وأنه لايشكل على سامعه ما أراد قائله . اهـ .

Marfat.com

وقوله (فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ) يقول جلّ ثناؤه : فليس له اليوم وذلك يوم القيامة هاهنا ، يعني في الدار الآخرة حميم ، يعني قريب يدفع عنه ، ويغيثه مما هو فيه من البلاء .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ) القريب في كلام العرب (وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ) يقول جلّ ثناؤه : ولا له طعام كما كان لا يحضّ في الدنيا على طعام المسكين ، إلا طعام من غسلين ، وذلك ما يسيل من صديد أهل النار .

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : كلّ جرح غسلته فخرج منه شيء فهو غسلين ، فعلين من الغسل من الجراح والدّبر ، وزيد فيه الياء والنون بمنزلة عفرين .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ) صديد أهل النار .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ) قال : ما يخرج من لحومهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ) شرّ الطعام وأخبثه وأبشعه .

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ) قال : الغسلين والزقوم لا يعلم أحد ما هو .

وقوله (لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ) يقول : لا يأكل الطعام الذي من غسلين إلا الخاطئون ، وهم المذنبون الذين ذنوبهم كفر بالله .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۝ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ۝ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ۝

** يقول تعالى ذكره : فلا ، ما الأمر كما تقولون معشر أهل التكذيب بكتاب الله ورسله ، أقسم بالأشياء كلها التي تبصرون منها ، والتي لا تبصرون .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

Marfat.com

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ، وَمَا لَا تُبْصِرُونَ) قال : أقسم بالأشياء ، حتى أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله (فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ) يقول : بما ترون وبما لا ترون .

وقوله (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) يقول تعالى ذكره : إن هذا القرآن لقول رسول كريم ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم يتلوه عليهم .

وقوله (وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ) يقول جل ثناؤه : ما هذا القرآن بقول شاعر لأن محمدا لا يحسن قيل الشعر ، فتقولوا هو شعر (قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ) يقول : تصدقون قليلا به أنتم ، وذلك خطاب من الله لمشركي قريش (وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ) يقول : ولا هو بقول كاهن ، لأن محمدا ليس بكاهن ، فتقولوا : هو من سجع الكهان (قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ) يقول : تتعظون به أنتم ، قليلا ما تعتبرون به .

وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ) طهره الله من ذلك وعصمه (وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ) طهره الله من الكهانة ، وعصمه منها .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : ولكنه (تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) نزل عليه (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا) محمد (بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ) الباطلة ، وتكذب علينا (لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ) يقول : لأخذنا منه بالقوة منا والقدرة ، ثم لقطعنا منه نياط القلب . وإنما يعني بذلك أنه كان يعاجله بالعقوبة ، ولا يؤخره بها .

وقد قيل : إن معنى قوله (لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ) : لأخذنا منه باليد اليمنى من يديه ، قالوا : وإنما ذلك مثل ، ومعناه : إنا كنا نذله ونهينه ، ثم نقطع منه بعد ذلك الوتين ؛ قالوا : وإنما ذلك كقول ذي السلطان إذا أراد الاستخفاف ببعض من بين يديه لبعض أعوانه ، خذ بيده فأقمه ، وافعل به كذا وكذا قالوا : وكذلك معنى قوله (لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ) : أي لأهناه كالذي يفعل بالذي وصفنا حاله .

وبنحو الذى قلنا في معنى قوله (الْوَتِينَ) قال أهل التأويل .

Marfat.com

ذكر من قال ذلك

حدثنى سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن عطاء ، عن سعيد ابن جُبير ، عن ابن عباس (لَقَطَعْنا مِنْهُ الوَتِينَ) قال : نياط القلب .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس بمثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس بمثله.

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال ابن عباس (الوَتِينَ) : نِياط القلب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير بنحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، قال : ثنا سفيان ، عن سعيد بن جبير بمثله .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الوَتِينَ) يقول : عرق القلب .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الوَتِينَ) يعنى : عرقا فى القلب ، ويقال : هو حبل فى القلب .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الوَتِينَ) قال : حبل القلب الذى فى الظهر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الوَتِينَ) قال : حبل القلب .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لَقَطَعْنا مِنْهُ الوَتِينَ) وتين القلب : وهو عرق يكون فى القلب ، فإذا قطع مات الإنسان .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الوَتِينَ) قال : الوتين : نياط القلب الذى القلب متعلق به ، وإياه عنى الشماخ بن ضرار التغلبى بقوله :

إذَا بَلَّغْتِنِى وحَمَلْتِ رَحْلِى عَرَابَةَ فاشْرَقِى بدَمِ الوَتِينِ [١]

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

(١) البيت للشماخ بن ضرار التغلبى (ديوانه طبع القاهرة ٩٢) من قصيدة يمدح بها عرابة بن أوس بن قيظى ، وكان هو وأبوه من الصحابة ، وكان عرابة مشهورا بالكرم . وعرابة منصوب مفعول ثان لبلغتنى . والوتين : قال : أبو عبيدة : نياط القلب . وأنشد بيت الشماخ (الورقة ١٨٠) وفى اللسان : الوتين : عرق فى القلب ، إذا انقطع مات صاحبه .

Marfat.com

وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ۝ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۝

** يقول تعالى ذكره : فما منكم أيها الناس من أحد عن محمد لو تقوّل علينا بعض الأقاويل ، فأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، حاجزين يحجزوننا عن عقوبته ، وما نفعله به . وقيل : حاجزين فجمع وهو فعل لأحد ، وأحد فى لفظ واحد ردّا على معناه ، لأن معناه الجمع ، والعرب تجعل أحدا للواحد والاثنين والجمع ، كما قيل (لانُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ) وبين : لاتقع إلا على اثنين فصاعدا .

وقوله (وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ) يقول تعالى ذكره : وإن هذا القرآن لتذكرة ، يعنى عظة يتذكر به ، ويتعظ به للمتقين ، وهم الذين يتقون عقاب الله بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ) قال : القرآن

وقوله (وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ) يقول تعالى ذكره : وإنا لنعلم أن منكم مكذّبين أيها الناس بهذا القرآن (وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ على الكافِرِينَ) يقول جل ثناؤه : وإن التكذيب به لحسرة وندامة على الكافرين بالقرآن يوم القيامة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ على الكافِرِينَ) ذاكم يوم القيامة (وَإِنَّهُ لَحَقُّ اليَقِينِ) يقول : وإنه للحقّ اليقين الذى لاشكّ فيه أنه من عند الله ، لم يتقوّله محمد صلى الله عليه وسلم (فَسَبِّحْ باسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ) بذكر ربك وتسميته العظيم ، الذى كلّ شىء فى عظمته صغير .

آخر تفسير سورة الحاقة

Marfat.com

(٧٠) سورة المعارج مكية
وآياتها أربع وأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۝ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۝ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝﴾

** قال أبو جعفر: اختلفت القرّاء في قراءة قوله (سَأَلَ سَائِلٌ) فقرأته عامة قرّاء الكوفة والبصرة (سَأَلَ سَائِلٌ) بهمز سأل سائل، بمعنى سأل سائل من الكفار عن عذاب الله، بمن هو واقع؛ وقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة (سالَ سائِلٌ) فلم يهمز سأل، ووجهه إلى أنه فعل من السيل.

والذى هو أولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأه بالهمز لإجماع الحجة من القرّاء على ذلك، وأن عامة أهل التأويل من السلف بمعنى الهمز تأوّلوه.

ذكر من تأوّل ذلك كذلك، وقال تأويله نحو قولنا فيه

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ) قال: ذاك سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقع.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن ليث، عن مجاهد (إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ)... الآية، قال (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ).

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، في قول الله (سَأَلَ سَائِلٌ) قال: دعا داع (بِعَذَابٍ وَاقِعٍ) قال: يقع في الآخرة، قال: وهو قولهم (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ، فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ).

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ) قال: سأل عذاب الله أقوام، فبين الله على من يقع على الكافرين.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قوله (سَأَلَ سَائِلٌ) قال: سأل عن عذاب واقع، فقال الله (لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ).

Marfat.com

وأما الذين قرءوا ذلك بغير همز ، فإنهم قالوا : السائل واد من أودية جهنم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ) قال : قال بعض أهل العلم : هو واد فى جهنم يقال له سائل .

وقوله (بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ) يقول : سأل بعذاب للكافرين واجب لهم يوم القيامة واقع بهم ، ومعنى (لِلْكَافِرِينَ) على الكافرين ، كالذى حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ) يقول : واقع على الكافرين ، واللام فى قوله (لِلْكَافِرِينَ) من صلة الواقع .

وقوله (لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ) يقول تعالى ذكره : ليس للعذاب الواقع على الكافرين من الله دافع يدفعه عنهم .

وقوله (ذِي الْمَعَارِجِ) يعنى : ذا العلوّ والدرجات والفواضل والنعم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (ذِي الْمَعَارِجِ) يقول : العلوّ والفواضل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ) ذى الفواضل والنِّعم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ) قال : معارج السماء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ذِي الْمَعَارِجِ) قال : الله ذو المعارج .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن رجل ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (ذِي الْمَعَارِجِ) قال : ذى الدرجات .

وقوله (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) يقول تعالى ذكره : تصعد الملائكة والروح ، وهو جبريل عليه السلام إليه ، يعنى إلى الله جلّ وعزّ ، والهاء فى قوله (إِلَيْهِ) عائدة على اسم الله (فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) يقول : كان مقدار صعودهم ذلك فى يوم لغيرهم من الخلق خمسين ألف سنة ، وذلك أنها تصعد من منتهى أمره من أسفل الأرض السابعة إلى منتهى أمره من فوق السموات السبع .

Marfat.com

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن عمرو بن معروف ، عن ليث ، عن مجاهد (فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) قال : منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السموات مقدار خمسين ألف سنة ، ويوم كان مقداره ألف سنة ، يعنى بذلك نزول الأمر من السماء إلى الأرض ، ومن الأرض إلى السماء فى يوم واحد ، فذلك مقداره ألف سنة ، لأن ما بين السماء إلى الأرض ، مسيرة خمس مئة عام .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم يفرغ فيه من القضاء بين خلقه ، كان قدر ذلك اليوم الذى فرغ فيه من القضاء بينهم قدر خمسين ألف سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة (فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) قال : فى يوم واحد يفرغ فى ذلك اليوم من القضاء كقدر خمسين ألف سنة.

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك ، عن عكرمة (فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) قال : يوم القيامة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة فى هذه الآية (خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) قال : يوم القيامة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثناسعيد ، عن قتادة (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) ذاكم يوم القيامة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال معمر : وبلغنى أيضا ، عن عكرمة ، فى قوله (مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) لايدرى أحدٌ كم مضى ، ولا كم بقى إلا الله .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) فهذا يوم القيامة ، جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة.

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) يعنى يوم القيامة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) قال : هذا يوم القيامة .

Marfat.com

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحارث أن درّاجا حدّثه عن أبي الهيثم عن سعيد ، أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم (فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) ما أطول هذا ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِنَّهُ لَيُخَفَّفُ عَلَى المُؤْمِنِ حَتَّى يَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَاةِ المَكْتُوبَةِ يُصَلِّيهَا فِي الدُّنْيَا » .

وقد رُوى عن ابن عباس في ذلك غير القول الذي ذكرنا عنه ، وذلك ماحدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن ابن أبي مليكة ، أن رجلا سأل ابن عباس عن يوم كان مقداره ألف سنة ، فقال : مايوم كان مقداره خمسين ألف سنة ؟ قال : إنما سألتك لتخبرني ، قال : هما يومان ذكرهما الله في القرآن ، الله أعلم بهما ، فكره أن يقول في كتاب الله ما لايعلم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا أيوب ، عن ابن أبي مليكة ، قال : سأل رجل ابن عباس عن يوم كان مقداره ألف سنة ، قال : فاتّهمه ، فقيل له فيه ، فقال : ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ؟ فقال : إنما سألتك لتخبرني ، فقال : هما يومان ذكرهما الله جلّ وعزّ ، الله أعلم بهما ، وأكره أن أقول في كتاب الله بما لا أعلم ؛ وقرأت عامة قرّاء الأمصار قوله (تَعْرُجُ المَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ) بالتاء خلا الكسائي ، فإنه كان يقرأ ذلك بالياء بخبر كان يرويه عن ابن مسعود أنه قرأ ذلك كذلك .

والصواب من قراءة ذلك عندنا ما عليه قرّاء الأمصار ، وهو بالتاء لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

وقوله (فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا) يقول تعالى ذكره : فاصبر صبرا جميلا ، يعني : صبرا لاجزع فيه ، يقول له : اصبر على أذى هؤلاء المشركين لك ، ولا يثنيك ما تلقى منهم من المكروه عن تبليغ ما أمرك ربك أن تبلغهم من الرسالة .

وكان ابن زيد يقول في ذلك ماحدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا) قال هذا حين كان يأمره بالعفو عنهم لا يكافئهم ، فلما أمر بالجهاد والغلظة عليهم أمر بالشدّة والقتل حتى يتركوا ، ونسخ هذا ، وهذا الذي قاله ابن زيد أنه كان أمر بالعفو بهذه الآية ، ثم نسخ ذلك قول لاوجه له ، لأنه لادلالة على صحة ما قال من بعض الأوجه التي تصحّ منها الدعاوى ، وليس في أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في الصبر الجميل على أذى المشركين ما يوجب أن يكون ذلك أمرا منه له به في بعض الأحوال ، بل كان ذلك أمرا من الله له به في كلّ الأحوال ، لأنه لم يزل صلى الله عليه وسلم من لدن بعثه الله إلى أن اخترمه في أذى منهم ، وهو في كلّ ذلك صابر على ما يلقى منهم من أذىً قبل أن يأذن الله له بحربهم ، وبعد إذنه له بذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۞ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ۞ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۞ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۞ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۞ يُبَصَّرُونَهُمْ ﴾

Marfat.com

* يقول تعالى ذكره : إن هؤلاء المشركين يرون العذاب الذى سألوا عنه ، الواقع عليهم بعيدا وقوعه ، وإنما أخبر جلّ ثناؤه أنهم يرون ذلك بعيدا ، لأنهم كانوا لايصدّقون به ، وينكرون البعث بعد الممات ، والثواب والعقاب ، فقال : إنهم يرونه غيرواقع ، ونحن نراه قريبا ، لأنه كائن ، وكلّ ما هو آت قريب .

والهاء والميم من قوله (إِنَّهُمْ) من ذكر الكافرين ، والهاء من قوله (يَرَوْنَهُ) من ذكر العذاب .

وقوله (يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ) يقول تعالى ذكره : يوم تكون السماء كالشىء المذاب ، وقد بينت معنى المهل فيما مضى بشواهده ، واختلاف المختلفين فيه ، وذكرنا ما قال فيه السلف ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ) قال : كعَكَرِ الزيت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ) تتحوّل يومئذ لونا آخر إلى الحمرة .

وقوله (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ) يقول : وتكون الجبال كالصوف .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (كَالْعِهْنِ) قال : كالصوف .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (كَالْعِهْنِ) قال : كالصوف .

وقوله (وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا . يُبَصَّرُونَهُمْ) يقول تعالى ذكره : ولا يسأل قريب قريبه عن شأنه لشغله بشأن نفسه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : وقوله (وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا) يشغل كلّ إنسان بنفسه عن الناس .

وقوله (يُبَصَّرُونَهُمْ) اختلف أهل التأويل فى الذين عنوا بالهاء والميم فى قوله (يُبَصَّرُونَهُمْ) فقال بعضهم : عُنى بذلك الأقرباء أنهم يعرّفون أقرباءهم ، ويعرّف كلّ إنسان قريبه ، فذلك تبصير الله إياهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

Marfat.com

قوله (يُبَصَّرُونَهُمْ) قال: يعرّف بعضهم بعضا ، ويتعارفون بينهم ، ثم يفرّ بعضهم من بعض ، يقول : (لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يُبَصَّرُونَهُمْ) يعرّفونهم يعلمون ، والله ليعرّفَنّ قوم قوما ، وأناس أناسا .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك المؤمنون أنهم يبصرون الكفار .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يُبَصَّرُونَهُمْ) المؤمنون يبصرون الكافرين .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك الكفار الذين كانوا أتباعا لآخرين فى الدنيا على الكفر ، أنهم يعرفون المتبوعين فى النار .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يُبَصَّرُونَهُمْ) قال : يبصرون الذين أضلوهم فى الدنيا فى النار .

*** وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة ، قول من قال : معنى ذلك : ولا يسأل حميم حميما عن شأنه ، ولكنهم يبصرونهم فيعرفونهم ، ثم يفرّ بعضهم من بعض ، كما قال جلّ ثناؤه (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ، لِكُلِّ امْرِئٍ منهم يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) .

*** وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات بالصواب ، لأن ذلك أشبهها بما دل عليه ظاهر التنزيل ، وذلك أن قوله (يُبَصَّرُونَهُمْ) تلا قوله (وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا) فلأن تكون الهاء والميم من ذكرهم أشبه منها بأن تكون من ذكر غيرهم .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَلَا يَسْأَلُ) فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار سوى أبى جعفر القارئ وشَيْبة بفتح الياء ؛ وقرأه أبو جعفر وشيبة (وَلَا يُسْئَلُ) بضم الياء ، يعنى : لا يقال لحميم أين حميمك ؟ ولا يطلب بعضهم من بعض .

*** والصواب من القراءة عندنا فتح الياء ، بمعنى : لا يسأل الناس بعضهم بعضا عن شأنه ، لصحة معنى ذلك ، ولإجماع الحجة من القرّاء عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾

Marfat.com

** يقول تعالى ذكره: يود الكافر يومئذ ويتمنى أنه يفتدى من عذاب الله إياه ذلك اليوم ببنيه وصاحبته، وهى زوجته، وأخيه وفصيلته، وهم عشيرته التى تؤويه، يعنى التى تضمه إلى رحله، وتنزل فيه امرأته، لقربة ما بينها وبينه، وبمن فى الأرض جميعا من الخلق، ثم ينجيه ذلك من عذاب الله إياه ذلك اليوم، وبدأ جل ثناؤه بذكر البنين، ثم الصاحبة، ثم الأخ، إعلاما منه عباده أن الكافر من عظيم ما ينزل به يومئذ من البلاء يفتدى نفسه، لو وجد إلى ذلك سبيلا بأحب الناس إليه، كان فى الدنيا، وأقربهم إليه نسبا.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وأخيهِ، وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ) الأحب فالأحب، والأقرب فالأقرب من أهله وعشيرته لشدائد ذلك اليوم.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قوله (وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ) قال: قبيلته.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (وَصَاحِبَتِهِ) قال: الصاحبة الزوجة (وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ) قال: فصيلته: عشيرته.

القول فى تأويل قوله تعالى:

كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾

** يقول تعالى ذكره: كلا ليس ذلك كذلك، ليس ينجيه من عذاب الله شىء، ثم ابتدأ الخبر عما أعده له هنالك جل ثناؤه، فقال: (إِنَّهَا لَظَىٰ) ولظى: اسم من أسماء جهنم، ولذلك لم يجز.

واختلف أهل العربية فى موضعها، فقال بعض نحويى البصرة: موضعها نصب على البدل من الهاء، وخبر إن (نَزَّاعَةٌ)؛ قال: وإن شئت جعلت لظى رفعا على خبر إن، ورفعت (نَزَّاعَةٌ) على الابتداء وقال بعض من أنكر ذلك: لا ينبغى أن يتبع الظاهر المكنى إلا فى الشذوذ؛ قال: والاختيار (إِنَّهَا لَظَىٰ نَزَّاعَةٌ لِّلشَّوَىٰ) لظى الخبر، ونزاعة حال؛ قال: ومن رفع استأنف، لأنه مدح أو ذم؛ قال: ولا تكون ابتداء إلا كذلك.

** والصواب من القول فى ذلك عندنا، أن (لَظَىٰ) الخبر، و(نَزَّاعَةٌ) ابتداء، فذلك رفع، ولا يجوز النصب فى القراءة لإجماع قراء الأمصار على رفعها، ولا قارئ قرأ كذلك بالنصب؛ وإن كان للنصب فى العربية وجه؛ وقد يجوز أن تكون الهاء من قوله «إنها» عمادا، ولظى مرفوعة بنزاعة، ونزاعة بلظى، كما يقال: إنها هند قائمة، وإنه هند قائمة، فالهاء عماد فى الوجهين.

Marfat.com

وقوله (نَزَّاعَةً لِلشَّوَى) يقول تعالى ذكره مخبرا عن لظى إنها تنزع جلدة الرأس وأطراف البدن ؛ والشَّوَى : جمع شواة ، وهى من جوارح الإنسان ما لم يكن مقتلا ، يقال : رمى فأشوى : إذا لم يصب مَقْتَلا ، فربما وصف الواصف بذلك جلدة الرأس كما قال الأعشى :

قالَتْ قُتَيْـــلَةُ ما لَهُ قَدْ جُلِّلَتْ شَيْبا شَوَاتُهُ[1]

وربما وصف بذلك الساق كقولهم فى صفة الفرس :

• عبْلُ الشَّوَى نَهْدُ الجُزَارَه[2] •

يعنى بذلك : قوائمه ، وأصل ذلك كله ما وصفت .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن قابوس ، عن أبيه ، قال : سألت ابن عباس عن (نَزَّاعَةً لِلشَّوَى) قال : تنزع أمّ الرأس .

حدثنا إسحاق بن إبراهيم الصوّاف ، قال : ثنا الحسين بن الحسن الأشقر ، قال : ثنا يحيى بن مهلب أبو كدينة ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (نَزَّاعَةً لِلشَّوَى) قال : تنزع الرأس .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (نَزَّاعَةً لِلشَّوَى) يعنى الجلود والهام .

---

(١) البيت فى ديوان الأعشى (طبعة فينا ٢٣٨) قال وهو مما نسب إلى الأعشى وليس فى ديوانه . وهو من شواهد أبى عبيدة (فى مجاز القرآن الورقة ١٨٠) . قال : الشوى : واحدها : شواة ، وهى اليدان والرجلان والرأس من الآدميين ؛ قال الأعشى « قالت قتيلة ... البيت » . وفى (اللسان : شوى) قال الفراء : فى قوله تعالى : « كلا إنها لظى ، نزاعة للشوى » قال : الشوى : اليدان والرجلان ، وأطراف الأصابع وقحف الرأس . وجلدة الرأس يقال لها شواة . وقال الزجاج : الشوى : جمع الشواة وهى جلدة الرأس ، وأنشد : « قالت قتيلة ماله . . . . البيت » .

(٢) هذا عجز بيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة من قصيدة من مجزوء الكامل يهجو شيبان بن شهاب الجحدرى مطلعها : « ياجارتى ما كنت جاره » . (ديوانه طبع القاهرة ١٥٣ وما بعدها) . وهاك بيت الشاهد بتمامه مع بيتين قبله من (خزانة الأدب الكبرى ١ : ٨٣) :

وهناك يكذب ظنكم أنْ لا اجْتِماعَ ولا زِيارَهْ
ولاَ بَرَاءَةَ للبرى ءِ ولا عَطاء ولا خفارَهْ
إلا عُـــلالَةَ أو بُدا هَةَ سابِحٍ نَهْدِ الجُزارَهْ

قال البغدادى : يقول إذا غزوناكم علمتم أن ظنكم بأننا لا نغزوكم كذب ، وهو زعمكم أننا لا نجتمع ولا نزوركم بالخيل والسلاح غازين لكم ؛ ومن كان بريا منكم لم تنفعه براءته ، لأن الحرب إذا عظمت لحق شرها البرىء ، كما يلحق المسىء ، لا نقبل منكم عطاء ولا نعطيكم خفارة تمتدون بها مدة ، والخفارة بالضم والكسر : الذمة . إلا علالة ، أى لكن نزوركم بالخيل . والعلالة : بقية جرى الفرس من التعلل بمعنى التلهى . والبداهة أول جرى الفرس والسابح : الفرس الذى يدحو الأرض بيديه فى العدو . والنهد : المرتفع . والجزارة : الرأس واليدان والرجلان . يريد أن فى عنقه وقوائمه طولا وارتفاعا ، فإنه يستحب فى عنق الخيل الطول واللين . ويستحب أيضا أن يكون ما فوق الساقين من الفخذين طويلا ، فيوصف حينئذ بطول القوائم . اه . والشطر الذى أورده المؤلف شاهدا ، يختلف عن شطر الأعشى ، ولكن فيه موضع الشاهد . اه .

Marfat.com

حدثنى محمدبن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثناعيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (نَزَّاعَةً لِلشَّوَى) قال : لجلود الرأس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إبراهيم بن المهاجر ، قال : سألت سعيد بن جبير عن قوله (نَزَّاعَةً لِلشَّوَى) فلم يخبر ، فسألت عنها مجاهدًا ، فقلت : اللحم دون العظم ؟ فقال : نعم .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح (نَزَّاعَةً لِلشَّوَى) قال : لحم الساق .

حدثنى محمد بن عُمارة الأسدىّ ، قال : ثنا قبيصة بن عقبة السُّوائىّ ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح فى قوله (نَزَّاعَةً لِلشَّوَى) قال : نزاعة للحم الساقين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن خارجة ، عن قرة بن خالد ، عن الحسن (نَزَّاعَةً لِلشَّوَى) قال : للهام تحرق كلّ شىء منه ، ويبقى فؤاده نضيجا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن ، فى قوله (نَزَّاعَةً لِلشَّوَى) ثم ذكر نحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (نَزَّاعَةً لِلشَّوَى) : أى نزّاعة لهامته ومكارم خَلْقِهِ وأطرافه .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبامعاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (نَزَّاعَةً لِلشَّوَى) تبرى اللحم والجلد عن العظم حتى لاتترك منه شيئا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (نَزَّاعَةً لِلشَّوَى) قال : الشوى : الآراب العظام ، ذاك الشوى .

وقوله (نَزَّاعَةً) قال : تقطع عظامهم كما ترى ، ثم يجدّد خلقهم ، وتبدّل جلودهم .

وقوله (تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى) يقول : تدعو لظَى إلى نفسها من أدبر فى الدنيا عن طاعة الله ، وتولى عن الإيمان بكتابه ورسله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى) قال : عن طاعة الله وتولى ، قال : عن كتاب الله ، وعن حقه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى) قال : عن الحق

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى)

Marfat.com

قال: ليس لها سلطان إلا على هوان من كفر وتولى وأدبر عن الله ، فأما من آمن بالله ورسوله ، فليس لها عليه سلطان .

وقوله (وَجَمَعَ فأَوْعَى) يقول : وجمع مالا فجعله فى وعاء ، ومنع حقّ الله منه ، فلم يزكّ ولم ينفق فيما أوجب الله عليه إنفاقه فيه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَجَمَعَ فأَوْعَى) قال : جمع المال .

حدثنا محمد بن منصور الطوسى ، قال : ثنا أبوقطن ، قال : ثنا المسعودى ، عن الحكم ، قال : كان عبد الله بن عكيم ، لايربط كيسه ، يقول : سمعت الله يقول (وَجَمَعَ فأَوْعَى) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَمَعَ فأَوْعَى) كان جموعا قموما للخبيث .

القول فى تأويل قوله تعالى :

*إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾

* يقول تعالى ذكره : (إنَّ الإنْسانَ) الكافر (خُلِقَ هَلُوعاً) ، والهلع : شدّة الجزع مع شدّة الحرص والضجر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إنَّ الإنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً) قال : هو الذى قال الله (إذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً ، وَإذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعاً) ويقال : الهلوع : هو الجزوع الحريص ، وهذا فى أهل الشرك .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث بن إسحاق . عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن سعيد بن جبير (إنَّ الإنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً) قال : شحيحا جزوعا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن أبى خالد عن عكرمة (إنَّ الإنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً) قال : ضجورا .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبامعاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول (إنَّ الإنْسانَ) يعنى الكافر (خُلِقَ هَلُوعاً) يقول : هو بخيل منوع للخير ، جزوع إذا نزل به البلاء ، فهذا الهلوع .

حدثنا يحيى بن حبيب بن عربى ، قال : ثنا خالد بن الحارث ، قال : ثنا شعبة ، عن حصين ، قال

Marfat.com

يحيى ،قال خالد : وسألت شعبة عن قوله (إنَّ الإنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً) فحدثنى شعبة عن حصين أنه قال : الهلوع : الحريص .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن شعبة ، قال : سألت حصينا عن هذه الآية (إنَّ الإنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً) قال : حريصا .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ،قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إنَّ الإنْسانَ خُلِقَ هلوعاً قال : الهلوع :الجزوع .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (خُلِقَ هَلُوعاً) قال : جزوعا .

وقوله(إذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً) يقول : إذا قلّ ماله وناله الفقر والعدم فهو جزوع من ذلك لاصبر له عليه (وَإذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعاً) يقول : وإذا كثر ماله ، ونال الغنى فهو منوع لما فى يده ، بخيل به ، لاينفقه فى طاعة الله ، ولا يؤدّى حقّ الله منه .

وقوله (إلاَّ المُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ على صَلاتِهِمْ دائِمُونَ) يقول : إلا الذين يطيعون الله بأداء ما افترض عليهم من الصلاة ، وهم على أداء ذلك مقيمون لايضيعون منها شيئا ، فإن أولئك غير داخلين فى عداد من خلق هلوعا ، وهو مع ذلك بربه كافر لايصلى لله .

وقيل : عُنى بقوله (إلاَّ المُصَلِّينَ) المؤمنون الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل عُنِى به كلّ من صلى الخمس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ومؤمل ، قالا : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (الَّذِين هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دائِمُونَ) قال : المكتوبة .

حدثنى زريق بن السخب ، قال : ثنا معاوية بن عمرو ، قال : ثنا زائدة ، عن منصور ، عن إبراهيم (الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ) قال : الصلوات الخمس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (إنَّ الإنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً) . . . إلى قوله (دَائِمُونَ) ذُكر لنا أن دانيال نعت أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال : يصلون صلاة لو صلاها قوم نوح ماغرقوا ، أو عاد ما أُرسلت عليهم الريح العقيم ، أو ثمود ما أخذتهم الصيحة ، فعليكم بالصلاة فإنها خُلُقٌ للمؤمنين حسن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (عَلَى صَلاتِهِمْ دائِمُونَ) قال : الصلاة المكتوبة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ) قال : هؤلاء المؤمنون الذين مع النبىّ صلى الله عليه وسلم على صلاتهم دائمون .

Marfat.com

قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا حيوة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي الخير أنه سأل عقبة ابن عامر الجهني ، عن (الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ) قال : هم الذين إذا صلوا لم يلتفتوا خلفهم ، ولا عن أيمانهم ، ولا عن شمائلهم .

حدثني العباس بن الوليد ، قال : أخبرني أبي ، قال : ثنا الأوزاعي ، قال : ثني يحيى بن أبي كثير ، قال : ثني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، قال : حدثتني عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « خُذُوا مِنَ العَمَلِ ما تُطِيقُونَ ، فإنَّ اللهَ لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا » قالت : « وكان أحب الأعمال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دُووم عليه » قال : يقول أبو سلمة : إن الله يقول (الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾

** يقول تعالى ذكره : وإلا الذين في أموالهم حق مؤقت ، وهو الزكاة للسائل الذي يسأله من ماله ، والمحروم الذي قد حرم الغنى ، فهو فقير لا يسأل .

واختلف أهل التأويل في المعنى بالحق المعلوم الذي ذكره الله في هذا الموضع ، فقال بعضهم : هو الزكاة.

ذكر من قال ذلك

حدثني ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ . لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) قال : الحق المعلوم : الزكاة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ) : قال : الزكاة المفروضة .

وقال آخرون : بل ذلك حق سوى الزكاة .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس في قوله (وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) يقول : هو سوى الصدقة يصل بها رحمه ، أو يقري بها ضيفا ، أو يحمل بها كلا ، أو يُعين بها محروما .

حدثني ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن ، عن شعبة ، عن أبي يونس ، عن رباح بن عبيدة ، عن قزعة ، أن ابن عمر سُئل عن قوله (فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) أهي الزكاة ؟ فقال : إن عليك حقوقا سوى ذلك .

Marfat.com

حدثنا أبو هشام الرفاعى ، قال : ثنا ابن فضيل ، قال : ثنا بيان ، عن الشعبىّ ، قال : إن فى المال حقا سوى الزكاة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال فى المال حقّ سوى الزكاة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مجاهد (فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ) قال : سوى الزكاة ، وأجمعوا على أن السائل هو الذى وصفت صفته .

واختلفوا أيضا فى معنى المحروم فى هذا الموضع ، نحو اختلافهم فيه فى الذاريات ، وقد ذكرنا ماقالوا فيه هنالك ، ودللنا على الصحيح منه عندنا ، غير أنا نذكر بعض ما لم نذكر من الأخبار هنالك .

ذكر من قال : هو المحارَف[1]

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا الحجاج ، عن الوليد بن العيزار ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس أنه قال : المحروم : هو المحارَف .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى مسلم بن خالد ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد عن ابن عباس ، قال : المحروم : المحارَف .

حدثنا سهل بن موسى الرازى ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن قيس بن كركم ، عن ابن عباس قال : (السَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) : المحارف الذى ليس له فى الإسلام نصيب .

قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن قيس بن كركم ، عن ابن عباس أنه قال : المحروم المحارَف الذى ليس له فى الإسلام سهم .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، عن قيس بن كركم ، عن ابن عباس ، فى هذه الآية (لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) قال : السائل الذى يسأل ، والمحروم : المحارَف .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت أبا إسحاق يحدّث عن قيس بن كركمّ ، عن ابن عباس أنه قال فى هذه الآية (لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) قال : السائل : الذى يسأل والمحروم : المحارَف .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن قيس بن كركم ، قال : سألت ابن عباس ، عن قوله (لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) قال : السائل : الذى يسأل ، والمحروم : المحارَف الذى ليس له فى الإسلام سهم .

حدثنى محمد بن عمر بن علىّ المقدمى ، قال : ثنا قريش بن أنس ، عن سليمان ، عن قتادة ، عن سعيد ابن المسيب : المحروم : المحارف .

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا قريش ، عن سليمان ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، مثله .

(١) فى اللسان : المحارف : الذى لا يصيب خيرا من وجه توجه له . وقال الشافعى : المحروم المحارف الذى يحترف بيديه قد حرم سهمه من الغنيمة ، لا يغزو مع المسلمين ، فبقى محروما ، وما يعطى من الصدقة ما يسد حرمانه .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن أبى بشر ، قال : سألت سعيد بن جبير ، عن المحروم ، فلم يقل فيه شيئاً ؛ قال : وقال عطاء : هوالمحدود المحارف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن قيس بن كركم ، عن ابن عباس ، قال : السائل : الذى يسأل الناس ، والمحروم : الذى لاسهم له فى الإسلام ، وهومحارف من الناس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : المحروم : الذى لا يُهدَى له شىء وهو محارف .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قال : المحروم : هو المحارف الذى يطلب الدنيا وتدبر عنه ، فلا يسأل الناس .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال فى المحروم : هوالمحارف الذى ليس له أحد يعطف عليه ، أو يعطيه شيئا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : المحروم : الذى لافىء له فى الإسلام ، وهومحارف فى الناس .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا أيوب ، عن نافع : المحروم : هو المحارف .

وقال آخرون : هو الذى لاسهم له فى الغنيمة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن إبراهيم ، أن ناسا قَدِموا على علىّ رضى الله عنه الكوفة بعد وقعة الجمل ، فقال : اقسموا لهم ، وقال : هذا المحروم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثناسفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : المحروم : المحارف الذى ليس له فى الغنيمة شىء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن قيس بن مسلم الجدلىّ ، عن الحسن بن محمد بن الحنفية « أن النبىّ صلى الله عليه وسلم بعث سرية ، فغنموا ، وفتح عليهم ، فجاء قوم لم يشهدوا ، فنزلت (فِى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) يعنى هؤلاء » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن الحسن بن محمد ، « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية ، فغنموا ، فجاء قوم لم يشهدوا الغنائم ، فنزلت (فِى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) » .

حدثنا أبوكُرَيب ، قال : ثنا يحيى بن أبى زائدة ، عن سفيان ، عن قيس بن مسلم الجدلى ، عن الحسن بن محمد ، قال : بعثت سرية فغنموا ، ثم جاء قوم من بعدهم ، قال : فنزلت (لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا أبونعيم ، عن سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن الحسن بن محمد « أن

Marfat.com

قوما فى زمان النبىّ صلى الله عليه وسلم أصابوا غنيمة، فجاء قوم بعد ، فنزلت (فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُوم لِلسَّائِلِ وَالمَحْرُوم) .

وقال آخرون : هو الذى لاينمى له مال .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن حصين ، قال : سألت عكرمة عن السائل والمحروم ، قال : السائل : الذى يسألك ، والمحروم : الذى لاينمى له مال .

وقال آخرون : هو الذى قد اجتيح ماله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : أخبرنا شعبة ، عن عاصم ، عن أبى قلابة ، قال : جاء سيل باليمامة ، فذهب بمال رجل ، فقال رجل من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم : هذا المحروم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالمَحْرُومِ) قال : المحروم : المصاب ثمره وزرعه ، وقرأ (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ، أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ) ... حتى بلغ (مَحْرُومُونَ) وقال أصحاب الجنة : إنا لضالون ، بل نحن محرومون .

وقال الشعبى ما حدثنى به يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن ابن عون ، قال : قال الشعبىّ : أعيانى أن أعلم ما المحروم .

وقال قتادة ، ما حدثنى به ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (لِلسَّائِلِ وَالمَحْرُومِ) قال : السائل : الذى يسأل بكفه ، والمحروم : المتعفف ، ولكليهما عليك حقّ يا ابن آدم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لِلسَّائِلِ وَالمَحْرُوم) وهو سائل يسألك فى كفه ، وفقير متعفف لايسأل الناس ، ولكليهما عليك حقّ .

وقوله (وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ) يقول : والذين يقرّون بالبعث يوم البعث والمجازاة .

وقوله (وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ) يقول : والذين هم فى الدنيا من عذاب ربهم وجلون أن يعذّبهم فى الآخرة ، فهم من خشية ذلك لايضيعون له فرضا ، ولا يتعدّون له حدّا .

وقوله (إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ) أن ينال من عصاه وخالف أمره .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾

Marfat.com

* يقول تعالى ذكره : (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ) يعنى أقبالهم حافظون عن كلّ ماحرّم الله عليهم وضعها فيه (إلاَّ) أنهم غير ملومين فى ترك حفظها (على أزْوَاجِهِم أوْ ما مَلَكَتْ أيمَانُهُمْ) من إمائهم . وقيل : (لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ إلاَّ على أزْوَاجِهِمْ) ولم يتقدم ذلك جحد لدلالة قوله (فإنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ) على أن فى الكلام معنى جحد ، وذلك كقول القائل : اعمل ما بدا لك إلا على ارتكاب المعصية ، فإنك معاقب عليه ، ومعناه : اعمل مابدا لك إلا أنك معاقب على ارتكاب المعصية .

وقوله (فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلكَ فأُولَئِكَ هُمُ العادُونَ) فمن التمس لفرجه منكحا سوى زوجته ، أو ملك يمينه ، ففاعلو ذلك هم العادون ، الذين عدوا ما أحلّ الله لهم إلى ما حرّم عليهم فهم الملومون .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾

* يقول تعالى ذكره : وإلا الذين هم لأمانات الله التى ائتمنهم عليها من فرائضه وأمانات عباده التى ائتُمِنُوا عليها ، وعهوده التى أخذها عليهم بطاعته فيما أمرهم به ونهاهم وعهود عباده التى أعطاهم على ماعقده لهم على نفسه راعون ، يرقبون ذلك ، ويحفظونه فلا يضيعونه ، ولكنهم يؤدّونها ويتعاهدونها على ما ألزمهم الله وأوجب عليهم حفظها (وَالَّذِينَ هُمْ بشَهادَاتِهِمْ قائمُونَ) يقول والذين لايكتمون ما استشهدوا عليه ، ولكنهم يقومون بأدائها ، حيث يلزمهم أداؤها غير مغيرة ولا مبدّلة (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحافِظُونَ) يقول : والذين هم على مواقيت صلاتهم التى فرضها الله عليهم وحدودها التى أوجبها عليهم يحافظون ، ولا يضيعون لها ميقاتا ولا حدّا .

وقوله (أولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ) يقول عزّ وجل : هؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال فى بساتين مكرمون يكرمهم الله بكرامته .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا ۖ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

* يقول تعالى ذكره : فما شأن الذين كفروا بالله قبلك يامحمد مهطعين ، وقد بيّنا معنى الإهطاع ، وما قال أهل التأويل فيه فيما مضى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ، غير أنا نذكر فى هذا الموضع بعض مالم يذكره هنالك .

فقال قتادة فيه ، ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَمَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ) يقول : عامدين .

Marfat.com

وقال ابن زيد فيه ما حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قوله (فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ) قال : المهطع : الذى لايطرف. وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول : معناه : مسرعين .

وروى فيه عن الحسن ماحدثنا به ابن بشار، قال : ثنا أبوعامر ، قال : ثنا قُرة ، عن الحسن ، فى قوله (فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ) قال : منطلقين .

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا حماد بن مسعدة ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن ، مثله .

وقوله (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ) يقول : عن يمينك يامحمد ، وعن شمالك متفرّقين حلقا ومجالس ، جماعة جماعة ، معرضين عنك وعن كتاب الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ) قال : قبلك ينظرون (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ) قال : العزين : العصب من الناس عن يمين وشمال ، معرضين عنه ، يستهزئون به .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال: ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ) قال: مجالس مجنبين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ) يقول : عامدين(عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ) : أى فرقا حول نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، لايرغبون فى كتاب الله ولا فى نبيه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (عِزِينَ) قال : العزين : الحلق المجالس .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (عِزِينَ) قال : حلقا ورفقاء .

حدثنى يونس، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ) قال : العزين : المجلس الذى فيه الثلاثة والأربعة ، والمجالس الثلاثة والأربعة أولئك العزون .

حدثنا إسماعيل بن موسى الفزارى ، قال : أخبرنا أبوالأحوص ، عن عاصم ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة يرفعه قال : « مالى أراكُمْ عِزِينَ » والعزين : الحلق المتفرّقة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا شقيق ، عن عبد الملك بن عمير ، عن أبى سلمة ، عن

Marfat.com

أبي هريرة « أن النبيّ صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم حِلَق حِلَق ، فقال : « مالى أراكُمْ عِزِينَ » .

حدثنى أبو حُصين ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا الأعمش ، عن المسيب بن رافع ، عن تميم بن طرفة الطائى ، عن جابر بن سمرة ، قال : « دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن متفرّقون ، فقال : مالَكُمْ عِزِينَ » .

حدثنى عبد الله بن محمد بن عمرو الغزى ، قال : ثنا الفريابى ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن المسيب بن رافع ، عن تميم بن طرفة ، عن جابر من سمرة ، قال : « جاء النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى ناس من أصحابه وهم جلوس ، فقال : مالى أراكُمْ عِزِينَ حِلَقا » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن المسيب بن رافع ، عن تميم بن طرفة ، عن جابر بن سمرة ، قال : « جاء النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى ناس من أصحابه وهم جلوس ، فقال : مالى أراكُمْ عِزِينَ حِلَقا » .

حدثنى ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن المسيب بن رافع ، عن تميم بن طرفة الطائى ، قال : ثنا جابر بن سمرة « أن النبيّ صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وهم حاق ، فقال : مالى أراكُمْ عِزِينَ)» يقول : حلقا ، يعنى قوله (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن ، فى قوله (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ) قال : عزين : متفرّقين ، يأخذون يمينا وشمالا ، يقولون : ما قال هذا الرجل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا حماد بن مسعدة ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن ، مثله . وواحد العزين : عزة ، كما واحد الثبين ثبة ، وواحد الكُرين كرة . ومن العزين قول راعى الإبل :

أَخَلِيفَةَ الرَّحْمَنِ إنَّ عَشِيرَتى أمسَى سَوَامُهُمْ عِزِينَ فُلُولا (١)

وقوله (أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ) يقول : أيطمع كلّ امرئ من هؤلاء الذين كفروا قبلك مهطعين أن يُدخله الله جنة نعيم : أى بساتين نعيم ينعم فيها .

واختلف القرّاء فى قراءة قوله (أنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ) فقرأت ذلك عامة قرّاء الأمصار (يُدْخَلَ) بضمّ الياء على وجه ما لم يسمّ فاعله ، غير الحسن وطلحة بن مصرف ، فإنه ذكر عنهما أنهما كانا يقرآنه بفتح الياء ، بمعنى : أيطمع كلّ امرئ منهم أن يدخل كلّ امرئ منهم جنة نعيم .

---

(١) هذا البيت لعبيد الراعى ، من قصيدة أبياتها (٨٩ بيتا) يمدح بها عبد الملك بن مروان ويشكو من السعاة ، وهم الذين يأخذون الزكاة من قبل السلطان : (خزانة الأدب الكبرى للبغدادى ١ : ٥٠٢) وعدها صاحب جمهرة أشعار العرب (١٧٢ — ١٧٦) من القصائد الملحمات . والسوائم : الإبل ترسل للرعى . وعزين جمع عزة ، وهى الجماعة القليلة . والفلول : جمع فل ، وهو بقية الشىء الكثير ومنه فلول المعارك ، وهم المنهزمون . يقول : إن السعاة لم يتركوا لنا من أموالنا إلا مالا خير فيه ، واستولوا منا على أكرم أموالنا ، فلم يبق لنا منها إلا أشياء قليلة مفرقة هنا وهناك فى مراعينا ، وكانت قبل كثيرة . والبيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٨٠) قال : عزين : جماع عزة ، مثل ثبة وثبين ، وهى جماعات متفرقة . قال الراعى . . . « البيت » . وفى فتح القدير فى التفسير ، للشوكانى (٥ : ٢٨٥) : « وأمسى سراتهم » : فى موضع « أمسى سوائمهم » . والمعنى على هذا أن سراة قوم الشاعر قد وفدوا على عبد الملك بن مروة جماعة بعد جماعة ، للتظلم من عسف السعاة بهم . وهذا واضح جيد .

Marfat.com

والصواب من القراءة فى ذلك ما عليه قرّاء الأمصار ، وهى ضمّ الياء لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

وقوله (كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ) يقول عزّ وجلّ : ليس الأمر كما يطمع فيه هؤلاء الكفار من أن يدخل كلّ امرئ منهم جنة نعيم .

وقوله (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ) يقول جلّ وعزّ : إنا خلقناهم من منىّ قذر ، وإنما يستوجب دخول الجنة من يستوجبه منهم بالطاعة ، لا بأنه مخلوق ، فكيف يطمعون فى دخول الجنة وهم عصاة كفرة .

وقد حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ) إنما خُلقتَ من قَذَرٍ يا ابن آدم ، فاتق الله .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾

يقول تعالى ذكره : فلا أقسم بربّ مشارق الأرض ومغاربها (إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ) يقول : إنا لقادرون على أن نهلكهم ، ونأتى بخير منهم من الخلق يطيعوننى ولا يعصوننى (وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ) يقول تعالى ذكره : وما يفوتنا منهم أحد بأمر نريده منه ، فيعجزنا هربا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا عمارة بن أبى حفصة ، عن عكرمة ، قال : قال ابن عباس : إن الشمس تطلع كلّ سنة فى ثلاث مئة وستين كوّة ، تطلع كلّ يوم فى كوّة ، لا ترجع إلى تلك الكوّة إلى ذلك اليوم من العام المقبل ، ولا تطلع إلا وهى كارهة ، تقول : ربّ لا تطلعنى على عبادك ، فإنى أراهم يعصونك ، يعملون بمعاصيك أراهم ، قال : أو لم تسمعوا إلى قول أمية بن أبى الصلت :

حتى تُجَرّ وتُجْلَدَ (١)

قلت : يا مولاه وتجلد الشمس ؟ فقال : عضضت بهن أبيك ، إنما اضطره الروىّ إلى الجلد .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنى ابن عمارة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قول الله (رَبُّ الْمَشَارِقِ

---

(١) هذا جزء من بيت لأمية بن أبى الصلت الثقفى : (الشعر والشعراء لابن قتيبة ـ ليدن ٢٨٠) ورواية البيت بتمامه فيه :

لَيْسَتْ بطالِعَةٍ لَهُمْ فى رِسْلِها ... إلاّ مُعَذَّبَةً وإلاّ تُجْلَدُ

قال : يقولون : إن الشمس إذا غربت امتنعت من الطلوع ، وقالت لا أطلع على قوم يعبد نى من دون الله ، حتى تدفع وتجلد فتطلع . ورواية البيت فى الأغانى لأبى الفرج (طبعة دار الكتب ٤ : ١٣٠) مع البيت الذى قبله هى :

والشَّمْسُ تَطْلُعُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ ... حَمْرَاءَ مَطْلَعُ لَوْنِها مُتَوَرِّدُ

تأبى فلا تَبْدُو لَنا فى رِسْلِها ... إلاّ مُعَذَّبَةً وإلاّ تُجْلَدُ

Marfat.com

والمَغارِبِ) قال : إن الشمس تطلع من ثلاث مئة وستين مطلعا ، تطلع كلّ يوم من مطلع لاتعود فيه إلى قابل ، ولا تطلع إلا وهى كارهة ، قال عكرمة : فقلت له : قد قال الشاعر :

حَتّى تُجَرَّ وتُجْلَدَ

قال : فقال ابن عباس : عضضت بهن أبيك ، إنما اضطره الرويّ .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر ، قال : أخبرنا شعبة ، قال : أخبرنا عمارة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : إن الشمس تطلع فى ثلاث مئة وستين كوّة ، فإذا طلعت فى كوّة لم تطلع منها حتى العام المقبل ، ولا تطلع إلا وهى كارهة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ المَشارِقِ والمَغارِبِ) قال : هو مطلع الشمس ومغربها ، ومطلع القمر ومغربه .

وقوله (فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا ويَلْعَبُوا) يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فذر هؤلاء المشركين المهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين ، يخوضوا فى باطلهم ، ويلعبوا فى هذه الدنيا (حَتّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِى يُوعَدُونَ) يقول : حتى يلاقوا عذاب يوم القيامة الذى يوعدونه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْداثِ سِراعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خاشِعَةً أَبْصارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِى كانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

* وقوله (يَوْمَ يَخْرُجُونَ) بيان وتوجيه عن اليوم الأوّل الذى فى قوله (يَوْمَهُمُ الَّذِى يُوعَدُونَ) وتأويل الكلام : حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدونه يوم يخرجون من الأجداث وهى القبور : واحدها جدث (سِراعًا كَأَنَّهُمْ إلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأجْداثِ سِراعًا) : أى من القبور سراعا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله . وقد بيَّنا الجدث فيما مضى قبل بشواهده ، وما قال أهل العلم فيه .

وقوله (إلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) يقول : كأنهم إلى علَم قد نُصب لهم يستبقون . وأجمعت قرّاء الأمصار على فتح النون من قوله (نَصْبٍ) غير الحسن البصرى ، فإنه ذكر عنه أنه كان يضمها مع الصاد ، وكأن من فتحها يوجه النصب إلى أنه مصدر من قول القائل : نصبت الشىء أنصبه نصبا . وكان تأويله عندهم كأنهم إلى صنم منصوب يسرعون سعيا ، وأما من ضمها مع الصاد فانه يوجهه إلى أنه واحد الأنصاب ، وهى آلهتهم التى كانوا يعبدونها .

= ومن هاتين الروايتين يعلم أن شاهد المؤلف مبتور محرف . قلت : والذى قاله ابن عباس فى تفسير طلوع الشمس كل سنة فى ٣٦٠ كوة . . . الخ صحيح من ناحية العلم . أما تفسير بيت أمية بأن الملائكة تدفعها حتى تطلع فتأبى فتجلد ، فهو تخييل وتمثيل وزجر لمن يعبدون الشمس .

Marfat.com

وأما قوله (يُوفِضُونَ) فإن الإيفاض : هو الإسراع ؛ ومنه قول الشاعر :

لأنْعَتَنْ نَعامَةً مِيفاضَا خَرْجاءَ تَغْدو تطْلُبُ الإضاضَا [1]

يقول : تطلب : ملجأ تلجأ إليه ؛ والإيفاض : السرعة ؛ وقال رؤبة :

تَمْشِي بنا الجِدَّ على أوْفاضِ [2]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، عن عوف ، عن أبي العالية ، أنه قال في هذه الآية (كأنَّهُمْ إلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) قال : إلى علامات يستبقون .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (كأنَّهُمْ إلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) قال : إلى علم يسعون .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يُوفِضُونَ) قال : يستبقون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كأنَّهُمْ إلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) قال : إلى علم يسعون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (كأنَّهُمْ إلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) قال : إلى عَلَم يوفضون ، قال : يسعون .

حدثنا عليّ بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : سمعت أبا عمرو يقول : سمعت يحيى بن أبي كثير يقول : (كأنَّهُمْ إلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) قال : إلى غاية يستبقون .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (إلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) إلى علم ينطلقون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (إلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) قال : إلى علم يستبقون .

---

(١) البيتان في (اللسان : وفض) ولم ينسبهما . استشهد المؤلف عند قوله تعالى «كأنهم إلى نصب يوفضون » على أن معنى : الإيفاض الإسراع . ومنه نعامة ميفاض ، وناقة ميفاض : أي مسرعة . والخرجاء : التي في لونها سواد وبياض . ظليم أخرج ، ونعامة خرجاء . وقال الليث : ظليم أخرج ، وهو الذي لون سواده أكثر من بياضه . والإضاض ، بكسر الهمزة : الملجأ . (عن هامش اللسان : وفض) . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن : يوفضون يسرعون ، قال رؤبة :

يُمْشِي بِنَا الجِدُّ عَلَى أوْفاضِ

(ديوانه ٨١) . والبيتان من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٣٤٢) قال : وقوله « إلى نصب يوفضون» : الإيفاض : الإسراع . وقال الشاعر : « ولأنعتن . . . . » البيتين . وفي روايته : ظلت في موضع « تغدو » . قال الخرجاء : في اللون ، فإذا رقع للقميص الأبيض برقعة حمراء ، فهو أخرج . « تطلب الإضاضا » : أي تطلب موضعا تدخل فيه ، وتلجأ إليه . اهـ .

(٢) البيت لرؤبة (اللسان : وفض) . وقال قبله : ويقال لقيته على أوفاض : على عجلة ، مثل أوفاز . وجاء على وفض ووفض (بتسكين الفاء وفتحها) : أي على عجل .

Marfat.com

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) قال : النصب : حجارة كانوا يعبدونها ، حجارة طوال يقال لها نصب . وفي قوله (يوفضون) قال : يُسرعون إليه كما يُسرعون إلى نصب يوفضون ؛ قال ابن زيد : والأنصاب التي كان أهل الجاهلية يعبدونها ويأتونها ويعظمونها ، كان أحدهم يحمله معه ، فإذا رأى أحسن منه أخذه ، وألقى هذا ، فقال له : (كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ ، أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ، هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا مرّة ، عن الحسن ، في قوله (كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) قال : يبتدرون إلى نصبهم أيهم يستلمه أوّل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا حماد بن مسعدة ، قال : ثنا قرّة ، عن الحسن ، مثله .

وقوله (خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ) يقول : خاضعة أبصارهم للذي هم فيه من الخزي والهوان (تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ) يقول : تغشاهم ذلة (ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ) يقول عزّ وجلّ : هذا اليوم الذي وصفت صفته ، وهو يوم القيامة الذي كان مشركو قريش يوعدونَ في الدنيا أنهم لاقوه في الآخرة ، كانوا يكذّبون به .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ذَلِكَ الْيَوْمُ) يوم القيامة (الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ) .

آخر تفسير سورة سأل سائل

(٧١) سُورَةُ نُوحٍ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ وَعِشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : (إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا) وهو نوح بن لمكَ (إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) يقول : أرسلناه إليهم بأن أنذر قومك ، فأن في موضع نصب في قول بعض أهل العربية ، وفي موضع خفض في قول بعضهم . وقد بيَّنت العلل لكلّ فريق منهم ، والصواب عندنا من القول في ذلك فيما مضى من كتابنا هذا ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ، وهي في قراءة عبدالله[1]

(١) هو عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل ، مقرئ القرآن ومعلم أهل الكوفة .

Marfat.com

فيما ذُكر : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْذِرْ قَوْمَكَ ﴾ بغير « أن » ، وجاز ذلك لأن الإرسال بمعنى القول ، فكأنه قيل : قلنا لنوح : أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم ، وذلك العذاب الأليم هو الطوفان الذى غرّقهم الله به .

وقوله ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ يقول تعالى ذكره : قال نوح لقومه : ياقوم إنى لكم نذير مبين ، أنذركم عذاب الله فاحذروه أن ينزل بكم على كفركم به ، مبين : يقول : قد أبنت لكم إنذارى إياكم.

وقوله ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح لقومه ﴿ إنى لكم نذير مبين ﴾ بأن اعبدوا الله ، يقول : إنى لكم نذير أنذركم ، وآمركم بعبادة الله ﴿ وَاتَّقُوهُ ﴾ يقول : واتقوا عقابه بالإيمان به ، والعمل بطاعته ﴿ وأطيعون ﴾ يقول : وانتهوا إلى ما آمركم به ، واقبلوا نصيحتى لكم .

وقد حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وأطيعون ﴾ قال : أرسل الله المرسلين بأن يُعْبَدَ اللهُ وحده ، وأن تتقى محارمه ، وأن يُطاع أمره .

وقوله ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ يقول : يغفر لكم ذنوبكم .

** فإن قال قائل : أو ليست « من » دالة على البعض ؟ قيل : إن لها معنيين وموضعين ، فأما أحد الموضعين فهو الموضع الذى لايصلح فيه غيرها . وإذا كان ذلك كذلك لم تدلّ إلا على البعض ، وذلك كقولك : اشتريت من مماليكك ، فلا يصلح فى هذا الموضع غيرها ، ومعناها : البعض ، اشتريت بعض مماليكك ومن مماليكك مملوكا . والموضع الآخر: هو الذى يصلح فيه مكانها عن فإذا ، صلحت مكانها « عن » دلت على الجميع ، وذلك كقولك : وجع بطنى من طعام طعمته ، فإن معنى ذلك : أوجع بطنى طعام طعمته ، وتصلح مكان « من » عن ، وذلك أنك تضع موضعها « عن » ، فيصلح الكلام فتقول : وجع بطنى عن طعام طعمته ، ومن طعام طعمته ، فكذلك قوله ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ إنما هو : ويصفح لكم ، ويعفو لكم عنها ، وقد يحتمل أن يكون معناها يغفر لكم من ذنوبكم ما قد وعدكم العقوبة عليه . فأما ما لم يعدكم العقوبة عليه فقد تقدّم عفوه لكم عنها .

وقوله ﴿ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ يقول : ويؤخّر فى آجالكم فلا يهلككم بالعذاب ، لا بغرق ولا غيره ﴿ إلى أجل مسمى ﴾ يقول إلى حين كتب أنه يبقيكم إليه ، إن أنتم أطعتموه وعبدتموه ، فى أمّ الكتاب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله ﴿ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ قال : ما قد خطّ من الأجل ، فإذا جاء أجل الله لا يؤخّر .

وقوله ﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ يقول تعالى ذكره : إن أجل الله

Marfat.com

الذى قد كتبه على خلقه فى أمّ الكتاب إذا جاء عنده لايؤخر عن ميقاته ، فينظر بعده لو كنتم تعلمون ، يقول : لو علمتم أن ذلك كذلك ، لأنبتم إلى طاعة ربكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۞ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ۞ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۞

يقول تعالى ذكره : قال نوح لما بلغ قومه رسالة ربه ، أو نذرهم ما أمره به أن ينذرهموه فعصوه ، وردّوا عليه ما أتاهم به من عنده (رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلاً وَنَهارًا) إلى توحيدك وعبادتك ، وحذّرتهم بأسك وسطوتك ، (فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِى إِلاَّ فِرارًا) يقول : فلم يزدهم دعائى إياهم إلى ما دعوتهم إليه من الحقّ الذى أرسلتنى به لهم (إلاّ فِرارًا) يقول : إلا إدبارا عنه وهربا منه وإعراضا عنه .

وقد حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِى إِلاَّ فِرارًا) قال : بلغنا أنهم كانوا يذهب الرجل بابنه إلى نوح ، فيقول لابنه : احذر هذا لايغوينك ؛ فأرانى قد ذهب بى أبى إليه وأنا مثلك ، فحذرنى كما حذّرتك .

وقوله (وإِنِّى كُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِى آذانِهِمْ) يقول جلّ وعزّ : وإنى كلما دعوتهم إلى الإقرار بوحدانيتك ، والعمل بطاعتك ، والبراءة من عبادة كلّ ما سواك ، لتغفر لهم إذاهم فعلوا ذلك جعلوا أصابعهم فى آذانهم لئلا يسمعوا دعائى إياهم إلى ذلك (وَاسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ) يقول : وتغشوا فى ثيابهم ، وتغطوا بها لئلا يسمعوا دعائى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِى آذانِهِمْ) لئلا يسمعوا كلام نوح عليه السلام .

وقوله (وأَصَرُّوا) يقول : وثبتوا على ما هم عليه من الكفر وأقاموا عليه .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأَصَرُّوا) قال : الإصرار إقامتهم على الشرّ والكفر .

Marfat.com

وقوله (وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا) يقول : وتكبروا فتعاظموا عن الإذعان للحق، وقبول مادعوتهم إليه من النصيحة .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ ﴾

يقول : (ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ) إلى ما أمرتنى أن أدعوهم إليه (جِهَارًا) ظاهرا فى غير خفاء .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا) قال : الجهار الكلام المعلن به .

وقوله (ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا) يقول : صرخت لهم ، وصحت بالذى أمرتنى به من الإنذار .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وأَعْلَنْتُ لَهُمْ) قال : صحت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مجاهد (أَعْلَنْتُ لَهُمْ) يقول : صحت بهم .

وقوله (وأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا) يقول : وأسررت لهم ذلك فيما بينى وبينهم فى خفاء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا) قال : فيما بينى وبينهم .

وقوله (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا) يقول : فقلت لهم : سلوا ربكم غفران ذنوبكم ، وتوبوا إليه من كفركم ، وعبادة ماسواه من الآلهة ووحدوه ، وأخلصوا له العبادة ، يغفر لكم ، إنه كان غفارا لذنوب من أناب إليه ، وتاب إليه من ذنوبه .

وقوله (يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا) يقول : يسقيكم ربكم إن تبتم ووحدتموه وأخلصتم له العبادة الغيث ، فيرسل به السماء عليكم مدرارا متتابعا .

وقد حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا سفيان ، عن مطرف ، عن الشعبى ، قال : خرج عمر بن الخطاب يستسقى ، فما زاد على الاستغفار ، ثم رجع فقالوا : ياأمير المؤمنين ما رأيناك استسقيت ،

Marfat.com

فقال : لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التى يستنزل بها المطر ، ثم قرأ (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِدْرَارًا) ، وقرأ الآية التى فى سورة هود حتى بلغ (وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إلى قُوَّتِكُمْ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾

وقوله (وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ) يقول : ويعطكم مع ذلك ربكم أموالا وبنين ، فيكثّرها عندكم ويزيد فيما عندكم منها (وَيَجْعَل لَكُمْ جَنَّاتٍ) يقول : يرزقكم بساتين (وَيَجْعَل لَكُمْ أنهارا) تسقون منها جناتكم ومزارعكم ، وقال ذلك لهم نوح ، لأنهم كانوا فيما ذُكر قوم يحبون الأموال والأولاد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهارا) . . . إلى قوله (وَيَجْعَل لَكُمْ أنهارا) قال : رأى نوح قوما تجزّعت أعناقهم حرصا على الدنيا ، فقال : هلموا إلى طاعة الله ، فإن فيها درك الدنيا والآخرة .

وقوله (مالَكُمْ لاتَرْجُونَ لِلهِ وَقارًا) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : ما لكم لاترون لله عظمة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (ما لَكُمْ لاتَرْجُونَ لِلهِ وَقارا) يقول : عظمة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (ما لَكُمْ لاتَرْجُونَ لِلهِ وَقارًا) قال : لاترون لله عظمة .

حدثنا محمد بن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، مثله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح وقيس ، عن مجاهد ، فى قوله (لاتَرْجُونَ لِلهِ وَقارًا) قال : لاتبالون لله عظمة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عمر بن عبيد ، عن منصور ، عن مجاهد (مالَكُمْ لاتَرْجُونَ لِلهِ وَقارًا) قال : كانوا لايبالون عظمة الله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبامعاذ ، يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لاتَرْجُونَ لِلهِ وَقارًا) يقول : عظمة .

Marfat.com

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (مَالَكُمْ لاتَرْجُونَ لِلهِ وَقَارا) قال : لاتبالون عظمة ربكم ؛ قال : والرجاء : الطمع والمخافة .

وقال آخرون : معنى ذلك : لاتعظمون الله حقّ عظمته .

ذكر من قال ذلك

حدثنى سلم بن جنادة ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن سميع ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس (مَالَكُمْ لاتَرْجُونَ لِلهِ وَقَارًا) قال : مالكم لاتعظمون الله حقّ عظمته .

وقال آخرون : ما لكم لاتعلمون لله عظمة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مَالَكُمْ لاتَرْجُونَ لِلهِ وَقَارا) يقول : مالكم لاتعلمون لله عظمة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : مالكم لاترجون لله عاقبة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَالَكُمْ لاتَرْجُونَ لِلهِ وَقَارا) أى عاقبة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مَالَكُمْ لاتَرْجُونَ لِلهِ وَقَارًا) قال : لاترجون لله عاقبة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : مالكم لاترجون لله طاعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (مَالَكُمْ لاتَرْجُونَ لِلهِ وَقَارًا) قال : الوقار : الطاعة .

﴿ وأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصواب قول من قال : معنى ذلك : مالكم لاتخافون لله عظمة ، وذلك أن الرجاء قد تضعه العرب إذا صحبه الجحد فى موضع الخوف ، كما قال أبو ذؤيب :

إذا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا وَخالَفَها فى بَيْتِ نُوبٍ عَوَاسِلِ (١)

يعنى بقوله : « لم يرج » : لم يخف .

وقوله (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) يقول : وقد خلقكم حالا بعد حال ، طورا نُطْفَة ، وطورا علَقة ، وطورا مضغة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) يقول : نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة .

(١) سبق استشهاد المؤلف بالبيت فى الجزءين (٥ : ٢٦٤ ، ١١ : ٨٧) وشرحناه فيهما شرحا مستوفى ، فراجعه فيهما .

Marfat.com

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) قال : من تراب ، ثم من نطفة ، ثم من علقة ، ثم ماذكر حتى يتمّ خلقه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) طورا نطفة ، وطورا علقة ، وطورا عظاما ، ثم كسا العظام لحما ، ثم أنشأه خلقا آخر ، أنبت به الشعر ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) قال : نطفة ، ثم علقة ، ثم خلقا طورا بعد طور .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) يقول : من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضغة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) قال : طورا النطفة ، ثم طورا أمشاجا حين يمشج النطفة الدم ، ثم يغلب الدم على النطفة ، فتكون علقة ، ثم تكون مضغة ، ثم تكون عظاما ، ثم تُكسى العظام لحما .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) قال : نطفة ، ثم علقة ، شيئا بعد شىء .

القول في تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾
وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾

** يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح صلوات الله وسلامه عليه ، لقومه المشركين بربهم ، محتجا عليهم بحجج الله فى وحدانيته (أَلَمْ تَرَوْا) أيها القوم فتعتبروا (كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا) بعضها فوق بعض ، والطباق : مصدر من قولهم : طابقت مطابقة وطباقا . وإنما عنى بذلك : كيف خلق الله سبع سموات ، سماء فوق سماء مطابقة .

وقوله (وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا) يقول وجعل القمر فى السموات السبع نورا (وَجَعَلَ الشَّمْسَ) فيهن (سراجا) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنى أبى ، عن قتادة (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ

Marfat.com

اللهُ سَبْعَ سَموَاتٍ طِباقا ، وَجَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نُورا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجا) ذُكر لنا أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان يقول : إن ضوء الشمس والقمر نورهما فى السماء ، اقرءوا إن شئتم (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَموَاتٍ طِباقا) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن عبد الله بن عمرو أنه قال : إن الشمس والقمر وجوههما قِبَلَ السموات ، وأقفيتهما قِبَلَ الأرض ، وأنا أقرأ بذلك آية من كتاب الله (وَجَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نُورا ، وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً) .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَجَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نُورا) يقول : خلق القمر يوم خلق سبع سموات .

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : إنما قيل (وَجَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نُورا) على المجاز ، كما يقال : أتيت بنى تميم ، وإنما أتى بعضهم (واللهُ أنْبَتَكُم مِنَ الأرْض نَبَاتا) يقول : والله أنشأكم من تراب الأرض ، فخلقكم منه إنشاء (ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيها) يقول : ثم يعيدكم فى الأرض كما كنتم ترابا فيصيركم كما كنتم من قبل أن يخلقكم (وَيُخْرِجُكُمْ إخْرَاجا) يقول ويخرجكم منها إذا شاء أحياء كما كنتم بشرا من قبل أن يعيدكم فيها ، فيصيركم ترابا إخراجا .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾

** يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح لقومه ، مذكّرهم نِعَم ربه (وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ بِساطاً) تستقرّون عليها وتمتهدونها .

وقوله (لِتَسْلُكُوا مِنْها سُبُلاً فِجاجا) يقول : لتسلكوا منها طرقا صعابا متفرقة ، والفجاج: جمع فجّ ، وهو الطريق .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِتَسْلُكُوا مِنْها سُبُلاً فِجاجا) قال : طرقا وأعلاما .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (لِتَسْلُكوا مِنْها سُبُلا فِجاجا) قال طرقا .

Marfat.com

التى أُحدثت على صور هؤلاء النفر المسمين فى هذا الموضع كثير من الناس فنُسِب الضّلال إذ ضَلّ بها عابدوها إلى أنها المُضِلة .

وقوله (وَلا تَزِدِ الظّالِمينَ إلاّ ضَلالاً) يقول : ولا تزد الظالمين أنفسهم بكفرهم بآياتنا إلا ضلالا إلا طبعا على قلبه ، حتى لايهتدى للحق .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله (مِمّا خَطيئاتِهِم) من خطيئاتهم (أُغْرِقُوا) والعرب تجعل « ما » صلة فيما نوى به مذهب الجزاء ، كما يقال : أينما تكن أكن ، وحيثما تجلس أجلس ، ومعنى الكلام : من خطيئاتهم أُغرقوا .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ماحدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مِمّا خَطيئاتِهِم) قال فبخطيئاتهم (أُغْرِقُوا) فأدخلوا نارا ، وكانت الباء هاهنا فصلا فى كلام العرب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قوله (مِمّا خَطيئاتِهِم أُغْرِقُوا) قال : بخطيئاتهم أُغرقوا .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (مِمّا خَطيئاتِهِم) فقرأته عامة قرّاء الأمصار غير أبى عمرو (مِمّا خَطيئاتِهِم) بالهمز والتاء ، وقرأ ذلك أبو عمرو (مما خَطاياهُم) بالألف بغير همز .

والقول عندنا أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيّتهما قرأ القارئ فهو مصيب .

وقوله (فأُدْخِلُوا نارا) جهنم (فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أنْصارًا) تنتصر لهم ممن فعل ذلك بهم ، ولا تحول بينهم وبين ما فعل بهم .

وقوله (وَقالَ نُوحٌ رَبّ لاتَذَرْ على الأرْضِ مِنَ الكافِرِينَ دَيّارًا) ويعنى بالدّيار من يدور فى الأرض ، فيذهب ويجىء فيها وهو فيْعال من الدوران ديوارا ، اجتمعت الياء والواو ، فسبقت الياء الواو وهى ساكنة ، وأدغمت الواو فيها ، وصيرتا ياء مشددة ، كما قيل : الحىّ القيام من قمت ، وإنما هو قيوام .
والعرب تقول ما بها ديار ولا عريب ، ولا دوىّ ، ولا صافر ، ولا نافخ ضرمة ، يعنى بذلك كله : ما بها أحد .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾

Marfat.com

** يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح فى دعائه إياه على قومه : إنك يا ربّ إن تذر الكافرين أحياء على الأرض ، ولم تهلكهم بعذاب من عندك (يُضِلُّوا عِبادَكَ) الذين قد آمنوا بك ، فيصدّوهم عن سبيلك ، (وَلا يَلِدُوا إلاَّ فاجِرًا) فى دينك (كَفَّارًا) لنعمتك .

وذُكر أن قيل نوح هذا القول ودعاءه هذا الدعاء ، كان بعد أن أوحى إليه ربه (أنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (رَبِّ لا تَذَرْ على الأرْضِ مِنَ الكافِرِينَ دَيَّارًا) أما والله ما دعا عليهم حتى أتاه الوحى من السماء (أنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ) فعند ذلك دعا عليهم نبىّ الله نوح فقال : (رَبِّ لا تَذَرْ على الأرْضِ مِنَ الكافِرِينَ دَيَّارًا . إنَّكَ إنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ وَلا يَلِدُوا إلاَّ فاجِرًا كَفَّارًا) ثم دعاه دعوة عامة فقال (رَبِّ اغْفِرْ لى وَلِوالِدَىَّ ولِمَنْ دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنا ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ) . . . إلى قوله (تَبارًا) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : تلا قتادة (لا تَذَرْ على الأرْضِ مِنَ الكافِرِينَ دَيَّاراً) ثم ذكر نحوه .

وقوله (رَبِّ اغْفِرْ لى وَلِوالِدَىَّ) يقول : ربّ اعف عنى ، واستر علىّ ذنوبى وعلى والدىّ (ولِمَنْ دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنا) يقول : وإن دخل مسجدى ومصلاىَ مصلّيا مؤمنا ، يقول : مصدّقا بواجب فرضك عليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن آدم ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدى ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى سنان ، عن الضحاك (ولِمَنْ دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنا) قال : مسجدى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان عن أبى سلمة ، عن أبى سنان سعيد ، عن الضحاك مثله .

وقوله (وللْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ) يقول : وللمصدّقين بتوحيدك والمصدّقات .

وقوله (وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إلاَّ تَبارًا) يقول : ولا تزد الظالمين أنفسهم بكفرهم إلا خسارا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (إلاَّ تَبارًا) قال : خسارا .

Marfat.com

وقد بينت معنى قول القائل : تبرت ، فيما مضى بشواهده ، وذكرت أقوال أهل التأويل فيه بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، قال : قال معمر : ثنا الأعمش ، عن مجاهد ، قال : كانوا يضربون نوحا حتى يُغشَى عليه ، فإذا أفاق قال : ربّ اغفر لقومى فإنهم لايعلمون .

آخر تفسير سورة نوح صلى الله عليه وسلم

(٧٢) سورة الجن مكية
وآياتها ثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۞ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۞ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۞ ﴾

يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد أوحى الله إلىّ (أنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنّ) هذا القرآن (فَقالُوا) لقومهم لما سمعوه (إنَّا سَمِعْنا قُرْآنا عَجَبا يَهْدِي إلى الرُّشْدِ) يقول : يدلّ على الحقّ وسبيل الصواب (فَآمَنَّا بِهِ) يقول : نصدّقناه (وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنا أحَدًا) من خلقه.

وكان سبب استماع هؤلاء النفر من الجنّ القرآن ، كما حدثنى محمد بن معمر ، قال : ثنا أبوهشام ، يعنى المخزومى ، قال : ثنا أبوعوانة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجنّ ولا رآهم ، انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه ، عامدين إلى سوق عكاظ ، قال : وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأُرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : مالكم ؟ فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأُرسلت علينا الشهب ، فقالوا : ماحال بينكم وبين خبر السماء إلا شىء حدث ، قال : فانطلقوا فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ماهذا الذى حدث ، قال : فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها ، يتتبعون ما هذا الذى حال بينهم وبين خبر السماء ؛ قال : فانطلق النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنخلة ، وهو عامد إلى سوق عكاظ ، وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر ؛ قال : فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا : هذا والله الذى حال بينكم وبين خبر السماء ؛ قال : فهنالك حين رجعوا إلى قومهم ، فقالوا : ياقومنا (إنَّا سَمِعْنا قُرْآنا عَجَبًا . يَهْدِي إلى الرُّشْدِ فآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنا أحَدًا) قال : فأنزل

Marfat.com

الله على نبيه صلى الله عليه وسلم (قُلْ أُوحِيَ إلىَّ أنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنّ) وإنما أوحى إليه قول الجنّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن ورقاء ، قال : قدم رهط زوبعة وأصحابه مكة على النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فسمعوا قراءة النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ثم انصرفوا ، فذلك قوله (وَإذْ صَرَفْنا إلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قالُوا أنْصِتُوا) قال : كانوا تسعة فيهم زوبعة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (قُلْ أُوحِيَ إلىَّ أنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنّ)هو قول الله (وإذ صَرَفْنا إلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الجِنّ) لم تُحرس السماء فى الفترة بين عيسى ومحمد ؛ فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حرست السماء الدنيا ، ورُميت الشياطين بالشهب فقال إبليس : لقد حدث فى الأرض حدث ، فأمر الجنّ فتفرّقت فى الأرض لتأتيه بخبر ماحدث . وكان أوّل من بُعث نفر من أهل نصيبين وهى أرض باليمن ، وهم أشراف الجنّ وسادتهم ، فبعثهم إلى تهامة ومايلى اليمن ، فمضى أولئك النفر ، فأتوا على الوادى وادى نخلة ، وهو من الوادى مسيرة ليلتين ؛ فوجدوا به نبيّ الله صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة الغداة فسمعوه يتلو القرآن ؛ فلماحضروه ، قالوا أنصتوا ، فلما قُضِيَ ، يعنى فُرِغ من الصلاة ، وَلَّوْا إلى قومهم منذرين ، يعنى مؤمنين لم يعلم بهم نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يشعر أنه صُرِف إليه ، حتى أنزل الله عليه (قُلْ أُوحِيَ إلىَّ أنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنّ) .

وقوله (وأنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا) اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : فآمنا به ولن نُشرك بربنا أحدا ، وآمنا بأنه تعالى أمر ربنا وسلطانه وقُدرته .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وأنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا) يقول : فعله وأمره وقُدرته .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وأنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا) يقول : تعالى أمر ربنا .

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنّى قالا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة فى هذه الآية (تَعالى جَدُّ رَبِّنا) قال : أمر ربنا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن السدىّ (تعالى جدُّ رَبِّنا) قال : أمر ربنا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (تَعالى جَدُّ رَبِّنا ما اتَّخَذَ صاحِبَةً وَلا وَلَدًا) قال : تعالى أمره أن يتخذ ولا يكون الذى قالوا : صاحبة ولا ولدا ، وقرأ (قُلْ هُوَ

Marfat.com

اللهُ أحَدٌ . اللهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ . وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أحَدٌ) قال لايكون ذلك منه .

وقال آخرون : عنى بذلك جلال ربنا وذكره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : قال عكرمة ، فى قوله (جَدُّ رَبِّنَا) قال : جلال ربنا .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنى خالد بن يزيد ، قال : ثنا أبو إسرائيل ، عن فضيل ، عن مجاهد ، فى قوله (وأنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا) قال : جلال ربنا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران عن سفيان ، عن سليمان التَّيْمىّ قال : قال عكرمة (تَعالى جَدُّ رَبِّنا) : جلال ربنا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا) : أى تعالى جلاله وعظمته وأمره .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله تعالى (جَدُّ رَبِّنا) قال : تعالى : أمر ربنا تعالت عظمته .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : تعالى غنى ربنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : قال الحسن ، فى قوله تعالى (جَدُّ رَبِّنا) قال : غنى ربنا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سليمان التيمى ، عن الحسن (تَعالى جَدُّ رَبِّنا) قال : غنى ربنا .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (تَعالى جَدُّ رَبِّنا) قال : غِنَى ربنا .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا هشيم ، عن سليمان التيمى ، عن الحسن وعكرمة ، فى قول الله (وأنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا) قال أحدهما : غناه ، وقال الآخر : عظمته .

وقال آخرون : عَنَى بذلك الجدّ الذى هو أبو الأب ، قالوا ذلك كان من كلام جهلة الجنّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو السائب قال : ثنى أبو جعفر محمد بن عبد الله بن أبى سارة ، عن أبيه ، عن أبى جعفر (تَعالى جَدُّ رَبِّنا) قال : كان كلاما من جهلة الجنّ .

وقال آخرون : عَنَى بذلك : ذِكْره .

Marfat.com

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (تَعالى جَدُّ رَبِّنا) قال : ذكره .

** وأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصواب قول من قال : عُنِى بذلك : تعالت عظمة ربنا وقُدرته وسلطانه وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب لأن للجدّ فى كلام العرب معنيين : أحدهما الجَدّ الذى هو أبو الأب ، أو أبو الأم ؛ وذلك غير جائز أن يوصف به هؤلاء النفر الذين وصفهم الله بهذه الصفة ، وذلك أنهم قد قالوا : (فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا) ومن وصف الله بأن له ولدا أو جدّا هو أبو أب أو أبو أمّ ، فلا شكّ أنه من المشركين . والمعنى الآخر : الجَدّ الذى بمعنى الحظّ ؛ يقال : فلان ذو جدّ فى هذا الأمر : إذا كان له حظّ فيه ، وهو الذى يُقال له بالفارسية البَخْت ، وهذا المعنى الذى قصده هؤلاء النفر من الجنّ بقيلهم (وأنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا) إن شاء الله . وإنما عَنَوا أن حظوته من المُلك والسلطان والقدرة والعظمة عالية ، فلا يكون له صاحبة ولا ولد ، لأن الصاحبة إنما تكون للضعيف العاجز الذى تضطرّه الشهوة الباعثة إلى اتخاذها ، وأن الولد إنما يكون عن شهوة أزعجته إلى الوقاع الذى يحدث منه الولد ، فقال النفر من الجنّ : علا مُلك ربنا وسُلطانه وقدرته وعظمته أن يكون ضعيفا ضعف خلقه الذين تضطرّهم الشهوة إلى اتخاذ صاحبة ، أو وِقاع شىء يكون منه ولد .

وقد بين عن صحة ما قلنا فى ذلك إخبار الله عنهم أنهم إنما نزّهوا الله عن اتخاذ الصاحبة والولد بقوله (وأنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا ما اتَّخَذَ صاحِبَةً وَلا وَلَدًا) يقال منه : رجل جَدّى وجديد ومجدود : أى ذو حظّ فيما هو فيه ؛ ومنه قول حاتم الطائى :

أُغْزُوا بَنِى ثُعَلٍ فالغَزْوُ جَدُّكُمُ ... عُدُّوا الرَّوَابِى وَلا تَبْكُوا لِمَنْ قُتِلا[1]

وقال آخر :

يُرَفَّعُ جَدُّكَ إنِّى امْرُؤٌ ... سَقَتْنِى إلَيْكَ الأعادِى سِجالا[2]

وقوله (ما اتَّخَذَ صاحِبَةً) يعنى زوجة (وَلا وَلَدًا) .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وأنَّهُ تَعالى) فقرأه أبو جعفر القارئ وستة أحرف أُخر بالفتح ، منها :

---

(١) البيت لحاتم الطائى (شعراء النصرانية ١٢٨) وفيه : حظكم » فى موضع « جدكم » وهما بمعنى . قال شارحه : والروابى : الأشراف ، أو الأصل والشرف . وفى (اللسان : جدد) : وفى التنزيل العزيز « وأنه تعالى جد ربنا » : قيل : جده عظمته ، وقيل : غناه . وقال مجاهد : جد ربنا : جلال ربنا . وقال بعضهم : عظمة ربنا ، وهما قريبان من السواء . اهـ . وهذه التأويلات : صالحة لتأويل قول حاتم . فالغزو دو عز العرب وعظمتهم وسبب هيبتهم وجلالهم فى أعين أعدائهم . وشجاعتهم فى الحرب والنزال : هى حظهم الذى عرفوا به فى الدنيا ؛ يأبون الضيم ، ويأنفون من استذلال الملوك والجبابرة لهم .

(٢) هذا البيت لم ينسبه المؤلف . وهو أشبه بقول الحطيئة فى لاميته المنصوبة التى يخاطب بها سيدنا عمر بن الخطاب ، معتذرا عن هجائه الزبرقان بن بدر التيمى ، ومطلعها : « نأتك أمامة إلا سؤالا » ، ولم أجده فى ديوان الحطيئة المطبوع ، ولا فى جمهرة أشعار العرب (١٥١ — ١٥٤) . وقوله : يرفع جدك . يدعو له بأن يرفع الله حظه وذكره . والسجال : جمع سجل ، وهو الدلو يعتذر إليه مما دسه عليه الوشاة .

Marfat.com

(أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ - وأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ - وأَنَّهُ كان يَقُولُ سَفِيهُنَا - وأَنَّهُ كانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ - وأَنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ - وأَنْ لَوِ اسْتَقامُوا على الطَّرِيقَةِ) وكان نافع يكسرها إلا ثلاثة أحرف : أحدها (قُلْ أُوحِيَ إلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ) والثانية (وأَنْ لَوِ اسْتَقامُوا) ، والثالثة (وأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ) . وأما قرّاء الكوفة غير عاصم ، فإنهم يفتحون جميع ما فى آخر سورة النجم وأوّل سورة الجنّ إلا قوله (فَقالُوا إِنَّا سَمِعْنا) ، وقوله (قالَ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي) وما بعده إلى آخر السورة ، وأنهم يكسرون ذلك غير قوله (لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ) وأما عاصم فإنه كان يكسر جميعها إلا قوله (وأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ) فإنه كان يفتحها ، وأما أبو عمرو ، فإنه كان يكسر جميعها إلا قوله (وأَنْ لَوِ اسْتَقامُوا على الطَّرِيقَةِ) فإنه كان يفتح هذه ومابعدها ، فأما الذين فتحوا جميعها إلا فى موضع القول ، كقوله (فَقالُوا إِنَّا سَمِعْنا) وقوله (قالَ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي) ونحو ذلك ، فإنهم عطفوا أن فى كلّ السورة على قوله فآمنا به ، وآمنا بكلّ ذلك ، ففتحوها بوقوع الإيمان عليها . وكان الفرّاء يقول : لايمنعنك أن تجد الإيمان يقبح فى بعض ذلك من الفتح ، وأن الذى يقبح مع ظهور الإيمان قد يحسن فيه فعل مضارع للإيمان ، فوجب فتح أنّ كما قالت العرب :

إذَا ما الغانِيَاتُ بَرَزْنَ يَوْمًا وزَجَّجْنَ الْحَوَاجِبَ والعُيُونا ١

فنصب العيون لاتباعها الحواجب ، وهى لاتزجج ، وإنما تكحل ، فأضمر لها الكحل ، كذلك يضمر فى الموضع الذى لايحسن فيه آمنا صدّقنا وآمنا وشهدنا . قال : وبقول النصب قوله (وأَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ) فينبغى لمن كسر أن يحذف « أن » من « لو » لأن « أن » إذا خُفِّفت لم تكن حكاية . ألا ترى أنك تقول : أقول لوفعلت لفعلت ، ولا تدخل « أن » ، وأما الذين كسروها كلهم وهم فى ذلك يقولون (وأَنْ لَوِ اسْتَقامُوا) فكأنهم أضمروا يمينا مع « لو » وقطعوها عن النسق على أوّل الكلام ، فقالوا : والله أن لو استقاموا ؛ قال : والعرب تدخل « أن » فى هذا الموضع مع اليمين وتحذفها ، قال الشاعر :

فأُقْسِمُ لَوْ شَيْءٌ أتانا رَسُولُهُ سِوَاكَ وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعا ٢

قالوا : وأنشدنا آخر :

أمَا وَاللهَ أنْ لَوْ كُنْتَ حُرا وَما بالْحُرِّ أنْتَ وَلا العَتِيقِ ٣

وأدخل « أن » من كسرها كلها ، ونصب (وأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ) فإنه خصّ ذلك بالوحى ، وجعل

---

(١) سبق الاستشهاد بالبيت فى الجزء (٢٧ : ١٧٦) وشرحناه هناك شرحا مبسوطا ، فارجع إليه .

(٢) البيت لامرئ القيس ، وقد سبق الاستشهاد به فى الجزأين (١٢ : ١٨ ، ١٣ : ١٥٢) فارجع إليه فيهما ، فقد شرحناه مطولا .

(٣) البيت من شواهد النحويين على أن المخففة من الثقيلة قيل تعمل وقيل لا تعمل (الإنصاف فى مسائل الخلاف لابن الأنبارى طبعة القاهرة ١ : ١٢٦ ولم ينسبه) . وقال الفراء فى معانى القرآن ، واستشهد بالبيت (الورقة ٣٤٤) : والعرب تدخل أن فى هذا الموضع مع اليمين ، وتحذفها . قال الشاعر « فأقسم لو شىء . . . البيت » . وأنشدنى آخر : « أما والله أن . . . » البيت . وقد نقل المؤلف كلام الفراء جميعه فى فتح همزة أن وكسرها فى آيات سورة الجن ، فلا نطول الكلام بنقله ، ونكتفى بهذه الإشارة .

Marfat.com

(وأنْ لَوْ) مضمرة فيها اليمين على ماوصفت وأما نافع فإن ما فتح من ذلك فإنه ردّه على قوله (أُوحِيَ إلىّ) وما كسره فإنه جعله من قول الجنّ ، وأحبّ ذلك إلىّ أن أقرأ به الفتح فيما كان وحيا ، والكسر فيما كان من قول الجنّ ، لأن ذلك أفصحها فى العربية ، وأبينها فى المعنى ، وإن كان للقراءات الأُخر وجوه غير مدفوعة صحتها .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝ ﴾

** يقول عزّ وجلّ مخبرا عن قيل النفر من الجنّ الذين استمعوا القرآن (أنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهُنا) وهو إبليس .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهُنا على الله شَطَطا) وهو إبليس .

حدثنا ابن حميد، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن رجل من المكيين ، عن مجاهد (سَفِيهُنا على الله شَطَطا) قال إبليس : ثم قال سفيان : سمعت أن الرجل إذا سجد جلس إبليس يبكى يقول : ياويله أمر بالسجود فعصَى ، فله النار ، وأمر ابن آدم بالسجود فسجد ، فله الجنة .

حدثنى ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : تلا قتادة (وأنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهُنا على الله شَطَطا . وأنَّا ظَنَنَّا أنْ لَنْ تَقُولَ الإنْسُ والجِنُّ على الله كَذِبا) فقال : عصاه والله سفيه الجنّ ، كما عصاه سفيه الإنس .

وأما الشَّطط من القول ، فإنه ما كان تعدّيا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : ثنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهُنا على الله شَطَطا) قال : ظلما .

وقوله (وأنَّا ظَنَنَّا أنْ لَنْ تَقُولَ الإنْسُ والجِنُّ على الله كَذِبا) يقول : قالوا : وأنا حسبنا أن لن تقول بنو آدم والجنّ على الله كذبا من القول ، والظنّ هاهنا بمعنى الشكّ ، وإنما أنكر هؤلاء النفر من الجنّ أن تكون علمت أن أحداً يجترئ على الكذب على الله لما سمعت القرآن ، لأنهم قبل أن يسمعوه وقبل أن يعلموا تكذيب الله الزاعمين أن لله صاحبة وولدا ، وغير ذلك من معانى الكفر كانوا يحسبون أن إبليس

Marfat.com

صادق فيما يدعو بني آدم إليه من صنوف الكفر ؛ فلما سمعوا القرآن أيقنوا أنه كان كاذبا في كلّ ذلك ، فلذلك قالوا (وأَنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهُنا على اللهِ شَطَطاً) فسموه سفيها .

وقوله (وأَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الإنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الجِنِّ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء النفر : وأنه كان رجال من الإنس يستجيرون برجال من الجنّ في أسفارهم إذا نزلوا منازلهم .

وكان ذلك من فعلهم فيما ذُكر لنا ، كالذي حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وأَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الإنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الجِنِّ) قال : كان رجال من الإنس يبيت أحدهم بالوادي في الجاهلية فيقول : أعوذ بعزيز هذا الوادي ، فزادهم ذلك إثما .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا هشيم ، عن عوف ، عن الحسن ، في قوله (وأَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الإنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الجِنِّ) قال : كان الرجل منهم إذا نزل الوادي فبات به ، قال : أعوذ بعزيز هذا الوادي من شرّ سفهاء قومه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم في قوله (وأَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الإنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الجِنِّ) كانوا إذا نزلوا الوادي قالوا : نعوذ بسيد هذا الوادي من شرّ ما فيه ، فتقول الجنّ : ما نملك لكم ولا لأنفسنا ضرّا ولا نفعا .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، في قوله (وأَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الإنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الجِنِّ) قال : كانوا في الجاهلة إذا نزلوا بالوادي قالوا : نعوذ بسيد هذا الوادي ، فيقول الجنيون : تتعوّذون بنا ولا نملك لأنفسنا ضرّا ولا نفعا !

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الجِنِّ) قال : كانوا يقولون إذا هبطوا واديا : نعوذ بعظماء هذا الوادي .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الإنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الجِنِّ) ذُكر لنا أن هذا الحيّ من العرب كانوا إذا نزلوا بواد قالوا : نعوذ بأعزّ أهل هذا المكان ، قال الله (فَزَادُوهُمْ رَهَقاً) : أي إثما ، وازدادت الجنّ عليهم بذلك جراءة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الجِنِّ) كانوا في الجاهلية إذا نزلوا منزلا يقولون : نعوذ بأعزّ أهل هذا المكان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس (وأَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الإنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الجِنِّ) قال : كانوا يقولون فلان من الجنّ ربّ هذا الوادي ، فكان أحدهم إذا دخل الوادي يعوذ بربّ الوادي من دون الله ، قال : فيزيده بذلك رهقا ، وهو الفرق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وأَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ

Marfat.com

الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) قال : كان الرجل فى الجاهلية إذا نزل بواد قبل الإسلام قال : إنى أعوذ بكبير هذا الوادى ، فلما جاء الإسلام عاذوا بالله وتركوهم .

وقوله (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : فزاد الإنس بالجنّ باستعاذتهم بعزيزهم ، جراءة عليهم ، وازدادوا بذلك إثما .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) فزادهم ذلك إثما .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثناسعيد ، عن قتادة قال : قال الله (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) : أى إثما ، وازدادت الجنّ عليهم بذلك جراءة .

حدثنا ابن عبدالأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) يقول : خطيئة.

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) قال : فيزدادون عليهم جراءة .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) قال : ازدادوا عليهم جراءة .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك أن الكفار زادوا بذلك طغيانا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) قال : زاد الكفار طغيانا .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك فزادوهم فرَقا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) قال : فيزيدهم ذلك رهقا ، وهو الفرق .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) قال : زادهم الجنّ خوفا .

** وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك : فزاد الإنس الجنّ بفعلهم ذلك إثما ، وذلك زادوهم به استحلالا لمحارم الله . والرهق فى كلام العرب : الإثم وغشيان المحارم ؛ ومنه قول الأعشى :

لا شَىْءَ يَنْفَعُنِى مِنْ دُونِ رُؤْيَتِهَا ... هَلْ يَشْتَفِى وَامِقٌ ما لم يُصِبْ رَهَقا [1]

يقول : ما لم يغش محرما .

---

(1) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ص ٣٩ من القصيدة المرقومة ٥) . وفى اللسان : (رهق) قال : والرهق غشيان المحارم من شرب الخمر ونحوه . قال ابن برى : وكذلك فسر الرهق فى شعر الأعشى ، بأنه غشيان المحارم وما لاخير فيه فى قوله « لا شىء ينفعنى . . . البيت » قلت : وتفسير ابن برى لايعجبنى ، لأن الأعشى لم يكن يعرف المحرمات ، وإنما يحسن تفسيره كما قاله

القول في تأويل قوله تعالى:

وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ۞ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۞

** يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء النفر من الجنّ (وأنَّهُمْ ظَنُّوا كما ظَنَنْتُمْ أنْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ أحَدًا) يعنى أن الرجال من الجنّ ظنوا كما ظنّ الرجال من الإنس أن لن يبعث الله أحدا رسولا إلى خلقه، يدعوهم إلى توحيده.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن الكلبيّ (وأنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ) ظنّ كفار الجنّ كما ظنّ كفرة الإنس أن لن يبعث الله رسولا.

وقوله (وأنَّا لَمَسْنا السَّماءَ) يقول عزّ وجلّ مخبرا عن قيل هؤلاء النفر: وأنا طلبنا السماء وأردناها، (فَوَجَدْناها مُلِئَتْ) يقول: فوجدناها ملئت (حَرَسا شَدِيدًا) يعنى حفظة (وشُهُبا)، وهى جمع شهاب، وهى النجوم التى كانت تُرجم بها الشياطين.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن زياد، عن سعيد بن جُبير، قال: كانت الجنّ تستمع، فلما رجموا قالوا: إن هذا الذى حدث فى السماء لشىء حدث فى الأرض؛ قال: فذهبوا يطلبون حتى رأوُا النبيّ صلى الله عليه وسلم خارجا من سوق عكاظ يصلى بأصحابه الفجر، فذهبوا إلى قومهم منذرين.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ۞ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۞

** يقول عزّ وجلّ: وإنا كنا معشر الجنّ نقعد من السماء مقاعد لنسمع ما يحدث، وما يكون فيها، (فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ) فيها منا (يَجِدْ لَهُ شِهابا رَصَدًا) يعنى: شهاب نار قد رصد له به.

= شارح الديوان: إن الرهق: الدنو من المحبوب والقرب منه، والتمتع بما ينوله، فأما إذا كان بعيدا عنه فلا شفاء ولا قرار. وفى (اللسان: رهق): عن الزجاج، فزادوهم رهقا: أى ذلة وضعفا. وقيل: سفها وطغيانا. وقيل فى تفسيره: الظلم. وقيل الفساد . . . . الخ.

Marfat.com

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأنَّا لَمَسْنا السَّماءَ) . . . إلى قوله (فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهابا رَصَدًا) كانت الجنّ تسمع سمع السماء ؛ فلما بعث الله نبيه ، حُرِست السماء ، ومُنِعوا ذلك ، فتفقَّدت الجنّ ذلك من أنفسها .

وذُكر لنا أن أشراف الجنّ كانوا بنصيبين ، فطلبوا ذلك ، وضربوا له حتى سقطوا على نبىّ الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى بأصحابه عامدا إلى عكاظ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأنَّا لَمَسْنا السَّماءَ فَوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَسا وشُهُبا) . . . حتى بلغ (فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهابا رَصَدًا) فلما وجدوا ذلك رجعوا إلى إبليس ، فقالوا : منع منا السمع ، فقال لهم : إن السماء لم تُحرس قطّ إلا على أحد أمرين : إما لعذاب يريد الله أن ينزله على أهل الأرض بغتة ، وإما نبىّ مرشد مصلح ، قال : فذلك قول الله (وأنَّا لانَدْرِى أشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِى الأرْضِ ، أمْ أرادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا)

وقوله (وأنَّا لانَدْرِى أشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِى الأرْضِ أمْ أرادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) يقول عزّ وجلّ مخبرا عن قيل هؤلاء النفر من الجنّ : وأنا لاندرى أعذابا أراد الله أن ينزله بأهل الأرض ، بمنعه إيانا السمع من السماء ورجمه من استمع منا فيها بالشهب (أمْ أرادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) يقول : أم أراد بهم ربهم الهدى بأن يبعث منهم رسولا مرشدا يرشدهم إلى الحقّ وهذا التأويل على التأويل الذى ذكرناه عن ابن زيد قبل .

وذُكر عن الكلبى فى ذلك ماحدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، عن الكلبى فى قوله (وأنَّا لانَدْرِى أشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِى الأرْضِ أمْ أرادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) أن يطيعوا هذا الرسول فيرشدهم أو يعصوه فيهلكهم .

وإنما قلنا القول الأوّل لأن قوله (وأنَّا لانَدْرِى أشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِى الأرْضِ) عقيب قوله (وأنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ) . . الآية ، فكان ذلك بأن يكون من تمام قصة ماوليه ، وقرب منه أولى بأن يكون من تمام خبر ما بعد عنه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَنَّا مِنَّا الصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾

** يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيلهم (وأنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ) وهم المسلمون العاملون بطاعة الله (وَمِنَّا دُونَ ذلكَ) يقول : ومنا دون الصالحين (كُنَّا طَرائِقَ قِدَدًا) يقول : وأنا كنا أهواء مختلفة ، وفرقا

Marfat.com

شتى ، منا المؤمن والكافر . والطرائق: جمع طريقة ، وهى طريقة الرجل ومذهبه . والقِدد : جمع قدّة ؛ وهى الضروب والأجناس المختلفة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن حميد الرازى ، قال: ثنا يحيى بن واضح ، قال: ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، فى قوله (طَرَائِقَ قِدَدًا) يقول : أهواء مختلفة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا) يقول:أهواء شتى ، منا المسلم ، ومنا المشرك .

حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا) كان القوم على أهواء شتى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال:ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (طَرَائِقَ قِدَدًا) قال : أهواء .

حدثنى ابن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال:ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا) قال : مسلمين وكافرين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا) قال : شتى ، مؤمن وكافر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد ، فى قوله (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا) قال صالح وكافر ، وقرأ قول الله (وأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ) .

وقوله (وأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللهَ فِى الأَرْضِ) يقول:وأنا علمنا أن لن نُعجز الله فى الأرض إن أراد بنا سوءا (وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا) إن طلبنا فنفوته . وإنما وصفوا الله بالقدرة عليهم حيث كانوا (وأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الهُدَى آمَنَّا بِهِ) يقول:قالوا :وأنا لما سمعنا القرآن الذى يهدى إلى الطريق المستقيم آمنا به ، يقول : صدّقنا به ، وأقررنا أنه حق من عند الله ،فمن يؤمن بربه (فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا) يقول : فمن يصدّق بربه،فلا يخاف بخسا : يقول: لايخاف أن ينقص من حسناته ، فلا يجازى عليها ؛ ولا رَهَقا : ولا إثما يحمل عليه من سيئات غيره ، أو سيئة يعملها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله(فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا) يقول : لايخاف نقصا من حسناته ، ولا زيادة فى سيئاته .

Marfat.com

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا) يقول : ولا يخاف أن يبخس من عمله شيء .

حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَا يَخَافُ بَخْسًا) : أى ظلما ، أن يظلم من حسناته فينقص منها شيئا ، أو يحمل عليه ذنب غيره (وَلَا رَهَقًا) ولا مأثما .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا) قال : لا يخاف أن يبخس من أجره شيئا ولا رهقا ، فيظلم ولا يعطى شيئا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل النفر من الجن (وأنَّا مِنَّا المُسْلِمُونَ) الذين قد خضعوا لله بالطاعة (وَمِنَّا القاسِطُونَ) وهم الجائرون عن الإسلام وقصد السبيل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وأنَّا مِنَّا المُسْلِمُونَ وَمِنَّا القاسِطُونَ) قال : العادلون عن الحقّ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال: ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (القاسِطُونَ) قال : الظالمون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال (القاسِطُونَ) الجائرون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (القاسِطُونَ) قال : الجائرون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : المقسط : العادل ، والقاسط : الجائر وذكر بيت شعر :

قَسَطْنَا على الأَمْلاكِ فِى عَهْدِ تُبَّعٍ ... وَمِنْ قَبْلِ ما أَدْرَى النُّفُوسَ عِقابَها [1]

وقال : وهذا مثل الترب والمترب ؛ قال : والترب : المسكين ، وقرأ (أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ) قال : والمترب : الغنى .

(١) البيت استشهد به ابن زيد المحدث على أن القاسطين معناه الجائرون . قال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٤٤) وقوله « ومنا القاسطون » : وهم الجائرون الكفار . والمقسطون : العادلون المسلمون .

Marfat.com

وقوله (فَمَنْ أَسْلَمَ فأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا) يقول: فمن أسلم وخضع لله بالطاعة ، فأولئك تعمدوا وترجّوا رشدا فى دينهم . وأما القاسطون يقول الجائرون عن الإسلام ، فكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا) توقد بهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : وأن لو استقام هؤلاء القاسطون على طريقة الحقّ والاستقامة (لَأَسْقَيْنَاهُمْ ماءً غدقًا) يقول : لوسعنا عليهم فى الرزق ، وبسطناهم فى الدنيا لنفتنهم فيه ، يقول لنختبرهم فيه .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم نحو الذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وأنْ لَوِ اسْتَقَامُوا على الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ ماءً غَدَقًا) يعنى بالاستقامة : الطاعة . فأما الغدق فالماء الطاهر الكثير (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) يقول : لنبتليهم به .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن عبيد الله بن أبى زياد ، عن مجاهد (وأنْ لَوِ اسْتَقَامُوا على الطَّرِيقَةِ) طريقه الإسلام (لَأَسْقَيْنَاهُمْ ماءً غَدَقًا) قال : نافعا كثيرا ؛ لأعطيناهم مالا كثيرا (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) حتى يرجعوا لما كتب عليهم من الشقاء .

حدثنا إسحاق بن زيد الخطابى ، قال : ثنا الفريابى ، عن سفيان ، عن عبيد الله بن أبى زياد ، عن مجاهد مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال: ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عبيد الله بن أبى زياد ، عن مجاهد (وأنْ لَوِ اسْتَقَامُوا على الطَّرِيقَةِ) قال : طريقة الحقّ (لَأَسْقَيْنَاهُمْ ماءً غَدَقًا) يقول مالا كثيرا (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) قال : لنبتليهم به حتى يرجعوا إلى ما كتب عليهم من الشقاء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن مجاهد ، عن أبيه ، مثله .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن علقمة بن مرثد ، عن مجاهد (وأنْ لَوِ اسْتَقَامُوا على الطَّرِيقَةِ) قال : الإسلام (لَأَسْقَيْنَاهُمْ ماء غَدَقًا) قال الكثير (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) قال : لنبتليهم به .

قال : ثنا مهران ، عن أبى سنان ، عن غير واحد ، عن مجاهد (ماءً غَدَقًا) قال الماء . والغدق : الكثير (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) حتى يرجعوا إلى علمى فيهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث قال : ثنا الحسن ،

Marfat.com

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ،عن مجاهد ، قوله (لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا) قال : لأعطيناهم مالا كثيرا ، قوله(لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) قال : لنبتليهم .

حدثنى أبوالسائب ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن بعض أصحابه ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جُبير فى قوله (وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ) قال: الدين (لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا) قال : مالا كثيرا (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) يقول : لنبتليهم به .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا) قال : لو آمنوا كلهم لأوسعنا عليهم من الدنيا قال الله (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) يقول : لنبتليهم بها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا) قال : لو اتقوا لوسع عليهم فى الرزق (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) قال : لنبتليهم فيه .

حدثنا ابن حميد ، قال: ثنا مهران ، عن أبى جعفر، عن الربيع بن أنس (مَاءً غَدَقًا) قال : عيشا رَغدًا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد ، فى قوله (وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا) قال: الغدق الكثير : مال كثير (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) لنختبرهم فيه .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآملى ، قال : ثنا المطلب بن زياد ، عن التيمى ، قال : قال عمر رضى الله عنه فى قوله (وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا) قال: أينما كان الماء كان المال وأينما كان المال كانت الفتنة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وأن لو استقاموا على الضلالة لأعطيناهم سعة من الرزق لنستدرجهم بها

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال: سمعت عمران بن حدير ، عن أبى مِجْلَز ، قال : وأن لو استقاموا على طريقة الضلالة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وأن لو استقاموا على طريقة الحق وآمنوا لوسعنا عليهم .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبامعاذ يقول : ثنا عبيد ، قال: سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ)قال : هذا مثل ضربه الله كقوله (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ) وقوله تعالى (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ) والماء الغَدَق يعنى : الماء الكثير (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) لنبتليهم فيه .

وقوله (وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا) يقول عزّ وجل: ومن يُعرض عن ذكر ربه الذى ذكره به ، وهو هذا القرآن ؛ ومعناه: ومن يعرض عن استماع القرآن واستعماله ، يسلكه

Marfat.com

الله عذابا صعدا : يقول : يسلكه الله عذابا شديدا شاقا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَدًا) يقول : مشقة من العذاب يصعد فيها .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنى أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عَذَابا صَعَدًا) قال : مشقة من العذاب .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (عَذَابا صَعَدًا) قال : جبل فى جهنم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله(يَسْلُكْهُ عَذَابا صَعَدًا) عذاباً لا راحة فيه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة(عَذَاباً صَعَدًا) قال : صَعودا من عذاب الله لا راحة فيه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله(يَسْلُكْهُ عَذَابا صَعَدًا) قال : الصعد : العذاب المنصب .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (يَسْلُكْهُ) فقرأه بعض قرّاء مكة والبصرة(نَسْلُكْهُ) بالنون اعتبارا بقوله (لِنَفْتِنَهُمْ) أنها بالنون . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة بالياء ، بمعنى : يسلكه الله ردّا على الربّ فى قوله (وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾

* يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم :(قل أوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجنّ) (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا) أيها الناس (مَعَ اللهِ أَحَدًا) ولا تشركوا به فيها شيئا ، ولكن أفردوا له التوحيد ، وأخلصوا له العبادة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

Marfat.com

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأنَّ المَساجِدَ لِلهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أحَدًا) كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبِيَعهم أشركوا بالله ، فأمر الله نبيه أن يوحِّد الله وحده .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن محمود ، عن سعيد ابن جُبير (وأنَّ المَساجِدَ لِلهِ) قال : قالت الجنّ لنبيّ الله كيف لنا نأتى المسجد ، ونحن ناءون عنك ، وكيف نشهد معك الصلاة ونحن ناءون عنك ؟ فنزلت (وأنَّ المَساجِدَ لِلهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أحَدًا) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وأنَّ المَساجِدَ لِلهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أحَدًا) قال : كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبِيَعهم أشركوا بالله ، فأمر الله نبيه أن يخلص له الدعوة إذا دخل المسجد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن خَصيف ، عن عكرمة (وأنَّ المَساجِدَ لِلهِ) قال : المساجد كلها .

وقوله (وأنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) يقول : وأنه لما قام محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله يقول : «لا إله إلا الله» (كادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) يقول : كادوا يكونون على محمد جماعات بعضها فوق بعض ، واحدها لبدة ، وفيها لغتان : كسر اللام لِبدة ، ومن كسرها جمعها لِبَد ؛ وضم اللام لُبدة ، ومن ضمها جمعها لُبَد بضم اللام ، أو لابد ؛ ومن جمع لابد قال لُبَّدًا مثل راكع وركعا ، وقراء الأمصار على كسر اللام من لِبَد ، غير ابن مُحَيْصِن فإنه كان يضمها ، وهما بمعنى واحد ، غير أن القراءة التى عليها قرّاء الأمصار أحبّ إلىّ ، والعرب تدعو الجراد الكثير الذى قد ركب بعضه بعضا لُبْدَةً ؛ ومنه قول عبد مناف بن ربعىّ الهذلىّ :

صَابُوا بِسِتَّةِ أبْيَاتٍ وأرْبَعَةٍ حَتَّى كأنَّ عليهِمْ جابِيا لُبَدَا[1]

والجابى : الجراد الذى يجبى كلّ شىء يأكله .

واختلف أهل التأويل فى الذين عنوا بقوله (كادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) فقال بعضهم : عنى بذلك الجنّ أنهم كادوا يركبون رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمعوا القرآن .

---

(١) البيت فى (ديوان الهذليين ٢ : ٤٠) فى شعر عبد مناف بن ربع الهذلى ، يذكر يوم أنف عاذ . وفى (اللسان : صاب) : وقول الهذلى « صابوا . . . البيت» صابوا بهم : أوقعوا بهم . والجابى (بالياء) : الجراد . واللبد (بضم اللام) الكثير . وقال : فى (جبأ) «والجابئ الجراد ، يهمز ولا يهمز . وجبأ الجراد : هجم على البلد . قال الهذلى : صابوا . . . . . جابئا لبدا » بهمز جابئ . قال : وكل طالع فجأة جابئ . وقال فى (لبد) ومال لبد (بالضم) : كثير لايخاف فناؤه ، كأنه التبد بعضه على بعض . وفى التنزيل : يقول أهلكت مالا لبدا » : أى جما . قال الفراء : اللبد : الكثير . وقال بعضهم : واحدته : لبدة ، ولبد : جماع . قال : وجعله بعضهم على جهة قثم وحطم ، واحدا ، وهو فى الوجهين جميعا : الكثير . اهـ .

Marfat.com

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) يقول : لما سمعوا النبيّ صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن ، ودنوا منه فلم يعلم بهم حتى أتاه الرسول ، فجعل يقرئه (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ) .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) كادوا يركبونه حرصا على ما سمعوا منه من القرآن . .

** قال أبو جعفر : ومن قال هذا القول جعل قوله (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ) مما أوحى إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فيكون معناه : قل أوحى إليّ أنه استمع نفر من الجنّ ، وأنه لما قام عبد الله يدعوه .

وقال آخرون : بل هذا من قول النفر من الجن لما رجعوا إلى قومهم أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم له ، وائتمامهم به في الركوع والسجود .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن معمر ، قال : ثنا أبو مسلم ، عن أبي عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قول الجنّ لقومهم (لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) قال : لما رأوه يصلي وأصحابه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده ، قال : عجبوا من طواعية أصحابه له ؛ قال : فقالوا لقومهم لما قام عبد الله يدعوه ، كادوا يكونون عليه لبدا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن زياد ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) قال : كان أصحاب نبيّ الله صلى الله عليه وسلم يأتمُّون به ، فيركعون بركوعه ، ويسجدون بسجوده ، ومن قال هذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس وسعيد فتح الألف من قوله « وأنه » عطف بها على قوله (وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا) مفتوحة ، وجاز له كسرها على الابتداء .

وقال آخرون : بل ذلك من خبر الله الذي أوحاه إلى نبيه صلى الله عليه وسلم لعلمه أن الإنس والجنّ تظاهروا عليه ، ليُبطلوا الحقّ الذي جاءهم به ، فأبى الله إلا إتمامه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) قال : تلبدت الإنس والجنّ على هذا الأمر ليطفئوه ، فأبى الله إلا أن ينصره ويمضيه ، ويظهره على من ناوأه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (لِبَدًا) قال : لما قام النبيّ صلى الله عليه وسلم تلبّدت الجنّ والإنس ، فحرصوا على أن يطفئوا هذا النور الذي أنزله الله .

Marfat.com

حدثنى يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال : : قال ابن زيد فى قوله (كادوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) قال : تظاهروا عليه بعضهم على بعض ، تظاهروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن قال هذا القول فتح الألف من قوله « وأنه » .

** وأولى الأقوال بالصواب فى ذلك قول من قال : ذلك خبر من الله عن أن رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم لما قام يدعوه كادت العرب تكون عليه جميعا فى إطفاء نور الله .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات بالصواب لأن قوله (وأنَّه لمَّا قامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ) عقيب قوله (وأنَّ المَساجِدَ للهِ) وذلك من خبر الله فكذلك قوله (وأنَّهُ لمَّا قامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ) وأخرى أنه تعالى ذكره أتبع ذلك قوله (فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أحَدًا) فعلوم أن الذى يتبع ذلك الخبر عما لقى المأمور بأن لا يدعو مع الله أحدا فى ذلك ، لا الخبر عن كثرة إجابة المدعوين وسرعتهم إلى الإجابة .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا هوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (وأنَّهُ لما قامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ) قال : لما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا إله إلا الله » ويدعو الناس إلى ربهم كادت العرب تكون عليه جميعا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن رجل ، عن سعيد ابن جُبير فى قوله (كادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) قال : تراكبوا عليه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سعيد بن جبير (كادوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) قال : بعضهم على بعض .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (كادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) يقول : أعوانا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) قال جميعا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (كادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) قال : جميعا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (كادُوا يَكُونُون عَلَيْهِ لِبَدًا) واللبد : الشىء الذى بعضه فوق بعض .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (قُلْ إنَّمَا أدْعُو رَبِّى) فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين

Marfat.com

على وجه الخبر قال بالألف ؛ ومن قرأ ذلك كذلك ، جعله خبرا من الله عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال ، فيكون معنى الكلام : وأنه لما قام عبد الله يدعوه تلبدوا عليه ، قال لهم : إنما أدعو ربى ، ولا أشرك به أحدا . وقرأ ذلك بعض المدنيين وعامة قرّاء الكوفة على وجه الأمر من الله عزّ وجلّ لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد للناس الذين كادوا يكونون عليك لبدا ، إنما أدعو ربى ولا أشرك به أحدا .

والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (قُلْ إِنِّى لاأَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلارَشَدًا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد لمشركى العرب الذين ردّوا عليك ماجئتهم به من النصيحة : إنى لاأملك لكم ضرًّا فى دينكم ولا فى دنياكم ، ولا رشدا أرشدكم ، لأن الذى يملك ذلك ، الله الذى له مُلك كلّ شىء .

وقوله (قُلْ إِنِّى لَنْ يُجِيرَنِى مِنَ اللهِ أَحَدٌ) من خلقه إن أراد بى أمرا ، ولاينصرنى منه ناصر .

وذُكر أن هذه الآية أُنزلت على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، لأن بعض الجنّ قال : أنا أجيره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : زعم حضرمىّ أنه ذكر له أن جنيا من الجنّ من أشرافهم ذا تبَع ، قال : إنما يريد محمد أن نجيره وأنا أجيره فأنزل الله (قُلْ إِنِّى لَنْ يُجِيرَنِى مِنَ اللهِ أَحَدٌ) .

وقوله (وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) يقول : ولن أجد من دون الله ملجئا ألجأ إليه .

كما حدثنا مهران ، عن سفيان (وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) يقول : ولن أجد من دون الله ملجئا ألجأ إليه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) : أى ملجئا ونصيرا .

حدثنا ابن عبدالأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مُلْتَحَدًا) قال : ملجئا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) يقول : ناصرا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ۚ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾

حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لمشركى العرب : إنى لاأملك لكم ضرًّا ولا رشدا (إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللهِ وَرِسَالَاتِهِ) يقول : إلا أن أبلغكم من الله ما أمرنى بتبليغكم إياه ، وإلا رسالاته التى أرسلنى بها إليكم ، فأما الرشد والخذلان ، فبيد الله ، هو مالكه دون سائر خلقه يهدى من يشاء ويخذل من أراد .

Marfat.com

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إلاَّ بَلاغاً مِنَ اللهِ وَرِسالاتِهِ) فذلك الذى أملك بلاغاً من الله ورسالاته .

وقد يحتمل ذلك معنى آخر ، وهو أن تكون « إلا » حرفين ، وتكون « لا » منقطعة من « إن » فيكون معنى الكلام : «قل إنى لن يجيرنى من الله أحد» إن لم أبلغ رسالاته ، ويكون نصب البلاغ من إضمار فعل من الجزاء كقول القائل : إن لاقياما فقعودا ، وإن لا إعطاء فرداً جميلا ، بمعنى : إن لا تفعل الإعطاء فرداً جميلا .

وقوله (وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فإنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ) يقول تعالى ذكره : ومن يعص الله فيما أمره ونهاه ، ويكذب به ورسوله ، فيجحد رسالاته ، فإن له نار جهنم يصلاها (خالِدِينَ فِيها أبَداً) يقول : ماكثين فيها أبداً إلى غير نهاية .

وقوله (حَتَّى إذَا رأَوْا ما يُوعَدُونَ) يقول تعالى ذكره : إذا عاينوا ما يعدهم ربهم من العذاب وقيام الساعة (فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أضْعَفُ ناصِراً وأقَلُّ عَدَداً) أجند الله الذى أشركوا به ، أم هؤلاء المشركون به .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

﴿﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه : قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك : ما أدرى أقريب ما يعدكم ربكم من العذاب وقيام الساعة (أمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّى أمَداً) يعنى : غاية معلومة تطول مدتها .

وقوله (عالِمُ الغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ على غَيْبِهِ أحَداً إلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ) يعنى بعالم الغيب : عالم ما غاب عن أبصار خلقه ، فلم يروه فلا يظهر على غيبه أحدا ، فيعلمه أو يريه إياه إلا من ارتضى من رسول ، فإنه يظهره على ماشاء من ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَلا يُظْهِرُ على غَيْبِه أحَداً . إلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ) فأعلم الله سبحانه الرسل من الغيب الوحى وأظهرهم عليه بما أوحى إليهم من غيبه ، وما يحكم الله ، فإنه لا يعلم ذلك غيره .

Marfat.com

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (عالِمُ الغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أحَداً . إلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ) فإنه يصطفيهم ، ويطلعهم على مايشاء من الغيب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ) فإنه يظهره من الغيب على ما شاء إذا ارتضاه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَلا يُظْهِرُ على غَيْبِهِ أحَداً . إلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ) قال : ينزل من غيبه ماشاء على الأنبياء أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الغيب القرآن ، قال : وحدثنا فيه بالغيب بما يكون يوم القيامة .

وقوله (فإنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً) يقول : فإنه يرسل من أمامه ومن خلفه حرسا وحفظة يحفظونه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنامهران ، عن سفيان ، عن علقمة بن مرثد ، عن الضحاك (إلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فإنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً) قال : كان النبيّ صلى الله عليه وسلم إذا بعث إليه الملك بالوحي بعث معه ملائكة يحرسونه من بين يديه ومن خلفه ، أن يتشبَّه الشيطان على صورة الملك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن منصور ، عن إبراهيم (مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً) قال : ملائكة يحفظونهم من بين أيديهم ومن خلفهم .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً) قال : الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من الجنّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن طلحة ، يعني ابن مصرف ، عن إبراهيم ، في قوله (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً) قال : الملائكة رصد من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من الجن .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فإنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً) قال : هي معقبات من الملائكة يحفظون النبيّ صلى الله عليه وسلم من الشيطان حتى يتبين الذى أرسل به إليهم ، وذلك حين يقول : ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فإنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً) قال : الملائكة .

وقوله (لِيَعْلَمَ أنْ قَدْ أبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ) اختلف أهل التأويل في الذى عُنِي بقوله (لِيَعْلَمَ) فقال بعضهم : عُنِي بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : معنى الكلام : ليعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قد أبلغت الرسل قبله عن ربها .

Marfat.com

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ) ليعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الرسل قبله قد أبلغت عن ربها وحفظت .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ) قال : ليعلم نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أن الرسل قد أبلغت عن الله ، وأن الله حفظها ، ودفع عنها .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ليعلم المشركون أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ) قال : ليعلم من كذب الرسل أن قد أبلغوا رسالات ربهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ليعلم محمد أن قد بلغت الملائكة رسالات ربهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (عالِمُ الغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ على غَيْبِهِ أحَدًا إلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فإنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) قال : أربعة حفظة من الملائكة مع جبرائيل (لِيَعْلَمَ) محمد (أنْ قَدْ أبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ ، وأحاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ ، وأحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا) قال : وما نزل جبريل عليه السلام بشيء من الوحى إلا ومعه أربعة حفظة .

* قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندنا بالصواب ، قول من قال : ليعلم الرسول أن الرسل قبله قد أبلغوا رسالات ربهم ، وذلك أن قوله (لِيَعْلَمَ) من سبب قوله (فإنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) وذلك خبر عن الرسول ، فمعلوم بذلك أن قوله ليعلم من سببه إذ كان ذلك خبرا عنه .

وقوله (وأحاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ) يقول : وعلم بكلّ ماعندهم (وأحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا) يقول : علم عدد الأشياء كلها ، فلم يخف عليه منها شيء .

وقد حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبير أنه قال فى هذه الآية (إلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ) . . . إلى قوله (وأحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا) قال : ليعلم الرسل أن ربهم أحاط بهم ، فبلغوا رسالاتهم .

آخر تفسير سورة الجنّ

Marfat.com

(٧٣) سورة المزمل مكية
وآياتها عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝﴾

** يعنى بقوله (يا أيها المزمل) هو الملتف بثيابه . وإنما عنى بذلك نبىّ الله صلى الله عليه وسلم .

واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى وصف الله به نبيه صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية من التزمل، فقال بعضهم : وصفه بأنه مُتَزمل فى ثيابه ، متأهب للصلاة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يا أيها المزمل) : أى المتزمل فى ثيابه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يا أيها المزمل) هو الذى تزمل بثيابه .

وقال آخرون : وصفه بأنه متزمل النبوّة والرسالة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنى عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، فى قوله (يأيها المزمل قم الليل إلا قليلا) قال : زُملت هذا الأمر فقم به .

** قال أبو جعفر : والذى هو أولى القولين بتأويل ذلك ، ماقاله قتادة ، لأنه قد عقبه بقوله (قم الليل) فكان ذلك بيانا عن أن وصفه بالتزمل بالثياب للصلاة ، وأن ذلك هو أظهر معنييه .

وقوله (قم الليل إلا قليلا) يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم «قم الليل» يامحمد كله «إلا قليلا» منه (نصفه) يقول : قم نصف الليل (أو انقص منه قليلا ، أو زد عليه) يقول : أو زد عليه ، خيره الله تعالى ذكره حين فرض عليه قيام الليل بين هذه المنازل أىّ ذلك شاء فعل ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما ذُكر يقومون الليل ، نحو قيامهم فى شهر رمضان فيما ذُكر حتى خفف ذلك عنهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن مسعر ، قال : ثنا سماك الحنفى ، قال : سمعت ابن عباس يقول : لما نزل أوّل المزمل ، كانوا يقومون نحوًا من قيامهم فى رمضان ، وكان بين أوّلها وآخرها قريب من سنة .

Marfat.com

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن مِسْعَر ، قال : ثنا سماك ، أنه سمع ابن عباس يقول ، فذكر نحوه . ، الا أنه قال نحوا من قيامهم فى شهر رمضان .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن حيان ، عن موسى بن عبيدة ، قال : ثنى محمد بن طَحْلاء مولى أمّ سلمة ، عن أبى سلمة بن عبدالرحمن ، عن عائشة قال : كنت أجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصيرا يصلى عليه من الليل ، فتسامع به الناس ، فاجتمعوا ، فخرج كالمغضب ، وكان بهم رحيما ، فخشى أن يُكتب عليهم قيام الليل ، فقال : «يا أيُّها النَّاسُ اكْلَفُوا مِنَ الأعْمالِ ما تُطِيقُونَ ، فإنَّ اللهَ لا يَمَلُّ مِنَ الثَّوابِ حتى تَمَلُّوا مِنَ العَمَلِ وخَيْرُ الأعْمالِ ما دُمْتُمْ عَلَيْهِ ، ونزل القرآن (يا أيُّها المُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إلاَّ قَلِيلاً ، نِصْفَهُ أوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ، أوزِدْ عَلَيْهِ) حتى كان الرجل يربط الحبل ويتعلق ، فمكثوا بذلك ثمانية أشهر ، فرأى الله مايبتغون من رضوانه فرحمهم فردّهم إلى الفريضة وترك قيام الليل » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن موسى بن عبيدة الحميرى ، عن محمد بن طحلاء ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، عن عائشة قالت : « كنت أشترى لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصيرا ، فكان يقوم عليه من أوّل الليل ، فتسمع الناس بصلاته ، فاجتمعت جماعة من الناس ؛ فلما رأى اجتماعهم كره ذلك ، فخشى أن يكتب عليهم ، فدخل البيت كالمغضب ، فجعلوا يتنحنحون ويتسعّلون حتى خرج إليهم ، فقال : يا أيُّها النَّاسُ إنَّ اللهَ لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا - يعنى من الثواب - فاكْلَفُوا مِنَ العَمَلِ ما تُطِيقُونَ فإنَّ خَيْرَ العَمَلِ أدْوَمُهُ وَإنْ قَلَّ ، ونزلت عليه (يا أيُّها المُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إلاَّ قَلِيلاً) السورة قال : فكتبت عليهم ، وأنزلت بمنزلة الفريضة حتى إن كان أحدهم ليربط الحبل فيتعلق به ؛ فلما رأى الله ما يكلفون مما يبتغون به وجه الله ورضاه ، وضع ذلك عنهم ، فقال : (إنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أنَّكَ تَقُومُ أدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ) . . . إلى (عَلِمَ أنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتابَ عَلَيْكُمْ) فردّهم إلى الفريضة ، ووضع عنهم النافلة ، إلا ما تطوّعوا به » .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (قُمِ اللَّيْلَ إلاَّ قَلِيلاً ، نِصْفَهُ أوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ، أوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ القُرْآنَ تَرْتِيلاً) فأمر الله نبيه والمؤمنين بقيام الليل إلا قليلا ، فشقّ ذلك على المؤمنين ، ثم خفّف عنهم فرحمهم ، وأنزل الله بعد هذا (عَلِمَ أنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأرْضِ) . . . إلى قوله (فاقْرَءُوا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ) فوسع الله وله الحمد ، ولم يضيق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : «لما أنزل الله على نبيه (يا أيُّها المُزَّمِّلُ) قال : مكث النبىّ صلى الله عليه وسلم على هذا الحال عشر سنين يقوم الليل كما أمره الله ، وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه ، فأنزل الله عليه بعد عشر سنين (إنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أنَّكَ تَقُومُ أدْنَى

Marfat.com

مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ . . . إلى قوله (وأقيموا الصَّلاةَ) فخفّف الله عنهم بعد عشر سنين » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح عن الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن ، قالا : قال فى سورة المزمل (قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ، نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ القُرْآنَ تَرْتِيلاً) نسختها الآية التى فيها (عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ، فاقْرَءُوا ما تَيَسَّرَ مِنَ القُرْآنِ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً) قاموا حولا أوحولين حتى انتفخت سوقهم وأقدامهم ، فأنزل الله تخفيفا بعد فى آخر السورة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن قيس بن وهب ، عن أبى عبد الرحمن ، قال : لما نزلت (يأيُّها المُزَّمِّلُ) قاموا بها حولا حتى ورمت أقدامهم وسوقهم حتى نزلت (فاقْرَءُوا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ) فاستراح الناس .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جرير بياع المُلاء عن الحسن ، قال : الحمد لله تطوّع بعد فريضة .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا وكيع ، عن مبارك ، عن الحسن ، قال لما نزلت (يأيُّها المُزَّمِّلُ) . . . الآية ، قام المسلمون حولا ، فمنهم من أطاقه ، ومنهم من لم يطقه ، حتى نزلت الرخصة .

قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما نزل أوّل المزّمل كانوا يقومون نحوا من قيامهم فى شهر رمضان ، وكان بين أوّلها وآخرها نحو من سنة .

وقوله (وَرَتِّلِ القُرْآنَ تَرْتِيلاً) يقول جلّ وعزّ : وبين القرآن إذا قرأته تبيينا ، وترسل فيه ترسلا . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا أبو رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وَرَتِّلِ القُرْآنَ تَرْتِيلاً) قال : اقرأه قراءة بينة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَرَتِّلِ القُرْآنَ تَرْتِيلاً) فقال : بعضه على أثر بعض .

حدثنا محمد بن عبدالله المخزومى ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : أخبرنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَرَتِّلِ القُرْآنَ تَرْتِيلاً) فقال : بعضه على أثر بعض . على تؤدة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (وَرَتِّلِ القُرْآنَ تَرْتِيلاً) قال : ترسل فيه ترسلا .

Marfat.com

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً) فقال : بعضه على أثر بعض .

حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، قال : قال ابن جريج ، عن عطاء (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً) قال : الترتيل النَّبْذ : الطَّرْح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً) قال بينه بيانا .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا وكيع ، عن ابن أبى ليلى ، عن الحكم ، عن مِقْسم ، عن ابن عباس (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً) قال : بيِّنه بيانا .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً) قال : بعضه على أثر بعض .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝

اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً) فقال بعضهم : عُنى به إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا العمل به .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً) قال : العمل به ، قال : إن الرجل لَيَهُذُّ [1] السورة ، ولكنَّ العمل به ثقيل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً) ثقيل والله فرائضه وحدوده .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (ثَقِيلاً) قال : ثقيل والله فرائضه وحدوده .

وقال آخرون : بل عنى بذلك أن القول عينه ثقيل محمله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه « أن النبىّ صلى الله عليه وسلم كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته وضعت جرانها ، فما تستطيع أن تتحرك حتى يسرَّى عنه » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً) قال : هو والله ثقيل مبارك القرآن ، كما ثقل فى الدنيا ثَقُل فى الموازين يوم القيامة .

(١) الهذ : سرعة القراءة . وهو يهذ القرآن هذا : إذا أسرع فيه وتابعه . وهذا الحديث : سرده . (التاج) .

Marfat.com

* وأولى الأقوال بالصواب فى ذلك أن يقال : إن الله وصفه بأنه قول ثقيل ، فهو كما وصفه به ثقيل محمله ثقيل العمل بحدوده وفرائضه .

وقوله (إنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أشَدُّ وَطْئا) يعنى جلّ وعزّ بقوله : إن ناشئة الليل : إن ساعات الليل ، وكلّ ساعة من ساعات الليل ناشئة من الليل .

وقد اختلف أهل التأويل فى ذلك :

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا حاتم بن أبى صغيرة ، قال : قلت لعبد الله بن أبى مليكة : ألا تحدثنى أىّ الليل ناشئة ؟ قال : على الثبت سقطت ، سألت عنها ابن عباس ، فزعم أن الليل كله ناشئة ، وسألت عنها ابن الزبير ، فأخبرنى مثل ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنبسة ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس (إنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ) قال : بلسان الحبشة إذا قام الرجل من الليل ، قالوا : نشأ

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس (إنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ) نشأ : قام .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى مَيْسرة (إنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ) قال : نشأ : قام

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، قال : إذا قام الرجل من الليل ، فهو ناشئة الليل .

حدثنا هناد بن السرىّ ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، فى قوله (إنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ) قال : هو الليل كله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ) قال : إذا قمت من الليل فهو ناشئة .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : كلّ شى بعد العشاء فهو ناشئة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ) قال : قيام الليل ؛ قال : وأىّ ساعة من الليل قام فقد نشأ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : أىّ الليل قمت فهو ناشئة .

قال : ثنا مهران ، عن خارجة ، عن أبى يونس حاتم بن أبى صغيرة ، عن ابن أبى مُلَيكة ، قال : سألت ابن عباس وابن الزبير عن ناشئة الليل فقالا : كلّ الليل ناشئة ، فإذا نشأت قائما فتلك ناشئة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

Marfat.com

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) قال : أيّ ساعة تهجّد فيها متهجد من الليل .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) يعنى الليل كله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبي عامر الخزاز ، ونافع عن ابن أبى مليكة ، عن ابن عباس فى قوله (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) قال : الليل كله .

قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الليل كله إذا قام يصلى فهو ناشئة .

وقال آخرون : بل ذلك ما كان بعد العشاء ، فأما ما كان قبل العشاء فليس بناشئة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن سليمان التيمىّ ، عن أبي مُجلَز ، فى قوله (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) قال : ما بعد العشاء ناشئة .

قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا أبو رجاء ، فى قوله (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) قال : ما بعد العشاء الآخرة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) قال : ناشئة الليل : ما كان بعد العشاء فهو ناشئة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : قال قتادة فى قوله (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) قال : كلّ شىء بعد العشاء فهو ناشئة .

وقوله (هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا) اختلفت قرّاء الأمصار فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء مكة والمدينة والكوفة (أَشَدُّ وَطْئًا) بفتح الواو وسكون الطاء وقرأ ذلك بعض قرّاء البصرة ومكة والشام (وِطاء) بكسر الواو ومدّ الألف على أنه مصدر من قول القائل : واطأ اللسان القلب مواطأة ووطاء .

** والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

ويعنى بقوله (هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا) ناشئة الليل أشدّ ثباتا من النهار وأثبت فى القلب ، وذلك أن العمل بالليل أثبت منه بالنهار . وحُكى عن العرب وَطِئنا الليل وطأ : إذا ساروا فيه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال من أهل التأويل من قرأه بفتح الواو وسكون الطاء ، وإن اختلفت عباراتهم فى ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا) : أى أثبت فى الخير ، وأحفظ فى الحفظ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا) قال : القيام بالليل أشدّ وطئا : يقول : أثبت فى الخير .

Marfat.com

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً) يقول : ناشئة الليل كانت صلاتهم أول الليل (هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً) يقول: هو أجدر أن تُحصُوا ما فرض الله عليكم من القيام ، وذلك أن الإنسان إذا نام لم يدر متى يستيقظ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد في قوله (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً) قال: إن مصلى الليل القائم بالليل أشدّ وطئا: طمأنينة أفرغ له قلبا ، وذلك أنه لا يَعْرِضُ له حوائج ولا شيء .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً) يقول : قراءة القرآن بالليل أثبت منه بالنهار ، وأشدّ مواطأة بالليل منه بالنهار .

وأما الذين قرءوا (وِطاءً) بكسر الواو ومدّ الألف ، فقد ذكرت الذى عَنَوْا بقراءتهم ذلك كذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (أَشَدُّ وَطْئاً) قال : أن تُوَاطِئَ قلبك وسمعك وبصرك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً) قال : تواطئُ سمعك وبصرك وقلبك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَشَدُّ وَطْئاً) قال : مُوَاطأة للقول ، وفراغا للقلب .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : سمعت ابن أبي نجيح يقول في قوله (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً ، وَأَقْوَمُ قِيلاً) قال : أجدر أن تواطئَ لك سمعك ، أن تواطئَ لك بصرك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (أَشَدُّ وَطْئاً) قال : أجدر أن تواطئَ سمعك وقلبك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد في قوله (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً) قال : يواطئُ سَمْعُك وبصرك وقلبك بعضه بعضا .

وقوله (وَأَقْوَمُ قِيلاً) يقول : وأصوب قراءة .

وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنا يحيى بن داود الواسطي ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن الأعمش ، قال : قرأ أنس هذه الآية (إِنَّ

Marfat.com

ناشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وأَصْوَبُ قِيلاً) فقال له بعض القوم : يا أباحمزة إنما هى (أَقْوَمُ قِيلاً) قال : أقوم وأصوب وأهيأ واحد .

حدثنى موسى بن عبدالرحمن المسروقى ، قال : ثنا عبد الحميد الحمانى ، عن الأعمش قال : قرأ أنس (وأَقْوَمُ قِيلاً) وأصوب قيلا ؛ قيل له يا أباحمزة إنما هى (وَأَقْوَمُ) قال أنس : أصوب وأقوم وأهيأ واحد .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وأَقْوَمُ قِيلاً) يقول : أدنى من أن تفقهوا القرآن .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وأَقْوَمُ قِيلاً) : أحفظ للقراءة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأَقْوَمُ قِيلاً) قال : أقوم قراءة لفراغه من الدنيا .

قوله (إِنَّ لَكَ فِي النَّهارِ سَبْحاً طَوِيلاً) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إن لك يامحمد فى النهار فراغا طويلا تتسع به ، وتتقلّب فيه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (سَبْحاً طَوِيلاً) فراغا طويلا ، يعنى النوم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّ لَكَ فِي النَّهارِ سَبْحاً طَوِيلاً) قال : متاعا طويلا .

حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله(سَبْحاً طَوِيلاً) قال: فراغا طويلا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّ لَكَ فِي النَّهارِ سَبْحاً طَوِيلاً) قال : لحوائجك ، فافرُغ لدينك الليل ، قالوا : وهذا حين كانت صلاة الليل فريضة ، ثم إن الله منّ على العباد فخفّفها ووضعها ، وقرأ (قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً) . . . إلى آخر الآية ، ثم قال ،(إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ) حتى بلغ قوله (فاقْرَءُوا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ) الليل نصفه أو ثلثه ، ثم جاء أمر أوسع وأفسح ، وضع الفريضة عنه وعن أمّته ،فقال:(وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ ، عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً) .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول فى قوله (إِنَّ لَكَ فِي النَّهارِ سَبْحاً طَوِيلاً) فراغا طويلا . وكان يحيى بن يعمر يقرأ ذلك بالخاء .

Marfat.com

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، عن غالب الليثى ، عن يحيى بن يعمر« من جذيلة قيس » أنه كان يقرأ (سَبْخا طَوِيلاً) قال : وهو النوم .

* قال أبو جعفر : والتسبيخ : توسيع القطن والصوف وتنفيشه، يقال للمرأة : سبخى قطنك : أى نفشيه ووسعيه ؛ ومنه قول الأخطل :

فأرْسَلُوهُنَّ يُذْرِينَ التُّرابَ كَمَا يُذْرِى سَبائخَ قُطْنٍ نَدْفُ أوْتارُ [١]

وإنما عنى بقوله (إنَّ لَكَ فِى النَّهارِ سَبْحا طَوِيلاً) : إن لك فى النهار سعة لقضاء حوائجك ونومك والسبح والسبخ قريبا المعنى فى هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝

* يقول تعالى ذكره : (وَاذْكُرْ) يامحمد (اسْمَ رَبِّكَ) فادعه به (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً) يقول : وانقطع إليه انقطاعا لحوائجك وعبادتك دون سائر الأشياء غيره ، وهو من قولهم : تبتَّلتُ هذا الأمر ؛ ومنه قيل لأمّ عيسى بن مريم البتول ، لانقطاعها إلى الله ، ويقال للعابد المنقطع عن الدنيا وأسبابها إلى عبادة الله : قد تبتل ؛ ومنه الخبر الذى رُوى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم « أنه نهى عن التبتُّل » .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَبَتَّلْ إلَيْهِ تَبْتِيلاً) قال : أخلص له إخلاصا .

حدثنا أبوكُرَيب ، قال : ثنا يحيى ، عن ابن أبى نجيح ، عن الحكم ، عن مِقْسم ، عن ابن عباس : (وَتَبَتَّلْ إلَيْهِ تَبْتِيلاً) قال : أخلص له إخلاصا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَتَبَتَّلْ إلَيْهِ تَبْتِيلاً) قال : أخلص له إخلاصا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

---

(١) البيت للأخطل يذكر الكلاب (اللسان : سبخ) قال : التسبيخ : التخفيف . ويقال « اللهم سبخ عنى الحمى » أى خففها وسهلها ؛ ولهذا قيل لقطع القطن إذا ندف سبائخ ، ومنه قول الأخطل يذكر الكلاب (فأرسلوهن . . .) البيت . وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٤٦) : وقوله « إن لك فى النهار سبحا طويلا » يقول : لك فى النهار ما تقضى حوائجك . وقد قرأ بعضهم : سبخا ، بالخاء ، والتسبيخ : توسعة الصوف والقطن وما أشبهه ، يقال : سبخى قطنك . قال أبو العباس (ثعلب) سمعت أبا عبد الله (ابن الأعرابى) يقول : حضر أبو زياد الكلابى بمجلس الفراء فى هذا اليوم ، فسأله الفراء عن هذا الحرف ، فقال : أهل باديتنا يقولون : اللهم سبخ عنه المريض والملسوع ونحوه .

Marfat.com

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال : أَخْلِصْ إليه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً) قال : أخلص إليه إخلاصا .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى يحيى المكى ، فى قوله (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً) قال : أخلص إليه إخلاصا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً) قال : أخلص إليه المسئلة والدعاء .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن أبى زائدة ، عن أشعث ، عن الحسن ، فى قوله (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً) قال : بَتِّلْ نفسك واجتهد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً) يقول : أخلص له العبادة والدعوة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، بنحوه .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً) قال . أخلص إليه إخلاصا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً) قال : أى تفرّغ لعبادته ، قال : تبتل فحبذا التبتل إلى الله ، وقرأ قول الله (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ) قال : إذا فرغت من الجهاد فانصب فى عبادة الله (وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ) .

وقوله (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة بالرفع على الابتداء ، إذ كان ابتداء آية بعد أخرى تامة . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة بالخفض على وجه النعت ، والردّ على الهاء التى فى قوله (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ) .

** والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان قد قرأ بكلّ واحدة منهما علماء من القرّاء ، فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيب . ومعنى الكلام : ربّ المشرق والمغرب وما بينهما من العالم .

وقوله (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) يقول : لاينبغى أن يُعبد إله سوى الله الذى هو ربّ المشرق والمغرب .

وقوله (فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً) فيما يأمرك وفوّض إليه أسبابك .

وقوله (وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : اصبر يا محمد على ما يقول المشركون من قومك لك ، وعلى أذاهم ، واهجرهم فى الله هجرا جميلا والهجر الجميل : هو الهجر فى ذات الله ، كما قال عزّ وجلّ (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ) . . . الآية ، وقيل : إن ذلك نُسخ

Marfat.com

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاصْبِرْ على ما يَقُولُونَ وَاهْجُرْهم هَجْرًا جَمِيلاً) براءة نسخت ما هاهنا ، أمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، لايقبل منهم غيرها :

القول في تأويل قوله تعالى :

وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾

*** يعنى تعالى ذكره بقوله (وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ) فدعنى يامحمد والمكذّبين بآياتى (أُولى النَّعْمَةِ) يعنى أهل التنعم فى الدنيا (وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً) يقول : وأخرهم بالعذاب الذى بسطته لهم قليلا حتى يبلغ الكتاب أجله .

وذُكر أن الذى كان بين نزول هذه الآية وبين بدر يسير .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن محمد بن إسحاق ، عن ابن عباد ، عن أبيه ، عن عباد ، عن عبد الله بن الزبير ، عن عائشة قالت : لمّا نزلت هذه الآية (وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً . إِنَّ لَدَيْنا أَنْكالا وجَحِيما) . . . الآية ، قال : لم يكن إلا يسير حتى كانت وقعة بدر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال الله (وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً) يقول : إن لله فيهم طَلِبة وحاجة .

وقوله (إِنَّ لَدَيْنا أَنْكالا وجَحِيما) يقول تعالى ذكره : إن عندنا لهؤلاء المكذّبينَ بآياتنا أنكالا ، يعنى قيودا ، واحدها : نِكْل .

وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن أبى عمرو ، عن عكرمة ، أن الآية التى قال : (إِنَّ لَدَيْنا أَنْكالا وجَحِيما) إنها قيود .

حدثنى عبيد بن أسباط بن محمد ، قال ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن أبى عمرو ، عن عكرمة (إِنَّ لَدَيْنا أَنْكالاً) قال : قُيودا .

Marfat.com

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا أبوعمرو ، عن عكرمة (أَنْكالاً) قال : قيودا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبي عمرو ، عن عكرمة (إنَّ لَدَيْنا أَنْكالاً) قال : قيودا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال ثنا سفيان ، قال : وبلغني عن مجاهد قال : الأنكال : القيود .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن حماد ، قال : الأنكال : القيود .

حدثني محمد بن عيسى الدامغاني ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن حماد ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، قال : سمعت حمادا يقول : الأنكال القيود.

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إنَّ لَدَيْنا أَنْكالاً) : أى قيودا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن مبارك ، عن الحسن ، عن سفيان ، عن أبي عمرو بن العاص ، عن عكرمة (إنَّ لَدَيْنا أَنْكالاً) قال : قيودا .

حدثنا أبو عبيد الوَصَّابي محمد بن حفص ، قال : ثنا ابن حِمْيَر ، قال : ثنا الثوريّ ، عن حماد ، فى قوله (إنَّ لَدَيْنا أَنْكالاً وَجَحِيما) قال : الأنكال : القيود .

حدثنا سعيد بن عنبسة الرازى ، قال : مررت بابن السماك ، وهو يَقُصّ وهو يقول : سمعت الثورى يقول : سمعت حمادا يقول فى قول الله (إنَّ لَدَيْنا أَنْكالاً) قال : قيودا سوداء من نار جهنم .

وقوله (وَجَحِيما) يقول : ونارا تسعر (وَطَعاما ذَا غُصَّةٍ) يقول : وطعاما يَغَصّ به آكله ، فلا هو نازل عن حلقه ، ولا هو خارج منه .

كما حدثني إسحاق بن وهب وابن سنان القزّاز قالا : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَطَعاما ذَا غُصَّةٍ) قال : شوك يأخذ بالحلق ، فلا يدخل ولا يخرج .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَطَعاما ذَا غُصَّةٍ) قال : شجرة الزقوم .

وقوله (وَعَذَابا أَلِيما) يقول : وعذابا مؤلما موجعا .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا وكيع ، عن حمزة الزيات ، عن حُمْران بن أعين « أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قرأ (إنَّ لَدَيْنا أَنْكالاً وَجَحِيما وَطَعاما ذَا غُصَّةٍ) فصعق صلى الله عليه وسلم » .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : إن لدينا لهؤلاء المشركين من قريش الذين يؤذونك يا محمد العقوبات التى وصفها فى يوم ترجف الأرض والجبال ؛ ورُجْفان ذلك : اضطرابه بمن عليه ، وذلك يوم القيامة .

Marfat.com

وقوله (وكانَتِ الجِبالُ كَثِيبا مَهِيلاً) يقول : وكانت الجبال رملا سائلا متناثرا . والمهيل : مفعول من قول القائل : هلت الرمل فأنا أهيله ، وذلك إذا حُرِّكَ أسفله ، فانهال عليه من أعلاه ؛ وللعرب فى ذلك لغتان ، تقول : مهيل ومهيول ، ومكيل ومكيول ؛ ومنه قول الشاعر :

قدْ كانَ قَوْمُكَ يَحْسَبُونَكَ سَيِّدا وإخالُ أنَّكَ سَيِّدٌ مَغْيُونُ[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وكانَتِ الجِبالُ كَثِيبا مَهِيلاً) يقول : الرمل السائل .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وكانَتِ الجِبالُ كَثِيبا مَهِيلاً) قال : الكثيب المهيل : اللين الذى إذا مسسته تتابع .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كَثِيبا مَهِيلاً) قال : ينهال .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾

يقول تعالى ذكره (إنا أرْسَلْنا إلَيْكُمْ) أيها الناس (رَسُولاً شاهِدًا عَلَيْكُمْ) بإجابة من أجاب منكم دعوتى ، وامتناع من امتنع منكم من الإجابة ، يوم تلقونى فى القيامة (كَمَا أرْسَلْنا إلى فِرْعَوْنَ رَسُولاً) يقول : مثل إرسالنا من قبلكم إلى فرعون مصر رسولا بدعائه إلى الحقّ ، (فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ) الذى أرسلناه إليه (فَأخَذْناهُ أخْذًا وَبِيلاً) يقول : فأخذناه أخذا شديدا ، فأهلكناه ومن معه جميعا ، وهو من قولهم : كلأ مستوبل ، إذا كان لا يستمرأ ، وكذلك الطعام .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

---

(١) البيت لعباس بن مرداس السلمى (شرح شواهد شافية ابن الحاجب لعبد القادر البغدادى طبع القاهرة ٣٨٩) . قال البغدادى مغيون ، بالغين المعجمة : اسم مفعول من قولهم : غين على قلبه : أى غطى عليه . وفى الحديث : « إنه ليغان على قلبى » ولكن الناس ينشدونه بالباء ، وهو تصحيف ، وقد روى بالعين غير المعجمة أى مصاب بالعين . والأول هو الوجه . وكلاهما مما جاء فيه التصحيح وإن كان الاعتلال فيه أكثر ، كقولهم : طعام مزيوت ، وبر مكيول ، وثوب مخيوط ؛ والقياس : مغين ، ومزيت ، ومكيل ، ومخيط ، حملا على غين ، وزيت ، وكيل ، وخيط . قال أبو على : ولو جاء التصحيح فيما كان من الواو لم ينكر ، وقد صححوا أحرفا من ذات الواو ؛ قالوا : مسك مدووف ، وثوب مصووف ، وفرس مقوود . قال : وإنما صح اسم المفعول من هذا التركيب فخالف بذلك اسم الفاعل ؛ لأن اسم المفعول غير جار على فعله فى حركاته وسكونه ، كما تجرى أسماء الفاعلين على أفعالها ؛ فلما خالف اسم المفعول فعله فيما ذكرناه ، خالفه فى إعلاله . اهـ .

Marfat.com

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَخْذًا وَبِيلاً) قال : شديدا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَخْذًا وَبِيلاً) قال : شديدا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً) أى شديدًا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَخْذًا وَبِيلاً) قال : شديدا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً) قال : الوبيل : الشرّ ، والعرب تقول لمن تتابع عليه الشرّ : لقد أوبل عليه ، وتقول : أوبلت على شرّك ، قال : ولم يرض الله بأن غُرّق وعُذّب حتى أقرّ فى عذاب مستقرّ حتى يُبعث إلى النار يوم القيامة ، يريد فرعون .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره للمشركين به : فكيف تخافون أيها الناس يوما يجعل الولدان شيبا إن كفرتم بالله ، ولم تصدّقوا به . وذُكر أن ذلك كذلك فى قراءة عبد الله بن مسعود .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا) يقول : كيف تتقون يوما وأنتم قد كفرتم به ولا تصدّقون به .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ) قال : والله لا يتقى من كفر بالله ذلك اليوم .

وقوله (يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا) يعنى يوم القيامة ، وإنما تشيب الولدان من شدّة هوله وكربه .

كما حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا) كان ابن مسعود يقول : «إذا كان يوم القيامة دعا ربنا الملكُ آدمَ ، فيقول : يا آدم قم فابعث بعث النار ، فيقول آدم : أى ربّ لا علم لى إلا ما علمتنى ، فيقول الله له : أخرج من كلّ ألف تسع مئة وتسعة وتسعين ، فيُساقون إلى النار سُودا مقرّنين ، زُرقا كالحين ، فيشيب هنالك كلّ وليد .

Marfat.com

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَوْمًا يَجْعَلُ الوِلْدَانَ شِيبًا) قال : تشيب الصغار من كرب ذلك اليوم .

وقوله (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) يقول تعالى ذكره : السماء مثقلة بذلك اليوم متصدّعة متشققة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) يعنى : تشقّق السماء حين ينزل الرحمن جلّ وعزّ .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مُنْفَطِرٌ بِهِ) قال : مثقلة به .

حدثنا أبو حفص الحيرى ، ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا أبو مودود ، عن الحسن ، فى قوله (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) قال : مثقلة محزونة يوم القيامة .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا أبو مودود بحر بن موسى ، قال : سمعت ابن أبى على يقول فى هذه الآية ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) قال : مثقلة به .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا أبو رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) قال : موقرة مثقلة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) يقول : مثقل به ذلك اليوم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) قال : هذا يوم القيامة ، فجعل الولدان شيبا ، ويوم تنفطر السماء ، وقرأ (إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ) وقال : هذا كله يوم القيامة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عبد الله بن يحيى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) قال : ممتلئة به بلسان الحبشة .

حدثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عكرمة ، ولم يسمعه عن ابن عباس (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) قال : ممتلئة به .

وذُكرت السماء فى هذا الموضع لأن العرب تذكرها وتؤنثها ، فمن ذكرها وجهها إلى السقف ، كما يقال : هذا سماء البيت : لسقفه . وقد يجوز أن يكون تذكيرهم إياها لأنها من الأسماء التى لا فصل فيها بين مؤنثها ومذكرها ، ومن التذكير قول الشاعر :

Marfat.com

فَلَوْ رَفَعَ السَّمَاءُ إِلَيْهِ قَوْمًا لَحِقْنَا بِالسَّمَاءِ مَعَ السَّحَابِ[1]

وقوله (كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً) يقول تعالى ذكره : كانَ ما وعد الله من أمر أن يفعله مفعولا ، لأنه لايخلف وعده ، وما وعد أن يفعله تكوينه يوم تكون الولدان شيبا يقول : فاحذروا ذلك اليوم أيها الناس ، فإنه كائن لامحالة .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (١٩) * إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٠)

يعنى تعالى ذكره بقوله : إن هذه الآيات التى ذكر فيها أمر القيامة وأهوالها ، وما هو فاعل فيها بأهل الكفر تذكرة : يقول : عبرة وعظة لمن اعتبر بها واتعظ (فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً) يقول : فمن شاء من الخلق اتخذ إلى ربه طريقا بالإيمان به ، والعمل بطاعته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ) يعنى القرآن (فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً) بطاعة الله .

وقوله (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ) يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم إن ربك يا محمد يعلم أنك تقوم أقرب من ثلثى الليل مصليا ، ونصفه وثلثه .

اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة بالخفض ، ونصفه وثلثه بمعنى : وأدنى من نصفه وثلثه ، إنكم لم تطيقوا العمل بما افترض عليكم من قيام الليل ، فقرءوا أدنى من ثلثى الليل ومن

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٤٦) قال : وقوله « السماء منفطر به » : بذلك اليوم . والسماء تذكر وتؤنث ، فهى هاهنا فى وجه التذكير ؛ قال الشاعر : « ولو رفع السماء . . . . البيت » . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٨١) « السماء منفطر به » : قال أبو عمرو : ألقى الهاء ، لأن مجازها السقف ، تقول : هذا سماء البيت . وقال قوم قد تلقى العرب من المؤنث الهاءات استغناء عنها ، يقال مهرة ضامر ، وامرأة طالق ، والمعنى : منفطرة .

Marfat.com

نصفه وثلثه . وقرأ ذلك بعض قرّاء مكة وعامة قرّاء الكوفة بالنصب ، بمعنى : إنك تقوم أدنى من ثلثى الليل وتقوم نصفه وثلثه .

والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب

وقوله (وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ) يعنى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا مؤمنين بالله حين فرض عليهم قيام الليل .

وقوله (وَاللهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) بالساعات والأوقات .

وقوله (عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ) يقول : علم ربكم أيها القوم الذين فرض عليهم قيام الليل أن لن تطيقوا قيامه (فَتَابَ عَلَيْكُمْ) إذ عجزتم وضعفتم عنه ، ورجع بكم إلى التخفيف عنكم .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا هشيم ، عن عباد بن راشد ، عن الحسن (عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ) أن لن تطيقوه .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنى به عباد بن راشد ، قال : سمعت الحسن يقول فى قوله (أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ) قال : لن تطيقوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد (عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ) يقول : أن لن تطيقوه .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان (عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ) قال : أن لن تطيقوه .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا عطاء بن السائب ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خَلَّتَانِ لا يُحْصِيهِمَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ إلاَّ أَدْخَلَتَاهُ الجَنَّةَ ، وَهُمَا يَسِيرٌ ، وَمَنْ يَعْمَلْ بِهِمَا قَلِيلٌ ، يُسَبِّحُ اللهَ فِى دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ عَشْرًا ، وَيَحْمَدُهُ عَشْرًا ، وَيُكَبِّرُهُ عَشْرًا » ؛ قال : فأنا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقدها بيده ، قال : فَتِلْكَ خَمْسُونَ وَمِئَةٌ بِاللِّسَانِ ، وَأَلْفٌ وَخَمْسُ مِئَةٍ فِى المِيزَانِ ؛ وَإِذَا أَوَى إلى فِرَاشِهِ سَبَّحَ وَحَمِدَ وَكَبَّرَ مِئَةً ، ؛ قال : فَتِلْكَ مِئَةٌ بِاللِّسَانِ ، وَأَلْفٌ فِى المِيزَانِ ، فَأَيُّكُمْ يَعْمَلُ فِى اليَوْمِ الوَاحِدِ أَلْفَيْنِ وَخَمْسَ مِئَةِ سَيِّئَةٍ ، قالوا : فكيف لا نحصيهما ؟ قال : يَأْتِى أَحَدَكُمُ الشَّيْطَانُ وَهُوَ فِى صَلاتِهِ فَيَقُولُ : اذْكُرْ كَذَا ، اذْكُرْ كَذَا حَتَّى يَنْفَتِلَ ، وَلَعَلَّهُ لا يَعْقِلُ ، وَيَأْتِيهِ وَهُوَ فِى مَضْجَعِهِ فَلا يَزَالُ يُنَوِّمُهُ حَتَّى يَنَامَ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو نعيم ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم نحوه .

Marfat.com

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ) قيام الليل كتب عليكم (فاقْرَءُوا ما تَيَسَّرَ مِنَ القُرْآنِ) .

وقوله (فاقْرَءُوا ما تَيَسَّرَ مِنَ القُرْآنِ) يقول : فاقرءوا من الليل ماتيسر لكم من القرآن فى صلاتكم وهذا تخفيف من الله عزّ وجلّ عن عباده فرضه الذى كان فرض عليهم بقوله (قُمِ اللَّيْلَ إلاَّ قَلِيلاً ، نِصْفَهُ أوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً) .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء محمد ، قال : قلت للحسن : يا أبا سعيد ما تقول فى رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه ، فلا يقوم به ، إنما يصلى المكتوبة ، قال : يتوسد القرآن ، لعن الله ذاك ؛ قال الله للعبد الصالح : (وَإنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْناهُ) ، وعُلِّمْتُمْ ما لَمْ تَعْلَمُوا أنْتُمْ وَلا آباؤُكُمْ) قلت : يا أباسعيد قال الله (فاقْرَءوا ما تَيَسَّرَ مِنَ القُرْآنِ) قال : نعم ، ولو خمسين آية .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن عثمان الهمدانى ، عن السدىّ ، فى قوله (فاقْرَءُوا ما تَيَسَّرَ مِنَ القُرْآنِ) قال : مئة آية .

قال : ثنا وكيع ، عن ربيع ، عن الحسن ، قال : من قرأ مئة آية فى ليلة لم يحاجه القرآن .

قال : ثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن كعب ، قال : من قرأ فى ليلة مئة آية كُتب من العابدين .

وقوله (عَلِمَ أنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى الأرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ) يقول تعالى ذكره : علم ربكم أيها المؤمنون أن سيكون منكم أهل مرض قد أضعفه المرض عن قيام الليل (وآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى الأرْضِ) فى سفر (يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ) فى تجارة قد سافروا لطلب المعاش فأعجزهم ، فأضعفهم أيضا عن قيام الليل (وآخَرُونَ يُقاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ) يقول : وآخرون أيضا منكم يجاهدون العدوّ فيقاتلونهم فى نُصرة دين الله ، فرحمكم الله فخفف عنكم ، ووضع عنكم فرض قيام الليل (فاقْرَءُوا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ) يقول : فاقرءوا الآن إذ خفف ذلك عنكم من الليل فى صلاتكم ما تيسّر من القرآن . والهاء فى قوله « منه » من ذكر القرآن .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ثم أنبأ بخصال المؤمنين ، فقال : (عَلِمَ أنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى الأرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ ، وآخَرُونَ يُقاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ ، فاقْرَءُوا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ) قال : افترض الله القيام فى أوّل هذه السورة ، فقام نبىّ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولا حتى انتفخت أقدامهم ، وأمسك الله خاتمتها اثنى عشر شهرا فى السماء ، ثم أنزل التخفيف فى آخرها فصار قيام الليل تطوّعا بعد فريضة (وأقِيمُوا الصَّلاةَ)

Marfat.com

يقول : وأقيموا المفروضة وهى الصلوات الخمس فى اليوم والليلة (وآتُوا الزَّكاةَ) يقول : وأعطوا الزكاة المفروضة فى أموالكم أهلها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ) فهما فريضتان واجبتان ، لا رخصة لأحد فيهما ، فأدّوهما إلى الله تعالى ذكره .

وقوله (وأقْرِضُوا اللهَ قَرْضا حَسَنا) يقول : وأنفقوا فى سبيل الله من أموالكم .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وأقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنا) قال : القرض : النوافل سوى الزكاة .

قوله (وَما تُقَدِّمُوا لأنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْراً وأعْظَمَ أجْراً) يقول : وما تقدّموا أيها المؤمنون لأنفسكم فى دار الدنيا من صدقة أو نفقة تنفقونها فى سبيل الله ، أو غير ذلك من نفقة فى وجوه الخير ، أو عمل بطاعة الله من صلاة أو صيام أو حجّ ، أو غير ذلك من أعمال الخير فى طلب ما عند الله ، تجدوه عند الله يوم القيامة فى معادكم ، هو خيرا لكم مما قدّمتم فى الدنيا ، وأعظم منه ثوابا : أى ثوابه أعظم من ذلك الذى قدّمتموه لولم تكونوا قدّمتموه (وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ) يقول تعالى ذكره : وسلوا الله غفران ذنوبكم يصفح لكم عنها (إن اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول : إن الله ذو مغفرة لذنوب من تاب من عباده من ذنوبه ، وذو رحمة أن يعاقبهم عليها من بعد توبتهم منها .

آخر تفسير سورة المزمل

---

(٧٤) سُورَةُ المُدَّثِّرِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾

** يقول جلّ ثناؤه (يا أيها المُدَّثِّرُ) : يا أيها المتدثر بثيابه عند نومه .

وذُكر أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قيل له ذلك ، وهو متدثر بقطيفة .

Marfat.com

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، عن المغيرة ، عن إبراهيم (يا أيُّها المُدَّثِّرُ) قال : كان متدثرا فى قطيفة .

وذُكر أن هذه الآية أوّل شيء نزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه قيل له : (يا أيُّها المُدَّثِّرُ) .

كما حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن ، أن جابر بن عبد الله الأنصارى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدّث عن فترة الوحى : « بَيْنا أنا أمْشِي سمعتُ صَوْتا مِنَ السَّماءِ ، فَرَفَعْتُ رأسِي ، فإذَا المَلَكُ الَّذِى جاءَنى بِحِرَاءَ جالِسٌ على كُرْسِيّ بَيْنَ السَّماءِ والأرْضِ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فَجُئِثْتُ مِنْهُ فَرَقا [1] ، وجِئْتُ أهْلِي فَقُلْتُ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِى فدَثَّرُونِى » فأنزل الله (يا أيُّها المُدَّثِّرُ ، قُمْ فأنْذِرْ ، ورَبَّكَ فَكَبِّرْ) . . إلى قوله (والرُّجْزَ فاهْجُرْ) قال : ثم تتابع الوحى .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثنا الأوزاعى ، قال : ثنى يحيى بن أبى كثير ، قال : سألت أبا سلمة : أىّ القرآن أُنزل أوّل ، فقال : (يا أيُّها المُدَّثِّرُ) فقلت : يقولون (اقْرأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ) ، فقال أبو سلمة : سألت جابر بن عبد الله : أىّ القرآن أنزل أوّل ؟ فقال : (يا أيُّها المُدَّثِّرُ) ، فقلت يقولون : (اقْرأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ) فقال : لا أخبرك إلا ما حدثنا النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : جاورت فى حراء ؛ فلما قضيت جوارى هبطت ، فاستبطنت الوادى ، فنوديت ، فنظرت عن يمينى وعن شمالى وخلفى وقدّامى ، فلم أر شيئا ، فنظرت فوق رأسى فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض ، فخشيت منه ، هكذا قال عثمان بن عمرو ، إنما هو : فجئثت منه ، ولقيت خديجة ، فقلت دثرونى ، فدثرونى ، وصبوا علىّ ماءً ، فأنزل الله علىّ (يا أيُّها المُدَّثِّرُ ، قُمْ فأنْذِرْ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن علىّ بن مبارك ، عن يحيى بن أبى كثير ، قال : سألت أبا سلمة عن أوّل مانزل من القرآن ، قال : نزلت (يا أيُّها المُدَّثِّرُ) أوّل ؛ قال : قلت : إنهم يقولون (اقْرأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ) ، فقال : سألت جابر بن عبد الله ، فقال : لا أحدّثك إلا ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « جاوَرْتُ بِحِراءَ ؛ فلمَّا قَضَيْتُ جِوارِى هَبَطْتُ ، فَسَمِعْتُ صَوْتا ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي فَلَمْ أرَ شَيْئا ، وَنَظَرْتُ خَلْفِى فَلَمْ أرَ شَيْئا ، فَرَفَعْتُ رأسِي فرأيْتُ شَيْئا ، فأتَيْتُ خَدِيجَةَ ، فَقُلْتُ : دَثِّرُونِي وَصُبُّوا عَلَىَّ ماء بارِدًا ، فنزلت (يا أيُّها المُدَّثِّرُ) » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ ، قال : فتر الوحى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة ، فحزن حزنا ، فجعل يعدو إلى شواهق رءوس الجبال ليتردّى منها ، فكلما أوفى بذروة جبل تبدّى له جبريل عليه السلام فيقول : إنك نبىّ الله ، فيسكن جأشه ، وتسكن نفسه ، فكان النبىّ صلى الله عليه وسلم يحدّث عن ذلك ، قال : « بَيْنَما أنا أمْشِي يَوْما إذْ رأيْتُ المَلَكَ الَّذِى كان يأتِينِي

(١) جئثت منه بالبناء للمجهول : فزعت وخفت .

Marfat.com

بحراءَ على كرسيّ بينَ السّماءِ والأرضِ ، فَجَئِثْتُ منه رُعْبا ؛ فرجعتُ إلى خديجة فقلتُ : زمّلوني ، فزمّلناه : أي فدثرناه ، فأنزل الله (يا أيُّها المُدَّثِّرُ ، قُمْ فأنذِرْ ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ، وثيابَكَ فَطَهِّرْ) قال الزهري : فكان أوّل شيء أنزل عليه : (اقرأْ باسْمِ ربِّكَ الّذي خَلَقَ) . . . حتى بلغ (ما لَمْ يَعْلَمْ) .

واختلف أهل التأويل في معنى قوله (يا أيُّها المُدَّثِّرُ) ، فقال بعضهم : معنى ذلك : يا أيها النائم في ثيابه.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيُّها المُدَّثِّرُ) قال : يا أيها النائم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيُّها المُدَّثِّرُ) يقول : المتدثر في ثيابه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : يا أيها المتدثر النبوّة وأثقالها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : وسُئل داود عن هذه الآية (يا أيُّها المُدَّثِّرُ) فحدثنا عن عكرمة أنه قال : دثّرت هذا الأمر فقم به .

وقوله (قُمْ فأنذِرْ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قم من نومك فأنذر عذاب الله قومك الذين أشركوا بالله ، وعبدوا غيره .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُمْ فأنذِرْ) : أي أنذر عذاب الله ووقائعه في الأمم ، وشدّة نقمته .

وقوله (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) يقول تعالى ذكره : وربك يامحمد فعظم بعبادته ، والرغبة إليه في حاجاتك دون غيره من الآلهة والأنداد .

وقوله (وثيابَكَ فَطَهِّرْ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : لاتلبس ثيابك على معصية ، ولا على غدرة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وثيابَكَ فَطَهِّرْ) قال : أما سمعت قول غَيلان بن سَلَمة :

Marfat.com

وإنّى بِحَمْدِ اللهِ لا ثَوْبَ فاجِرٍ ... لَبِسْتُ وَلا مِنْ غَدْرَةٍ أَتَقَنَّعُ(١)

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا مُصْعَب بن سلام ، عن الأجلح ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أتاه رجل وأنا جالس فقال : أرأيت قول الله (وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ) قال : لاتلبسها على معصية ولا على غدرة ، ثم قال : أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفىّ :

وإنّى بِحَمْدِ اللهِ لاثَوْبَ فاجِرٍ ... لَبِسْتُ وَلا مِنْ غَدْرَةٍ أَتَقَنَّعُ

حدثنا سعيد بن يحيى ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن الأجلح ، عن عكرمة ، قوله (وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ) قال : لاتلبسها على غدرة ، ولا على فجرة ، ثم تمثّل بشعر غيلان بن سلمة هذا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، قال : ثنا سفيان ، عن الأجلح بن عبد الله الكندى ، عن عكرمة (وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ) قال : لاتلبس ثيابك على معصية ، ألم تسمع قول غيلان بن سَلَمَةَ الثقفىّ :

وإنّى بِحَمْدِ اللهِ لا ثَوْبَ فاجِرٍ ... لَبِسْتُ وَلا مِنْ غَدْرَةٍ أَتَقَنَّعُ

حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ، قال : ثنا حجاج ، قال ابن جريج ، أخبرنى عطاء ، أنه سمع ابن عباس يقول : (وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ) قال : من الإثم ، ثم قال : نقىّ الثياب فى كلام العرب .

حدثنا سعيد بن يحيى ، قال : ثنا حفص بن غياث القاضى ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قوله (وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ) قال : فى كلام العرب : نقىّ الثياب .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم (وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ) قال : من الذنوب .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس (وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ) قال : من الذنوب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ) قال : هى كلمة من العربية كانت العرب تقولها : طهر ثيابك : أى من الذنوب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ) يقول : طهّرها من المعاصى ، فكانت العرب تسمى الرجل إذا نكث ولم يف بعهد أنه دَنِسَ الثياب ، وإذا وفى وأصلح قالوا : مطهّر الثياب .

---

(١) البيت لغيلان بن سلمة الثقفى كما قال المؤلف ، أنشده عند قوله تعالى « وثيابك فطهر » قال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٤٦) وقوله « وثيابك فطهر » يقول : لاتكن غادرا ، فتدنس ثيابك ، فإن الغادر دنس الثياب . ويقال : وثيابك فطهر : وعملك فأصلح . وقال بعضهم « وثيابك فطهر » : فقصر فإن تقصير الثياب طهر . اهـ . وفى (اللسان : ثوب) : وقوله عز وجل « وثيابك فطهر » قال ابن عباس : يقول : لاتلبس ثيابك على معصية ، ولا على فجور كسفر ؛ واحتج بقول الشاعر : « إنى بحمد الله لاثوب . . . البيت » . وقال أبوالعباس (ثعلب) الثياب : اللباس . ويقال للقلب . اهـ . قال : وقيل نفسك فطهر ، والعرب تكنى بالثياب عن النفس . وفلان دنس الثياب : إذا كان خبيث الفعل والمذهب ، خبيث العرض . قال امرؤ القيس :

ثِيابُ بَنِى عَوْفٍ طَهارَى نَقِيَّةٌ ... وأَوْجُهُهُمْ بِيضُ المَسافِرِ غُرّانُ

Marfat.com

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس : (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) قال : من الإثم .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) قال : من الإثم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) يقول : لاتلبس ثيابك على معصية .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن جُريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) قال : من الإثم .

قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : من الإثم .

قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن الأجلح ، سمع عكرمة قال : لاتلبس ثيابك على معصية .

قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عامر وعطاء قالا : من الخطايا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لاتلبس ثيابك من مكسب غير طيب .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) قال : لاتكن ثيابك التى تلبس من مكسب غير طائب ، ويقال : لاتلبس ثيابك على معصية .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أصلح عملك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) قال : عملك فأصلح .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبى رَزين فى قوله (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) قال : عملك فأصلحه ، وكان الرجل إذا كان خبيث العمل ، قالوا : فلان خبيث الثياب ، وإذا كان حسن العمل قالوا : فلان طاهر الثياب .

وقال آخرون فى ذلك ماحدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) قال : لست بكاهن ولا ساحر ، فأعرض عما قالوا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : اغسلها بالماء ، وطهرها من النجاسة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عباس بن أبى طالب ، قال : ثنا علىّ بن عبد الله بن جعفر ، عن أحمد بن موسى بن أبى مريم صاحب اللؤلؤ ، قال : أخبرنا ابن عون ، عن محمد بن سيرين (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) قال : اغسلها بالماء .

Marfat.com

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : فى قوله (وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ) قال : كان المشركون لايتطهرون ، فأمره أن يتطهر ، ويطهِّر ثيابه .

وهذا القول الذى قاله ابن سيرين وابن زيد فى ذلك أظهر معانيه ، والذى قاله ابن عباس وعكرمة وابن زكريا قول عليه أكثر السلف من أنه عُنِىَ به : جسمك فطهر من الذنوب ، والله أعلم بمراده من ذلك .

(وَالرُّجْزَ فاهْجُرْ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه بعض قرّاء المدينة وعامة قرّاء الكوفة : (والرِّجْزَ) بكسر الراء ، وقرأه بعض المكيين والمدنيين (والرُّجْزَ) بضم الراء ، فمن ضمّ الراء وجهه إلى الأوثان ، وقال : معنى الكلام : والأوثان فاهجر عبادتها ، واترك خدمتها ، ومن كسر الراء وجّهه إلى العذاب ، وقال : معناه : والعذاب فاهجر ، أى ما أوجب لك العذاب من الأعمال فاهجر .

** والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، والضمّ والكسر فى ذلك لغتان بمعنى واحد ، ولم نجد أحدًا من متقدّمى أهل التأويل فرّق بين تأويل ذلك ، وإنما فرّق بين ذلك فيما بلغنا الكسائىّ .

واختلف أهل التأويل فى معنى (الرُّجْزَ) فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : هو الأصنام .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَالرُّجْزَ فاهْجُرْ) يقول : السخط وهو الأصنام .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَالرِّجْزَ فاهْجُرْ) قال : الأوثان .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل « قال أبو جعفر » : أحسبه أنا عن جابر ، عن مجاهد وعكرمة (وَالرِّجْزَ فاهْجُرْ) قال : الأوثان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالرُّجْزَ فاهْجُرْ) : إساف ونائلة ، وهما صنمان كانا عند البيت يمسح وجوههما من أتى عليهما ، فأمر الله نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يجتنبهما ويعتزلهما .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ (والرُّجْزَ فاهْجُرْ) قال : هى الأوثان .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (والرُّجْزَ فاهْجُرْ) قال : الرجز : آلهتهم التى كانوا يعبدون ؛ أمره أن يهجرها ، فلا يأتيها ، ولا يقربها .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : والمعصية والإثم فاهجر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم (والرُّجْزَ فاهْجُرْ) قال الإثم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله

Marfat.com

(والرُّجْزَ فاهْجُرْ) يقول : اهجر المعصية . وقد بيَّنا معنى الرجز فيما مضى بشواهده المغنية عن إعادتها في هذا الموضع .

وقوله (وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ولا تعط يامحمد عطية لتعطى أكثر منها .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتُعط عطية تلتمس بها أفضل منها .

حدثنا أبو حميد الحمصي أحمد بن المُغيرة ، قال : ثني أبو حيوة شريح بن يزيد الحضرميّ ، قال : ثني أرطاة عن ضمرة بن حبيب وأبي الأحوص في قوله (وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتعط شيئا ، لتُعْطى أكثر منه .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن عكرمة ، في قوله (وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتعط شيئا لتُعْطَى أكثر منه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرني من سمع عكرمة يقول : (وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتعط العطية لتريد أن تأخذ أكثر منها .

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا فضيل ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتعط كيما تزداد .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن مُغيرة ، عن إبراهيم ، في قوله (وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتعط شيئا لتأخذ أكثر منه .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سلمة ، عن الضحاك (وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتعطِ لتُعْطَى أكثر منه .

قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، في قوله (وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتعطِ لتُعْطَى أكثر منه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، في قوله (وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتعط شيئا لتزداد .

حدثنا أبو كُرَيْب قال : ثنا وكيع ، عن ابن أبي روّاد ، عن الضحاك ، قال : هو الربا الحلال ، كان للنبيّ صلى الله عليه وسلم خاصّة .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبي حجيرة ، عن الضحاك ، هما ربَوَان : حلال ، وحرام ؛ فأما الحلال : فالهدايا ، والحرام : فالربا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) يقول : لاتعط شيئا ، إنما بك مجازاة الدنيا ومعارضها ٧ .

Marfat.com

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتعط شيئا لتثاب أفضل منه ، وقاله أيضا طاوس .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال: ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله(وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : تعطى مالا مصانعة رجاء أفضل منه من الثواب فى الدنيا .

حدثنا ابن حميد ،قال : ثنا مهران ،عن سفيان ،عن مغيرة ،عن إبرهيم ،قال : لاتعط لتُعْطى أكثر منه . قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتعط لتزداد .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن رجل ، عن الضحاك بن مزاحم (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : هى للنبىّ صلى الله عليه وسلم خاصّة ، وللناس عامّة مُوَسّع عليهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولا تمنن عملك على ربك تستكثر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سفيان بن حسين ، عن الحسن ، فى قوله (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتمنن عملك تستكثره على ربك .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا هوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال: لاتمنن تستكثر عملك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا يونس بن نافع أبوغانم ، عن أبى سهل ، كثير ابن زياد ، عن الحسن (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) يقول : لاتمنن تستكثر عملك الصالح .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سميان ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لايكثر عملك فى عينك ، فإنه فيما أنعم الله عليك وأعطاك قليل .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لاتضعف أن تستكثر من الخير . ووجّهوا معنى قوله (وَلَا تَمْنُنْ) أى لاتضعف ، من قولهم : حبل منين : إذا كان ضعيفا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبوحميد بن المغيرة الحمصى ، قال : ثنا عبدالله بن عمرو ، قال : ثنا محمد بن سلمة ، عن خَصيف عن مجاهد ، فى قوله (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتضعف أن تستكثر من الخير ، قال : تمنن فى كلام العرب : تضعف .

وقال آخرون فى ذلك : لاتمنن بالنبوّة على الناس ، تأخذ عليه منهم أجر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا بن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتمنن بالنبوّة والقرآن الذى أرسلناك به تستكثرهم به ، تأخذ عليه عوضا من الدنيا .

Marfat.com

⁂ وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب فى ذلك قول من قال : معنى ذلك : ولا تمنن على ربك من أن تستكثر عملك الصالح .

وإنما قلت ذلك أولى بالصواب ، لأن ذلك فى سياق آيات تقدمَ فيهنّ أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالجدّ فى الدعاء إليه ، والصبر على مايَلْقَى من الأذى فيه ، فهذه بأن تكون من أنواع تلك ، أشبه منها بأن تكون من غيرها . وذُكر عن عبد الله بن مسعود أن ذلك فى قراءته (وَلا تَمْنُنْ أنْ[١] تَسْتَكْثِرُ) .

وقوله (وَلِرَبِّكَ فاصْبِرْ) يقول تعالى ذكره : ولربك فاصبر على مالقيت فيه من المكروه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل على اختلاف فيه بين أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلِرَبِّكَ فاصْبِرْ) قال : على ما أوتيت .

حدثنى يونس ، قالَ : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلِرَبِّكَ فاصْبِرْ) قال : حمل أمراً عظيما محاربة العرب ، ثم العجم من بعد العرب فى الله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولربك فاصبر على عطيتك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم (وَلِرَبِّكَ فاصْبِرْ) قال : اصبر على عطيتك .

حدثنا ابن حميد . قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : اصبر على عطيتك لله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، فى قوله (وَلِرَبِّكَ فاصْبِرْ) قال : عطيتك اصبر عليها .

القول فى تأويل قوله تعالى:

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۝﴾

⁂ يعنى جلّ ثناؤه بقوله (فَإذَا نُفِخَ فِى الصُّورِ) . فذلك يومئذ يوم شديد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن فضيل وأسباط ، عن مطرِّف ، عن عطية العوفىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (فَإذَا نُقِرَ فِى النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) من الشاذ غير المشهور .

Marfat.com

«كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ القَرْنَ وَحَنَى جَبْهَتَهُ يَسْتَمِعُ مَتَى يُؤْمَرُ يَنْفُخُ فِيهِ ، فقال أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف نقول ؟ فقال : تقولون : حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ ، عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا » .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا أبو رجاء ، عن عكرمة ، فى قوله (فإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) قال : إذا نُفخ فى الصور .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبوالنعمان الحكم بن عبدالله ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى رجاء ، عن عكرمة ، فى قوله (فإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) مثله .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن شريك ، عن جابر ، عن مجاهد (فإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) قال : إذا نُفخ فى الصور .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) قال : فى الصور ، قال : هو شىء كهيئة البوق .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) قال : هو يوم يُنفخ فى الصور الذى ينفخ فيه ؛ قال ابن عباس : إن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى أصحابه ، فقال : « كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ القَرْنَ ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِأُذُنِهِ يَسْتَمِعُ مَتَى يُؤْمَرُ بِالصَّيْحَةِ ، فاشتدّ ذلك على أصحابه ، فأمرهم أن يقولوا : حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ ، على اللهِ تَوَكَّلْنَا » .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) يقول : الصور .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال الحسن (فإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) قال : إذا نُفخ فى الصُّور .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) والناقور : الصور ، والصور : الخلق .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبامعاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (فإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) يعنى : الصُّور .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، قوله (فإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) قال : الناقور : الصور .

حدثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع مثله .

Marfat.com

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فإذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) قال : الصور .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس : قوله (فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ) يقول : شديد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال الله تعالى ذكره (فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ) فبين الله على من يقع (على الكافرين غير يسير) .

وقوله (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : كِل يا محمد أمر الذى خلقته فى بطن أمه وحيدا ، لا شيء له من مال ولا ولد إلىّ .

وذُكر أنه عُنِى بذلك : الوليد بن المغيرة المخزومى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا سفيان ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا يونُس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبى محمد مولى زيد ، عن سعيد بن جُبير أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أنزل الله فى الوليد بن المغيرة قوله : (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) وقوله (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) . . . إلى آخرها .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) قال : خلقته وحده ليس معه مال ولا ولد .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن محمد بن شريك ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) قال : نزلت فى الوليد بن المغيرة ، وكذلك الخلق كلهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) وهو الوليد بن المغيرة ، أخرجه الله من بطن أمه وحيدا لا مال له ولا ولد ، فرزقه الله المال والولد ، والثروة والنماء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) . . . إلى قوله (إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ) . . . حتى بلغ (سَأُصْلِيهِ سَقَرَ) قال : هذه الآية أُنزلت فى الوليد بن المُغيرة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) يعنى الوليد بن المغيرة (وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا) .

Marfat.com

اختلف أهل التأويل فى هذا المال الذى ذكره الله ، وأخبر أنه جعله للوحيد ما هو ، وما مبلغه ؟ فقال بعضهم : كان ذلك دنانير ، ومبلغها ألف دينار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبوكُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسماعيل بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن مجاهد (وَجَعَلْتُ لَهُ مالاً مَمْدُوداً) قال : كان ماله ألف دينار .

حدثنا صالح بن مسمار المروزى ، قال : ثنا الحارث بن عمران الكوفىّ ، قال : ثنا محمد بن سوقة ، عن سعيد بن جُبير ، فى قوله : (وَجَعَلْتُ لَهُ مالاً مَمْدُوداً) قال : ألف دينار .

وقال آخرون : كان ماله أربعة آلاف دينار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَجَعَلْتُ لَهُ مالاً مَمْدُوداً) قال : بلغنى أنه أربعة آلاف دينار .

وقال آخرون : كان ماله أرضا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن المثنى ، قال : ثنى وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن النعمان بن سالم ، فى قوله (وَجَعَلْتُ لَهُ مالاً مَمْدُوداً) قال : الأرض .

حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازى ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن النعمان بن سالم مثله.

وقال آخرون : كان ذلك غلة شهر بشهر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ، قال : ثنا حلبس إمام مسجد ابن علية ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن عمر رضى الله عنه ، فى قوله (وَجَعَلْتُ لَهُ مالاً مَمْدُوداً) قال : غلة شهر بشهر .

حدثنى أبو جفص الحيرى ، قال : ثنا حلبس الضُّبَعى ، عن ابن جريج ، عن عطاء مثله ، ولم يقل عن عمر .

حدثنا أحمد بن الوليد الرملى ، قال : ثنا غالب بن حلبس ، قال : ثنا أبى ، عن ابن جريج ، عن عطاء مثله ، ولم يقل عن عمر.

حدثنا أحمد بن الوليد ، قال : ثنا أبوبكر بن عياش ، قال : ثنا حلبس بن محمد العجلى ، عن ابن جريج عن عطاء ، عن عمر مثله .

❊ والصواب من القول فى ذلك أن يقال كما قال الله : (وَجَعَلْتُ لَهُ مالاً مَمْدُوداً) وهو الكثير الممدود عدده أو مساحته .

Marfat.com

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ ﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : وجعلت له بنين شهودا ، ذُكر أنهم كانوا عشرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع عن إسماعيل بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن مجاهد (وَبَنِينَ شُهُودًا) قال : كان بنوه عشرة .

وقوله (وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا) يقول تعالى ذكره : وبسطت له فى العيش بسطا .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا) قال : بسط له .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال: ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا) قال : من المال والولد .

وقوله (ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ) يقول تعالى ذكره: ثم يأمل ويرجو أن أزيده من المال والولد على ما أعطيته (كَلَّا) يقول: ليس ذلك كما يأمل ويرجو من أن أزيده مالا وولدا ، وتمهيدا فى الدنيا (إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا) يقول : إن هذا الذى خلقته وحيدا كان لآياتنا ، وهى حجج الله على خلقه من الكتب والرسل عنيدا ، يعنى معاندا للحقّ مجانبا له ، كالبعير العنود ؛ ومنه قول القائل :

إذَا نَزَلْتُ فاجْعَلانِي وَسَطا إِنِّي كَبِيرٌ لا أُطِيقُ العُنَّدَا (١)

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال: ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا) قال : جحودا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

(١) البيتان من شواهد أبي عبيدة ، قال عند قوله تعالى « إنه كان لآياتنا عنيدا » : معاندا ، كالبعير العنود . وقال الحادى : « إذا نزلت . . . البيتين » . وفى (اللسان عند) العنيد : الجائر عن القصد ، الباغى ، الذى يرد الحق مع العلم به . وتعاند الخصمان تجادلا . وعند عن الشئ والطريق يعند ويعند (كينصر ويضرب) عنودا فهو عنود . وناقة عنود : لاتخالط الإبل ، تباعد عن الإبل ، فترعى ناحية أبدا . والجمع : عند وعاند وعاندة ، وجمعهما جميعا عواند وعند . قال « إذا رحلت . . . البيت » يقال : هو يمشى وسطا لاعندا . وهذان البيتان من مشطور الرجز ، وفيهما عيب نبه عليه صاحب اللسان ، وهو الإكفاء ، لأن قافية البيت الأول طاء ، وقافية الثانى دال . وقد سبق الاستشهاد بالبيت الثانى فى الجزء (١٢ : ٦٢) فارجع إليه .

Marfat.com

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا) قال محمد بن عمرو : معاندا لها . وقال الحارث : معاندا عنها ، مجانبا لها .

حدثنا أبوكُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد ، قوله (عَنِيدًا) قال : معاندا للحقّ مجانبا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا) كفورا بآيات الله جحودا بها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (لِآيَاتِنَا عَنِيدًا) قال : مشاقا ، وقيل : عنيدا ، وهو من عاند معاندة فهو معاند ، كما قيل : عالم قابل ، وإنما هو مقبل .

وقوله (سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا) يقول تعالى ذكره : سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة له منها .

وقيل : إن الصعود جبل فى النار يكلَّفُ أهلُ النار صعوده .

ذكر الرواية بذلك

حدثنى محمد بن عمارة الأسدى ، قال : ثنا محمد بن سعيد بن زائدة ، قال : ثنا شريك ، عن عمارة ، عن عطية ، عن أبى سعيد ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم (سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا) قال : هو جبل فى النار من نار ، يكلَّفون أن يصعدوه ، فإذا وضع يده ذابت ، فإذا رفعها عادت ، فإذا وضع رجله كذلك .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى عمرو بن الحارث ، عن درّاج ، عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد الخدرىّ ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الصَّعُودُ جَبَلٌ مِنْ نارٍ يُصْعَدُ فِيهِ سَبْعِينَ خَرِيفا ثُمَّ يَهْوِى كَذَلِكَ مِنْهُ أَبَدًا » .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا) قال : مشقة من العذاب .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا) : أى عذابا لا راحة منه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان قال : ثنا أبو هلال ، عن قتادة (سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا) قال : مشقة من العذاب .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا) قال : تعبا من العذاب .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾

Marfat.com

فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾

❊ يقول تعالى ذكره : إن هذا الذى خلقته وحيدا ، فكَّر فيما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن ، وقدَّر فيما يقول فيه (فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ) يقول : ثم لعن كيف قدَّر النازل فيه (ثُمَّ نَظَرَ) يقول : ثم روَّى فى ذلك (ثُمَّ عَبَسَ) يقول : ثم قبض ما بين عينيه (وَبَسَرَ) يقول : كلح وجهه ؛ ومنه قول توبة بن الحُمَيِّر :

وَقَدْ رَابَنِى مِنْهَا صُدُودٌ رَأَيْتُهُ وإعْرَاضُها عَنْ حاجَتِى وبُسُورُها

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، وجاءت الأخبار عن الوحيد أنه فعل .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر عن عباد بن منصور ، عن عكرمة ، أن الوليد ابن المُغيرة جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رقَّ له ، فبلغ ذلك أبا جهل ، فقال : أى عمِّ إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ، قال : لِمَ ؟ قال : يعطونكه فإنك أتيت محمدا تتعرّض لما قِبَله ؛ قال : قد علمت قريش أنى أكثرها مالا ، قال : فقل فيه قولا يعلم قومك أنَّك مُنكر لما قال ، وأنك كاره له ؛ قال : فما أقول فيه ، فوالله مامنكم رجل أعلم بالأشعار منى ، ولا أعلم برجزه منى ، ولا بقصيده ، ولا بأشعار الجنّ ، والله ما يشبه الذى يقول شيئا من هذا ، ووالله إن لقوله لحلاوة ، وإنه ليحطم ما تحته ، وإنه ليعلو ولا يعلى ؛ قال : والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه ، قال : فدعنى حتى أفكر فيه ؛ فلما فكَّر قال : هذا سحر يأثره عن غيره ، فنزلت (ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) قال قتادة : خرج من بطن أمه وحيدا ، فنزلت هذه الآية حتى بلغ تسعة عشر .

حدثنى محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ) . . . إلى (ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ) قال : دخل الوليد بن المغيرة على أبى بكر بن أبى قُحافة رضى الله عنه يسأله ، عن القرآن ؛ فلما أخبره خرج على قريش فقال : يا عجبا لما يقول ابن أبى كبشة ، فوالله ماهو بشعر ، ولا بسحر ، ولا بهذى من الجنون ، وإن قوله لمن كلام الله ؛ فلما سمع بذلك النفر من قريش ائتمروا وقالوا : والله لئن صبأ الوليد لتصبأنّ قريش ، فلما سمع بذلك أبو جهل قال أنا والله أكفيكم شأنه ؛ فانطلق حتى دخل عليه بيته ، فقال للوليد : ألم تر قومك قد جمعوا لك الصدقة

---

(١) أنشد المؤلف البيت شاهدا عند قوله تعالى « ثم عبس وبسر » . قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٨٢) : عبس وبسر : كره وجهه . وقال توبة (ابن الحمير صاحب ليلى الأخيلية) : « وقد رابنى . . . . البيت » . وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٤٧) وقد ذكر موقف الوليد بن المغيرة المخزومى من الإسلام ورسوله : وقوله « ثم نظر ، ثم عبس وبسر » : ذكروا أنه مر على طائفة من المسلمين فى المسجد الحرام ، فقالوا : هل لك إلى الإسلام يا أبا المغيرة فقال : ما صاحبكم إلا ساحر ، وما قوله إلا السحر ، تعلمه من مسيلمة «الكذاب» ومن سحرة بابل ، ثم قال : ولى عنهم مستكبرا ، وقد عبس وجهه وبسر ، وكلح مستكبرا عن الإيمان . فذلك قوله « إن هذا إلا سحر يؤثر » عن أهل بابل ، قال الله « سأصليه سقر » ، وهو اسم من أسماء جهنم ، فلذلك لم يجز (يعرف) وكذلك لظى .

Marfat.com

قال : ألستُ أكثرهم مالا وولدا ؟ فقال له أبوجهل يتحدّثون أنك إنما تدخل على ابن أبى قُحافة لتصيب من طعامه ، قال الوليد أقد تحدثت به عشيرتى ، فلا يقصرعن سائر بنى قُصىّ ، لاأقرب أبا بكر ولا عمر ولا ابن أبى كبشة ، وما قوله إلا سحر يؤثر ، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم :(ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) . . . إلى (لاتُبْقِي وَلا تَذَرُ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله(إِنَّهُ فَكَّرَ) وقدّر ، زعموا أنه قال : والله لقد نظرت فيما قال هذا الرجل، فاذا هوليس له بشعر ، وإن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه ليعلو وما يعلى ، وما أشكّ أنه سحر ، فأنزل الله فيه(فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ) . . . الآية (ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ) : قبض ما بين عينيه وكلح .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث قال: ثنا الحسن، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله(فَكَّرَ وَقَدَّرَ) قال الوليد بن المغيرة يوم دار الندوة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرناعبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) يعنى الوليد بن المغيرة دعاه نبى الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، فقال : حتى أنظر ، ففكر (ثُمَّ نَظَرَ ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ، ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ) فجعل الله له سقر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مالا مَمْدُودًا) . . . إلى قوله (إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ) قال : هذا الوليد بن المغيرة قال : سأبتار لكم هذا الرجل الليلة ، فأتى النبىّ صلى الله عليه وسلم، فوجده قائما يصلى ويقترئ، وأتاهم فقالوا : مه ، قال : سمعت قولاحلوا أخضر مثمرا يأخذ بالقلوب ، فقالوا : هو شعر ، فقال : لا والله ماهو بالشعر ، ليس أحد أعلم بالشعرمنى ، أليس قد عرَضتْ علىّ الشعراء شعرهم نابغة وفلان وفلان ؟ قالوا : فهو كاهن ، فقال : لا والله ماهوبكاهن ، قد عرضت علىّ الكهانة ، قالوا : فهذا سحر الأوّلين اكتتبه ، قال : لاأدرى إن كان شيئا فعسى هو إذا سحر يؤثر ، فقرأ (فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ، ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ) قال : قتل كيف قدّرحين قال : ليس بشعر ، ثم قتل كيف قدّر حين قال : ليس بكهانة

وقوله (ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ) يقول تعالى ذكره : ثم ولى عن الإيمان والتصديق بما أنزل الله من كتابه ، واستكبر عن الإقرار بالحقّ (فقال إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ) قال : يأثره عن غيره .

وبنحوالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبى رزين (إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ) قال : يأخذه عن غيره .

Marfat.com

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبي رزين (إنْ هَـٰذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ) قال : يأثره عن غيره .

وقوله (إنْ هَـٰذَا إلاَّ قَوْلُ البَشَرِ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الوحيد فى القرآن (إنْ هَـٰذَا إلاَّ قَوْلُ البَشَرِ) ماهذا الذى يتلوه محمد إلا قول البشر ، يقول : ماهو إلا كلام ابن آدم ، وما هو بكلام الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾

* يعنى تعالى ذكره بقوله (سأُصْلِيهِ سَقَرَ) سأورده بابا من أبواب جهنم اسمه سقر ، ولم يُجرَّ سقر لأنه اسم من أسماء جهنم (وَما أدْرَاكَ ماسَقَرُ) يقول تعالى ذكره : وأىّ شيء أدراك يا محمد ، أىّ شيء سقر . ثم بين الله تعالى ذكره ماسقر ، فقال : هى نار (لاتُبْقِى) من فيها حيا (وَلا تَذَرُ) من فيها ميتا ، ولكنها تحرقهم كلما جدّد خلقهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لاتُبْقِى وَلا تَذَرُ) قال : لاتميت ولا تحيى .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن عمارة الأسدى ، قال : ثنا عبيدالله بن موسى ، قال : أخبرنا أبو ليلى ، عن مرثد ، فى قوله (لاتُبْقِى وَلا تَذَرُ) قال : لاتبقى منهم شيئا أن تأكلهم ؛ فإذا خلقوا لها لاتذرهم حتى تأخذهم فتأكلهم .

وقوله (لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ) يعنى جل ثناؤه مغيرة لبشر أهلها ، واللوّاحة من نعت سقر ، وبالردّ عليها رُفعت ، وحسُن الرفع فيها ، وهى نكرة ، وسقر معرفة ، لما فيها من معنى المدح .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

Marfat.com

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ) قال : الجلد .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل ، عن أبي رزين (لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ) قال : تلفح الجلد لفحة ، فتدعه أشدّ سوادا من الليل .

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أبي وشعيب بن الليث ، عن خالد بن يزيد ، عن ابن أبي هلال ، قال : قال زيد بن أسلم (لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ) : أي تلوّح أجسادهم عليها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ) أي حرّاقة للجلد .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ) يقول : تحرق بشرة الإنسان .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ) قال : تغير البشر ، تحرق البشر ؛ يقال : قد لاحه استقباله السماء ، ثم قال : النار تغير ألوانهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي رزين (لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ) غيرت جلودهم فاسودّت .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي رزين مثله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ) يعني بشر الإنسان ، يقول : تحرق بشره .

ورُوِى عن ابن عباس في ذلك ، ما حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله (لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ) يقول : معرّضة ، وأخشى أن يكون خبر عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس هذا غلطا ، وأن يكون موضع معرّضة مغيرة ، لكن صحّف فيه .

وقوله (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ) يقول تعالى ذكره : على سقر تسعة عشر من الخزنة .

وذُكر أن ذلك لما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال أبو جهل ما حدثني به محمد بن سعد قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ) . . . إلى قوله (وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا) فلما سمع أبو جهل بذلك قال لقريش : ثكلتكم أمهاتكم ، أسمع ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدّهم ، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم ؟ فأوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي أبا جهل ، فيأخذ بيده في بطحاء مكة فيقول له (أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى . ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى) فلما فعل ذلك به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو جهل والله لا تفعل أنت وربك شيئا ، فأخزاه الله يوم بدر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ) ذُكر لنا أن

Marfat.com

أبو جهل حين أُنزلت هذه الآية قال يا معشر قريش ما يستطيع كلّ عشرة منكم أن يغلبوا واحدا من خزَنة النار وأنتم الدّهم ١ ؟ فصاحبكم يحدثكم أن عليها تسعة عشر .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال أبو جهل : يخبركم محمد أن خزَنة النار تسعة عشر ، وأنتم الدّهم ليجتمع كلّ عشرة على واحد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ) قال : خزنتها تسعة عشر .

وقوله (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلاَئِكَةً) يقول تعالى ذكره : وما جعلنا خزَنة النار إلا ملائكة يقول لأبى جهل فى قوله لقريش : أما يستطيع كلّ عشرة منكم أن تغلب منها واحدا ؟ فمن ذا يغلب خزنة النار وهم الملائكة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلاَئِكَةً) قال : ما جعلناهم رجالا ، فيأخذ كلّ رجل رجلا كما قال هذا .

وقوله (وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا) يقول : وما جعلنا عدّة هؤلاء الخزنة إلا فتنة للذين كفروا بالله من مُشركى قريش .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا) : إلا بلاء .

وإنما جعل الله الخبر عن عدّة خزنة جهنم فتنة للذين كفروا ، لتكذيبهم بذلك ، وقول بعضهم لأصحابه : أنا أكفيكموهم .

ذكر الخبر عمن قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ؛ قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (تِسْعَةَ عَشَرَ) قال : جعلوا فتنة ؛ قال أبو الأشدّ بن الجمحى : لايبلغون رتوتى حتى أجهضهم عن جهنم .

وقوله (لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) يقول تعالى ذكره : ليستيقن أهل التوراة والإنجيل حقيقة ما فى كتبهم من الخبر عن عدّة خزنة جهنم ، إذ وافق ذلك ما أنزل الله فى كتابه على محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) فى النهاية لابن الأثير وذكر الآية : الدهم ، بفتح الدال : العدد الكثير .

Marfat.com

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً) قال : وإنها فى التوراة والإنجيل تسعة عشر ، فأراد الله أن يستيقن أهل الكتاب ، ويزداد الذين آمنوا إيماناً .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ) قال : يجدونه مكتوبا عندهم عدّة خزنة أهل النار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ) يصدّق القرآن الكتب التى كانت قبله فيها كلها ، التوراة والإنجيل أن خزنة النار تسعة عشر .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ) قال : ليستيقن أهل الكتاب حين وافق عدّة خزنة النار ما فى كتبهم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ) قال : عدّة خزنة جهنم تسعة عشر فى التوراة والإنجيل .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ماحدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ) أنك رسول الله .

وقوله (وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً) يقول تعالى ذكره : وليزداد الذين آمنوا بالله تصديقا إلى تصديقهم بالله وبرسوله بتصديقهم بعدّة خزنة جهنم .

وقوله (وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ وَالمُؤْمِنُونَ) يقول : ولا يشكّ أهل التوراة والإنجيل فى حقيقة ذلك والمؤمنون بالله من أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

وقوله (وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ والكافِرُونَ) يقول تعالى ذكره : وليقول الذين فى قلوبهم مرض النفاق ، والكافرون بالله من مشركى قريش (ماذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً) .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) : أى نفاق .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ والكافِرُونَ ماذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً) يقول : حتى يخوّفنا بهؤلاء التسعة عشر .

وقوله (كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِى مَنْ يَشَاءُ) يقول تعالى ذكره : كما أضل الله هؤلاء المنافقين والمشركين القائلين فى خبر الله عن عدّة خزنة جهنم : أىّ شىء أراد الله بهذا الخبر من المثل حتى يخوّفنا بذكر عدتهم ، ويهتدى به المؤمنون ، فازدادوا بتصديقهم إلى إيمانهم إيمانا (كَذَلِكَ يُضِلُّ

Marfat.com

اللهُ مَنْ يَشاءُ مِنْ خَلْقِهِ) فيخذله عن إصابة الحقّ (وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ) منهم ، فيوفقه لإصابة الصواب (وَما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ) من كثرتهم (إلاَّ هُوَ) : يعنى الله .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلاَّ هُوَ) أى من كثرتهم .

وقوله (وَما هِيَ إلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ) يقول تعالى ذكره : وما النار التى وصفتها إلا تذكرة ذكر بها البشر ، وهم بنو آدم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَما هِيَ إلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ) يعنى النار.

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَما هِيَ إلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ) قال : النار .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾

* يعنى تعالى ذكره بقوله (كَلاَّ) ليس القول كما يقول من زعم أنه يكفى أصحابه المشركين خزنةُ جهنم حتى يجهضهم عنها ، ثم أقسم ربنا تعالى فقال : (وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ إذْ أدْبَرَ) يقول : والليل إذ ولّى ذاهبا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاللَّيْلِ إذْ أدْبَرَ) : إذ ولّى .

وقال آخرون فى ذلك ما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ؛ قال : ثنى أبى ؛ عن أبيه ، عن ابن عباس : (والليل إذْ أدْبَرَ) دبوره : إظلامه .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة (إذْ أدْبَرَ) ، وبعض قرّاء مكة والكوفة (إذا دَبَرَ) .

* والصواب من القول فى ذلك عندنا ، أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئُ فمصيب وقد اختلف أهل العلم بكلام العرب فى ذلك ، فقال بعض الكوفيين : هما لغتان ، يقال : دبر النهار وأدبر ، ودبر الصيف وأدبر ؛ قال : وكذلك قبل وأقبل ؛ فإذا قالوا : أقبل الراكب وأدبر لم يقولوه إلا بالألف . وقال بعض البصريين : (واللَّيْلِ إذَا دَبَرَ) يعنى : إذا دبر النهار وكان فى آخره ؛ قال : ويقال : دبرنى : إذا جاء خلفى ، وأدبر : إذا ولّى .

Marfat.com

والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما لغتان بمعنى ، وذلك أنه محكىّ عن العرب : قبح الله ما قَبِل منه وما دبر . وأخرى أن أهل التفسير لم يميزوا فى تفسيرهم بين القراءتين ، وذلك دليل على أنهم فعلوا ذلك كذلك ، لأنهما بمعنى واحد .

وقوله (والصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ) يقول تعالى ذكره : والصبح إذا أضاء .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ) إذا أضاء وأقبل (إِنَّهَا لَإِحْدَى الكُبَرِ) يقول تعالى ذكره : إن جهنم لإحدى الكبر ، يعنى الأمور العظام .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنى عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إِنَّهَا لَإِحْدَى الكُبَرِ) يعنى : جهنم .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبى رزين (إِنَّهَا لَإِحْدَى الكُبَرِ) قال : جهنم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّهَا لَإِحْدَى الكُبَرِ) قال : هذه النار .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِنَّهَا لَإِحْدَى الكُبَرِ) قال : هى النار .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (إِنَّهَا لَإِحْدَى الكُبَرِ) يعنى : جهنم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (إِنَّهَا لَإِحْدَى الكُبَرِ) يعنى جهنم .

وقوله (نَذِيرًا لِلْبَشَرِ) يقول تعالى ذكره : إن النار لإحدى الكبر ، نذيرا لبنى آدم .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (نَذِيرًا لِلْبَشَرِ) ، وما الموصوف بذلك ، فقال بعضهم : عُنِىَ بذلك النار ، وقالوا : هى صفة للهاء التى فى قوله « إنها » وقالوا : هى النذير ، فعلى قول هؤلاء النذير نصب على القطع من إحدى الكبر ، لأن إحدى الكبر معرفة ، وقوله (نَذِيرًا) نكرة ، والكلام قد يحسُن الوقوف عليه دونه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الحسن : والله ما أُنذر الناسُ بشىء أدهى منها ، أو بداهية هى أدهى منها .

وقال آخرون : بل ذلك من صفة الله تعالى ، وهو خبر من الله عن نفسه ، أنه نذير لخلقه ، وعلى هذا القول يجب أن يكون نصب قوله (نَذِيرًا) على الخروج من جملة الكلام المتقدّم ، فيكون معنى الكلام :

Marfat.com

وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة نذيرا للبشر ؛ يعنى : إنذارا لهم ؛ فيكون قوله (نَذِيرًا) بمعنى إنذارا لهم ؛ كما قال : (فَكَيْفَ كَانَ نَذِيرِ) بمعنى إنذارى؛ ويكون أيضا بمعنى : إنها لإحدى الكُبَر ؛ صيرنا ذاك كذلك نذيرا ، فيكون قوله (إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ) مؤدِّيا عن معنى صيرنا ذلك كذلك ؛ وهذا المعنى قصد من قال ذلك إن شاء الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل ، عن أبى رزين (إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ) قال : جهنم (نَذِيرًا لِلْبَشَرِ) يقول الله : أنا لكم منها نذير فاتقوها .

وقال آخرون : بل ذلك من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : نصب نذيرا على الحال مما فى قوله « قم » ، وقالوا : معنى الكلام : قم نذيرا للبشر فأنذر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (نَذِيرًا لِلْبَشَرِ) قال : الخلق ، قال بنو آدم : البشر ، فقيل له محمد النذير ، قال : نعم ينذرهم .

وقوله (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ) يقول تعالى ذكره : نذيرا للبشر لمن شاء منكم أيها الناس أن يتقدم فى طاعة الله ، أو يتأخر فى معصية الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ) قال : من شاء اتبع طاعة الله ، ومن شاء تأخر عنها .

حدثنى بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ) : يتقدم فى طاعة الله ، أو يتأخر فى معصيته .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

* يقول تعالى ذكره : كلّ نفس مأمورة منهية بما عملت من معصية الله فى الدنيا ، رهينة فى جهنم (إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ) فإنهم غير مرتهنين ، ولكنهم (فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ) عن المجرمين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

Marfat.com

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن ابيه ، عن ابن عباس : (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) يقول : مأخوذة بعملها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ) قال : غلق الناس كلهم إلا أصحاب اليمين .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ) قال : لايحاسبون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ) أصحاب اليمين لا يرتهنون بذنوبهم ، ولكن يغفرها الله لهم ، وقرأ قول الله: (إِلاَّ عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ) قال: لايؤاخذهم الله بسيئ أعمالهم ، ولكن يغفرها الله لهم، ويتجاوز عنهم كما وعدهم .

حُدثت عن الحسين ، قال: سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) قال: كل نفس سبقت له كلمة العذاب يرتهنه الله في النار ، لا يرتهن الله أحدا من أهل الجنة ، ألم تسمع أنه قال: (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ) يقول : ليسوا رهينة (فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله (إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ) قال : إن كان أحدهم سبقت له كلمة العذاب جُعل منزله في النار يكون فيها رهنا وليس يرتهن أحد من أهل الجنة هم في جنات يتساءلون .

واختلف أهل التأويل في أصحاب اليمين الذين ذكرهم الله في هذا الموضع ، فقال بعضهم : هم أطفال المسلمين .

ذكر من قال ذلك

حدثني واصل بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن الأعمش ، عن عثمان ، عن زاذان ، عن عليّ رضي الله عنه في هذه الآية (كُلُّ نفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ)قال : هم الولدان .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن عثمان أبي اليقظان ، عن زاذان أبي عمر عن عليّ رضي الله عنه في قوله (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ) قال : أطفال المسلمين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن عثمان بن عمير أبي اليقظان ، عن زاذان أبي عمر ، عن عليّ رضي الله عنه (إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ) قال : أولاد المسلمين .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي اليقظان ، عن زاذان ، عن عليّ رضي الله عنه (إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ) قال : هم الولدان .

Marfat.com

وقال آخرون : هم الملائكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن شريك ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، قال : هم الملائكة ، وإنما قال من قال : أصحاب اليمين فى هذا الموضع : هم الولدان وأطفال المسلمين ؛ ومن قال : هم الملائكة ، لأن هؤلاء لم يكن لهم ذنوب ، وقالوا : لم يكونوا ليسألوا المجرمين (ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ) إلا أنهم لم يقترفوا فى الدنيا مآثم ، ولو كانوا اقترفوها وعرفوها لم يكونوا ليسألوهم عما سلكهم فى سقر ، لأن كلّ من دخل من بنى آدم ممن بلغ حدّ التكليف ، ولزمه فرض الأمر والنهى ، قد علم أن أحدا لا يعاقب إلا على المعصية .

وقوله (فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ) يقول : أصحاب اليمين فى بساتين يتساءلون عن المجرمين الذين سُلكوا فى سقر ، أيّ شىء سلككم فى سقر ؟ (قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ) يقول : قال المجرمون لهم : لم نك فى الدنيا من المصلين لله (وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ) بخلا بما خولهم الله ، ومنعا له من حقه .

(وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ) يقول : وكنا نخوض فى الباطل وفيما يكرهه الله مع من يخوض فيه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ) قال : كلما غوى غاو غوى معه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ) قال : يقولون : كلما غوى غاو غوينا معه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾

✲ وقوله (وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ) يقول تعالى ذكره : قالوا : وكنا نكذّب بيوم المجازاة والثواب والعذاب ، ولا نصدّق بثواب ولا عقاب ولا حساب (حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ) يقول : قالوا : حتى أتانا الموت الموقن به (فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) يقول : فما يشفع لهم الذين شفعهم الله فى أهل الذنوب من أهل التوحيد ، فتنفعهم شفاعتهم ، وفى هذه الآية دلالة واضحة على أن الله تعالى ذكره مشفع بعض خلقه فى بعض .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

Marfat.com

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن سلمة بن كهيل، قال: ثنا أبو الزعراء، عن عبد الله فى قصة ذكرها فى الشفاعة؛ قال: ثم تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون والمؤمنون، ويشفعهم الله فيقول: أنا أرحم الراحمين، فيخرج من النار أكثر مما أخرج من جميع الخلق من النار؛ ثم يقول: أنا أرحم الراحمين؛ ثم قرأ عبد الله يا أيها الكفار (ما سَلَكَكُمْ فى سَقَرَ؟ قالُوا لَمْ نَكُ مِنَ المُصَلِّينَ، وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ المِسْكِينَ، وكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الخائِضِينَ، وكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ) وعقد بيده أربعا، ثم قال: هل ترون فى هؤلاء من خير، ألا ما يُتْرك فيها أحد فيه خير.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت عمى وإسماعيل بن أبى خالد، عن سلمة بن كهيل، عن أبى الزعراء، قال: قال عبد الله: لايبقى فى النار إلا أربعة، أو ذو الأربعة «الشكّ من أبى جعفر الطبرى»، ثم يتلو (ما سَلَكَكُمْ فى سَقَرَ؟ قالُوا لَمْ نَكُ مِنَ المُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ المِسْكِينَ وكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الخائِضِينَ، وكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ).

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفاعَةُ الشَّافِعِينَ) تعلمن أن الله يشفع المؤمنين يوم القيامة. ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «إنَّ مِنْ أُمَّتِى رَجُلاً يُدْخِلُ اللهُ بِشَفاعَتِهِ الجَنَّةَ أكْثَرَ مِنْ بَنِى تَمِيمٍ».

قال الحسن: أكثر من ربيعة ومضر، كنا نحدَّث أن الشهيد يشفع فى سبعين من أهل بيته.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور عن معمر، عن قتادة (فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفاعَةُ الشَّافِعِينَ) قال: تعلمن أن الله يشفع بعضهم فى بعض.

قال: ثنا أبو ثور، قال معمر: وأخبرنى من سمع أنس بن مالك يقول: إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة والرجل.

قال: ثنا أبو ثور، عن معمر، عن أيوب، عن أبى قلابة، قال: يدخل الله بشفاعة رجل من هذه الأمة الجنة مثل بنى تميم، أو قال: أكثر من بنى تميم، وقال الحسن: مثل ربيعة ومضر.

وقوله (فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ) يقول: فما لهؤلاء المشركين عن تذكرة الله إياهم بهذا القرآن معرضين، لايستمعون لها فيتعظوا ويعتبروا.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ) أى عن هذا القرآن.

Marfat.com

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنفِرَةٌ ۝ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۝ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ۝ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره: فما لهؤلاء المشركين بالله عن التذكرة معرضين، مولّين عنها تولية الحُمُر المستنفرة (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ).

واختلفت القرّاء في قراءة قوله (مُسْتَنْفِرَةٌ)، فقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة والبصرة بكسر الفاء، وفي قراءة بعض المكيين أيضا بمعنى نافرة[1].

والصواب من القول في ذلك عندنا، أنهما قراءتان معروفتان، صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب. وكان الفرّاء يقول: الفتح والكسر في ذلك كثيران في كلام العرب؛ وأنشد:

أَمْسِكْ حِمارَكَ إِنَّهُ مُسْتَنْفِرٌ فِي إِثْرِ أَحْمِرَةٍ عَمَدْنَ لِغُرَّبِ[2]

وقوله (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) اختلف أهل التأويل في معنى القسورة، فقال بعضهم: هم الرماة.

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب، قال: ثنا حفص بن غياث، عن حجاج، عن عطاء، عن ابن عباس، في قوله (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) قال: الرماة.

حدثني ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان؛ وحدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع عن سفيان، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن أبي موسى (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) قال: الرماة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) قال: هي الرماة.

قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن،

---

(١) أي وقراء المكيون بالفتح، بمعنى منفرة مذعورة.

(٢) البيت في (اللسان: نفر) غير منسوب: قال: الاستنفار: النفور. وأنشد ابن الأعرابي: «اربط حمارك إنه مستنفر ... البيت». وغرب اسم موضع. وفي معجم البكري: (٩٩٤) غرب: موضع تلقاء المنار. وقال الرياشي: موضع دون الشام إلى العراق. وقال الفراء في معاني القرآن (الورقة ٣٤٨): وقوله «كأنهم حمر مستنفرة» قرأها عاصم والأعمش: مستنفرة، بالكسر وقرأها أهل الحجاز: مستنفرة، بفتح الفاء. وهما جميعا كثيرتان في كلام العرب، قال الشاعر: «أمسك حمارك ... البيت». وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ١٨٢): حمر مستنفرة: مذعورة، ومستنفرة: نافرة. اهـ.

Marfat.com

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (قَسْوَرَةٍ) قال : عصبة قناص من الرماة . زاد الحارث فى حديثه . قال : وقال بعضهم فى القسورة : هو الأسد ، وبعضهم : الرماة .

حدثنا هناد بن السرىّ ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، فى قوله (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) قال : القسورة : الرماة ، فقال رجل لعكرمة : هو الأسد بلسان الحبشة ، فقال عكرمة : اسم الأسد بلسان الحبشة عنبسة .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا أبو رجاء ، عن عكرمة ، فى قوله (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) قال : الرماة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن سليمان بن عبد الله السلولى ، عن ابن عباس ، قال : هى الرماة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) وهم الرماة القناص .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) قال : قسورة النبل .

وقال آخرون : هم القناص .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) يعنى : رجال القُنَّص .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبير فى هذه الآية (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) قال : هم القناص .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن شعبة ، عن أبى بسر ، عن سعيد بن جُبير قال : هم القناص .

وقال آخرون : هم جماعة الرجال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ؛ وحدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن شعبة ، عن أبى حمزة ، قال : سألت ابن عباس عن القسورة ، فقال : ما أعامه بلغة أحد من العرب : الأسد ، هى عصب الرجال .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : ما أعلمه بلغة أحد من العرب الأسد هى عصب الرجال .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : سمعت أبى يحدّث ، قال : ثنا داود ، قال : ثنى عباس بن عبد الرحمن مولى بنى هاشم ، قال : سئل ابن عباس عن القسورة ، قال : جمع الرجال ، ألم تسمع ما قالت فلانة فى الجاهلية :

Marfat.com

يا بِنْتَ لُؤَيَّ خَيْرَةً لِخَيْرِه أَحْوَالُها في الحَيِّ مِثْلُ القَسْوَرَه[1]

وقال آخرون : هي أصوات الرجال

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) قال : ركز الناس أصواتهم .

قال أبو كريب ، قال سفيان : (هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا) .

وقال آخرون : بل هو الأسد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبي هريرة (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) قال : هو الأسد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن ابن سيلان ، أن أباهريرة كان يقول في قول الله : (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) قال : هو الأسد .

حدثني محمد بن معمر ، قال : ثنا هشام ، عن زيد بن أسلم ، في قول الله (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) قال : الأسد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني داود بن قيس عن زيد بن أسلم ، في قول الله (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) قال : هو الأسد .

حدثني محمد بن خالد بن خداش ، قال ثني سلم بن قتيبة ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، أنه سئل عن قوله (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) قال : هو بالعربية : الأسد ، وبالفارسية : شار ، وبالنبطية : أريا ، وبالحبشية : قسورة .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) يقول : الأسد .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبي هريرة قال : الأسد .

---

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز لم أعثر عليهما ولا على قائلهما . أنشدهما المؤلف عند قوله تعالى « فرت من قسورة » . وقال الفراء في معاني القرآن (٣٤٨) : والقسورة يقال إنها الرماة . وقال الكلبي بإسناده : هو الأسد . وقال ثعلب بإسناده إلى عكرمة مولى ابن عباس قال : قيل له : القسورة : الأسد بلسان الحبشة . فقال : القسورة الرماة ، والأسد بلسان الحبشة : عنبسة . اهـ وفي (اللسان : قسر) : والقسور : الصياد ، والقسور : الأسد ، والجمع قسورة . وفي التنزيل العزيز « فرت من قسورة » : قال ابن سيده : هذا قول أهل اللغة . وتحريره : أن القسور والقسورة : اسمان للأسد ، أنثوه كما قالوا : أسامة . إلا أن أسامة معرفة . وقيل في قوله : « فرت من قسورة » : قيل هم الرماة من الصيادين . قال الأزهري : أخطأ الليث في قوله القسور : الصياد خطأ ، إنما القسورة : اسم جامع للرماة ، ولا واحد له من لفظه . وقال ابن الأعرابي القسورة : الرماة ، والقسورة الأسد ، والقسورة الشجاع ، والقسورة : آخر الليل ، والقسورة : ضرب من الشجر . اهـ .

Marfat.com

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) قال : القسورة : الأسد .

وقوله (بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً) يقول تعالى ذكره : ما بهؤلاء المشركين فى إعراضهم عن هذا القرآن أنهم لايعلمون أنه من عندالله ، ولكن كلّ رجل منهم يريد أن يؤتى كتابا من السماء ينزل عليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً) قال : قد قال قائلون من الناس : يامحمد إنْ سرّك أن نتبعك فأتنا بكتاب خاصة إلى فلان وفلان ، نؤمر فيه باتباعك ، قال قتادة : يريدون أن يؤتوا براءة بغير عمل .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً) قال : إلى فلان من ربّ العالمين .

وقوله (كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ) يقول تعالى ذكره : ما الأمر كما يزعمون من أنهم لو أوتوا صحفا منشّرة صدّقوا ، بل لايخافون الآخرة ، يقول : لكنهم لايخافون عقاب الله ، ولا يصدّقون بالبعث والثواب والعقاب فذلك الذى دعاهم إلى الإعراض عن تذكرة الله ، وهوّن عليهم ترك الاستماع لوحيه وتنزيله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ) إنما أفسدهم أنهم كانوا لايصدّقون بالآخرة ، ولا يخافونها ، هو الذى أفسدهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ۝ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ۝ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ۝ ﴾

** يعنى جلّ ثناؤه بقوله (كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ) ليس الأمر كما يقول هؤلاء المشركون فى هذا القرآن من أنه سحر يؤثر ، وأنه قول البشر، ولكنه تذكرة من الله لخلقه ، ذكرهم به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ) أى القرآن .

Marfat.com

وقوله (فَمَن شاءَ ذَكَرَه) يقول تعالى ذكره : فمن شاء من عباد الله الذين ذكرهم الله بهذا القرآن ذكره ، فاتعظ فاستعمل مافيه من أمر الله ونهيه (وَما يَذْكُرُونَ إلاَّ أنْ يَشاءَ اللهُ) يقول تعالى ذكره : وما يذكرون هذا القرآن فيتعظون به ، ويستعملون ما فيه ، إلا أن يشاء الله أن يذكروه ، لأنه لا أحد يقدر على شيء إلا بأن يشاء الله يقدره عليه ، ويعطيه القدرة عليه .

وقوله (هُوَ أهْلُ التَّقْوَى وأهْلُ المَغْفِرَةِ) يقول تعالى ذكره : الله أهل أن يتقي عباده عقابه على معصيتهم إياه ، فيجتنبوا معاصيه ، ويسارعوا إلى طاعته ، وأهل المغفرة : يقول : هو أهل أن يغفر ذنوبهم إذا هم فعلوا ذلك ، ولا يعاقبهم عليها مع توبتهم منها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (هُوَ أهْلُ التَّقْوَى وأهْلُ المَغْفِرَةِ) ربنا محقوق أن تتقى محارمه ، وهو أهل المغفرة يغفر الذنوب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (هُوَ أهْلُ التَّقْوَى وأهْلُ المَغْفِرَةِ) قال : أهل أن تتقى محارمه ، وأهل المغفرة : أهل أن يغفر الذنوب .

آخر تفسير سورة المدثر

(٧٥) سورة القيامة مكية وآياتها اربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى :

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَٰمَةِ ۝ وَلَآ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۝ أَيَحْسَبُ الْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ۝

اختلفت القرّاء في قراءة قوله (لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيامَةِ) فقرأت ذلك عامة قرّاء الأمصار (لا أُقْسِمُ) [لا] (١) مفصولة من أقسم ، سوى الحسن والأعرج ، فإنه ذكر عنهما أنهما كانا يقرآن ذلك (لأُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيامَةِ) بمعنى : أقسم بيوم القيامة ، ثم أدخلت عليها لام القسم .

والقراءة التي لا أستجيز غيرها في هذا الموضع « لا » مفصولة ، أقسم مبتدأة على ما عليه قرّاء الأمصار ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

وقد اختلف الذين قرءوا ذلك على الوجه الذي اخترنا قراءته في تأويله ، فقال بعضهم « لا » صلة ، وإنما معنى الكلام : أقسم بيوم القيامة .

(١) (لا) : زيادة يقتضيها المعنى .

Marfat.com

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبوهشام الرفاعى ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن الحسن بن مسلم ابن يناق ، عن سعيد بن جُبير (لاأُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ) قال : أقسم بيوم القيامة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن الحسن بن مسلم ، عن سعيد بن جُبير (لاأُقْسِمُ) قال : أقسم .

وقال آخرون منهم : بل دخلت « لا » توكيدا للكلام .

ذكر من قال ذلك

سمعت أباهشام الرفاعى يقول : سمعت أبا بكر بن عياش يقول : قوله (لاأُقْسِمُ) توكيد للقسم كقوله لاوالله . وقال بعض نحويى الكوفة ، لارد لكلام قد مضى من كلام المشركين الذين كانوا ينكرون الجنة والنار ، ثم ابتدئ القسم ، فقيل : أقسم بيوم القيامة ، وكان يقول : كل يمين قبلها رد لكلام ، فلا بد من تقديم « لا » قبلها ، ليفرق بذلك بين اليمين التى تكون جحدا ، واليمين التى تستأنف ، ويقول : ألا ترى أنك تقول مبتدئا : والله إن الرسول لحق ؛ وإذا قلت : لاوالله إن الرسول لحق ، فكأنك أكذبت قوما أنكروه .

واختلفوا أيضا فى ذلك ، هل هو قسم أم لا ؟ فقال بعضهم : هو قسم أقسم ربنا بيوم القيامة ، وبالنفس اللوامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبى الخير بن تميم ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال لى ابن عباس : ممن أنت ؟ فقلت : من أهل العراق ، فقال : أيهم ؟ فقلت : من بنى أسد ، فقال : من حريبهم[1] ، أو ممن أنعم الله عليهم ؟ فقلت : لا بل ممن أنعم الله عليهم ، فقال لى : سل ، فقلت : لاأقسم بيوم القيامة ، فقال : يقسم ربك بما شاء من خلقه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لاأُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ ، وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) قال : أقسم بهما جميعا .

وقال آخرون : بل أقسم بيوم القيامة ، ولم يقسم بالنفس اللوامة . وقال : معنى قوله (وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) ولست أقسم بالنفس اللوامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الحسن : أقسم بيوم القيامة ، ولم يقسم بالنفس اللوامة .

وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال : إن الله أقسم بيوم القيامة ، وبالنفس اللوامة ، وجعل « لا » ردا لكلام قد كان تقدمه من قوم ، وجوابا لهم .

(١) لعل المراد بالحريب هنا : الفقير المحروب ، أى الذى ذهب ماله .

Marfat.com

﴿ وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب ، لأن المعروف من كلام الناس فى محاوراتهم إذا قال أحدهم : لاوالله ، لافعلت كذا ، أنه يقصد بلارد الكلام ، وبقوله : والله ، ابتداء يمين ، وكذلك قولهم : لاأقسم بالله لافعلت كذا ؛ فإذا كان المعروف من معنى ذلك ما وصفنا ، فالواجب أن يكون سائر ما جاء من نظائره جاريا مجراه ، مالم يخرج شيء من ذلك عن المعروف بما يجب التسليم له . وبعد : فإن الجميع من الحجة مجمعون على أن قوله (لاَأُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيامَةِ) قسم فكذلك قوله (وَلا أُقْسِمُ بالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) إلا أن تأتى حجة تدل على أن أحدهما قسم والآخر خبر . وقد دللنا على أن قراءة من قرأ الحرف الأول لأقسم بوصل اللام بأقسم قراءة غير جائزة بخلافها ماعليه الحجة مجمعة ، فتأويل الكلام إذا : لا ما الأمر كما تقولون أيها الناس من أن الله لايبعث عباده بعد مماتهم أحياء ، أقسم بيوم القيامة ، وكانت جماعة تقول : قيامة كل نفس موتها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ومسعر ، عن زياد بن علاقة ، عن المغيرة بن شعبة ، قال : يقولون : القيامة القيامة ، وإنما قيامة أحدهم : موته .

قال : ثنا وكيع ، عن مسعر وسفيان ، عن أبى قبيس ، قال : شهدت جنازة فيها علقمة ، فلما دفن قال : أما هذا فقد قامت قيامته .

وقوله (وَلا أُقْسِمُ بالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (اللَّوَّامَةِ) فقال بعضهم : معناه : ولا أقسم بالنفس التى تلوم على الخير والشر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن الحسن بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (وَلا أُقْسِمُ بالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) قال : تلوم على الخير والشر .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة (وَلا أُقْسِمُ بالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) قال : تلوم على الخير والشر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبى الخير بن تميم ، عن سعيد بن جُبير ، قال : قلت لابن عباس (وَلا أُقْسِمُ بالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) قال : هى النفس اللئوم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أنها تلوم على ما فات وتندم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) قال : تندم على مافات وتلوم عليه .

وقال آخرون : بل اللوامة : الفاجرة .

Marfat.com

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلا أُقْسِمُ بالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) : أى الفاجرة .

وقال آخرون : بل هى المذمومة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَلا أُقْسِمُ بالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) يقول : المذمومة .

وهذه الأقوال التى ذكرناها عمن ذكرناها عنه وإن اختلفت بها ألفاظ قائليها ، فمتقاربات المعانى ، وأشبه القول فى ذلك بظاهر التنزيل أنها تلوم صاحبها على الخير والشرّ ، وتندم على ما فات ، والقرّاء كلهم مجمعون على قراءة هذه بفصل « لا » من أقسم .

وقوله (أَيَحْسَبُ الإنْسانُ أنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ) يقول تعالى ذكره : أيظنّ ابن آدم أن لن نقدر على جمع عظامه بعد تفرّقها ، بلى قادرين على أعظم من ذلك ، أن نسوى بنانه ، وهى أصابع يديه ورجليه ، فنجعلها شيئا واحدا كخفّ البعير ، أو حافر الحمار ، فكان لا يأخذ ما يأكل إلا بفيه كسائر البهائم ، ولكنه فرق أصابع يديه يأخذ بها ، ويتناول ويقبض إذا شاء ويبسط ، فحسن خلقه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبى الخير بن تميم ، عن سعيد بن جُبير ، قال : قال لى ابن عباس : سل ، فقلت : (أَيَحْسَبُ الإنْسانُ أنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ ، بَلَى قادِرِينَ على أنْ نُسَوِّىَ بَنانَهُ) قال : لو شاء لجعله خفا أو حافرا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (بَلَى قادِرِينَ على أنْ نُسَوِّىَ بَنانَهُ) قال : أنا قادر على أن أجعل كفه مجمرة مثل خفّ البعير .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، عن إسرائيل ، عن مغيرة ، عمن حدثه ، عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس (قادِرِينَ على أنْ نُسَوِّىَ بَنانَهُ) قال : نجعله خفا أو حافرا .

قال : ثنا وكيع ، عن النضر ، عن عكرمة (على أنْ نُسَوِّىَ بَنانَهُ) قال : على أن نجعله مثل خفّ البعير ، أو حافر الحمار .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (بَلَى قادِرِينَ على أنْ نُسَوِّىَ بَنانَهُ) قال : جعلها يدا ، وجعلها أصابع يقبضهنّ ويبسطهنّ ، ولو شاء لجمعهنّ ، فاتقيت الأرض بفيك ، ولكن سوّاك خلقا حسنا . قال أبو رجاء : وسُئل عكرمة فقال : لوشاء لجعلها كخفّ البعير .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

Marfat.com

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (على أنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ) رجليه ، قال : كخفّ البعير فلا يعمل بهما شيئا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بَلَى قادِرِينَ على أنْ نُسَوِّيَ بَنانَه) قادر والله على أن يجعل بنانه كحافر الدابة ، أو كخفّ البعير ، ولو شاء لجعله كذلك ، فإنما ينقى طعامه بفيه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (على أنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ) قال : لو شاء جعل بنانه مثل خفّ البعير ، أو حافر الدابة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (على أنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ) قال : البنان : الأصابع ، يقول : نحن قادرون على أن نجعل بنانه مثل خفّ البعير .

واختلف أهل العربية فى وجه نصب (قادِرِينَ) فقال بعضهم : نصب لأنه واقع موقع نفعل ، فلما ردّ إلى فاعل نصب ، وقالوا : معنى الكلام : أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه بلى نقدر على أن نسوّى بنانه ؛ ثم صرف نقدر إلى قادرين . وكان بعض نحويى الكوفة يقول : نصب على الخروج من نجمع ، كأنه قيل فى الكلام : أيحسب أن لن نقوّى عليه ؟ بلى قادرين على أقوى منك . يريد : بلى نقوى مقتدرين على أكثر من ذا . وقال : قول الناس بلى نقدر ، فلما صرفت إلى قادرين نصبت خطأ ، لأن الفعل لاينصب بتحويله من يفعل إلى فاعل . ألا ترى أنك تقول : أتقوم إلينا ، فإن حوّلتها إلى فاعل قلت : أقائم ، وكان خطأ أن تقول قائما ؛ قال : وقد كانوا يحتجون بقول الفرزدق :

عليَّ قَسَمٌ لا أشْتُمُ الدَّهْرَ مُسْلِما ... وَلا خارِجا مِنْ فِيَّ زُورُ كَلام

فقالوا : إنما أراد : لا أشتم ولا يخرج ، فلما صرفها إلى خارج نصبها ، وإنما نصب لأنه أراد : عاهدت ربى لاشاتما أحدا ، ولا خارجا من فىّ زور كلام ؛ وقوله : لا أشتم ، فى موضع نصب . وكان بعض نحويى البصرة يقول : نصب على نجمع : أى بل نجمعها قادرين على أن نسوّى بنانه ، وهذا القول الثانى أشبه بالصحة على مذهب أهل العربية .

القول فى تأويل قوله تعالى :

بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۝ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ۝ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۝ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۝ وَجُمِعَ الشَّمْسُ

(١) البيت للفرزدق (ديوانه ٧٦٩ طبع الصاوى) من قصيدة قالها فى المربد : ويروى « على حلفة » فى موضع « على قسم » . وقد أنشده الفراء فى معانى القرآن (٣٤٩) عند قوله تعالى « بلى قادرين » قال وقوله « بلى قادرون » : نصبت على الخروج من نجمع ، كأنك قلت فى الكلام : أتحسب أن لن نقوى عليك ، بلى قادرين على إقوامك يريد : بلى نقوى قادرين ، بلى نقوى مقتدرين على أكثر من ذا . قال : ولو كانت رفعا على الاستئناف ، كأنه قال : بلى نحن قادرين على أكثر من ذا كان صوابا ، وقول الناس : بلى نقدر ، فلما صرفت إلى قادرين نصبت خطأ لأن الفعل لاينصب بتحويله من يفعل إلى فاعل ألا ترى أنك تقول : أتقوم إلينا ، فإن حولتها إلى فاعل ، قلت : أقائم إلينا ؟ وكان خطأ أن تقول : أقائما إلينا ؟ وقد كانوا يحتجون بقول الفرزدق : « على قسم ... البيت » فقالوا : إنما أراد : لا أشتم ولا يخرج ، فلما صرفها إلى يخرج نصبها وإنما نصب لأنه أراد : عاهدت ربى لاشاتما أحدا ، ولا خارجا من فى زور كلام . اهـ .

Marfat.com

وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾

*** يقول تعالى ذكره : ما يجهل ابن آدم أن ربه قادر على أن يجمع عظامه ، ولكنه يريد أن يمضى أمامه قُدُماً معاصى الله ، لايثنيه عنها شيء ، ولا يتوب منها أبدا ، ويسوّف التوبة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبى الخير بن تميم الضبى ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (بَلْ يُرِيدُ الإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أمامَهُ) قال : يمضى قُدُماً .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (بَلْ يُرِيدُ الإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أمامَهُ) يعنى الأمل ، يقول الإنسان : أعمل ثم أتوب قبل يوم القيامة ، ويقال : هو الكفر بالحقّ بين يدى القيامة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لِيَفْجُرَ أمامَهُ) قال : يمضى أمامه راكبا رأسه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بَلْ يُرِيدُ الإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أمامَهُ) قال : قال الحسن : لاتلقى ابن آدم إلاّ تنزع نفسه إلى معصية الله قُدُماً قُدُماً ، إلا من قد عصم الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، فى قوله (لِيَفْجُرَ أمامَهُ) قال : قُدُماً فى المعاصى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن عمرو ، عن إسماعيل السدى (بَلْ يُرِيدُ الإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أمامَهُ) قال : قُدُماً .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن النضر ، عن عكرمة (بَلْ يُرِيدُ الإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أمامَهُ) قال : قدما لاينزع عن فجور .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبيه ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن جُبير (لِيَفْجُرَ أمامَهُ) قال : سوف أتوب .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أنه يركب رأسه فى طلب الدنيا دائبا ولا يذكر الموت .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله :

Marfat.com

(بَلْ يُرِيدُ الإنْسانُ لِيَفْجُرَ أمامَهُ) هو الأمل يؤمل الإنسان ، أعيش وأصيب من الدنيا كذا ، وأصيب كذا ، ولا يذكر الموت .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : بل يريد الإنسان الكافر ليكذب بيوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (بَلْ يُرِيدُ الإنْسانُ لِيَفْجُرَ أمامَهُ) يقول : الكافر يكذّب بالحساب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (بَلْ يُرِيدُ الإنْسانُ لِيَفْجُرَ أمامَهُ) قال : يكذّب بما أمامه يوم القيامة والحساب .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : بل يريد الإنسان ليكفر بالحقّ بين يدى القيامة ، والهاء على هذا القول فى قوله (أمامَهُ) من ذكر القيامة ، وقد ذكرنا الرواية بذلك قبل .

قوله (يَسألُ أيَّانَ يَوْمُ القِيامَةِ) يقول تعالى ذكره : يسأل ابن آدم السائر دائبا فى معصية الله قُدُما : متى يوم القيامة ، تسويفا منه للتوبة ، فبين الله له ذلك فقال : (فإذَا بَرِقَ البَصَرُ ، وخَسَفَ القَمَرُ ، وجُمِعَ الشَّمْسُ والقَمَرُ) . . . الآية .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن عطية ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن جُبير ، عن قتادة ، قوله (يَسألُ أيَّانَ يَوْمُ القِيامَةِ) يقول : متى يوم القيامة ؛ قال : وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من سُئل عن يوم القيامة فليقرأ هذه السورة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَسألُ أيَّانَ يَوْمُ القِيامَةِ) متى يكون ذلك ، فقرأ (وجُمِعَ الشَّمْسُ والقَمَرُ) قال : فكذلك يكون يوم القيامة .

وقوله (فإذَا بَرِقَ البَصَرُ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه أبو جعفر القارئ ونافع وابن أبى إسحاق (فإذَا بَرَقَ) بفتح الراء ، بمعنى شخص وفُتِّح عند الموت ؛ وقرأ ذلك شيبة وأبو عمرو وعامة قرّاء الكوفة (بَرِقَ) بكسر الراء ، بمعنى : فزع وشقّ .

وقد حدثنى أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنى حجاج ، عن هارون ، قال : سألت أبا عمرو ابن العلاء عنها ، فقال (بَرِقَ) بالكسر بمعنى حار . قال : وسألت عنها عبد الله بن أبى إسحاق فقال : (بَرَقَ) بالفتح ، إنما برق الخيطل[1] والنار والبرق . وأما البصر فبرق عند الموت . قال : وأخبرت بذلك ابن

(١) من معانى الخيطل فى اللسان : السنور ، والكلب .

Marfat.com

أبي إسحاق ، فقال : أخذت قراءتي عن الأشياخ نصر بن عاصم وأصحابه ، فذكرت لأبي عمرو ، فقال : لكن لا آخذ عن نصر ولا عن أصحابه ، فكأنه يقول : آخذ عن أهل الحجاز .

** وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب كسر الراء (فإذَا بَرِقَ) بمعنى : فزع فشُقّ وفُتِح من هول القيامة وفزع الموت . وبذلك جاءت أشعار العرب . أنشدني بعض الرواة عن أبي عُبيدة الكلابي :

لَمّا أتاني ابْنُ صُبَيْحٍ رَاغِبا ... أعْطَيْتُهُ عَيْساء مِنْها فَبَرِقْ [1]

وحُدِّثت عن أبي زكريا الفرّاء قال : أنشدني بعض العرب :

نَعانِي حَنانَةُ طُوْبالَةً ... تَسَفُّ يَبِيسا مِنَ الْعِشْرِقِ
فَنَفْسَكَ فانْعَ وَلا تَنْعَنِي ... ودَاوِ الْكُلُومَ وَلا تَبْرَقِ [2]

بفتح الراء ، وفسّره أنه يقول : لا تفزع من هول الجراح التي بك ؛ قال : وكذلك يبْرَق البصر يوم القيامة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فإذَا بَرِقَ الْبَصَرُ) يعني : برق البصر : الموت ، وبروق البصر : هي الساعة .

---

(١) الرجز من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ١٨٢) عند قوله تعالى : « فإذا برق البصر » . وأنشده أبو زكريا التبريزي في تهذيب إصلاح المنطق (طبع القاهرة ٧٥) قال : البرق (بالتحريك) أن يبرق البصر ، وهو أن يتحير فلا يطرف ، قال الأعور ابن براء الكلابي : كلاب مرة : « لما أتاني ابن صبيح . . . البيت » ومعه بيت آخر ، وهو :

أعْطَيْتُهُ مُبْنِيَةً دَأْيَاتُهَا ... مَائِرَةَ الضَّبْعَيْنِ سَطْعَاءَ الْعُنُقْ

قال : صبيح : من هلال بن عامر ، وكان الأعور خاله ، فسأل ابن صبيح الأعور ، فأعطاه ناقة من إبله ، فذهب بها الهلالي ، وهجا الأعور فقال :

أعْطَيْتَنِي سَاقِطَةً أضْرَاسُهَا ... لَوْ تَعْجُمُ الْبَيْضَ إذَنْ لَمْ يَنْفَلِقْ

مع أبيات غيرها فأجابه الأعور بقصيدة فيها البيتان المتقدمان . والدأيات : فقار الظهر ، الواحدة دأية . والضبعان : العضدان . ومائرة الضبعين : أي سريعة . والسطعاء : الطويلة العنق . اهـ .

وفي (اللسان برق) : وبرق بصره برقا (كفرح فرحا) وبرق يبرق بروقا (كقعد يقعد قعودا) الأخيرة عن اللحياني — : دهش فلم يبصر . وقيل : تحير فلم يطرف . وفي التنزيل : « فإذا برق البصر وبرق (من بابي فرح وقعد) قرئ بهما جميعا . اهـ . وقال الفراء في معاني القرآن (٣٤٩) وقوله « فإذا برق البصر » : قرأها الأعمش وعاصم والحسن وبعض أهل المدينة : برق ، بكسر الراء . وقرأها نافع المدني : برق البصر ، بفتح الراء ، من البريق : لمن فتح عينيه : أي شخص . وقوله برق (بالكسر) : أي فزع . اهـ .

(٢) البيتان في ديوان طرفة طبعة « أدرنه ـ ك » سنة ١٩٠٩ ص ١٥ قال : وقال في شأن إبل أخيه ، وكان بشبكة امرئ القيس ، ووثب حنانة الحاجب ليضربه ، فانتزع طرفة سيفه . فقال في ذلك ، ولم يروها الشنتمري . وفي (اللسان : حنن) وحنانة : اسم راع في قول طرفة « نعاني حنانة . . . . البيت » . قال ابن بري : رواه ابن القطاع : بغاني حنانة ، بالباء والغين المعجمة . والصحيح بالنون : والعين غير المعجمة كما وقع في الأصول ، بدليل قوله بعد هذا البيت : « فنفسك فانع . . . . البيت » وفي (اللسان : طبل) الطوبالة النعجة . اهـ . ونصبها على الذم له كأنه قال أعني طوبالة . وتسف : تأكل . والعشرق : نبت معروف عندهم . وقوله : « لا تبرق » فسره اللسان بقوله : لا تفزع من هول الجراح التي بك ، وفسره شارح الديوان السابق الذكر : أي لا تهدد . وفسره الفراء في معاني القرآن (٣٤٩) فقال وقوله « برق » : فزع ، أنشدني بعض العرب « نعاني حنانة . . . . البيتين » . فتح الراء أي لا تفزع من هول الجراح التي بك . اهـ .

Marfat.com

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بَرِقَ البَصَرُ) قال : عند الموت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فإذَا بَرِقَ البَصَرُ) شخص البصر .

وقوله (وَخَسَفَ القَمَرُ) يقول : ذهب ضوء القمر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَخَسَفَ القَمَرُ) : ذهب ضوؤه فلا ضوء له .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن (وَخَسَفَ القَمَرُ) هو ضوؤه ، يقول : ذهب ضوؤه .

وقوله (وَجُمِعَ الشَّمْسُ والقَمَرُ) يقول تعالى ذكره : وجمع بين الشمس والقمر فى ذهاب الضوء ، فلا ضوء لواحد منهما ، وهى فى قراءة عبد الله فيما ذُكر لى (وَجُمِعَ بَيْنَ الشَّمْسِ والقَمَرِ) وقيل : إنهما يجمعان ثم يكوّران ، كما قال جلّ ثناؤه (إذا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) ، وإنما قيل : (وَجُمِعَ الشَّمْسُ والقَمَرُ) لما ذكرت من أن معناه جمع بينهما . وكان بعض نحويى الكوفة يقول : إنما قيل : وجُمع على مذهب وجمع النوران ، كأنه قيل : وجمع الضياءان ، وهذا قول الكسائى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَجُمِعَ الشَّمْسُ والقَمَرُ) قال : كوّرا يوم القيامة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَجُمِعَ الشَّمْسُ والقَمَرُ) قال : جُمعا فرُمى بهما فى الأرض .

وقوله (إذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) قال : كوّرت فى الأرض والقمر معها .

قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى سعيد بن أبى أيوب ، عن أبى شيبة الكوفى ، عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أنه تلا هذه الآية يوما (وَجُمِعَ الشَّمْسُ والقَمَرُ) قال : يجمعان يوم القيامة ، ثم يقذفان فى البحر ، فيكون نار الله الكبرى .

وقوله (يَقُولُ الإنْسانُ يَوْمَئِذٍ أيْنَ المَفَرُّ) بفتح الفاء ، قرأ ذلك قرّاء الأمصار ، لأن العين فى الفعل منه مكسورة ، وإذا كانت العين من يفعل مكسورة ، فإن العرب تفتحها فى المصدر منه إذا نطقت به على مَفعَل ، فتقول : فرّ يفرّ مفرّا ، يعنى فرّا ، كما قال الشاعر :

Marfat.com

يا لَبَكْرٍ انْشِرُوا لى كُلَيْبا يا لَبَكْرٍ أيْنَ أيْنَ الْفِرَارُ [١]

إذا أريد هذا المعنى من مفعل قالوا : أين المفرّ بفتح الفاء ، وكذلك المدبّ من دبّ يدبّ ، كما قال بعضهم :

كأنَّ بِقايا الأَثْرِ فَوْقَ مُتُونِه مَدَبُّ الدَّبَى فَوْقَ النَّقا وَهْوَ سارِح [٢]

وقد يُنشد بكسر الدال ، والفتح فيها أكثر ، وقد تنطق العرب بذلك ، وهو مصدر بكسر العين . وزعم الفرّاء أنهما لغتان ، وأنه سُمع : جاء على مَدَبّ السيل ، ومِدبّ السيل ، ومافى قميصه مَصحّ ومِصحّ . فأما البصريون فإنهم فى المصدر يفتحون العين من مَفْعَل إذا كان الفعل على يَفعِل ، وإنما يُجيزون كسرها إذا أريد بالمفعل المكان الذى يفرّ إليه ، وكذلك المضرب : المكان الذى يضرب فيه إذا كُسرت الراء . ورُوى عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك بكسر الفاء ، ويقول : إنما المِفرّ : مِفر الدابة حيث تفرّ .

﴿ والقراءة التى لا أستجيز غيرها الفتح فى الفاء من المَفرّ ، لإجماع الحجة من القرّاء عليها ، وأنها اللغة المعروفة فى العرب إذا أريد بها الفرار ، وهو فى هذا الموضع الفرار . وتأويل الكلام : يقول الإنسان يوم يعاين أهوال يوم القيامة : أين المفرّ من هول هذا الذى قد نزل ، ولا فرار .

يقول تعالى ذكره (كَلاَّ لاوَزَرَ) يقول جلّ ثناؤه : ليس هناك فرار ينفع صاحبه ، لأنه لا ينجيه فراره ، ولا شىء يلجأ إليه من حصن ولا جبل ولا معقل ، من أمر الله الذى قد حضر ، وهو الوزر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (كَلاَّ لاوَزَرَ) يقول : لاحرز .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (كَلاَّ لاوَزَرَ) يعنى : لاحصن ، ولا ملجأ .

---

(١) البيت لمهلهل بن ربيعة يرثى أخاه كليب بن ربيعة (العقد الفريد : فى يوم الذنائب) . وقافيته مختلفة عن رواية المؤلف ، وبعده :

تِلْكَ شَيْبانُ تَقُولُ لِبَكْرٍ صَرَّحَ الشَّرُّ وَبانَ السِّرَارُ
وبنو عِجْلٍ تَقُولُ لِقَيْسٍ وَلِتَيْمِ اللاَّتِ سِيرُوا فَسَارُوا

وفى (اللسان : فر) : وقوله تعالى : « أين المفر؟ » : أين الفرار؟ وقرئ : أين المفر؟ (بكسر الفاء) أى أين موضع الفرار؟ عن الزجاج . وفى معانى القرآن للفراء (٣٤٩) وقوله « أين المفر » بفتح الفاء . وبإسناد ثعلب إلى ابن عباس أنه قرأ : « أين "المفر" (أى بكسر الفاء) وقال : إنما المفر (أى بالفتح) مفرّ الدابة : حيث تفرّ . وهما لغتان : المفر والمفر ، والمدب والمدب (أى بفتح الفاء والدال ، وبكسرهما) . اهـ .

(٢) وهذا البيت أيضا من شواهد الفراء (٣٥٠) وكلامه فيه متمم لكلامه فى الشاهد الذى قبله ، قال : وما كان « يفعل » (المضارع) فيه مكسورا (مكسور العين) مثل يدب ويفر ويصح ، تقول : مفر ومفر ، ومصح ومصح ، ومدب ومدب (أى بفتح العين وكسرها . (وأنشدنى بعضهم « كأن بقايا الأثر . . . . البيت » . ينشدونه مدب (لعله بفتح الدال) وهو أكثر من مدب . ويقال : جاء على مدب السيل ومدب السيل ؛ وما فى قميصه مصح ولا مصح . اهـ . والأثر ، بفتح الهمزة وكسرها وبضمتين) على فعل هو واحد ليس بجمع : فرند السيف ورونقه . والجمع : أثور (اللسان : أثر) . اهـ .

Marfat.com

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا إبراهيم بن طريف ، قال : سمعت مُطَرِّف بن الشِّخِّير يقرأ (لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) فلما أتى على (كَلَّا لَا وَزَرَ) قال : هو الجبل ، إن الناس إذا فرّوا قالوا عليك بالوَزَر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبدالرحمن بن مَهدىّ ، عن شعبة ، عن أدهم ، قال : سمعت مُطَرِّفا يقول : (كَلَّا لَا وَزَرَ) قال : كلا لاجَبَل .

حدثنا نصر بن علىّ الجهضمى ، قال : ثنى أبى ، عن خالد بن قيس ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال : (كَلَّا لَا وَزَرَ) قال : لاجبل .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (كَلَّا لَا وَزَرَ) قال : كانت العرب تخيف بعضها بعضا ، قال : كان الرجلان يكونان فى ماشيتهما ، فلا يشعران بشىء حتى تأتيهما الخيل ، فيقول أحدهما لصاحبه : يافلان الوَزَر الوَزَر ، الجَبَل الجَبَل .

حدثنى أبوحفص الحيرىّ ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا أبومودود ، عن الحسن ، فى قوله (كَلَّا لَا وَزَرَ) قال : لاجبل .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبدالرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى مودود ، قال : سمعت الحسن فذكر نحوه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَا وَزَرَ) لاملْجأ ولا جبل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كَلَّا لَا وَزَرَ) لاجبل ولاحِرْز ولا منجى قال الحسن : كانت العرب فى الجاهلية إذا خشوا عدوّا قالوا : عليكم الوزر : أى عليكم الجبل .

حدثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن سفيان عن سليمان التيمى ، عن شبيب ، عن أبى قلابة فى قوله (كَلَّا لَا وَزَرَ) قال : لاحصن .

حدثنا أحمد بن هشام ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا سفيان ، عن سليمان التيمى ، عن شبيب ، عن أبى قلابة بمثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سليمان التيمى ، عن شبيب ، عن أبى قلابة مثله .

قال(١) : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا مسلم بن طهمان ، عن قتادة ، فى قوله (لَا وَزَرَ) يقول : لاحصن

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَا وَزَرَ) قال : لاجبل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبيه ، عن مولى للحسن ، عن سعيد بن جُبير (لَا وَزَرَ) : لاحصن .

قال : ثنا وكيع ، عن أبى حجير ، عن الضحاك ، لاحصن .

---

(١) لعله قد أسقط صدر السند من هذا الحديث ، لأنه كالذى قبله .

Marfat.com

حُدِّثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول فى قوله: (كَلَّا لَا وَزَرَ) يعنى: الجبل بلغة حِمْيَر.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (كَلَّا لَا وَزَرَ) قال: لا مُتَغَيَّب يُتَغيب فيه من ذلك الأمر، لا منجىً له منه.

وقوله (إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ) يقول تعالى ذكره: إلى ربك أيها الإنسان يومئذ الاستقرار، وهو الذى يقرّ جميع خلقه مقرّهم.

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك، فقال بعضهم نحو الذى قلنا فيه.

ذكر من قال ذلك

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ) قال: استقرّ أهل الجنة فى الجنة، وأهل النار فى النار. وقرأ قول الله (وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ).

وقال آخرون: عنى بذلك إلى ربك المنتهى.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ): أى المنتهى.

القول فى تأويل قوله تعالى:

(يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾)

يقول تعالى ذكره: يُخَبَّر الإنسان يومئذ، يعنى يوم يُجْمَع الشمس والقمر فيكوّران بما قدّم وأخّر.

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ) فقال بعضهم: معنى ذلك: بما قدّم من عمل خير، أو شرّ أمامه، مما عمله فى الدنيا قبل مماته، وما أخّر بعد مماته من سيئة وحسنة، أو سيئة يعمل بها من بعده.

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس، قوله (يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ) يقول: ما عمل قبل موته، وما سنّ فعُمِل به بعد موته.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن عبد الكريم الجزرى، عن زياد بن أبى مريم عن ابن مسعود قال (بِمَا قَدَّمَ) من عمله (وَأَخَّرَ) من سنة عمل بها من بعده من خير أو شرّ.

Marfat.com

وقال آخرون : بل معنى ذلك : يُنَبَّأُ الإنسان بما قدم من المعصية ، وأخر من الطاعة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يُنَبَّأُ الإنسانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وأخَّرَ) يقول : بما قدّم من المعصية ، وأخّر من الطاعة ، فينبأ بذلك .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ينبأ بأوّل عمله وآخره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور عن مجاهد (يُنَبَّأُ الإنسانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وأخَّرَ) قال : بأوّل عمله وآخره .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد وإبراهيم ، مثله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك (بِما قَدَّمَ) من طاعة (وأخَّرَ) من حقوق الله التي ضيّعها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُنَبَّأُ الإنسانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ) من طاعة الله (وأخَّرَ) مما ضيع من حقّ الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بِمَا قَدَّمَ وأخَّرَ) قال : بما قدّم من طاعته ، وأخّر من حقوق الله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : بما قدّم من خير أو شرّ مما عمله ، وما أخّر مما ترك عمله من طاعة الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يُنَبَّأُ الإنسانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وأخَّرَ) قال : ما أخر ماترك من العمل لم يعمله ، ماترك من طاعة الله لم يعمل به ، وما قدم : ما عمل من خير أو شرّ .

*** والصواب من القول في ذلك عندنا ، أن ذلك خبر من الله أن الإنسان ينبأ بكلّ ماقدّم أمامه مما عمل من خير أو شرّ في حياته ، وأخّر بعده من سنة حسنة أو سيئة مما قدّم وأخّر ، كذلك ماقدّم من عمل عمله من خير أو شرّ ، وأخّر بعده من عمل كان عليه فضيّعه ، فلم يعمله مما قدّم وأخّر ، ولم يخصص الله من ذلك بعضا دون بعض ، فكلّ ذلك مما ينبأ به الإنسان يوم القيامة .

وقوله (بَلِ الإنْسانُ على نَفْسِه بَصِيرَةٌ) يقول تعالى ذكره : بل للإنسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه بعمله ، ويشهدون عليه به .

Marfat.com

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (بَلِ الإنْسانُ على نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) يقول : سمعه وبصره ويداه ورجلاه وجوارحه ، والبصيرة على هذا التأويل ما ذكره ابن عباس من جوارح ابن آدم وهى مرفوعة بقوله (عَلَى نَفْسِهِ) ، والإنسان مرفوع بالعائد من ذكره فى قوله : نفسه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : بل الإنسان شاهد على نفسه وحده ، ومن قال هذا القول جعل البصيرة خبرًا للإنسان ، ورفع الإنسان بها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (بَلِ الإنْسانُ على نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) يقول : الإنسان شاهد على نفسه وحده .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (بَلِ الإنْسانُ على نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) قال : شاهد عليها بعملها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بَلِ الإنْسانُ على نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) إذا شئت والله رأيته بصيرا بعيوب الناس وذنوبهم ، غافلا عن ذنوبه ؛ قال : وكان يقال : إن فى الإنجيل مكتوبا : يا ابن آدم تبصر القذاة فى عين أخيك ، ولا تبصر الجذع المعترض فى عينك .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (بَلِ الإنْسانُ على نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) قال : هو شاهد على نفسه ، وقرأ (اقْرَأْ كِتابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبا) ومن قال هذه المقالة يقول : أدخلت الهاء فى قوله (بَصِيرَةٌ) وهى خبر للإنسان ، كما يقال للرجل : أنت حجة على نفسك ، وهذا قول بعض نحويى البصرة . وكان بعضهم يقول : أدخلت هذه الهاء فى بصيرة وهى صفة للذكر ، كما أدخلت فى راوية وعلامة .

وقوله (وَلَوْ أَلْقَى مَعاذِيرَهُ) اختلف أهل الرواية فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : بل للإنسان على نفسه شهود من نفسه ، ولو اعتذر بالقول مما قد أتى من المآثم ، وركب من المعاصى ، وجادل بالباطل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَلَوْ أَلْقَى مَعاذِيرَهُ) يعنى الاعتذار ، ألم تسمع أنه قال (لايَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ) ، وقال الله : « وألقوا إلى الله يومئذ السَّلَم ، ما كنا نعمل من سوء »[1] وقولهم (وَاللهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ) .

(١) فى سورة النحل « فألقوا السلم ما كنا » الخ . وفى آية أخرى منها « وألقوا إلى الله يومئذ السلم وضل عنهم » . . . الآية .

Marfat.com

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن موسى بن أبى عائشة ، عن سعيد بن جُبير ، فى قوله (بَلِ الإنْسانُ على نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) قال : شاهد على نفسه ولو اعتذر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ) ولو جادل عنها ، فهو بصيرة عليها .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن عمران بن حدير ، قال : سألت عكرمة ، عن قوله (بَلِ الإنْسانُ على نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ) قال : فسكت ، فقلت له : إن الحسن يقول : ابن آدم عملك أولى بك ، قال : صدق .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ) قال معاذيرهم التى يعتذرون بها يوم القيامة فلا ينتفعون بها ، قال : «يوم لا يؤذن لهم فيعتذرون» ويوم يؤذن لهم فيعتذرون فلا تنفعهم ، ويعتذرون بالكذب .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : بل للإنسان على نفسه من نفسه بصيرة ولو تجرّد .

ذكر من قال ذلك

حدثنى نصر بن علىّ الجهضمى ، قال : ثنى أبى ، عن خالد بن قيس ، عن قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ) قال : لو تجرّد .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولو أرخى الستور وأغلق الأبواب .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن خلف العسقلانى ، قال : ثنا روّاد ، عن أبى حمزة ، عن السدىّ ، فى قوله (وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ) ولو أرخى الستور ، وأغلق الأبواب .

وقال آخرون : ل معنى ذلك (وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ) لم تقبل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا نصر ن علىّ ، قال : ثنى أبى ، عن خالد بن قيس ، عن قتادة ، عن الحسن (وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ) لم تُقبل معاذيره .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ) قال : ولو اعتذر .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصواب قول من قال : معناه : ولو اعتذر لأن ذلك أشبه المعانى بظاهر التنزيل ، وذلك أن الله جلّ ثناؤه أخبر عن الإنسان أن عليه شاهداً من نفسه بقوله (بَلِ الإنْسانُ على نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) فكان الذى هو أولى أن يتبع ذلك ، ولو جادل عنها بالباطل ، واعتذر بغير الحقّ ، فشهادة نفسه عليه به أحقّ وأولى من اعتذاره بالباطل .

Marfat.com

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾

** يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لاتحرّك يا محمد بالقرآن لسانك لتعجل به .

واختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله قيل له (لاتُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) فقال بعضهم : قيل له ذلك ، لأنه كان إذا نزل عليه منه شىء عجل به ، يريد حفظه من حبه إياه ، فقيل له : لاتعجل به فإنّا سنحفظه عليك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه القرآن تعجّل يريد حفظه ، فقال الله تعالى ذكره : (لاتُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ، إنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرآنَهُ)وقال ابن عباس : هكذا وحرّك شفتيه.

حدثنى عبيد بن إسماعيل الهبّارىّ ويونس قالا : ثنا سفيان ، عن عمرو ، عن سعيد بن جُبير ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه القرآن تعجّل به يريد حفظه ؛ وقال يونس : يحرّك شفتيه ليحفظه فأنزل الله : (لاتُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ، إنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وقُرآنَهُ) .

حدثنى عبيد بن إسماعيل الهبارى ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى عائشة ، سمع سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس مثله ، وقال (لاتُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ) قال : هكذا ، وحرّك سفيان فاه .

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن موسى بن أبى عائشة ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (لاتُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) قال : كان النبىّ صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه جبريل بالوحى ، كان يحرّك به لسانه وشفتيه ، فيشتدّ عليه ، فكان يعرف ذلك فيه ، فأنزل الله هذه الآية فى « لاأقسم بيوم القيامة » (لاتُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ، إنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وقُرآنَهُ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن موسى بن أبى عائشة ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : كان النبىّ صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه القرآن ، حرّك شفتيه ، فيعرف بذلك ، فحاكاه سعيد ، فقال (لاتُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) قال : لتعجل بأخذه .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن موسى بن أبى عائشة ، قال : سمعت سعيد بن جُبير يقول : (لاتُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) . قال : كان جبريل عليه السلام ينزل بالقرآن ، فيحرّك به لسانه ، يستعجل به ، فقال (لاتُحَرِّكْ به لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ربعى بن علية ، قال : ثنا داود بن أبى هند ، عن الشعبىّ فى هذه الآية (لاتُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) قال : كان إذا نزل عليه الوحى عجّل يتكلم به من حبه إياه ، فنزل (لاتُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ، إنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وقُرآنَهُ) .

Marfat.com

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) قال : لاتكلم بالذى أوحينا إليك حتى يقضى إليك وحيه ، فاذا قضينا إليك وحيه ، فتكلم به .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبامعاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ) قال : كان نبيّ الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحى من القرآن حرّك به لسانه مخافة أن ينساه .

وقال آخرون : بل السبب الذى من أجله قيل له ذلك ، أنه كان يُكثر تلاوة القرآن مخافة نسيانه ، فقيل له : (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) إن علينا أن نجمعه لك ، ونقرئكه فلا تنسى .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) قال : كان لا يفتر من القرآن مخافة أن ينساه ، فقال الله (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) إن علينا أن نجمعه لك ، (وقرآنه) : أن نقرئكفلا تنسى .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ) قال : كان يستذكر القرآن مخافة النسيان ، فقال له : كفيناكه يا محمد .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا أبو رجاء ، عن الحسن ، في قوله (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرّك به لسانه ليستذكره ، فقال الله : (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) إنا سنحفظه عليك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) كان نبيّ الله صلى الله عليه وسلم يحرّك به لسانه مخافة النسيان ، فأنزل الله ما تسمع .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ) قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن ، فيكثر مخافة أن ينسى .

وأشبه القولين بما دلّ عليه ظاهر التنزيل ، القول الذى ذُكر عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، وذلك أن قوله (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) ينبئ أنه إنما نهى عن تحريك اللسان به متعجلا فيه قبل جمعه ، ومعلوم أن دراسته للتذكر إنما كانت تكون من النبيّ صلى الله عليه وسلم من بعد جمع الله له ما يدرس من ذلك .

وقوله (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) يقول تعالى ذكره : إن علينا جمع هذا القرآن في صدرك يا محمد حتى نثبته فيه (وَقُرْآنَهُ) يقول : وقرآنه حتى تقرأه بعد أن جمعناه في صدرك .

وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

Marfat.com

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (إنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ) قال : في صدرك (وَقُرآنَهُ) قال : تقرؤه بعد .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (إنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرآنَهُ) أن نجمعه لك ، وقرآنه : أن نُقرئك فلا تنسى .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبامعاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (إنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرآنَهُ) يقول : إن علينا أن نجمعه لك حتى نثبته في قلبك .

وكان آخرون يتأوّلون قوله (وَقُرآنَهُ) وتأليفه . وكان معنى الكلام عندهم : إن علينا جمعه في قلبك حتى تحفظه ، وتأليفه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وقُرآنَهُ) يقول حفظه وتأليفه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (جَمْعَهُ وقُرآنَهُ) قال : حفظه وتأليفه . وكأنَّ قتادة وجَّه معنى القرآن إلى أنه مصدر من قول القائل : قد قَرَأَتْ هذه الناقةُ في بطنها جَنينا ، إذا ضمت رحمها على ولد ، كما قال عمرو بن كلثوم :

ذِرَاعَيْ عَيْطَلٍ أدْماءَ بِكْرٍ ... هِجانِ اللَّوْنِ لمْ تَقرأ جَنِينا [1]

يعني بقوله : «لم تقرأ» : لم تضمّ رحما على ولد . وأما ابن عباس والضحاك فإنما وجها ذلك إلى أنه مصدر من قول القائل : قرأت أقرأ قرآنا وقراءة .

وقوله (فإذَا قَرَأْناهُ فاتَّبِعْ قُرآنَهُ) اختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : تأويله : فإذا أنزلناه إليك فاستمع قرآنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور وابن أبي عائشة ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس (فإذَا قَرَأْناهُ) : فإذا أنزلناه إليك (فاتَّبِعْ قُرآنَهُ) قال : فاستمع قرآنه .

---

(١) البيت من معلقة عمرو بن كلثوم المشهورة (انظره في شرحي الزوزني والتبريزي على المعلقات) وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ١٨٢) « فإذا قرأناه » : جمعناه ، وهو من قول العرب : ما قرأت هذه المرأة نسلا قط ؛ قال عمرو بن كلثوم : « لم تقرأ جنينا » . اهـ . وقال الفراء في معاني القرآن (٣٥٠) « إن علينا جمعه وقرآنه » : جمعه في قلبك ، وقرآنه : قراءته . أي أن جبريل سيعيده عليك . وقوله : « فإذا قرأناه فاتبع قرآنه » : إذا قرأه عليك جبريل . والقراءة والقرآن : مصدران ، كما تقول : راجح بين الرجحان والرجوح ، والمعرفة والعرفان ، والطواف والطوفان (بتحريك الطاء والواو) . اهـ . وفي شرح الزوزني : العيطل : الطويلة العنق من النوق . والأدماء : البيضاء منها والأدمة : البياض في الإبل . والبكر : الناقة التي حملت بطنا واحدا ، ويروى بفتح الباء ، وهو الفتى من الإبل ، وكسر الباء أعلى الروايتين . والهجان الأبيض الخالص البياض . يستوي فيه الواحد والتثنية والجمع ، وينعت به الإبل والرجال وغيرها . ولم تقرأ جنينا : أي لم تضم في رحمها ولدا . اهـ .

Marfat.com

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (فَإِذَا قرأناهُ فاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) : فإذا أنزلناه إليك فاستمع له .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إذا تُلى عليك فاتبع ما فيه من الشرائع والأحكام .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَإِذَا قَرَأْناهُ فاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) يقول : إذا تلى عليك فاتبع ما فيه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فإذا قَرَأْناهُ فاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) يقول : اتبع حلالَه ، واجتنب حرامه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَإِذَا قَرَأْناهُ فاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) يقول : فاتبع حلاله ، واجتنب حرامه .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) يقول : اتبع ما فيه .

وقال آخرون : بل معناه : فإذا بيَّناه فاعمل به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (فَإِذَا قَرَأْناهُ فاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) يقول : اعمل به .

** وأولى هذه الأقوال بالصواب فى ذلك قول من قال : فإذا تُلى عليك فاعمل به من الأمر والنهى ، واتبع ما أُمرت به فيه ، لأنه قيل له (إن علينا جمعه) فى صدرك (وقرآنه) ودللنا على أن معنى قوله (وَقُرْآنَهُ) : وقراءته ، فقد بين ذلك عن معنى قوله (فَإِذَا قَرَأْناهُ فاتَّبِعْ قُرْآنَهُ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ) يقول تعالى ذكره : ثم إن علينا بيان ما فيه من حلاله وحرامه ، وأحكامه لك مفصلة .

واختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : نحو الذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ) يقول : حلاله وحرامه ، فذلك بيانه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ) بيان حلاله ، واجتناب حرامه ، ومعصيته وطاعته .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ثم إن علينا تبيانه بلسانك .

Marfat.com

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن موسى بن أبى عائشة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (ثُمَّ إنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ) قال : تبيانه بلسانك .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۝ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ۝ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۝ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۝ ﴾

﴿﴾ يقول تعالى ذكره لعباده المخاطبين بهذا القرآن المؤثرين زينة الحياة الدنيا على الآخرة . ليس الأمر كما تقولون أيها الناس من أنكم لاتبعثون بعد مماتكم ، ولا تجازون بأعمالكم ، لكن الذى دعاكم إلى قيل ذلك محبتكم الدنيا العاجلة ، وإيثاركم شهواتها على آجل الآخرة ونعيمها ، فأنتم تؤمنون بالعاجلة ، وتكذّبون بالآجلة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ العاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ) اختار أكثر الناس العاجلة ، إلاّ من رحم الله وعصم .

وقوله (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ) يقول تعالى ذكره : وجوه يومئذ ، يعنى يوم القيامة ناضرة : يقول حسنة جميلة من النعيم ؛ يقال من ذلك : نَضُر وجه فلان : إذا حَسُن من النعمة ، ونضّر الله وجهه : إذا حسّنه كذلك .

واختلف أهل التأويل فى ذلك ، فقال بعضهم بالذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن إسماعيل البخارى ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا المبارك ، عن الحسن (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ) قال : حسنة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ) قال : نُضرة الوجوه : حُسنها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ) قال : الناضرة : الناعمة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبدالرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ) قال : الوجوه الحسنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ) قال : من السرور والنعيم والغبطة .

Marfat.com

وقال آخرون : بل معنى ذلك أنها مسرورة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ) قال : مسرورة (إلى رَبِّها ناظِرَة) .

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : أنها تنظر إلى ربها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن منصور الطوسي ، وإبراهيم بن سعيد الجوهري قالا : ثنا عليّ بن الحسن بن شقيق ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد النحويّ ، عن عكرمة (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إلى رَبِّها ناظِرَةٌ) قال : تنظر إلى ربها نظرا .

حدثنا محمد بن عليّ بن الحسن بن شقيق ، قال : سمعت أبي يقول : أخبرني الحسين بن واقد في قوله (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ) من النعيم (إلى رَبِّها ناظِرَةٌ) قال : أخبرني يزيد النحوي ، عن عكرمة وإسماعيل بن أبي خالد ، وأشياخ من أهل الكوفة ، قال : تنظر إلى ربها نظرا .

حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا المبارك ، عن الحسن ، في قوله (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ) قال : حسنة (إلى رَبِّها ناظِرَةٌ) قال : تنظر إلى الخالق ، وحُقّ لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق .

حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا خالد بن عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو عرفجة ، عن عطية العوفي ، في قوله (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إلى رَبِّها ناظِرَةٌ) قال : هم ينظرون إلى الله لا تحيط أبصارهم به من عظمته ، وبصره محيط بهم ، فذلك قوله (لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنها تنتظر الثواب من ربها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عمر بن عبيد ، عن منصور ، عن مجاهد (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إلى رَبِّها ناظِرَةٌ) قال : تنتظر منه الثواب .

قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (إلى رَبِّها ناظِرَةٌ) قال : تنتظر الثواب من ربها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (إلى رَبِّها ناظِرَةٌ) قال : تنتظر الثواب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور عن مجاهد (إلى رَبِّها ناظِرَةٌ) قال : تنتظر الثواب من ربها ، لا يراه من خلقه شيء .

Marfat.com

حدثنى يحيى بن إبراهيم المسعودى ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش : عن مجاهد (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ) قال : نضرة من النعيم (إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) قال : تنتظر رزقه وفضله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : كان أناس يقولون فى حديث، « فيرون ربهم » فقلت لمجاهد : إن ناسا يقولون إنه يرى ، قال : يَرى ولا يراه شىء .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) قال : تنتظر من ربها ما أمرلها.

حدثنى أبو الخطاب الحسانى ، قال : ثنا مالك ، عن سفيان ، قال : ثنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح ، فى قوله (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) قال : تنتظر الثواب .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا الأشجعى ، عن سفيان ، عن ثوير ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، قال : «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى مُلكه وسرره وخدمه مسيرة ألف سنة ، يرى أقصاه كما يرى أدناه ، وإن أرفع أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى وجه الله بُكرة وعشية » .

قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا أشجع ، عن أبى الصهباء الموصلى ، قال : « إن أدنى أهل الجنة منزلة ، من يرى سرره وخدمه ومُلكَهُ فى مسيرة ألف سنة ، فيرى أقصاه كما يرى أدناه ؛ وإن أفضلهم منزلة ، من ينظر إلى وجه الله غدوة وعشية » .

** وأولى القولين فى ذلك عندنا بالصواب القول الذى ذكرناه عن الحسن وعكرمة ، من أن معنى ذلك تنظر إلى خالقها ، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

حدثنى علىّ بن الحسين بن أبجر ، قال : ثنا مصعب بن المقدام ، قال : ثنا إسرائيل بن يونس ، عن ثوير ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً ، لَمَنْ يَنْظُرُ فِى مُلْكِهِ أَلْفَىْ سَنَةٍ ؛ قال : وَإِنَّ أَفْضَلَهُمْ مَنْزِلَةً لَمَنْ يَنْظُرُ فِى وَجْهِ اللهِ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ ؛ قال : ثم تلا (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) قال : بالبياض والصفاء ، قال : (إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) قال : تنظر كلّ يوم فى وجه الله عزّ وجلّ » .

وقوله (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ) يقول تعالى ذكره : ووجوه يومئذ متغيرة الألوان ، مسودّة كالحة ، يقال : بسرت وجهه أبسره بسرًا : إذا فعلت ذلك ، وبسر وجهه فهو باسر بيّن البسور .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بَاسِرَةٌ) قال : كاشرة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ) : أى كالحة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (بَاسِرَةٌ) قال : عابسة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بَاسِرَةٌ) قال : عابسة .

Marfat.com

وقوله (تَظُنُّ أنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ) يقول تعالى ذكره: تعلم أنه يفعل بها داهية، والفاقرة: الداهية وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قوله (تَظُنُّ أنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ) قال: داهية.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (تَظُنُّ أنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ) أى شرّ.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد، فى قوله (تَظُنُّ أنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ) قال: تظنّ أنها ستدخل النار، قال: تلك الفاقرة، وأصل الفاقرة: الوسم الذى يُفْقَر به على الأنف

القول في تأويل قوله تعالى

كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾

يقول تعالى ذكره: ليس الأمر كما يظنّ هؤلاء المشركون من أنهم لا يعاقبون على شركهم ومعصيتهم ربهم بل إذا بلغت نفس أحدهم التراقى عند مماته وحشرج بها.

وقال ابن زيد فى قول الله: (كَلَّا إذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِى) قال: التراقى: نفسه.

حدثنى بذلك يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) يقول تعالى ذكره: وقال أهله: من ذا يرقيه ليشفيه مما قد نزل به، وطلبوا له الأطباء والمداوين، فلم يغنوا عنه من أمر الله الذى قد نزل به شيئا.

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (مَنْ رَاقٍ) فقال بعضهم نحو الذى قلنا فى ذلك.

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وأبو هشام، قالا: ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) قال: هل من راق يرق.

حدثنا أبو كُرَيب وأبو هشام، قالا: ثنا وكيع، عن سفيان، عن سليمان التيمى، عن شبيب، عن أبى قلابة (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) قال: هل من طبيب شاف.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران عن سفيان، عن سليمان التيمى، عن شبيب، عن أبى قلابة، مثله.

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن أبى بسطام، عن الضحاك بن مزاحم فى قول الله تعالى ذكره: (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) قال: هو الطبيب.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، عن جويبر، عن الضحاك فى (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) قال: هل من مداوٍ.

Marfat.com

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) : أى التمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئا .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن يزيد فى قوله (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) قال : أين الأطباء ، والرُّقاة : من يرقيه من الموت .

وقال آخرون : بل هذا من قول الملائكة بعضهم لبعض ، يقول بعضهم لبعض : من يَرقى بنفسه فيصعد بها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنى أبى ، عن عمرو بن مالك ، عن أبى الجوزاء ، عن ابن عباس (كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ، وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) قال : إذا بلغت نفسه يرقى بها ، قالت الملائكة : من يصعد بها ، ملائكة الرحمة ، أو ملائكة العذاب ؟

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، فى قوله (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) قال : بلغنى عن أبى قلابة قال : هل من طبيب ؟ قال : وبلغنى عن أبى الجوزاء أنه قال : قالت الملائكة بعضهم لبعض : من يرقَى : ملائكة الرحمة ، أو ملائكة العذاب ؟

وقوله (وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ) يقول تعالى ذكره : وأيقن الذى قد نزل ذلك به أنه فراق الدنيا والأهل والمال والولد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ) : أى استيقن أنه الفراق .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ) قال : ليس أحد من خلق الله يدفع الموت ، ولا ينكره ، ولكن لا يدرى يموت من ذلك المرض أو من غيره ؟ فالظنّ كما هاهنا هذا .

وقوله (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : والتفّت شدّة أمر الدنيا بشدّة أمر الآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام الرفاعى ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنى أبى ، عن عمرو بن مالك ، عن أبى الجوزاء عن ابن عباس (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) قال : الدنيا بالآخرة شدّة .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَالْتَفَّتِ

Marfat.com

السَّاقُ بالسَّاقِ) يقول : آخر يوم من الدنيا ، وأوّل يوم من الآخرة ، فتلتقى الشدّة بالشدّة ، إلا من رحم الله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال: ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ) يقول :والتفّت الدنيا بالآخرة ، وذلك ساق الدنيا والآخرة ، ألم تسمع أنه يقول : (إلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ المَسَاقُ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنا الحارث ، قال : ثنا الحسن، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ) قال : التفّ أمر الدنيا بأمر الآخرة عند الموت .

حدثنا أبوكريب وأبوهشام ، قالا : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد ، قال : آخر يوم من الدنيا ، وأول يوم من الآخرة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ) قال : قال الحسن : ساق الدنيا بالآخرة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن مجاهد ، قال : هو أمر الدنيا والآخرة عند الموت .

حدثنى علىّ بن الحسين ، قال : ثنا يحيى بن يمان ،عن أبى سنان الشيبانى ، عن ثابت ، عن الضحاك فى قوله (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ) قال : أهل الدنيا يجهزون الجسد ، وأهل الآخرة يجهزون الروح .

حدثنا أبوهشام ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبى سنان ، عن الضحاك ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الضحاك، قال : اجتمع عليه أمران : الناس يجهّزون جسده ، والملائكة يجهزون روحه .

حدثنا أبوهشام ، قال : ثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : ساق الدنيا بساق الآخرة .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا جعفر بن عون ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، مثله ؛ وزاد : ويقال : التفافهما عند الموت .

حدثنا أبوهشام ، قال : ثنا ابن يمان ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية قال : الدنيا والآخرة .

قال : ثنا ابن يمان ، عن عبد الوهاب بن مجاهد ، عن أبيه ، قال : أمر الدنيا بأمر الآخرة .

حدثنا ابن عبد الأعلى،قال : ثنا ابن ثور، عن معمر ، عن قتادة (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ) قال : أمر الدنيا بأمر الآخرة .

حدثنا ابن عبد الأعلى،قال : ثنا ابن ثور، عن معمر ، عن قتادة (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ) قال : الشدّة بالشدّة ، ساق الدنيا بساق الآخرة .

Marfat.com

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سألت إسماعيل بن أبى خالد ، فقال : عمل الدنيا بعمل الآخرة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سلمة ، عن الضحاك ، قال : هما الدنيا والآخرة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) قال العلماء يقولون فيه قولين : منهم من يقول : ساق الآخرة بساق الدنيا . وقال آخرون : قلّ ميت يموت إلا التفّت إحدى ساقيه بالأخرى . قال ابن زيد : غير أنّا لانشكّ أنها ساق الآخرة ، وقرأ (إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ) قال : لما التفّت الآخرة بالدنيا ، كان المساق إلى الله ، قال : وهو أكثر قول من يقول ذلك .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : التفّت ساقا الميت إذا لفتا فى الكفن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا بشير بن المهاجر ، عن الحسن ، فى قوله (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) قال : لفّهما فى الكفن .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا وكيع وابن اليمان ، عن بشير بن المهاجر ، عن الحسن ، قال : هما ساقاك إذا لفّتا فى الكفن .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع عن بشير بن المهاجر ، عن الحسن ، مثله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : التفاف ساقى الميت عند الموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا داود ، عن عامر (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) قال : ساقا الميت .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب وعبد الأعلى ، قالا : ثنا داود ، عن عامر ، قال : التفّت ساقاه عند الموت .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنى ابن أبى عدىّ ، عن داود ، عن الشعبىّ ، مثله .

حدثنى إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد ، عن داود ، عن عامر ، بنحوه .

حدثنا أبو كريب وأبو هشام قالا : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن حصين عن أبى مالك (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) قال : عند الموت .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن السدىّ ، عن أبى مالك ، قال : التفّت ساقاك عند الموت .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) : لفّهما أمر الله .

Marfat.com

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر قال : قال الحسن : ساقا ابن آدم عند الموت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل السدىّ ، عن أبي مالك (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) قال : هما ساقاه إذا ضمت إحداهما بالأخرى .

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) قال قتادة : أما رأيته إذا ضرب برجله رجله الأخرى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) : ماتت رجلاه فلا يحملانه إلى شيء ، فقد كان عليهما جوّالا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدىّ ، عن أبي مالك (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) قال : ساقاه عند الموت .

وقال آخرون : عُنِيَ بذلك يبسهما عند الموت :

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن أبي مالك (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) قال : يبسهما عند الموت .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن السدىّ ، مثله .

وقال آخرون : معنى ذلك : والتفّ أمر بأمر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وأبو هشام قالا : ثنا وكيع ، قال : ثنا ابن أبي خالد ، عن أبي عيسى (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) قال : الأمر بالأمر .

وقال آخرون : بل عنى بذلك : والتفّ بلاء ببلاء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ، قال : بلاء ببلاء .

** وأولى الأقوال في ذلك بالصحة عندي قول من قال : معنى ذلك : والتفّت ساق الدنيا بساق الآخرة ، وذلك شدّة كرب الموت بشدّة هول المطلع ، والذي يدلّ على أن ذلك تأويله ، قوله (إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ) والعرب تقول لكلّ أمر اشتدّ : قد شمّر عن ساقه ، وكشف عن ساقه ؛ ومنه قول الشاعر :

إِذَا شَمَّرَتْ لَكَ عَنْ سَاقِهَا فَرِنْهَا رَبِيعُ وَلَا تَسْأَمِ [1]

(1) لم أقف على قائل البيت ، وقد جاءت فيه كلمة « فرنها » هكذا في المخطوطة والمطبوعة ، ولم نهتد إلى تصويبها . وقد أنشده المؤلف عند تفسير قوله تعالى : « والتفت الساق بالساق » . قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (١٨٣) « والتفت الساق بالساق » مثل : شمرت عن ساقها . اه . وقال الفراء في معاني القرآن (٣٥٠) : أتاه أول شدة أمر الآخرة ، وأشد آخر أمر الدنيا . ويقال : التفت ساقاه كما يقال للمرأة إذا التصقت فخذاها هي : لفاء .

Marfat.com

عنى بقوله (الْتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ) : التصقت إحدى الشدّتين بالأخرى ، كما يقال للمرأة إذا التصقت إحدى فخذيها بالأخرى : لفّاء .

وقوله (إلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ المَسَاقُ) يقول : إلى ربك يامحمد يوم التفاف الساق بالساق مساقه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾

* يقول تعالى ذكره : فلم يصدّق بكتاب الله ، ولم يصلّ له صلاة ، ولكنه كذّب بكتاب الله ، وتولى فأدبر عن طاعة الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى) لا صدّق بكتاب الله ، ولا صلى لله ، (وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى) كذّب بكتاب الله ، وتولى عن طاعة الله .

وقوله (ثُمَّ ذَهَبَ إلى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى) يقول تعالى ذكره : ثم مضى إلى أهله منصرفا إليهم ، يتبختر فى مشيته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ ذَهَبَ إلى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى) : أى يتبختر .

حدثنى سعيد بن عمرو السكونى ، قال : ثنا بقية بن الوليد ، عن ميسرة بن عبيد ، عن زيد بن أسلم ، فى قوله (ثُمَّ ذَهَبَ إلى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى) قال : يتبختر ، قال : هى مشية بنى مخزوم .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا وكيع ، عن موسى بن عبيدة ، عن إسماعيل بن أمية ، عن مجاهد (ذَهَبَ إلى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى) قال : رأى رجلا من قريش يمشى ، فقال : هكذا كان يمشى كما يمشى هذا ، كان يتبختر .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (يَتَمَطَّى) قال : يتبختر وهو أبو جهل بن هشام ، كانت مشيته .

وقيل : إن هذه الآية نزلت فى أبى جهل .

Marfat.com

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَتَمَطَّى) قال أبو جهل .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى ، وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى) قال : هذا في أبي جهل متبخترا .

وإنما عنى بقوله (يَتَمَطَّى) يلوى مطاه تبخترا ، والمطا : هو الظهر ، ومنه الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا مَشَتْ أُمَّتِي المُطَيْطَاءَ » وذلك أن يلقى الرجل بيديه ويتكفأ .

وقوله (أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى . ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى) هذا وعيد من الله على وعيد لأبي جهل .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى . ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى) وعيد على وعيد ، كما تسمعون ، زعم أن هذا أنزل في عدوّ الله أبي جهل : ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أخذ بمجامع ثيابه فقال : (أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى . ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى) فقال عدوّ الله أبو جهل : أيوعدني محمد ، والله ما تستطيع لي أنت ولا ربك شيئا ، والله لأنا أعزّ من مشى بين جبليها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : أخذ النبيّ صلى الله عليه وسلم بيده ، يعني بيد أبي جهل ، فقال : (أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى . ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى) فقال : يا محمد ما تستطيع أنت وربك فيّ شيئا ، إني لأعزّ من مشى بين جبليها ؛ فلما كان يوم بدر أشرف عليهم فقال : لا يُعبد الله بعد هذا اليوم ، وضرب الله عنقه ، وقتله شرّ قِتلة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى . ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى) قال : قال أبو جهل : إن محمدا ليوعدني ، وأنا أعزّ أهل مكة والبطحاء ، وقرأ : (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ . سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ . كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن موسى بن أبي عائشة ، قال : قلت لسعيد بن جُبير أشيء قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم من قِبَل نفسه ، أم أمر أمره الله به ؟ قال : بل قاله من قِبَل نفسه ، ثم أنزل الله : (أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى . ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى) .

وقوله (أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى) يقول تعالى ذكره : أيظنّ هذا الإنسان الكافر بالله أن يترك هملا ، أن لا يؤمر ولا ينهى ، ولا يتعبد بعبادة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس قوله (أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى) يقول : هملا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

Marfat.com

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَيَحْسَبُ الإِنْسانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى) قال : لايؤمر ، ولا ينهى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَيَحْسَبُ الإِنْسانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى) قال السدى : الذى لايفترض عليه عمل ولا يعمل .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴿٤٠﴾

** يقول تعالى ذكره : ألم يك هذا المنكر قدرة الله على إحيائه من بعد مماته ، وإيجاده من بعد فنائه (نُطْفَةً) يعنى : ماء قليلا فى صلب الرجل من منىّ .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (يُمْنَى) فقرأه عامة قرّاء المدينة والكوفة (تُمْنَى) بالتاء بمعنى : تمنى النطفة ، وقرأ ذلك بعض قرّاء مكة والبصرة (يُمْنَى) بالياء ، بمعنى : يمنى المنىّ .

** والصواب من القول أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً) يقول تعالى ذكره : ثم كان دما من بعد ما كان نطفة ، ثم علقة ، ثم سوّاه بشرا سويا ، ناطقا سميعا بصيرا (فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى) يقول تعالى ذكره : فجعل من هذا الإنسان بعد ماسوّاه خلقا سويا أولادًا له ، ذكورا وإناثا (أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى) يقول تعالى ذكره : أليس الذى فعل ذلك فخلق هذا الإنسان من نطفة ، ثم علقة حتى صيره إنسانا سويا ، له أولاد ذكور وإناث ، بقادر على أن يُحيي الموتى من مماتهم ، فيوجدهم كما كانوا من قبل مماتهم . يقول : معلوم أن الذى قدر على خلق الإنسان من نطفة من منىّ يمنى ، حتى صيره بشرا سوياً ، لايُعجزه إحياء ميت من بعد مماته ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ذلك قال : بلى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى) ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأها قال : سبحانك وبلى .

آخر تفسير سورة القيامة .

Marfat.com

(٧٦) سورة الإنسان مدنية
وآياتها إحدى وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى :

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝

** يعنى جلّ ثناؤه بقوله (هَلْ أتى عَلَى الإنْسانِ) قد أتى على الإنسان ، وهل فى هذا الموضع خبر لاجحد ، وذلك كقول القائل لآخر يقرّره ؛ هل أكرمتك؟ وقد أكرمه ؛ أو هل زرتك ؟ وقد زاره ، وقد تكون جحدا فى غير هذا الموضع ، وذلك كقول القائل لآخر : هل يفعل مثل هذا أحد ؟ بمعنى : أنه لايفعل ذلك أحد . والإنسان الذى قال جلّ ثناؤه فى هذا الموضع (هَلْ أَتى عَلَى الإنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ) : هو آدم صلى الله عليه وسلم كذلك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَلْ أتى على الإنْسانِ) آدم أتى عليه (حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا) إنما خلق الإنسان هاهنا حديثا ، مايعلم من خليقة الله كانت بعد الإنسان .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (هَلْ أتى عَلَى الإنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا) قال : كان آدم صلى الله عليه وسلم آخر ما خلق من الخلق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (هَلْ أتى عَلَى الإنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ) قال : آدم .

وقوله (حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ) اختلف أهل التأويل فى قدر هذا الحين الذى ذكره الله فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : هو أربعون سنة ؛ وقالوا : مكثت طينة آدم مصوّرة لاتنفخ فيها الرّوح أربعين عاماً ؛ فذلك قدر الحين الذى ذكره الله فى هذا الموضع ؛ قالوا : ولذلك قيل : (هَلْ أتى عَلَى الإنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا) لأنه أتى عليه وهو جسم مصوّر لم تنفخ فيه الروح أربعون عاما ، فكان شيئا ، غير أنه لم يكن شيئا مذكورا ؛ قالوا : ومعنى قوله (لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا) : لم يكن شيئا له نباهة ولا رفعة ، ولا شرف ، إنما كان طينا لازبا وحمأ مسنونا .

وقال آخرون : لاحدّ للحين فى هذا الموضع ، وقد يدخل هذا القول من أن الله أخبر أنه أتى على الإنسان حين من الدهر ، وغير مفهوم فى الكلام أن يقال : أتى على الإنسان حين قبل أن يوجد ، وقبل أن يكون شيئا ، وإذا أُريد ذلك قيل : أتى حين قبل أن يُخلق ، ولم يقل أتى عليه . وأما الدهر فى هذا الموضع ، فلا حدّ له يوقف عليه .

Marfat.com

وقوله (إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ نَبْتَلِيهِ) يقول تعالى ذكره : إنا خلقنا ذرّية آدم من نطفة ، يعنى : من ماء الرجل وماء المرأة ، والنطفة : كلّ ماء قليل فى وعاء كان ذلك ركية أو قربة ، أو غير ذلك ، كما قال عبد الله بن رواحة :

هَلْ أَنْتِ إِلاَّ نُطْفَةٌ فى شَنَّهْ[١]

وقوله (أَمْشاجٍ) يعنى : أخلاط ، واحدها : مشج ومشيج ، مثل خدن وخدين ؛ ومنه قول رؤبة بن العجاج :

يَطْرَحْنَ كُلَّ مُعْجَلٍ نَشَّاجِ ... لَمْ يُكْسَ جِلْداً فى دَمٍ أَمْشاجِ[٢]

يقال منه : مشجت هذا بهذا : إذا خلطته به ، وهو ممشوج به ومشيج : أى مخلوط به ، كما قال أبو ذؤيب

كَأَنَّ الرِّيشَ والفُوقَيْنِ مِنْهُ ... خِلالَ النَّصْلِ سِيطَ بِهِ مَشِيجُ[٣]

واختلف أهل التأويل فى معنى الأمشاج الذى عنى بها فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وأبو هشام الرفاعى قالا : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن الأصبهانى ، عن عكرمة (أَمْشاجٍ نَبْتَلِيهِ) قال : ماء الرجل وماء المرأة يمشج أحدهما بالآخر .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن ابن الأصبهانى ، عن عكرمة قال : ماء الرجل وماء المرأة يختلطان .

---

(١) البيت من مشطور الرجز لسيدنا عبدالله بن رواحة الأنصارى ، من أبيات قالها فى غزوة مؤتة من أرض الشام (سيرة ابن هشام : طبعة الحلبى الأولى ٤ : ٢١) والنطفة : الماء القليل الصافى . والشنة السقاء البالى . ومعناه : فيوشك أن تهراق النطفة ، أو ينخرق السقاء ، ضرب ذلك مثلا لنفسه فى جسده .

(٢) البيتان لرؤبة بن العجاج (ديوانه ٣٢) . وقبله : حتى مسيناهن بالإخداج « يقذفن كل معجل نشاج ، والنون : راجعة إلى النياق ومسيناهن ومسوناهن : أى أدخلنا أيدينا فى حياهن لإخراج الأجنة من بطونهن ، من كل ولد ذى صوت ، ولكنه لم يكس جلداً بعد ، نخرجهن مع دم مختلط بغيره ، مما يتجمع فى الرحم والمشيمة . قال فى (اللسان : مشج) وفى التنزيل العزيز : « إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج » : قال الفراء : الأمشاج : هى الأخلاط : ماء الرجل وماء المرأة ، والدم والعلقة ؛ ويقال للشىء من هذا إذا خلط : مشيج ، كقولك : خليط ، وممشوج : كقولك مخلوط ، مشجت بدم وذلك الدم دم الحيض . وقال أبو إسحاق (الزجاج) أمشاج : أخلاط من منى ودم . ثم ينقل من حال إلى حال . ويقال : نطفة أمشاج : ماء الرجل يختلط بماء المرأة ودمها . اهـ .

(٣) البيت فى (اللسان : مشج) ونسبه لزهير بن حرام الهذلى ، وهو الملقب بالداخل . (وانظره فى شرح السكرى لأشعار الهذليين طبعة لندن ٢٦٩) . ونسبه أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١٨٣) إلى أبى ذؤيب ، وعنه نقل المؤلف . ونسب فى الكامل للمبرد (طبعة الحلبى ٨٣٨) إلى الشماخ ، وليس بصحيح . أما رواية البيت فتختلف ألفاظها فى المراجع ، وأجودها رواية الكامل ، (لسان العرب شرخ) وهى :

كَأَنَّ المَتْنَ والشَّرْخَيْنِ مِنْهُ ... خِلافَ النَّصْلِ سِيطَ بِهِ مَشِيجُ

قال المبرد : يريد سهما رمى به ، فأنفذ الرمية ، وقد اتصل به دمها . والمتن متن السهم . وشرخ كل شىء حده . فأراد شرخى الفوق وهما حرفاه . والمشيج : اختلاط الدم بالنطفة . هذا أصله . وفى (اللسان : شرخ) : وشرخ كل شىء : حرفة الناقه ، كالسهم ونحوه . وشرخا الفوق : حرفاه المشرفان اللذان يقع بينهما الوتر . اهـ .

Marfat.com

قال: ثنا أبو أُسامة، قال: ثنا زكريا، عن عطية، عن ابن عباس، قال: ماء المرأة وماء الرجل يمشجان.

قال: ثنا عبيد الله، قال: أخبرنا إسرائيل، عن السدىّ، عمن حدّثه، عن ابن عباس، قال: ماء المرأة وماء الرجل يختلطان.

قال: ثنا عبد الله، قال: أخبرنا أبو جعفر، عن الربيع بن أنس، قال: إذا اجتمع ماء الرجل وماء المرأة فهو أمشاج.

قال: ثنا أبو أُسامة، قال: ثنا المبارك، عن الحسن، قال: مُشج ماء المرأة مع ماء الرجل.

قال: ثنا عبيد الله، قال: أخبرنا عثمان بن الأسود، عن مجاهد، قال: خلق الله الولد من ماء الرجل وماء المرأة، وقد قال الله: (يا أيُّها النَّاسُ إنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثَى).

قال: ثنا عبيد الله، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد، قال: خلق من تارات ماء الرجل وماء المرأة.

وقال آخرون: إنما عُنى بذلك: إنا خلقنا الإنسان من نطفة ألوان ينتقل إليها، يكون نطفة، ثم يصير علقة، ثم مضغة، ثم عظما، ثم كسى لحما.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (إنَّا خَلَقْنا الإنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أمْشاجٍ نَبْتَلِيهِ) الأمشاج: خلق من ألوان، خلق من تراب، ثم من ماء الفرج والرحم، وهى النطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظما، ثم أنشأه خلقا آخر فهو ذلك.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن سماك، عن عكرمة، فى هذه الآية (أمْشاجٍ) قال: نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظما.

حدثنا الرفاعى، قال: ثنا وهب بن جرير ويعقوب الحضْرَمىّ، عن شعبة، عن سماك، عن عكرمة، قال: نطفة، ثم علقة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (إنَّا خَلَقْنا الإنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أمْشاجٍ) أطوار الخلق، طورا نطفة، وطورا علقة، وطورا مضغة، وطورا عظاما، ثم كسى الله العظام لحما، ثم أنشأه خلقا آخر، أنبت له الشعر.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، فى قوله (أمْشاجٍ نَبْتَلِيهِ) قال: الأمشاج: اختلط الماء والدم، ثم كان علقة، ثم كان مضغة.

وقال آخرون: عُنى بذلك اختلاف ألوان النطفة.

ذكر من قال ذلك

حدثني علىّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس، فى قوله (أمْشاجٍ نَبْتَلِيهِ) يقول: مختلفة الألوان.

Marfat.com

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : ألوان النطفة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : أىّ الماءين سبق أشبه عليه أعمامه وأخواله .

قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ) قال : ألوان النطفة ، نطفة الرجل بيضاء وحمراء ، و نطفة المرأة حمراء وخضراء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : بل هى العروق التى تكون فى النطفة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وأبو هشام ، قالا : ثنا وكيع ، قال : ثنا المسعودى ، عن عبد الله بن المخارق ، عن أبيه ، عن عبد الله ، قال : أمشاجها : عروقها .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، قال : ثنا أُسامة بن زيد ، عن أبيه ، قال : هى العروق التى تكون فى النطفة .

* وأشبه هذه الأقوال بالصواب قول من قال : معنى ذلك (مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ) نطفة الرجل ونطفة المرأة ، لأن الله وصف النطفة بأنها أمشاج ، وهى إذا انتقلت فصارت علقة ، فقد استحالت عن معنى النطفة فكيف تكون نطفة أمشاجا وهى علقة ؟ وأما الذين قالوا : إن نطفة الرجل بيضاء وحمراء ، فإن المعروف من نطفة الرجل أنها سحراء على لون واحد ، وهى بيضاء تضرب إلى الحمرة ، وإذا كانت لونا واحدا لم تكن ألوانا مختلفة ، وأحسب أن الذين قالوا : هى العروق التى فى النطفة قصدوا هذا المعنى .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن ابن عباس ، قال : إنما خلق الإنسان من الشىء القليل من النطفة . ألا ترى أن الولد إذا أسكت ترى له مثل الرّير ؟ وإنما خُلق ابن آدم من مثل ذلك من النطفة أمشاج نبتليه .

وقوله (نَبْتَلِيهِ) نختبره . وكان بعض أهل العربية يقول : المعنى : جعلناه سميعا بصيرا لنبتليه ، فهى مقدّمة معناها التأخير ، إنما المعنى خلقناه وجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه ، ولا وجه عندى لما قال يصحّ ، وذلك أن الابتلاء إنما هو بصحة الآلات وسلامة العقل من الآفات ، وإن عدم السمع والبصر ، وأما إخباره إيانا أنه جعل لنا أسماعا وأبصارا فى هذه الآية ، فتذكير منه لنا بنعمه ، وتنبيه على موضع الشكر ؛ فأما الابتلاء فبالخلق مع صحة الفطرة ، وسلامة العقل من الآفة ، كما قال : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

وقوله (فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا) يقول تعالى ذكره : فجعلناه ذا سمع يسمع به ، وذا بصر يبصر به ، إنعاما من الله على عباده بذلك ، ورأفة منه لهم ، وحجة له عليهم .

Marfat.com

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ۝﴾

يعني جلّ ثناؤه بقوله (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) إنا بينا له طريق الجنة ، وعرّفناه سبيله ، إن شكر ، أو كفر . وإذا وُجّه الكلام إلى هذا المعنى ، كانت إما وإما فى معنى الجزاء . وقد يجوز أن تكون إما وإما بمعنى واحد ، كما قال (إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ ، وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ) فيكون قوله (إما شاكرًا وَإِمَّا كَفُورًا) حالا من الهاء التى فى هديناه ، فيكون معنى الكلام إذا وُجه ذلك إلى هذا التأويل : إنا هديناه السبيل ، إما شقيا وإما سعيدا . وكان بعض نحويي البصرة يقول ذلك كما قال « إما العذاب وإما الساعة » كأنك لم تذكر إما ؛ قال : وإن شئت ابتدأت ما بعدها فرفعته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) قال : الشقوة والسّعادة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شاكِرًا للنعم (وإمَّا كَفُورًا) . لها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ) . . . إلى (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) قال : ننظر أىّ شيء يصنع ، أىّ الطريقين يسلك ، وأىّ الأمرين يأخذ ، قال : وهذا الاختبار .

وقوله (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلَ) يقول تعالى ذكره : إنا أعتدنا لمن كفر نعمتنا وخالف أمرنا سلاسل يُسْتَوْثَق بها منهم شدّا فى الجحيم (وأَغْلالاً) يقول : وتشدّ بالأغلال فيها أيديهم إلى أعناقهم .

وقوله (وَسَعِيرًا) يقول : ونارا تُسْعر عليهم فتتوقد .

القول فى تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝﴾

يقول تعالى ذكره : إن الذين برّوا بطاعتهم ربهم فى أداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، يشربون من كأس ، وهو كل إناء كان فيه شراب (كانَ مِزَاجُها) يقول : كان مزاج ما فيها من الشراب (كافُورًا)

Marfat.com

يعنى : فى طيب رائحتها كالكافور . وقد قيل : إن الكافور اسم لعين ماء فى الجنة ، فمن قال ذلك ، جعل نصب العين على الردّ على الكافور ، تبيانا عنه ، ومن جعل الكافور صفة للشراب نصبها ، أعنى العين عن الحال ، وجعل خبر كان قوله (كافُورًا) ، وقد يجوز نصب العين من وجه ثالث ، وهو نصبها بإعمال يشربون فيها فيكون معنى الكلام : إن الأبرار يشربون عينا يشرب بها عباد الله ، من كأس كان مزاجها كافورا . وقد يجوز أيضا نصبها على المدح ، فأما عامة أهل التأويل فإنهم قالوا : الكافور صفة للشراب على ماذكرت .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِزَاجُها كافُورًا) قال : تمزج .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّ الأبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كأسٍ كانَ مِزَاجُها كافُورًا) قال : قوم تمزج لهم بالكافور ، وتختم لهم بالمسك .

وقوله (عَيْنًا يَشْرَبُ بِها عِبادُ اللهِ) يقول تعالى ذكره : كان مزاج الكأس التى يشرب بها هؤلاء الأبرار كالكافور فى طيب رائحته من عين يشرب بها عباد الله الذين يدخلهم الجنة ، والعين على هذا التأويل نصب على الحال من الهاء التى فى « مزاجها » ويعنى بقوله (يَشْرَبُ بِها عِبادُ اللهِ) يروَى بها وينتقع . وقيل : يشرب بها ويشربها بمعنى واحد . وذكر الفرّاء أن بعضهم أنشده :

شَرِبْنَ بِمَاءِ البَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ مَتَى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيجُ

وعنى بقوله : « متى لجج » من ، ومثله : إنه يتكلم بكلام حسن ، ويتكلم كلاما حسنا .

وقوله (يُفَجِّرُونَها تَفْجِيرًا) يقول تعالى ذكره : يفجرون تلك العين التى يشربون بها كيف شاءوا وحيث شاءوا من منازلهم وقصورهم تفجيرا ، ويعنى بالتفجير : الإسالة والإجراء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن

---

(١) البيت : من شواهد الفراء فى معانى القرآن (٣٥١) قال : وقوله « يشرب بها » ويشربها سواء فى المعنى . وكأنه يشرب بها : يروى بها وينقع . وأما يشربونها فبين . وقد أنشدنى بعضهم : « شربن بماء » ومثله : إنه ليتكلم بكلام حسن ، ويتكلم كلاما حسنا اهـ . وفى خزانة الأدب للبغدادى ٣ : ١٩٣ - ١٩٥) استشهد به على أن (متى) عند هذيل حرف جر ؛ بمعنى « من » أو « فى » : أو اسم بمعنى « وسط » والباء فى قوله « بماء البحر » قيل على بابها ، وشربن مضمن معنى « روين » . وقيل هى للتبعيض . وقيل زائدة : كقول الفراء ، قال ابن جنى فى سر الصناعة : الباء فيه زائدة ، إنما معناه : شربن ماء البحر . هذا هو الظاهر من الحال . والعدول عنه تعسف . اهـ . قلت : هذه هى الرواية المشهورة فى كتب اللغويين والنحاة . وفى شعر أبى ذؤيب (ديوان الهذليين ١ : ٥١) :

سَقَى أُمَّ عَمْرٍو كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ حَنَاتِمُ سُودٌ مَاؤُهُنَّ ثَجِيجُ
تَرَوَّتْ بِمَاءِ البَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ عَلَى حَبَشِيَّاتٍ لَهُنَّ نَئِيجُ

شبه السحاب الأسود بالحناتم ، ويقال للسحاب إذا كان ريان : « أسود كأنه الحنتم . يقول : إن تلك الحناتم » وهى الجرار ، قد تروت من ماء البحر ، ثم ارتفعت على سحائب سود لهن نئيج : أى مر سريع مع صوت .

Marfat.com

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا) قال : يعدلونها حيث شاءوا .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا) قال : يقودونها حيث شاءوا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا) قال : مستقيد ماؤها لهم يفجرونها حيث شاءوا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا) قال : يصرفونها حيث شاءوا .

القول في تأويل قوله تعالى :

يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۞ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۞

يقول تعالى ذكره : إن الأبرار الذين يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ، برّوا بوفائهم لله بالنذور التي كانوا ينذرونها في طاعة الله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ) قال : إذا نذروا في حق الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ) قال : كانوا ينذرون طاعة الله من الصلاة والزكاة ، والحجّ والعمرة ، وما افترض عليهم ، فسماهم الله بذلك الأبرار ، فقال (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ) قال : بطاعة الله ، وبالصلاة ، وبالحجّ ، وبالعمرة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قوله (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ) قال : في غير معصية . وفي الكلام محذوف اجتزئ بدلالة الكلام عليه منه ، وهو كان ذلك . وذلك أن معنى الكلام : إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ، كانوا يوفون بالنذر ، فترك ذكر كانوا لدلالة الكلام عليها ، والنذر : هو كلّ ما أوجبه الإنسان على نفسه من فعل ؛ ومنه قول عنترة :

الشَّاتِمَيْ عِرْضِي وَلَمْ أَشْتُمْهُمَا وَالنَّاذِرَيْنِ إِذَا لَمْ أَلْقَهُمَا دَمِي[1]

(١) البيت لعنترة في معلقته المشهورة يهجو حصينا وهرما ابني ضمضم وقد ذكرهما في البيت قبله ، وهو :

وَلَقَدْ خَشِيتُ بِأَنْ أَمُوتَ وَلَمْ تَدُرْ لِلْحَرْبِ دَائِرَةٌ عَلَى ابْنَيْ ضَمْضَمِ

Marfat.com

وقوله (وَيَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً) يقول تعالى ذكره : ويخافون عقاب الله بتركهم الوفاء بما نذروا لله من برّ فى يوم كان شرّه مستطيرا ، ممتدّا طويلا فاشيا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً) استطارو الله شرّ ذلك اليوم حتى ملأ السموات والأرض ، وأما رجل يقول عليه نذر أن لا يصل رحما ، ولا يتصدّق ، ولا يصنع خيرا ، فإنه لا ينبغى أن يكفر عنه ، ويأتى ذلك ، ومنه قولهم : استطار الصدع فى الزجاجة واستطال : إذا امتدّ ، ولا يقال ذلك فى الحائط ؛ ومنه قول الأعشى :

فَبانَتْ وَقَــدْ أثارَتْ فِى الفُؤَا دِ صَدْعاً عَلَى نَأْيِها مُسْتَطِيراً (1)

يعنى : ممتدّا فاشيا .

وقوله (وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ على حُبِّهِ مِسْكِينا) يقول تعالى ذكره : كان هؤلاء الأبرار يطعمون الطعام على حبهم إياه ، وشهوتهم له .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعى ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلَى حُبِّهِ) قال : وهم يشتهونه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو العريان ، قال : سألت سليمان بن قيس أبا مقاتل بن سليمان ، عن قوله (وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً) قال : على حبهم الطعام .

وقوله (مِسْكِيناً) يعنى جلّ ثناؤه بقوله مسكينا : ذوى الحاجة الذين قد أذلتهم الحاجة ، (وَيَتِيماً) : وهو الطفل الذى قد مات أبوه ولا شىء له (وأسِيراً) : وهو الحربىّ من أهل دار الحرب يُؤخذ قهرا بالغلبة ، أو من أهل القبلة يُؤخذ فيُحبس بحقّ ، فأثنى الله على هؤلاء الأبرار بإطعامهم هؤلاء تقرّبا بذلك إلى الله وطلب رضاه ، ورحمة منهم لهم .

واختلف أهل العلم فى الأسير الذى ذكره الله فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : بما حدثنا به بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وأسِيراً) قال : لقد أمر الله بالأُسراء أن يحسن إليهم ، وإن أسراهم يومئذ لأهل الشرك .

= يقول : اللذان يشتمان عرضى ولم أشتمهما أنا ، والموجبان على أنفسهما سفك دمى إذا لم أرهما . يريد أنهما يتوعدانه حال غيبته ، فأما فى الحضور فلا يتجاسران عليه .

(1) البيت للأعشى (ديوانه ٩٣) والرواية فيه : « أورثت » فى موضع « أثارت » ويظهر أن رواية المؤلف محرفة عن « أسارت » بالسين ، لا بالثاء ، لأنه لا معنى للإثار هنا . والصدع : الشق . والمستطير كما فى اللسان : المنتشر . وفى مجاز القرآن عند قوله تعالى : « كان شره مستطيرا » : أى فاشيا . وفى معانى القرآن للفراء (٣٥١) « ويخافون يوما كان شره مستطيرا » ممتد البلاء ، والعرب تقول : استطار الصدع فى القارورة وشبهها ، واستطال . اهـ .

Marfat.com

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وأسيرًا) قال : كان أسراهم يومئذ المشرك ، وأخوك المسلم أحق أن تطعمه .

قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن أبي عمرو أن عكرمة قال في قوله (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وأسيرًا) زعم أنه قال : كان الأسرى في ذلك الزمان المشرك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا حماد بن مسعدة ، قال : ثنا أشعث ، عن الحسن (وَيَتِيمًا وأسيرًا) قال : ما كان أسراهم إلا المشركين .

وقال آخرون : عُنِي بذلك : المسجون من أهل القبلة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الأسير : المسجون .

حدثني أبو شيبة بن أبي شيبة ، قال : ثنا عمر بن حفص ، قال : ثني أبي عن حجاج ، قال : ثني عمرو بن مرّة ، عن سعيد بن جُبير في قول الله (مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وأسيرًا) من أهل القبلة وغيرهم ، فسألت عطاء ، فقال مثل ذلك .

حدثني علي بن سهل الرملي ، قال : ثنا يحيى يعني ابن عيسى ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وأسيرًا) قال : الأسير : هو المحبوس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

** والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله وصف هؤلاء الأبرار بأنهم كانوا في الدنيا يطعمون الأسير ، والأسير الذي قد وصفت صفته ؛ واسم الأسير قد يشتمل على الفريقين ، وقد عمّ الخبر عنهم أنهم يطعمونهم فالخبر على عمومه حتى يخصه ما يجب التسليم له . وأما قول من قال : لم يكن لهم أسير يومئذ إلا أهل الشرك ، فإن ذلك وإن كان كذلك ، فلم يخصص بالخبر الموفون بالنذر يومئذ ، وإنما هو خبر من الله عن كلّ من كانت هذه صفته يومئذ وبعده إلى يوم القيامة ، وكذلك الأسير معنيٌّ به أسير المشركين والمسلمين يومئذ ، وبعد ذلك إلى قيام الساعة .

وقوله (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ) يقول تعالى ذكره : يقولون : إنما نطعمكم إذا هم أطعموهم لوجه الله ، يعنون طلب رضا الله ، والقُربة إليه (لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا) يقولون للذين يطعمونهم ذلك الطعام : لانريد منكم أيها الناس على إطعامناكم ثوابا ولا شكورا .

وفي قوله (وَلَا شُكُورًا) وجهان من المعنى : أحدهما أن يكون جمع الشكر كما الفُلوس جمع فَلس ، والكفور جمع كُفْر . والآخر : أن يكون مصدرًا واحدًا في معنى جمع ، كما يقال : قعد قعودا ، وخرج خروجا .

وقد حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن سالم ، عن مجاهد (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ

Marfat.com

لِوَجْهِ اللهِ لانُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا) قال : أما إنهم ما تكلموا به ، ولكن علمه الله من قلوبهم ، فأثنى به عليهم ليرغب فى ذلك راغب .

حدثنا محمد بن سنان القزاز ، قال : ثنا موسى بن إسماعيل ، قال : ثنا محمد بن مسلم بن أبى الوضاح ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ ، لانُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا) قال : أما والله ما قالوه بألسنتهم ، ولكن علمه الله من قلوبهم ، فأثنى عليهم ليرغب فى ذلك راغب .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝ ﴾

* يقول تعالى ذكره مخبرا عن هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم أنهم يقولون لمن أطعموه من أهل الفاقة والحاجة : مانطعمكم طعاما نطلب منكم عوضا على إطعامناكم جزاء ولا شكورا ، ولكنا نطعمكم رجاء منا أن يؤمننا ربنا من عقوبته فى يوم شديد هوله ، عظيم أمره ، تعبس فيه الوجوه من شدة مكارهه ، ويطول بلاء أهله ، ويشتد . والقمطرير : هو الشديد ، يقال : هو يوم قمطرير ، أو يوم قماطر ، ويوم عصيب ، وعصبصب ، وقد اقمطرّ اليوم يقمطرّ اقمطرارا ، وذلك أشدّ الأيام وأطوله فى البلاء والشدّة ؛ ومنه قول بعضهم :

بنى عَمِّنا هَلْ تَذْكُرُونَ بَلاءَنا عليكُمْ إذا ما كانَ يَوْمٌ قُماطِرُ (١)

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى العبارة عن معناه ، فقال بعضهم : هو أن يعبس أحدهم ، فيقبض بين عينيه حتى يسيل من بين عينيه مثل القطران .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مصعب بن سلام التميمى ، عن سعيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (عَبُوساً قَمْطَرِيرًا) قال : يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن هارون بن عنترة ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (يَوْما عَبُوساً قَمْطَرِيرًا) قال : القمطرير : المُقَبِّض بين عينيه .

(١) البيت فى (اللسان : قمطر) ولم ينسبه . قال : ويوم مقمطر ، وقماطر ، وقمطرير : مقبض ما بين العينين لشدته . وقيل إذا كان شديدا غليظا ، قال الشاعر : وقماطر : بضم القاف ، واقمطر يومنا : اشتد . وفى التنزيل العزيز : إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا » : جاء فى التفسير أنه يعبس الوجه ، فيجمع ما بين العينين وهذا شائع فى اللغة . اه . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١٨٣) العبوس ، والمقطمر ، والقماطر ، والعصيب : أشد ما يكون من الأيام ، وأطولها فى البلاء . اه . وقال الفراء فى معانى القرآن (٣٥١) وقوله عبوسا قمطريرا » : والقمطرير : الشديد . يقال : يوم قمطرير ، ويوم قماطر . أنشدنى بعضهم : « بنى عمنا . . . . البيت » . اه .

Marfat.com

حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن قابوس ، عن أبيه ، قال : سألت ابن عباس ، عن قوله (قَمْطَرِيرًا) قال : يُقَبِّض ما بين العينين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن هارون بن عنترة ، عن أبيه ، عن ابن عباس (يَوْما عَبُوساً قَمْطَرِيرا) قال : يقبِّض ما بين العينين .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْما عَبُوساً قَمْطَرِيرا) قال : يوم يقبِّض فيه الرجل مابين عينيه ووجهه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْما عَبُوساً قَمْطَرِيرًا) عبست فيه الوجوه ، وقبضت ما بين أعينها كراهية ذلك اليوم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قَمْطَرِيرًا) قال : تُقَبِّض فيه الجباه ؛ وقوم يقولون : القمطرير : الشديد .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن هارون بن عنترة ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : المقبِّض ما بين العينين .

قال : ثنا وكيع ، عن عمر بن ذرّ ، عن مجاهد ، قال : هو المقبض ما بين عينيه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن أبي عمرو ، عن عكرمة ، قال : القمطرير : ما يخرج من جباههم مثل القطران ، فيسيل على وجوهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (قَمْطَرِيرًا) قال : يُقَبِّض الوجه بالبسور .

وقال آخرون : العبوس : الضيق ، والقمطرير : الطويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (عَبُوساً) يقول : ضيقا . وقوله (قَمْطَرِيرًا) يقول : طويلا .

وقال آخرون : القمطرير : الشديد .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في (إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيرًا) قال : العَبوس : الشرّ ، والقَمْطَرِير : الشديد .

وقوله (فَوَقاهُمُ اللهُ شَرَّ ذلكَ اليَوْمِ ، وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا) يقول جل ثناؤه : فدفع الله عنهم ما كانوا في الدنيا يحذرون من شرّ اليوم العبوس القمطرير بما كانوا في الدنيا يعملون مما يرضى عنهم ربهم ، ولقّاهم نضرة في وجوههم ، وسرورا في قلوبهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

Marfat.com

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا) قال : نَضْرة فى الوجوه ، وسرورا فى القلوب

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا) نضرة فى وجوههم ، وسرورا فى قلوبهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا) قال : نعمة وسرورا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝١٣ ﴾

يقول تعالى ذكره : وأثابهم الله بما صبروا فى الدنيا على طاعته ، والعمل بما يرضيه عنهم جنة وحريرا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا) يقول : وجزاهم بما صبروا على طاعة الله ، وصبروا عن معصيته ومحارمه ، جنة وحريرا .

وقوله (مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ) يقول : متكئين فى الجنة على السُّرر فى الحجال ، وهى الأرائك واحدتها أريكة . وقد بيَّنا ذلك بشواهده ، وما فيه من أقوال أهل التأويل فيما مضى بما أغنى عن إعادته ، غير أنا نذكر فى هذا الموضع من الرواية بعض ما لم نذكره إن شاء الله تعالى قبل .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ) يعنى : الحجال .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكَ) كنا نُحدَّث أنها الحجال فيها الأسرّة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الحصين ، عن مجاهد (مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ) قال : السُّرُر فى الحجال ، ونصب (مُتَّكِئِينَ) فيها على الحال من الهاء والميم .

وقوله (لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا) يقول تعالى ذكره : لا يرون فيها شمسا فيؤذيهم حرّها ، ولا زمهريرا ، وهو البرد الشديد ، فيؤذيهم بردها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

Marfat.com

ذكر من قال ذلك

حدثنا زياد بن عبد الله الحسانى ، قال : ثنا مالك بن سعير ، قال : ثنا الأعمش ، عن مجاهد ، قال : الزمهرير : البرد المقطع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال الله (لايَرَوْنَ فيها شَمْساً وَلا زَمْهَرِيرًا) يعلم أن شدّة الحرّ تؤذى ، وشدّة القرّ تؤذى ، فوقاهم الله أذاهما .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن السُّدّىّ ، عن مرّة بن عبد الله قال فى الزمهرير : إنه لون من العذاب ، قال الله : (لايَذُوقُون فِيها بَرْدًا وَلا شَرَابا) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « اشْتَكَتِ النَّارُ إلى رَبِّها ، فَقالَتْ رَبِّ أكَلَ بَعْضِى بَعْضاً ، فَنَفِّسْنِى ، فأذِنَ لَهَا فى كُلِّ عامٍ بِنَفَسَيْنِ ، فأشَدُّ ما تَجِدُونَ مِنَ البَرْدِ مِنْ زَمْهَرِيرِ جَهَنَّمَ وأشَدُّ ما تَجِدُونَ مِنَ الحَرِّ مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ » .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ ﴾

﴿ يعنى تعالى ذكره بقوله (وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا) وقَرُبت منهم ظلال أشجارها .

ولنصب دانية أوجه : أحدها : العطف به على قوله (مُتَّكِئِين فِيها) . والثانى : العطف به على موضع قوله (لايَرَوْنَ فِيها شَمْساً) لأن موضعه نصب ، وذلك أن معناه : متكئين فيها على الأرائك ، غير رائين فيها شمساً . والثالث : نصبه على المدح ، كأنه قيل : متكئين فيها على الأرائك ، ودانية بعد عليهم ظلالها ، كما يقال : عند فلان جارية جميلة ، وشابة بعد طرية ، تضمر مع هذه الواو فعلا ناصبا للشابة ، إذا أريد به المدح ، ولم يُرَد به النَّسَق ، وأُنِّثَتْ دانيةً لأن الظلال جمع . وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله بالتذكير (وَدَانِيا عَلَيْهِمْ ظِلالُها) وإنما ذكر لأنه فعل متقدّم ، وهى فى قراءة فيما بلغنى (وَدَانٍ) رفع على الاستئناف .

وقوله (وَذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلاً) يقول : وذُلِّل لهم اجتناء ثمر شجرها ، كيف شاءوا قعودا وقياما ومتكئين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

Marfat.com

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلاً) قال : إذا قام ارتفعت بقدره ، وإن قعد تدلَّت حتى ينالها ، وإن اضطجع تدلَّت حتى ينالها ، فذلك تذليلها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُها،وَذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلاً) قال : لايردُّ أيديَهم عنها بُعد ولا شوك .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قُطُوفُها دَانِيَةٌ) قال : الدانية : التى قد دنت عليهم ثمارها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلاً) قال : يتناوله كيف شاء جالسا ومتكئا .

وقوله (وَيُطافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وأكْوَابٍ كانَتْ قَوَارِيرًا) يقول تعالى ذكره : ويُطاف على هؤلاء الأبرار بآنية من الأوانى التى يشربون فيها شرابهم ، هى من فضة كانت قوارير ، فجعلها فضة ، وهى فى صفاء القوارير ، فلها بياض الفضة وصفاء الزجاج .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَيُطافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وأكْوَابٍ كانَتْ قَوَارِيرَ) يقول : آنية من فضة ، وصفاؤها وتهيؤها كصفاء القوارير .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مجاهد من فضة ، قال فيها رقة القوارير فى صفاء الفضة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ) قال : صفاء القوارير وهى من فضة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثناسعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيُطافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ) أى صفاء القوارير فى بياض الفضة .

وقوله (وأكْوَابٍ) يقول : ويُطاف مع الأوانى بجرار ضخام فيها الشراب ، وكلّ جرّة ضخمة لاعروة لها فهى كوب .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وأكْوَابٍ) قال : ليس لها آذان .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان بهذا الحديث بهذا الإسناد عن مجاهد ، فقال : الأكواب : الأقداح .

Marfat.com

وقوله (كَانَتْ قَوَارِيرَ) يقول : كانت هذه الأوانى والأكواب قوارير ، فحوّلها الله فضة . وقيل : إنما قيل : ويطاف عليهم بآنية من فضة ، ليدلّ بذلك على أن أرض الجنة فضة ، لأن كل آنية تُتَّخذ ، فإنما تُتَّخذ من تُرْبة الأرض التى فيها ، فدلّ جلّ ثناؤه بوصفة الآنية مّى يطاف بها على أهل الجنة أنها من فضة ، ليعلم عباده أن تربة أرض الجنة فضة .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله « قوارير ، وسلاسل » ، فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة غير حمزة سلاسلا ، وقواريرا (قَوَارِيرًا) بإثبات الألف والتنوين وكذلك هى فى مصاحفهم ، وكان حمزة يُسْقط الألِفات من ذلك كله ، ولا يجرى شيئا منه ؛ وكان أبو عمرو يُثبت الألف فى الأولى من قوارير ، ولا يثبتها فى الثانية ، وكلّ ذلك عندنا صواب ، غير أن الذى ذكرت عن أبى عمرو أعجبهما إلىّ ، وذلك أن الأوّل من القوارير رأس آية ، والتوفيق بين ذلك وبين سائر رءوس آيات السورة أعجب إلىّ إذ كان ذلك بإثبات الألفات فى أكثرها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝١٦ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝١٨ ﴾

﴿﴾ يقول تعالى ذكره (قَوَارِيرَ) فى صفاء الصفاء من فضة الفضة من البياض [1] .

كما حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، قال : قال الحسن ، فى قوله (كَانَتْ قَوَارِيرَ . قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ) قال : صفاء القوارير فى بياض الفضة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن كثير ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قول الله (قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ) قال : بياض الفضة فى صفاء القوارير .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، قال : أخبرنا ابن أبى خالد ، عن أبى صالح ، فى قوله (كَانَتْ قَوَارِيرَ . قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ) قال : كان ترابها من فضة .

وقوله (قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ) قال : صفاء الزجاج فى بياض الفضة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، عن قتادة ، فى قوله (قَوَارِيرَ . قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ) قال : لو احتاج أهل الباطل [2] أن يعملوا إناء من فضة يرى ما فيه من خلفه ، كما يرى ما فى القوارير ما قدروا عليه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ) قال : هى من فضة ، وصفاؤها : صفاء القوارير فى بياض الفضة .

---

(١) لعله قوارير فى الصفاء من فضة : كالفضة فى البياض . (٢) فى الدر المنثور : أهل الدنيا .

Marfat.com

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّة قال : على صفاء القوارير ، وبياض الفضة .

وقوله (قَدَّرُوها تَقْدِيرًا) يقول : قدّروا تلك الآنية التي يُطاف عليهم بها تقديرا على قَدْر رِيِّهم لاتزيد ولا تنقص عن ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (قَدَّرُوها تَقْدِيرًا) قال : قُدِّرت لرِيّ القوم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (قَدَّرُوها تَقْدِيرًا) قال : قدر رِيِّهم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عمر بن عبيد ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّة قَدَّرُوها تَقْدِيرًا) قال : لاتنقص ولا تفيض .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قَدَّرُوها تَقْدِيرًا) قال : لاتَتْرَع فتُهَراق ، ولا ينقصون من مائها فتنقص فهى ملأى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قَدَّرُوها تَقْدِيرًا) لريِّهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قَدَّرُوها تَقْدِيرًا) قدرت على ريّ القوم

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوها تَقْدِيرًا) قال : قدّروها لريهم على قدر شربهم أهل الجنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (قَدَّرُوها تَقْدِيرا) قال : ممتلئة لاتُهَراق ، وليست بناقصة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : قدّروها على قدر الكفّ .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (قَدَّرُوها تَقْدِيرا) قال : قدرت للكفّ .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (قَدَّرُوها تَقْدِيرًا) ، فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار (قَدَّرُوها) بفتح القاف ، بمعنى : قدّرها لهم السُّقاة الذين يطوفون بها عليهم ؛ ورُوِى عن الشعبيّ وغيره من المتقدمين أنهم قرءوا ذلك بضمّ القاف ، بمعنى : قُدِّرت عليهم ، فلا زيادة فيها ولا نقصان .

والقراءة التى لاأستجيز القراءة بغيرها فتح القاف ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه ؛

Marfat.com

وقوله (وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا) يقول تعالى ذكره: ويُسْقَى هؤلاء القوم الأبرار فى الجنة كأسا ، وهى كلّ إناء كان فيه شراب ، فإذا كان فارغا من الخمر لم يقل له كأس ، وإنما يقال له إناء ، كما يقال للطبق الذى تهدى فيه الهدية المِهْدَى مقصورا مادامت عليه الهدية فإذا فرغ مما عليه كان طبقا أو خِوَانا ، ولم يكن مِهْدًى (كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا) يقول : كان مزاج شراب الكأس التى يُسقون منها زنجبيلا .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : يمزج لهم شرابهم بالزنجبيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا) قال : تُمزَج بالزنجبيل .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا) قال : يأثُرُ لهم ماكانوا يشربون فى الدنيا ، زاد الحارث فى حديثه : فَيُحَبِّبُهُ إليهم .

وقال بعضهم : الزنجبيل : اسم للعين التى منها مزاج شراب الأبرار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا . عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا) رقيقة يشربها المقرّبون صِرْفا ، وتمزج لسائر أهل الجنة .
وقوله (عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا) يقول تعالى ذكره : عينا فى الجنة تسمى سلسبيلا . قيل : عُنِى بقوله سلسبيلا : سلسة مُنقادا ماؤها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا) : عينا سلسة مستقيدا ماؤها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا) قال : سلسة يصرفونها حيث شاءوا .

وقال آخرون : عُنِى بذلك أنها شديدة الجِرْيَة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا) قال : حديدة الجِرْيَة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الأشجعى ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا أبو أسامة ، عن شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : سلسة الجِرْية .

Marfat.com

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلا) حديدة الجِرْيَة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

واختلف أهل العربية فى معنى السلسبيل وفى إعرابه ، فقال بعض نحويى البصرة ، قال بعضهم : إن سلسبيل صفة للعين بالتسلسل . وقال بعضهم : إنما أراد عينا تسمى سلسبيلا : أى تسمى من طيبها السلسبيل : أى توصف للناس كما تقول : الأعوجىّ والأرحبىّ والمهرىّ من الإبل ، وكما تنسب الخيل إذا وصفت إلى الخيل المعروفة المنسوبة كذلك تنسب العين إلى أنها تسمى ، لأن القرآن نزل على كلام العرب ، قال : وأنشدنى يونس :

صَفْرَاءُ مِنْ نَبْعٍ يُسَمَّى سَهْمُها مِنْ طُولِ ما صَرَعَ الصُّيُودَ الصَّيِّبُ[1]

فرفع الصَّيِّبُ لأنه لم يرد أن يسمى بالصَّيِّب ، إنما الصَّيِّب من صفة الإسم والسهم ، وقوله : « يسمى سهمها » أى يذكر سهمها . قال : وقال بعضهم : لا ، بل هو اسم العين ، وهو معرفة ، ولكنه لما كان رأس آية ، وكان مفتوحا ، زيدت فيه الألف ، كما قال : كانت قواريرا . وقال بعض نحويى الكوفة : السلسبيل : نعت أراد به سلس فى الحلق ، فلذلك حَرِىّ أن تسمى بسلاستها .

وقال آخر منهم : ذكروا أن السلسبيل اسم للعين ، وذكروا أنه صفة للماء لسلسه وعذوبته ؛ قال : ونرى أنه لو كان اسما للعين لكان ترك الإجراء فيه أكثر ، ولم نر أحدا ترك إجراءها وهو جائز فى العربية ، لأن العرب تجرى ما لايجرى فى الشعر ، كما قال متمم بن نويرة :

فَمَا وَجْــدُ أَظْـآرٍ ثَلاثٍ رَوَائِمٍ رأَيْنَ مَخرًّا مِنْ حُوَارٍ ومَصْرَعا[2]

فأجرى روائم ، وهى مما لا يُجرَى .

---

(١) هذا بيت رواه يونس النحوى ولم يذكر قائله يصف قوسا من شجر النبع . والشاهد عند المؤلف فى البيت أن « الصيب مرفوع لأنه صفة للسهم وأنه ليس كقوله تعالى : يسمى سلسبيلا . يريد أن هذه القوس ينعت سهمها الصيب ويوصف ، لكثرة ما أصاب به الصيود وهى جمع صيد . هذا معنى كلامه . وقال الفراء فى معانى القرآن (٣٥٢) وقوله « تسمى سلسبيلا : ذكروا أن السلسبيل اسم العين ، وذكر أنه صفة للماء لسلسلته وعذوبته . ونرى أنه لو كان اسما للعين لكان ترك الإجراء (الصرف) فيه أكثر ، ولم نر أحدا من القراء ترك إجراءها وهو جائز فى العربية ، كما كان فى قراءة عبد الله (ابن مسعود) : ولا تذرن ودا ولا سواعا ويغوثا ويعوقا بالألف . وكما قال : سلاسلا وقواريرا ، بالألف ، فأجروا ما لا يجرى ، وليس بخطأ لأن العرب تجرى مالا يجرى فى الشعر ، فلو كان خطأ ما أدخلوه فى أشعارهم . قال متمم بن نويرة :

فَمَـا وَجْدُ أَظْـآرٍ ثَلاثٍ رَوَائِمٍ رأَيْنَ مَخرًّا مِنْ حُوَارٍ وَمَصْرَعَا

فأجرى روائم وهى مما لايجرى ، فيما لا أحصيه من أشعارهم . اه .

(٢) البيت لمتمم بن نويرة كما قال الفراء (تقدم فى الشاهد قبله) وهو فى (اللسان : ظأر) قال : تقول (ظُئِرت) الناقة مبنيا للمجهول ، على ولد غيرها أو على بو (فاظأرت) بالظاء ، فهى ظئور ومظئورة وجمع « الظئور » أظآر وظؤار ، قال متمم : « فما وجد أظآر . . . البيت » . والروائم : جمع رائم ، يقال : رئمت الناقة ولدها ترأمه رأما ورأمانا : عطفت عليه ولزمته وفى التهذيب : رئمانا : أحبته ومخرا : مصدر ميمى بمعنى الخرور أى السقوط على الأرض ، وقد يكون معناه الموت ، من خر يخر : إذا مات . ومصرعا : أى مهلكا ، وهو مصدر ميمى بمعنى الصرع . وأما موضع الشاهد فى البيت فهو صرف « روائم » لضرورة الشعر ، وهو مما لا يصرف كما قال الفراء فى الشاهد قبله .

Marfat.com

** والصواب من القول فى ذلك عندى أن قوله (تُسَمَّى سَلْسَبِيلا) صفة للعين ، وصفت بالسلاسة فى الحلق ، وفى حال الجرى ، وانقيادها لأهل الجنة يصرّفونها حيث شاءوا ، كما قال مجاهد وقتادة . وإنما عنى بقوله (تُسَمَّى) : توصف .

وإنما قلت ذلك أولى بالصواب لإجماع أهل التأويل على أن قوله (سَلْسَبِيلا) صفة لا اسم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾

** يقول تعالى ذكره : ويطوف على هؤلاء الأبرار ولدان : وهم الوصفاء ، مخلّدون .

اختلف أهل التأويل فى معنى (مُخَلَّدُونَ) فقال بعضهم : معنى ذلك : أنهم لايموتون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ) : أى لايموتون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

وقال آخرون : عنى بذلك (وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ) : مُسَوَّرون .

وقال آخرون : بل عنى به أنهم مقرّطون . وقيل : عنى به أنهم دائم شبابهم ، لايتغيرون عن تلك السنّ وذُكر عن العرب أنها تقول للرجل إذا كبر وثبت سواد شعره : إنه لمخلَّد ؛ وكذلك إذا كبر وثبتت أضراسه وأسنانه قيل : إنه لمخلد ، يراد به أنه ثابت الحال ، وهذا تصحيح لما قال قتادة من أن معناه : لايموتون ، لأنهم إذا ثبتوا على حال واحدة فلم يتغيروا بهرم ولاشيب ولاموت ، فهم مخلّدون . وقيل : إن معنى قوله (مُخَلَّدُونَ) مُسَوَّرون بلغة حِمْير ؛ وينشد لبعض شعرائهم :

وُمُخَلَّدَاتٌ بِاللُّجَيْنِ كَأَنَّمَا أَعْجَازُهُنَّ أَقَاوِزُ الْكُثْبَانِ [1]

وقوله (إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا) يقول تعالى ذكره : إذا رأيت يامحمد هؤلاء الولدان مجتمعين أو مفترقين ، تحسبهم فى حُسنهم ، ونقاء بياض وجوههم ، وكثرتهم ، لؤلؤًا مبدّدا ، أو مجتمِعا مصبوبا .

(١) هذا البيت لا أعرف قائله ، أنشده المؤلف عند قوله تعالى : « ولدان مخلدون » قال فى (اللسان : خلد) : وقوله تعالى : « يطوف عليهم ولدان مخلدون » : قال الزجاجى : محلون وقال أبوعبيدة مسورون يمانية وأنشد : « ومخلدات باللجين » . ولم أجد قول أبي عبيدة هذا فى المخطوطة التى بين يدى منه ، ولعل العبارة والشاهد اسقطا من بعض أصول الكتاب . اه . وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٥٢) وقوله «مخلدون » : يقول محلون مسورون (بأساور) ويقال : مقرطون . ويقال : مخلدون دائم شبابهم لا يتغيرون من تلك السن ، وهو أشبهها بالصواب والله أعلم . وذلك أن العرب إذا كبر الرجل ، وثبت سواد شعره ، قيل : إنه لمخلد . وكذلك يقال إذا كبر وثبتت له أسنانه وأضراسه قيل : أنه لمخلد : ثابت الحال ، كذلك الولدان ثابتة أسنانهم . اه .

Marfat.com

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبدالأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا) قال : من كثرتهم وحُسْنِهِم :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ) من حسنهم وكثرتهم (لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا) وقال قتادة عن أبى أيوب ، عن عبدالله بن عمرو ، قال مامن أهل الجنة من أحد إلا ويسعى عليه ألف غلام ، كلّ غلام على عمل ما عليه صاحبه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قال : (حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورا) قال : فى كثرة اللؤلؤ وبياض اللؤلؤ :

وقوله (إِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإذا نظرت ببصرك يامحمد ، ورميت بطرفك فيما أعطيتُ هؤلاء الأبرار فى الجنة من الكرامة . وعُنى بقوله (ثَمَّ) الجنة (رَأَيْتَ نَعِيما) ، وذلك أن أدناهم منزلة من ينظر فى مُلكه فيما قيل فى مسيرة ألفى عام ، يُرى أقصاه ، كما يرى أدناه .

وقد اختلف أهل العربية فى السبب الذى من أجله لم يذكر مفعول رأيت الأول ، فقال بعض نحويى البصرة : إنما فعل ذلك لأنه يريد رؤية لاتتعدى ، كما تقول : ظننت فى الدار ، أخبر بمكان ظنه ، فأخبر بمكان رؤيته . وقال بعض نحويى الكوفة : إنما فعل ذلك لأن معناه : وإذا رأيت ماثم رأيت نعيما ؛ قال : وصلح إضمار ما كما قيل : لقد تقطع بينكم ، يريد : ما بينكم ؛ قال : ويقال : إذا رأيت ثم يريد : إذا نظرت ثم ، أى إذا رميت ببصرك هناك رأيت نعيما .

وقوله (مُلْكا كَبِيرًا) يقول : ورأيت مع النعيم الذى ترى لهم ثَمَّ مُلْكا كبيرا : وقيل : إن ذلك الملك الكبير : تسليم الملائكة عليهم ، واستئذانهم عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنى من سمع مجاهدا يقول : (وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيما وَمُلْكاً كَبِيرًا) قال : تسليم الملائكه .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : سمعت سفيان يقول فى قوله (مُلْكا كَبِيرًا) قال : بلغنا أنه تسليم الملائكة

حدثنا ابوكريب ، قال : ثنا الأشجعىّ ، فى قوله (وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيما وَمُلْكا كَبِيرًا) قال : فسّرها سفيان قال : تستأذن الملائكة عليهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكا كَبِيرًا) قال استئذان الملائكة عليهم .

Marfat.com

القول في تأويل قوله تعالى :

عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾

٭ يقول تعالى ذكره : فوقهم ، يعنى فوق هؤلاء الأبرار ثياب سُنْدُسٍ . وكان بعض أهل التأويل يتأوّل قوله (عالِيَهُمْ) فوق حِجالهم المثبتة عليهم (ثِيابُ سُنْدُسٍ) وليس ذلك بالقول المدفوع ، لأن ذلك إذا كان فوق حجالٍ هم فيها ، فقد علاهم فهو عاليهم .

وقد اختلف أهل القراءة فى قراءة ذلك فقرأته عامة قرّاء المدينة والكوفة وبعض قرّاء مكة (عالِيهِمْ) بتسكين الياء . وكان عاصم وأبوعمرو وابن كثير يقرءونه بفتح الياء ، فمن فتحها جعل قوله (عالِيَهُمْ) اسما مرافعا للثياب ، مثل قول القائل : ظاهرهم ثياب سندس .

٭ والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى ، فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (ثِيابُ سُنْدُسٍ) يعنى : ثياب ديباج رقيق حسن ، والسندس : هو ما رقّ من الديباج .

وقوله (خُضْرٌ) اختلف القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه أبوجعفر القارئ وأبوعمرو برفع (خُضْرٌ) على أنها نعت للثياب ، وخفض (إسْتَبْرَقٍ) عطفا به على السندس ، بمعنى : وثياب إستبرق . وقرأ ذلك عاصم وابن كثير (خُضْرٍ) خفضا (وإسْتَبْرَقٌ) رفعا ، عطفا بالاستبرق على الثياب ، بمعنى : عاليهم استبرق وتصييرا للخضر نعتا للسندس . وقرأ نافع ذلك (خُضْرٌ) رفعا على أنها نعت للثياب (وإسْتَبْرَقٌ) رفعا عطفا به على الثياب . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة : (خُضْرٍ وإسْتَبْرَقٍ) خفضا كلاهما . وقرأ ذلك ابن محيصن بترك إجراء الاستبرق (وإسْتَبْرَقَ) بالفتح بمعنى : وثياب استبرق ، وفتحَ ذلك لأنه وجّهه إلى أنه اسم أعجمىّ . ولكلّ هذه القراءات التى ذكرناها وجه ومذهب غير الذى سبق ذكرنا عن ابن محيصن فإنها بعيدة من معروف كلام العرب ، وذلك أن الإستبرق نكرة ، والعرب تجرى الأسماء النكرة وإن كانت أعجمية ، والإستبرق : هو ما غَلُظ من الديباج . وقد ذكرنا أقوال أهل التأويل فى ذلك فيما مضى قبل . فأغنى ذلك عن إعادته هاهنا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : الإستبرق : الديباج الغليظ .

وقوله (وَحُلُّوا أساوِرَ مِنْ فِضَّةٍ) يقول : وحلاهم ربهم أساور ، وهى جمع أسورة من فضة .

وقوله (وَسَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابا طَهُورًا) يقول تعالى ذكره : وسقى هؤلاء الأبرار ربُّهم شرابا طهورا ، ومن طهره أنه لايصير بولا نجسا ، ولكنه يصير رشحا من أبدانهم كرشح المسك

كالذى حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن ، قالا : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم التيمى (وَسَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابا طَهُورًا) قال : عرق يفيض من أعراضهم مثل ريح المسك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن منصور ، عن إبراهيم التيمى ، مثله .

Marfat.com

قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم التيمى ،قال : إن الرجل من أهل الجنة يقسَمُ له شهوة مئة رجل من أهل الدنيا ، وأكلهم وهمتهم ، فإذا أكل سقى شرابا طهورا ، فيصير رشحا يخرج من جلده أطيب ريحًا من المسك الأذفر ، ثم تعود شهوته .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (شَرَابًا طَهُورًا) قال : ماذكر الله من الأشربة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن أبان ، عن أبى قلابة : إن أهل الجنة إذا أكلوا وشربوا ما شاءوا دَعَوا بالشراب الطهور فيشربونه ، فتطهر بذلك بطونهم ويكون ما أكلوا وشربوا رَشْحا وريحَ مسك ، فتضمر لذلك بطونهم » .

حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا أبو جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية الرياحى ، عن أبى هريرة أو غيره « شكّ أبو جعفر الرازى » قال : صعد جبرائيل بالنبىّ صلى الله عليه وسلم ليلة أُسرى به إلى السماء السابعة ، فاستفتَح ، فقيل له : من هذا ؟ فقال : جبرائيل ؛ قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : أو قد أُرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : حياه الله من أخ وخليفة ، فنعم الأخ ونعم الخليفة ، ونعم المجىءُ جاء ؛ قال : فدخل فإذا هو برجل أشمط جالس على كرسىّ عند باب الجنة ، وعنده قوم جلوس بيض الوجوه أمثال القراطيس ، وقوم فى ألوانهم شىء ، فقام الذين فى ألوانهم شىء ، فدخلوا نهرًا فاغتسلوا فيه ، فخرجوا وقد خلَص من ألوانهم شىء ثم دخلوا نهرًا آخر فاغتسلوا فيه ، فخرجوا وقد خلَصت ألوانهم ، فصارت مثل ألوان أصحابهم ، فجاءوا فجلسوا إلى أصحابهم ، فقال : ياجبريل من هذا الأشمط ، ومن هؤلاء البيض الوجوه ، ومن هؤلاء الذين فى ألوانهم شىء ، وما هذه الأنهار التى اغتسلوا فيها ، فجاءوا وقد صفت ألوانهم ، قال : هذا أبوك إبراهيم ، أوّل من شَمِط على الأرض ، وأما هؤلاء البيض الوجوه ، فقوم لم يَلْبِسوا إيمانهم بظلم . وأما هؤلاء الذين فى ألوانهم شىء فقوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فتابوا ، فتاب الله عليهم . وأما الأنهار ، فأوّلها رحمة الله ، والثانى نعمة الله ، والثالث سقاهم ربهم شرابا طهورا) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾

* يقول تعالى ذكره : يقال لهؤلاء الأبرار حينئذ : إن هذا الذى أعطيناكم من الكرامة كان لكم ثوابا على ماكنتم فى الدنيا تعملون من الصالحات (وكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا) يقول : كان عملكم فيها مشكورا ، حمدكم عليه ربكم ، ورضيه لكم ، فأثابكم بما أثابكم به من الكرامة عليه .

Marfat.com

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً ، وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا) غفر لهم الذنب ، وشكر لهم الحسن .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : تلا قتادة (وَكَانَ سَعْيُكُم مَشْكُورًا) قال : لقد شكر الله سعيا قليلا .

وقوله (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إنا نحن نزّلنا عليك يا محمد هذا القرآن تنزيلا ، ابتلاء منا واختبارا (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) يقول : اصبر لما امتحنك به ربك من فرائضه ، وتبليغ رسالاته ، والقيام بما ألزمك القيام به فى تنزيله الذى أوحاه إليك (وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) يقول : ولا تطع فى معصية الله من مشركى قومك آثما يريد بركوبه معاصيه ، أو كفورا : يعنى جحودا لنعمه عنده ، وآلائه قبله ، فهو يكفر به ، ويعبد غيره .

وقيل : إن الذى عنى بهذا القول أبو جهل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) قال : نزلت فى عدوّ الله أبى جهل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة أنه بلغه أن أبا جهل قال : لئن رأيت محمدًا يصلى لأطأنّ عنقه ، فأنزل الله : (وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) قال : الآثم : المذنب الظالم والكفور ، هذا كله واحد . وقيل : (أَوْ كَفُورًا) والمعنى : ولا كفورًا . قال الفرّاء : « أو » هاهنا بمنزلة الواو ، وفى الجحد والاستفهام والجزاء تكون بمعنى « لا » ، فهذا من ذلك مع الجحد ؛ ومنه قول الشاعر :

لا وَجْدُ ثَكْلَى كما وَجِدْتُ وَلا وَجْدُ عَجُولٍ أَضَلَّهَا رُبَعُ
أَوْ وَجْدُ شَيْخٍ أَضَلَّ نَاقَتَهُ يَوْمَ تَوَافَى الْحَجِيجُ فَانْدَفَعُوا[1]

أراد : ولا وجدُ شيخ ، قال : وقد يكون فى العربية : لاتطيعنّ منهم من أثم أو كفر ، فيكون المعنى فى أو قريبا من معنى الواو ، كقولك للرجل : لأعطينك سألت أو سكتّ ، معناه : لأعطينك على كلّ حال .

(١) البيتان من شواهد الفراء فى معانى القرآن قال (٣٥٢ – ٣٥٣) : عند قوله تعالى : « ولا تطع منهم آثما أو كفورا » : أو هاهنا : بمنزلة « لا » . وأو فى الجحد والاستفهام والجزاء تكون فى معنى « لا » ، فهذا من ذلك وقال الشاعر : « لا وجد ثكلى » . البيتين . قال : وقد يكون فى العربية لا تطيعن منهم من أثم أو كفر ، فيكون المعنى فى « أو » قريبا من معنى الواو ، كقولك للرجل : لأعطينك سكت أو سألت ؛ معناه : لأعطينك على كل حال . اهـ . والثكلى التى فقدت ولدها أو أخاها أو زوجها . والوجد : الحزن والعجول من النساء والإبل : الواله التى فقدت ولدها ، الثكلى لعجلتها فى جيئتها وذهابها جزعا . والجمع عجل وعجائل ومعاجيل . (اللسان : عجل) . اهـ . والربع : الفصيل ينتج فى الربيع ، وهو أول النتاج والجمع : رباع وأرباع ، مثل رطب ورطاب وأرطاب وأضلها : فقدته وذهب عنها ، لاتدرى أين أخذ . وأضل ناقته : يقال : أضل البعير والفرس : ذهبا عنه . اهـ .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ۝ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ۝ ﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : (وَاذْكُرْ) يا محمد (اسْمَ رَبِّكَ) فادعه به بكرة فى صلاة الصبح ، وعشيا فى صلاة الظهر والعصر (وَمِنَ اللَّيْلِ فاسْجُدْ لَهُ) يقول : ومن الليل فاسجد له فى صلاتك ، فسبحه ليلا طويلا ، يعنى : أكثر الليل ، كما قال جل ثناؤه (قُمِ اللَّيْلَ إلاَّ قَلِيلاً ، نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلا ، أو زِدْ عَلَيْهِ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمِنَ اللَّيْلِ فاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً) يعنى : الصلاة والتسبيح .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) قال : بكرة : صلاة الصبح وأصيلا صلاة الظهر الأصيل .

وقوله (ومِنَ اللَّيْلِ فاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلا) قال : كان هذا أوّل شيء فريضة . وقرأ (يا أيُّها المُزَّمِّلُ ، قُمِ اللَّيْلَ إلاَّ قَلِيلاً نِصْفَهُ) ، ثم قال : (إنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ) . . . إلى قوله (فاقْرَءُوا ما تَيَسَّرَ مِنَ القُرآنِ) . . . إلى آخر الآية ، ثم قال : مُحِى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الناس ، وجعله نافلة فقال : (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ) قال : فجعلها نافلة .

وقوله (إنَّ هؤُلاءِ يُحِبُّونَ العاجِلَةَ) يقول تعالى ذكره : إن هؤلاء المشركين بالله يحبون العاجلة ، يعنى الدنيا ، يقول : يحبون البقاء فيها وتعجبهم زينتها (ويذرونَ وراءهُمْ يوما ثَقِيلاً) يقول : ويدعون خلف ظهورهم العمل للآخرة ، وما لهم فيه النجاة من عذاب الله يومئذ ، وقد تأوّله بعضهم بمعنى : ويذرون أمامهم يوما ثقيلا ، وليس ذلك قولا مدفوعا ، غير أن الذى قلناه أشبه بمعنى الكلمة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل [ا]لتأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْما ثَقِيلاً) قال : الآخرة .

Marfat.com

ولآخر :

فأصْبَحْنَ لايسألْنَنَهُ عَنْ بِمَا بِهِ أصَعَّدَ فِي غاوِي الهَوَى أمْ تَصَوَّبا ؟ [١]

بتكرير الباء ، وإنما الكلام لايسألنه عما به :

آخر تفسير سورة الإنسان

---

(٧٧) سُورَةُ المُرْسَلاتِ مَكِّيَّةٌ وآياتُها خمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ۝ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ۝ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ۝ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ۝ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝

اختلف أهل التأويل فى معنى قول الله (وَالمُرْسَلاتِ عُرْفا) فقال بعضهم : معنى ذلك : والرياح المرسلات يتبع بعضها بعضا ، قالوا : والمرسَلات : هى الرياح .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبوكريب قال : ثنا المحاربى ، عن المسعودى ، عن سَلَمة بن كُهَيل ، عن أبى العُبيدين أنه سأل ابن مسعود فقال (والمُرْسَلات عُرْفا) قال : الريح .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : ثنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا المسعودى ، عن سَلَمة بن كهيل ، عن أبى العُبيدين أنه سأل عبد الله بن مسعود ، فذكر نحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم ، عن أبى العُبيدين ، قال : سألت عبد الله بن مسعود ، فذكر نحوه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (والمُرْسَلاتِ عُرْفا) يعنى الريح .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبيد الله بن معاذ ، قال : ثنى أبى ، عن شعبة ، عن إسماعيل السدىّ ، عن أبى صالح صاحب الكلبى فى قوله (وَالمُرْسَلاتِ عُرْفا) قال : هى الرياح .

= فكرر اللام فى « للظالمين » وفى « لهم » وربما فعلت العرب ذلك ، أنشدنى بعضهم : « أقول لها إذا سألت . . . البيت » وأنشدنى بعضهم « فأصبحن لايسألنه عن بما به ... البيت » . فكرر الباء مرتين ، ولو قال : « يسألنه عما به » كان أبين ، وأجود ، ولكن الشاعر ربما زاد أو نقص ، ليكمل الشعر . اهـ .

(١) البيت من شواهد النحويين وقد ذكره الفراء فى معانى القرآن (كما بيناه فى الشاهد قبله) . وذكر البيت صاحب الخزانة ، وذكر أنه لم يقف على قائله ، ولا تتمته ، يريد الأبيات التى هو منها . وقال : إنه شاهد على أنه من الغريب زيادة الباء فى المجرور ، فإنها زيدت مع ما المجرورة بعن . وقال ابن جنى فى سر الصناعة : إنه من غريب مواضعها . ثم ذكر كلام الفراء الذى ذكرناه فى الشاهد قبله .

Marfat.com

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفا) قال : الريح .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن سَلَمة بن كهيل ، عن مسلم البطين ، عن أبى العُبيدين ، قال : سألت عبد الله عن (الْمُرْسَلاتِ عُرْفا) قال : الريح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفا) قال : هى الريح

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : والملائكة التى تُرسَل بالعرف .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، قال : كان مسروق يقول فى المرسلات : هى الملائكة .

حدثنا إسرائيل بن أبى إسرائيل ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : ثنا شعبة ، عن سليمان ، قال : سمعت أبا الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله فى قوله (وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفا) قال : الملائكة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ووكيع عن إسماعيل ، عن أبى صالح فى قوله (وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفا) قال : هى الرسل ترسل بالعُرف .

حدثنا عبد الحميد بن بيان السكرى ، قال : ثنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل ، قال : سألت أبا صالح عن قوله (وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفا) قال : هى الرسل ترسل بالمعروف ؛ قالوا : فتأويل الكلام والملائكة التى أرسلت بأمر الله ونهيه ، وذلك هو العرف .

وقال بعضهم : عُنى بقوله (عُرْفا) : متتابعا كعرف الفرس ، كما قالت العرب : الناس إلى فلان عرف واحد ، إذا توجهوا إليه فأكثروا .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن داود بن الزبرقان ، عن صالح بن بريدة ، فى قوله (عُرْفا) قال : يتبع بعضها بعضا .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : إن الله تعالى ذكره أقسم بالمرسلات عرفا ، وقد ترسل عُرْفا الملائكة ، وترسل كذلك الرياح ، ولا دلالة تدلّ على أن المعنىّ بذلك أحد الحزبين دون الآخر ، وقد عمّ جلّ ثناؤه بإقسامه بكل ما كانت صفته ما وصف ، فكلّ من كان صفته كذلك ، فداخل فى قسمه ذلك مَلَكا أو ريحا أو رسولا من بنى آدم مرسلا .

وقوله (فالْعاصِفاتِ عَصْفا) يقول جلّ ذكره : فالرياح العاصفات عصفا ، يعنى الشديدات الهبوب السريعات الممرّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

Marfat.com

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن خالد ، عن عُرْعرة أن رجلا قام إلى علىّ رضى الله عنه ، فقال : ما العاصفات عصفا ؟ قال : الريح .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المحاربى ، عن المسعودى ، عن سَلَمة بن كهيل ، عن أبى العُبَيدين أنه سأل عبد الله بن مسعود ، فقال : ما العاصفات عصفا ؟ قال : الريح .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا المسعودى ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبى العُبَيدين ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم البطين ، عن أبى العُبَيدين قال : سألت عبد الله بن مسعود ، فذكر مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم البطين ، عن أبى العُبَيدين ، قال : سألت عبد الله ، فذكر مثله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : (فالْعاصِفاتِ عَصْفًا) قال : الريح .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح (فالْعاصِفاتِ عَصْفًا) قال : هى الرياح .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل قال : سألت أبا صالح عن قوله (فالْعاصِفاتِ عَصْفًا) قال : هى الرياح .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبيد الله بن معاذ ، قال : ثنى أبى ، عن شعبة ، عن إسماعيل السدىّ عن أبى صالح صاحب الكلبى ، فى قوله (فالْعاصِفاتِ عَصْفًا) قال : هى الرياح .

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرى ، قال : ثنا أبو معاوية الضرير وسعيد بن محمد ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح ، فى قوله (فالْعاصِفاتِ عَصْفًا) قال : هى الريح .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح ، مثله .

قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن خالد بن عُرْعرة ، عن علىّ رضى الله عنه (فالْعاصِفاتِ عَصْفًا) قال : الريح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فالْعاصِفاتِ عَصْفًا) قال : الرياح .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

وقوله (والنّاشِراتِ نَشْرًا) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : عُنى بالناشرات نَشْرًا : الريح .

Marfat.com

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المحاربى ، عن المسعودى ، عن سَلَمة بن كهيل ، عن أبى العُبيدين أنه سأل ابن مسعود عن (النَّاشِرَاتِ نَشْرًا) قال : الريح .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا المسعودى ، عن سَلَمة بن كهيل ، عن أبى العُبيدين ، عن ابن مسعود ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم ، عن أبى العُبيدين ، قال : سألت عبد الله بن مسعود ، فذكر مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن سَلَمة بن كهيل ، عن مسلم البطين ، عن أبى العُبيدين ، قال : سألت عبد الله ، فذكر مثله .

قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (والنَّاشِرَاتِ نَشْرًا) قال : الريح .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبيد الله بن معاذ ، قال : ثنا أبى ، عن شعبة ، عن إسماعيل السدىّ ، عن أبى صالح صاحب الكلبى ، فى قوله (والنَّاشِرَاتِ نَشْرًا) قال : هى الرياح .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (والنَّاشِرَاتِ نَشْرًا) قال : الرياح

وقال آخرون : هى المطر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : ثنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل ، قال : سألت أبا صالح ، عن قوله (والنَّاشِرَاتِ نَشْرًا) : قال المطر .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح (والنَّاشِرَاتِ نَشْرًا) قال : هى المطر .

قال : ثنا وكيع ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح ، مثله .

وقال آخرون : بل هى الملائكة التى تنشُر الكتب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن هشام ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن السدىّ ، عن أبى صالح (والنَّاشِرَاتِ نَشْرًا) قال : الملائكة تنشُر الكتب .

** وأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره أقسم بالناشرات نشرا ، ولم يَخْصُص شيئا من ذلك دون شىء ؛ فالريح تنشر السحاب ، والمطر ينشر الأرض ، والملائكة تنشر الكتب ، ولا دلالة من وجه يجب التسليم له على أن المراد من ذلك بعض دون بعض ، فذلك على كل ما كان ناشرا .

Marfat.com

وقوله (فالْفارِقاتِ فَرْقاً) اختلف أهل التأويل فى معناه ، فقال بعضهم : عُنِى بذلك : الملائكة التى تفرق بين الحقّ والباطل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح (فالْفارِقاتِ فَرْقاً) قال : الملائكة .

قال : ثنا وكيع ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح (فالْفارِقاتِ فَرْقاً) قال : الملائكة .

قال : ثنا وكيع ، عن إسماعيل ، مثله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فالْفارِقاتِ فَرْقا) قال : الملائكة .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فالْفارِقاتِ فَرْقاً) يعنى القرآن ما فرق الله فيه بين الحقّ والباطل .

* والصواب من القول فى ذلك أن يقال : أقسم ربنا جلّ ثناؤه بالفارقات ، وهى الفاصلات بين الحقّ والباطل ، ولم يخصص بذلك منهنّ بعضا دون بعض ، فذلك قَسَم بكلّ فارقة بين الحقّ والباطل ، مَلَكا كان أو قرآنا ، أو غير ذلك .

وقوله (فالمُلْقِياتِ ذِكْرا) يقول : فالمبلّغات وحى الله رسله ، وهى الملائكة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فالمُلْقِياتِ ذِكْرا) يعنى : الملائكة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فالمُلْقِياتِ ذِكْرا) قال : هى الملائكة تلقى الذكر على الرسل وتبلغه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فالمُلْقِياتِ ذِكْرًا) قال : الملائكة تلقى القرآن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (فالمُلْقِياتِ ذِكْرًا) قال : الملائكة .

وقوله (عُذْرًا أَوْ نُذْرًا) يقول تعالى ذكره : فالملقيات ذكرا إلى الرسل إعذارا من الله إلى خلقه ، وإنذارا منه لهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

Marfat.com

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (عُذْرًا أَوْ نُذْرًا) قال : عذراً : من الله ، ونُذْرا منه إلى خلقه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثناسعيد ، عن قتادة ، قوله (عُذْرا أَوْ نُذْرا) : عذرا الله على خلقه ، ونذرا للمؤمنين ينتفعون به ، ويأخذون به .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (عُذْرًا أَوْ نُذْرًا) يعنى : الملائكة .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والشام وبعض المكيين وبعض الكوفيين : (عُذْرًا) بالتخفيف ، أو نُذُرا بالتثقيل . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة وبعض البصريين بتخفيفهما ، وقرأه آخرون من أهل البصرة بتثقيلهما والتخفيف فيهما أعجب إلىّ وإن لم أدفع صحة التثقيل لأنهما مصدران بمعنى الإعذار والإنذار .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ۝٧ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ۝١٣ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۝١٤ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥ ﴾

** يقول تعالى ذكره : والمرسلات عرفا ، إن الذى توعدون أيها الناس من الأمور لواقع ، وهو كائن لامحالة ، يعنى بذلك يوم القيامة ، وما ذكر الله أنه أعدّ لخلقه يومئذ من الثواب والعذاب .

وقوله (فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ) يقول : فإذا النجوم ذهب ضياؤها ، فلم يكن لها نور ولا ضوء (وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ) يقول : وإذا السماء شققت وصدّعت (وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ) يقول : وإذا الجبال نسفت من أصلها ، فكانت هباء منبثا (وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ) يقول تعالى ذكره : وإذا الرسل أجلت للاجتماع لوقتها يوم القيامة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ) يقول : جمعت .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (أُقِّتَتْ) قال : أُجِّلَتْ .

Marfat.com

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قال : قال مجاهد (وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ) قال : أجلت

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران جميعا ، عن سفيان ، عن منصور عن إبراهيم (وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ) قال : أُوعِدَت .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ) قال : أقتت ليوم القيامة ، وقرأ (يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ) قال : والأجل : الميقات ، وقرأ (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ) ، وقرأ (إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ) قال : إلى يوم القيامة ، قال : لهم أجل إلى ذلك اليوم حتى يبلغوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، في قوله (وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ) قال : وعدت .

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة غير أبي جعفر ، وعامة قرّاء الكوفة (أُقِّتَتْ) بالألف وتشديد القاف ، وقرأه بعض قرّاء البصرة بالواو وتشديد القاف (وُقِّتَتْ) وقرأه أبو جعفر (وُقِتَتْ) بالواو وتخفيف القاف .

** والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن كل ذلك قراءات معروفات ولغات مشهورات بمعنى واحد ، فبأيتها قرأ القارئ فمصيب ، وإنما هو فُعِّلَتْ من الوقت ، غير أن من العرب من يستثقل ضمة الواو ، كما يستثقل كسرة الياء في أول الحرف فيهمزها ، فيقول : هذه أجوه حسان بالهمزة ، وينشد بعضهم :

يَحُلُ أُحَيْدَهُ وَيُقَالُ بَعْلٌ ... وَمِثْلُ تَمَوُّلٍ مِنْهُ افْتِقَارُ[1]

وقوله (لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ) يقول تعالى ذكره مُعَجِّبًا عباده من هول ذلك اليوم وشدّته لأيّ يوم أجِّلت الرسل ووقِّتت ، ما أعظمه وأهوله ؛ ثم بين ذلك : وأيّ يوم هو ؟ فقال أجلت (لِيَوْمِ الْفَصْلِ) يقول : ليوم يفصل الله فيه بين خلقه القضاء ، فيأخذ للمظلوم من الظالم ، ويجزي المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ، لِيَوْمِ الْفَصْلِ) يوم يفصل فيه بين الناس بأعمالهم إلى الجنة وإلى النار .

---

(١) هذا البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (٣٥٣) والكلمة الأولى منه في الخط « بجل » باء وجيم ولام ، وهي غامضة . قال وقوله : « وإذا الرسل أقتت » : اجتمع القراء على همزها ، وهي في قراءة عبد الله بن مسعود « وقتت » بالواو . وقرأها أبو جعفر المدني « وقتت » خفيفة . وإنما همزت لأن الواو إذا كانت أول حرف وضمت همزت . من ذلك « صلى القوم أحدانا » . وأنشدني بعضهم : « يحل وحيده . . . . البيت » . ويقولون : هذه أجوه حسان ، بالهمز ، لأن ضمة الواو ثقيلة ، كما كان كسر الياء ثقيلا . اهـ . وموضع الشاهد في البيت أن همزة « أحيدة » مقلوبة عن واو ، وأصله « وحيدة » . كما قلبت في « أحدانا » وأصلها : « وحدانا » . قلت : وفي (اللسان : وحد) : الوحيد : موضع بعينه ، ونَقَى من أنقاء الدهناء . و(في بعل) : البعل : كل شجر أو زرع لا يسقى . ومن النخل : ما شرب بعروقه من غير سقي . والأرض المرتفعة لا يصيبها مطر إلا مرة واحدة في السنة . اهـ .

Marfat.com

وقوله (وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وأىّ شيء أدراك يا محمد ما يوم الفصل ، معظما بذلك أمره ، وشدّة هوله .

كما حدثنى بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ) تعظيما لذلك اليوم :

وقوله (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) يقول تعالى ذكره : الوادى الذى يسيل فى جهنم من صديد أهلها للمكذّبين بيوم الفصل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) ويل والله طويل .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : ألم نهلك الأمم الماضين الذين كذّبوا رسلى ، وجحدوا آياتى من قوم نوح وعاد وثمود ، ثم نتبعهم الآخرين بعدهم ، ممن سلك سبيلهم فى الكفر بى وبرسولى ، كقوم إبراهيم وقوم لوط ، وأصحاب مدين ، فنهلكهم كما أهلكنا الأوّلين قبلهم ، (كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ) يقول كما أهلكنا هؤلاء بكفرهم بى ، وتكذيبهم برسلى ، كذلك سنتى فى أمثالهم من الأمم الكافرة ، فنهلك المجرمين بإجرامهم إذا طغوا وبغوا (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) بأخبار الله التى ذكرناها فى هذه الآية ، الجاحدين قُدرته على ما يشاء .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : (أَلَمْ نَخْلُقكُّمْ) أيها الناس (مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ) يعنى من نطفة ضعيفة .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَلَمْ نَخْلُقكُّمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ) يعنى بالمهين : الضعيف .

وقوله (فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ) يقول : فجعلنا الماء المهين فى رحم استقرّ فيها فتمكن .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

Marfat.com

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فِي قَرَارٍ مَكِينٍ) قال : الرحم .

وقوله (إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ) يقول : إلى وقت معلوم لخروجه من الرحم عند الله ، (فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ) اختلفت القرّاء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة (فَقَدَّرْنَا) بالتشديد . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة والبصرة بالتخفيف .

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان ؛ فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، وإن كنت أوثر التخفيف لقوله (فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ) ، إذ كانت العرب قد تجمع بين اللغتين ، كما قال : (فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا) فجمع بين التشديد والتخفيف ، كما قال الأعشى :

وأَنْكَرَتْنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرَتْ ... مِنَ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلَعَا [1]

وقد يجوز أن يكون المعنى في التشديد والتخفيف واحدا . فإنه محكيّ عن العرب ، قُدِر عليه الموت ، وقُدِّر ـ بالتخفيف والتشديد .

وعنى بقوله (فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ) ما حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن ابن المبارك عن جويبر ، عن الضحاك (فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ) قال : فملكنا فنعم المالكون .

وقوله (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) يقول جلّ ثناؤه : ويل يومئذ للمكذّبين بأن الله خلقهم من ماء مهين .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى ذكره منبها عباده على نعمه عليهم (أَلَمْ نَجْعَلِ) أيها الناس (الْأَرْضَ) لكم (كِفَاتًا) يقول : وعاء ، تقول : هذا كفت هذا وكفيته ، إذا كان وعاءه . وإنما معنى الكلام : ألم نجعل الأرض كِفات أحيائكم وأمواتكم ، تَكْفِت أحياءكم في المساكن والمنازل ، فتضمهم فيها وتجمعهم ، وأمواتكم في بطونها في القبور ، فيُدفَنون فيها .

(١) هذا البيت في (ديوان الأعشى ، طبعة القاهرة ١٠١) من قصيدة يمدح بها هوذة بن على الحنفي ، ملك اليمامة . وأنشده الفراء في معاني القرآن (٣٥٤) قال : وقوله « فقدرنا فنعم القادرون » : ذكر عن على بن أبي طالب ، وعن أبي عبد الرحمن السلمي ، أنهما شددا ؛ وخففها الأعمش وعاصم ولا تبعدن أن يكون المعنى في التشديد والتخفيف واحدا ؛ لأن العرب قد تقول : قدر عليه الموت ، وقدر عليه الموت ، وقدر عليه رزقه ، وقدر عليه ، بالتخفيف والتشديد . وقد احتج الذين خففوا ، فقالوا : لو كان كذلك لكانت « فنعم المقدرون » ؛ وقد تجمع العرب بين اللغتين قال الله تعالى : « فهل الكافرين أمهلهم رويدا » . وقال الأعشى : « فأنكرتني وما كان الذي نكرت . . . البيت » . اهـ . وهذا الشاهد قد سبق استشهاد المؤلف به في الجزء (١٢ : ٧١) .

Marfat.com

وجائز أن يكون عُنى بقوله (كِفاتًا أحْياءً وأمْوَاتًا) تكفت أذاهم فى حال حياتهم، وجيفهم بعد مماتهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس، فى قوله (أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفاتًا) يقول: كِنًّا.

حدثنا عبد الحميد بن بيان، قال: أخبرنا خالد، عن مسلم، عن زاذان أبى عمر، عن الربيع بن خثيم، عن عبد الله بن مسعود، أنه وجد قملة فى ثوبه، فدفنها فى المسجد ثم قال: (أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفاتًا أحْياءً وأمْوَاتًا).

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو معاوية، قال: ثنا مسلم الأعور، عن زاذان، عن ربيع بن خثيم، عن عبد الله، مثله.

حدثنى يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن ليث، قال: قال مجاهد فى الذى يرى القملة فى ثوبه وهو فى المسجد، ولا أدرى قال فى صلاة أم لا، إن شئت فألقها، وإن شئت فوارها (أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفاتًا أحْياءً وأمْوَاتًا).

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن شريك، عن بيان، عن الشعبىّ (أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفاتًا أحْياءً وأمْوَاتًا) قال: بطنها لأمواتكم، وظهرها لأحيائكم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد (أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفاتًا) قال: تكفت أذاهم (أحْياءً) تواريه (وأمْوَاتًا) يدفنون: تكفتهم.

وقد حدثنى به ابن حميد مرّة أخرى، فقال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد (أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفاتًا) قال: تكفت أذاهم وما يخرج منهم (أحْياءً وأمْوَاتًا) قال: تكفتهم فى الأحياء والأموات.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفاتًا أحْياءً وأمْوَاتًا) قال: أحياء يكونون فيها، قال محمد بن عمرو: يغيبون فيها ما أرادوا؛ وقال الحارث: ويغيبون فيها ما أرادوا. وقوله (أحْياءً وأمْوَاتًا) قال: يدفنون فيها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفاتًا أحْياءً وأمْوَاتًا) يسكن فيها حيهم، ويدفن فيها ميتهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (أحْياءً وأمْوَاتًا) قال: أحياء فوقها على ظهرها، وأمواتا يقبرون فيها.

Marfat.com

واختلف أهل العربية فى الذى نصب (أَحْيَاءً وأَمْوَاتًا) فقال بعض نحوىّ البصرة: نصب على الحال . وقال بعض نحويى الكوفة : بل نصب ذلك بوقوع الكفات عليه ، كأنك قلت : ألم نجعل الأرض كفات أحياء وأموات ، فإذا نوّنت نصبت كما يقرأ من يقرأ (أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ، يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ) وهذا القول أشبه عندى بالصواب .

وقوله (وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ) يقول تعالى ذكره : وجعلنا فى الأرض جبالا ثابتات فيها ، باذخات شاهقات .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ) يعنى الجبال .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ) يقول : جبالا مشرفات .

وقوله (وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا) يقول : وأسقيناكم ماء عذبا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا) يقول : عذبا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنى أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مَاءً فُرَاتًا) قال : عذبا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا) : أى ماء عذبا

حدثنا محمد بن سنان القزاز ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : (وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا) قال : من أربعة أنهار : سيحانَ ، وجيحان ، والنيلِ ، والفراتِ ، وكل ماء يشربه ابن آدم ، فهو من هذه الأنهار ، وهى تخرج من تحت صخرة من عند بيت المقدس . وأما سيحان فهو ببلخ ، وأما جيحان فدجلة ، وأما الفرات ففرات الكوفة ، وأما النيل فهو بمصر .

وقوله (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) يقول : ويل يومئذ للمكذّبين بهذه النعم التى أنعمها عليكم من خلقى الكافرين بها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾

Marfat.com

لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾

** يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذّبين بهذه النعم والحجج التى احتجّ بها عليهم يوم القيامة : (انْطَلِقُوا إلى ما كُنْتُمْ بِهِ) فى الدنيا (تُكَذِّبُونَ) من عذاب الله لأهل الكفر به (انْطَلِقُوا إلى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ) يعنى تعالى ذكره : إلى ظلّ دخان ذى ثلاث شعب (لا ظَلِيلٍ) ، وذلك أنه يرتفع من وقودها الدخان فيما ذُكر ، فإذا تصاعد تفرّق شعبا ثلاثا ، فذلك قوله (ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إلى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ) قال : دخان جهنم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ) قال : هو كقوله (نارًا أحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها) قال : والسرادق : دخان النار ، فأحاط بهم سرادقها ، ثم تفرّق ، فكان ثلاث شعب ، فقال : انطلقوا إلى ظلّ ذى ثلاث شعب : شعبة هاهنا ، وشعبة هاهنا ، وشعبة هاهنا (لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ) .

وقوله (لا ظَلِيلٍ) يقول : لا هو يظلهم من حرّها (وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ) ولا يكنّهم من لهبها .

وقوله (إنَّها تَرْمِي بِشَرَرٍ كالقَصْرِ) يقول تعالى ذكره : إن جهنم ترمى بشرر كالقصر ، فقرأ ذلك قرّاء الأمصار (كالْقَصْرِ) بجزم الصاد .

واختلف الذين قرءوا ذلك كذلك فى معناه ، فقال بعضهم : هو واحد القصور .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إنَّها تَرْمِي بِشَرَرٍ كالْقَصْرِ) يقول : كالقصر العظيم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد (إنَّها تَرْمِي بِشَرَرٍ كالْقَصْرِ) قال : ذكر القصر [1] .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يزيد بن يونس ، عن أبى صخر فى قول الله (إنَّها تَرْمِي بِشَرَرٍ كالْقَصْرِ) قال : كان القرظى يقول : إن على جهنم سورا ، فما خرج من وراء السور مما يرجع فيها فى عظم القصر ، ولون القار .

وقال آخرون : بل هو الغليظ من الخشب ، كأصول النخل وما أشبه ذلك .

---

(١) لعله : ذاك القصر .

Marfat.com

ذكر من قال ذلك

حدثنا وكيع، عن سفيان، عن عبد الرحمن بن عابس، قال: سألت ابن عباس عن قوله: (إنها ترمى بشرر كالقصر) قال: القصر: خشب كنا ندّخره للشتاء ثلاث أذرع، وفوق ذلك، ودون ذلك كنا نسميه القصر.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، قال: سمعت عبد الرحمن بن عابس، قال: سمعت ابن عباس يقول فى قوله (إنها ترمى بشرر كالقصر) قال: القصر: خشب كان يقطع فى الجاهلية ذراعا وأقل أو أكثر، يعمد به.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عبد الرحمن بن عابس، قال: سمعت ابن عباس يقول فى قوله: (إنها ترمى بشرر كالقصر) قال: كنا فى الجاهلية نقصر ذراعين أو ثلاث أذرع، وفوق ذلك ودون ذلك نسميه القصر.

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (إنها ترمى بشرر كالقصر) فالقصر: الشجر المقطع، ويقال: القصر: النخل المقطوع.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى: وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قوله (كالقصر) قال: حزم الشجر، يعنى الحزمة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا ابن أبى عدىّ، عن شعبة، عن أبى بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس فى هذه الآية (إنها ترمى بشرر كالقصر) قال: مثل قصر النخلة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (إنها ترمى بشرر كالقصر) أصول الشجر، وأصول النخل.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (بشرر كالقصر) قال: كأصل الشجر.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول فى قوله (بشرر كالقصر) القصر: أصول الشجر العظام، كأنها أجواز الإبل الصفر وسط كل شىء جوزه، وهى الأجواز.

حدثنا أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا حجاج، عن هارون، قال: قرأها الحسن: (كالقصر) وقال: هو الجزل من الخشب قال: واحدته: قصرة وقصر: مثله: جمرة وجمر، وتمرة وتمر.

وذُكر عن ابن عباس أنه قرأ ذلك (كالقَصَر) بتحريك الصاد.

حدثنى أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا حجاج، عن هارون، قال: أخبرنى حسين المعلم، عن أبى بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه قرأها (كالقَصَر) بفتح القاف والصاد.

قال: وقال هارون: أخبرنى أبو عمرو أن ابن عباس قرأها (كالقَصَر) وقال: قصر النخل، يعنى الأعناق.

وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندنا ما عليه قرّاء الأمصار، وهو سكون الصاد. وأولى التأويلات به

Marfat.com

أنه القصر من القصور ، وذلك لدلالة قوله (كأنهُ جِمالاتٌ صُفْرٌ) على صحته ، والعرب تشبه الإبل بالقصور المبنية ، كما قال الأخطل فى صفة ناقة :

كأنها بُرْجُ رُومِىٌّ يُشَيِّدُهُ　　لُزَّ بِجِصٍ وآجُرٌّ وأحْجارِ[1]

وقيل (بِشَرَرٍ كالقَصْرِ) ولم يقل كالقصور ، والشرر جماع ، كما قيل : سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) ولم يقل الأدبار ، لأن الدبر بمعنى الأدبار ، وفعل ذلك توفيقا بين رءوس الآيات ومقاطع الكلام ، لأن العرب تفعل ذلك كذلك ، وبلسانها نزل القرآن . وقيل : كالقصر ، ومعنى الكلام : كعظم القصر ، كما قيل : تدور أعينهم ، كالذى يغشى عليه من الموت ، ولم يقل : كعيون الذى يغشى عليه ، لأن المراد فى التشبيه الفعل لا العين .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عطاء بن السائب ، أنه سأل الأسود عن هذه الآية (تَرْمِى بِشَرَرٍ كالْقَصْرِ) فقال : مثل القصر .

وقوله (جِمالاتٌ صُفْرٌ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : كأن الشرر الذى ترمى به جهنم كالقصر جِمالات سود : أى أينق سود ؛ وقالوا : الصفر فى هذا الموضع ، بمعنى السود قالوا : وإنما قيل لها صفر وهى سود ، لأن ألوان الإبل سود تضرب إلى الصفرة ، ولذلك قيل لها صُفْر ، كما سميت الظباء أدما ، لما يعلوها فى بياضها من الظلمة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أحمد بن عمرو البصرى ، قال : ثنا بدل بن المحبَّر ، قال : ثنا عباد بن راشد ، عن داود بن أبى هند ، عن الحسن (كأنَّهُ جِمالَةٌ صُفْرٌ) قال : الأينق السود .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : سعيد ، عن قتادة (كأنَّهُ جِمالاتٌ صُفْرٌ) كالنُّوق السود الذى رأيتم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (جِمالاتٌ صُفْرٌ) قال : نوق سود .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ؛ وحدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع جميعا ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد (كأنَّهُ جِمالاتٌ صُفْرٌ) قال : هى الإبل .

قال : ثنا مهران ، عن سعيد ، عن قتادة (كأنَّهُ جِمالاتٌ صُفْرٌ) قال : كالنوق السود الذى رأيتم .

وقال آخرون : بل عنى بذلك : قلُوس السفن ، شبَّه بها الشرر .

---

(١) البيت للأخطل (ديوانه : ١١٣) ولز الشىء بالشىء : شده وألصقه . وقد استشهد به المؤلف على تشبيه الشرر المتطاير من جهنم بالقصر ، وأن الجمال الضخام قد تشبه بالقصور ، أى البيوت العالية ، كما قال الأخطل ، وكما قال طرفة قبله فى صفة ناقته :

كَقَنْطَرَةِ الرُّومِىِّ أقْسَمَ رَبُّها　　لَتُكْتَنَفَنْ حَتَّى تُشادَ بِقَرْمَدِ

وقد سبق استشهاد المؤلف بالبيت فى الجزء (١٩ : ٣٠) فارجع إليه .

Marfat.com

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعيد قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس كأنَّهُ جِمالات صُفْرٌ) فالجمالات الصفر : قلوس السفن التي تجمع فتوثق بها السفن .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سعيد ، عن عبد الرحمن بن عابس ، قال : سألت ابن عباس عن قوله (كأنَّهُ جِمالاتٌ صُفْرٌ) قال : قُلُوس سفن البحر يجمل بعضها على بعض ، حتى تكون كأوساط الرجال .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عبد الرحمن بن عابس ، قال : سمعت ابن عباس سُئل عن (جِمالاتٌ صُفْرٌ) فقال : حبال السفن يجمع بعضها إلى بعض حتى تكون كأوساط الرجال

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، قال : سمعت عبد الرحمن بن عابس ، قال : ثنا عبد الملك بن عبد الله ، قال : ثنا هلال بن خباب ، عن سعيد بن جُبير ، في قوله (جِمالاتٌ صَفَرٌ) قال : قُلوس الجسر .

حدثني محمد بن حويرة بن محمد المنقرى ، قال : ثنا عبد الملك بن عبد الله القطان ، قال : ثنا هلال ابن خبَّاب ، عن سعيد بن جُبير ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر وابن أبي عدىّ ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جُبير (كأنَّهُ جِمالات صفْرٌ) قال : الحبال .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن سليمان بن عبد الله ، عن ابن عباس (كأنَّهُ جِمالاتٌ صُفْرٌ) قال : قلوس سفن البحر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كأنَّهُ جِمالاتٌ صُفْرٌ) قال : حبال الجسور .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : كأنه قطع النُّحاس .

ذكر من قال ذلك

حدثني علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (كأنَّهُ جِمالاتٌ صُفْرٌ) يقول : قطع النحاس .

** وأولى الأقوال عندي بالصواب قول من قال : عُنِي بالجمالات الصفر : الإبل السود ، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب ، وأن الجمالات جمع جِمال ، نظير رِجال ورِجالات ، وبُيوت وبُيوتات .

وقد اختلف القرّاء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (جِمالاتٌ) بكسر الجيم والتاء على أنها جمع جِمال وقد يجوز أن يكون أريد بها جمع جِمالة ، والجمالة جمع جَمَل كما الحجارة جمع حَجَر ، والذِّكارة جمع ذَكَر . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين كأنه (جِمالَةٌ) بكسر الجيم على أنها جمع جمل

Marfat.com

جمع على جمالة ، كما ذكرت من جمع حجر حجارة . وروى عن ابن عباس أنه كان يقرأ (جُمالاتٌ) بالتاء وضم الجيم كأنه جمع جُمالة من الشيء المجمل .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن الحسين المعلم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس .

والصواب من القول في ذلك ، أن لقارئ ذلك اختيار أيّ القراءتين شاء من كسر الجيم وقراءتها بالتاء وكسر الجيم ، وقراءتها بالهاء التي تصير في الوصل تاء ، لأنهما القراءتان المعروفتان في قرّاء الأمصار ، فأما ضم الجيم فلا أستجيزه لإجماع الحجة من القرّاء على خلافه .

وقوله (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) يقول تعالى ذكره : ويل يوم القيامة للمكذّبين هذا الوعيد الذي توعد الله به المكذّبين من عباده .

القول في تأويل قوله تعالى :

هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذّبين بثواب الله وعقابه (هَذَا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ) أهل التكذيب بثواب الله وعقابه (وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ) مما اجترموا في الدنيا من الذنوب .

فإن قال قائل : وكيف قيل (هَذَا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ) وقد علمت بخبر الله عنهم أنهم يقولون (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا) وأنهم يقولون (رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) في نظائر ذلك مما أخبر الله ورسوله عنهم أنهم يقولونه . قيل : إن ذلك في بعض الأحوال دون بعض .

وقوله (هَذَا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ) يخبر عنهم أنهم لا ينطقون في بعض أحوال ذلك اليوم ، لا أنهم لا ينطقون ذلك اليوم كله .

فإن قال : فهل من برهان يعلم به حقيقة ذلك ؟ قيل : نعم ، وذلك إضافة يوم إلى قوله (لا يَنْطِقُونَ) والعرب لا تُضيف اليوم إلى فعل يفعل ، إلا إذا أرادت الساعة من اليوم والوقت منه ، وذلك كقولهم : آتيك يومَ يقدمُ فلان ، وأتيتك يوم زارك أخوك ، فمعلوم أن معنى ذلك : أتيتك ساعة زارك ، أو آتيك ساعة يقدُم ، وأنه لم يكن إتيانه إياه اليوم كله ، لأن ذلك لو كان أخذ اليوم كله لم يضف اليوم إلى فعل ويفعل ، ولكن فعل ذلك إذ كان اليوم بمعنى إذ وإذا اللتين يطلبان الأفعال دون الأسماء .

وقوله (فَيَعْتَذِرُونَ) رفعا عطفا على قوله (وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ) وإنما اختير ذلك على النصب وقبله جحد ، لأنه رأس آية قرن بينه وبين سائر رءوس الآيات التي قبلها ، ولو كان جاء نصبا كان جائزا ، كما

Marfat.com

قال : لايقضى عليهم فيموتوا ، وكلّ ذلك جائز فيه ، أعنى الرفع والنصب ، كما قيل : (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ) رفعا ونصبا .

وقوله (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) يقول تعالى ذكره : ويل يومئذ للمكذّبين بخبر الله عن هؤلاء القوم ، وما هو فاعل بهم يوم القيامة .

وقوله (هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ) يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذّبين بالبعث يوم يبعثون : هذا يوم الفصل الذى يفصل الله فيه بالحقّ بين عباده (جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ) يقول : جمعناكم فيه لموعدكم الذى كنا نعدكم فى الدنيا الجمع فيه بينكم وبين سائر من كان قبلكم من الأمم الهالكة ، فقد وفّينا لكم بذلك (فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ) يقول والله منجز لكم ما وعدكم فى الدنيا من العقاب على تكذيبكم إياه بأنكم مبعوثون لهذا اليوم إن كانت لكم حيلة تحتالونها فى التخلص من عقابه اليوم فاحتالوا .

وقوله (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) يقول : ويل يومئذ للمكذّبين بهذا الخبر .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾

* يقول تعالى ذكره : إن الذين اتقوا عقاب الله بأداء فرائضه فى الدنيا ، واجتناب معاصيه (فِي ظِلَالٍ) ظليلة ، وكِنّ كنين ، لايصيبهم أذى حرّ ولا قرّ ، إذ كان الكافرون بالله فى ظلّ ذى ثلاث شعب ، لاظليل ولايغنى من اللهب (وَعُيُونٍ) أنهار تجرى خلال أشجار جناتهم (وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ) يأكلون منها كلما اشتهوا لايخافون ضرّها ، ولا عاقبة مكروهها .

وقوله (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول تعالى ذكره : يقال لهم : كلوا أيها القوم من هذه الفواكه ، واشربوا من هذه العيون كلما اشتهيتم هنيئا : يقول : لاتكدير عليكم ، ولا تنغيص فيما تأكلونه وتشربون منه ، ولكنه لكم دائم ، لايزول وامرىء لايورثكم أذى فى أبدانكم .

وقوله (بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول جلّ ثناؤه يقال لهم : هذا جزاء بما كنتم فى الدنيا تعملون من طاعة الله ، وتجتهدون فيما يقرّبكم منه .

وقوله (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) يقول : إنا كما جزينا هؤلاء المتقين بما وصفنا من الجزاء على طاعتهم إيانا فى الدنيا ، كذلك نجزى ونثيب أهل الإحسان فى طاعتهم إيانا ، وعبادتهم لنا فى الدنيا على إحسانهم لانضيع فى الآخرة أجرهم .

وقوله (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) يقول : ويل للذين يكذّبون خبر الله عما أخبرهم به من تكريمه هؤلاء المتقين بما أكرمهم به يوم القيامة .

Marfat.com

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝﴾

* يقول تعالى ذكره تهدّدا ووعيدا منه للمكذّبين بالبعث : كلوا فى بقية آجالكم ، وتمتعوا ببقية أعماركم (إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ) مستنون بكم سنة من قبلكم من مجرى الأمم الخالية التى متعت بأعمارها إلى بلوغ كتبها آجالها ، ثم انتقم الله منها بكفرها ، وتكذيبها رسلها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ) قال : عُنِىَ به أهل الكفر .

وقوله (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) يقول تعالى ذكره : ويل يومئذ للمكذبين الذين كذّبوا خبر الله الذى أخبرهم به عما هو فاعل بهم فى هذه الآية .

وقوله (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ) يقول تعالى ذكره : وإذا قيل لهؤلاء المجرمين المكذّبين بوعيد الله أهل التكذيب به : اركعوا ، لا يركعون .

واختلف أهل التأويل فى الحين الذى يقال لهم فيه ، فقال بعضهم : يقال ذلك فى الآخرة حين يُدْعون إلى السجود فلا يستطيعون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ) يقول : يُدْعون يوم القيامة إلى السجود فلا يستطيعون السجود من أجل أنهم لم يكونوا يسجدون لله فى الدنيا .

وقال آخرون : بل قيل ذلك لهم فى الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ) عليكم بحسن الركوع ، فإن الصلاة من الله بمكان . وقال قتادة عن ابن مسعود ، أنه رأى رجلا يصلى ولا يركع ، وآخر يجرّ إزاره ، فضحك ، قالوا : ما يُضحكك ؟ قال : أضحكنى رجلان ، أما أحدهما فلا يقبل الله صلاته ، وأما الآخر فلا ينظر الله إليه .

وقيل : عُنِىَ بالركوع فى هذا الموضع الصلاة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

Marfat.com

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ) قال : صَلُّوا .

﴿﴾ وأولى الأقوال فى ذلك أن يقال : إن ذلك خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء القوم المجرمين أنهم كانوا له مخالفين فى أمره ونهيه ، لا يأتمرون بأمره ، ولا ينتهون عما نهاهم عنه .

وقوله (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) يقول : ويل للذين كذّبوا رسل الله ، فردّوا عليهم ما بلغوا من أمر الله إياهم ، ونهيه لهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾

﴿﴾ يقول تعالى ذكره : فبأىّ حديث بعد هذا القرآن ، أى أنتم أيها القوم كذّبتم به مع وضوح برهانه ، وصحة دلائله ، أنه حقّ من عند الله تؤمنون : يقول : تصدّقون .

وإنما أعلمهم تعالى ذكره أنهم إن لم يصدّقوا بهذه الأخبار التى أخبرهم بها فى هذا القرآن مع صحة حججه على حقيقته لم يمكنهم الإقرار بحقيقة شىء من الأخبار التى لم يشاهدوا المخبَر عنه ، ولم يعاينوه ، وأنهم إن صدّقوا بشىء مما غاب عنهم لدليل قام عليه لزمهم مثل ذلك فى أخبار هذا القرآن ، والله أعلم .

آخر تفسير سورة والمرسلات

تمّ الجزء التاسع والعشرون من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبرى

ويليه الجزء الثلاثون

وأوله : تفسير سورة النبأ

Marfat.com

Marfat.com